تلقى النبى
ص ألفاظ القرآن
عبدالسلام مقبل المجيدى

بسم الله الرحمن الرحيم

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن

كاتب:

عبد السلام مقبل المجيدى

نشرت فى الطباعة:

مؤسسة الرساله

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
تلقی النبی ص ألفاظ القرآن ----- ۳۰
اشارة ----- ۳۰
تقدیم فضیلة الشیخ العلامة/ عبد المجید بن عزیز الزندانی «۱» ----- ۳۰
تقدم فضیلة الأستاذ الدکتور/ أحمد بن علی الإمام «۱» ----- ۳۱
إهداء و شکر ----- ۳۲
المقدمة ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
فهاهنا أصلان استلزما البحث فی هذا الموضوع ----- ۳۴
و یلاحظ فی منهج البحث ما یلی ----- ۳۴
الهیکل العام للبحث ----- ۳۵
الفصل الأول مؤهلات المعلم الملقی ----- ۳۶
اشارة ----- ۳۶
مقدمة: من الموحی بالقرآن؟ من المتکلم به؟: ----- ۳۷
المبحث الأول: أهمیة موضوع تعلیم جبریل علیه السلام: ----- ۳۸
اشارة ----- ۳۸
المطلب الأول: البعد التاریخی و الموضوعی للاهتمام بهذا الموضوع: ----- ۳۸
المطلب الثانی: أهداف دراسة هذا الموضوع: ----- ۳۹
اشارة ----- ۳۹
۱- غرس الاهتمام بالأصول الکلیة فی هذه الشریعة المطهرة ----- ۳۹
۲- بیان الطریقة المنهجیة التی علم بها جبریل علیه السلام ----- ۴۰
۳- الاستشعار النفسی لما اعتری عملیة نقل الکلام الإلهی ----- ۴۰
۴- أن تحاول الأمة بمجموعها جعل جهودها لحفظ کتاب اللّه ----- ۴۰

المبحث الثانی: صفات جبریل علیه السلام: ۴۰
اشارة ۴۰
المطلب الأول: صفاته من حیث طبیعته الخُلقیة: ۴۰
۱- عظمة الخلقة: ۴۰
۲- أنه ملک: ۴۲
۳- الروح: ۴۲
۴- السرعة و الفوریة فی النزول بالوحی القرآنی: ۴۲
۵- القوة: ۴۳
المطلب الثانی: صفاته علیه السلام، من حیث سجایاه الخلقیة: ۴۴
۱) کریم: ۴۴
۲) ذو قوة: ۴۴
اشارة ۴۴
و یدخل فی هذه القوة دخولا أولیا: ۴۴
أ- قوة الحفظ. ۴۵
ب- و قوة الوصول إلی الرسول من البشر. ۴۵
ج- و تلطف المجیء ۴۵
د- و قوة البدن المتعددة المناحی ۴۵
۳) مُطاعٍ "التکویر/ ۲۱:" ۴۶
۴) أَمِینٍ "التکویر/ ۲۱:" ۴۶
اشارة ۴۶
أ- طابع العموم فی کل ما اؤتمن علیه: ۴۶
ب- طابع الدقة و التفصیل: ۴۶
و أمانته من حیث الأصالة تتسم بسمتین: ۴۶
و لهذه الأمانة مقتضاها العملی الهام فی جهتین: ۴۷

- جهة فی ذاته: ---- ۴۷
- جهة فی غیره: ---- ۴۷
۵) عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ "التکویر/ ۲۰:" ---- ۴۸
۶) اقتصار مهمته فی المحتوی العام علی أنه رسول: ---- ۴۸
اشارة ---- ۴۸
أ فیحل لقائل أن یقول: ---- ۴۸
۷) تمرسه علی الرسالة التی تماثل هذا النوع: ---- ۴۸
۸) حکیم علیم: ---- ۴۹
المبحث الثالث: أمین الوحی فی السماء لأهل السماء: ---- ۵۰
المبحث الرابع: اختیار جبریل علیه السلام لیکون الوسیط بین اللّه عزّ و جل و رسله: ---- ۵۱
اشارة ---- ۵۱
المطلب الأول: من حیث عموم الرسالات السماویة: ---- ۵۲
اشارة ---- ۵۲
و أهمیة هذه النتیجة فی هذه الدراسة: ---- ۵۲
المطلب الثانی: من حیث خصوص رسالة النبی صلی اللّه علیه و سلم: ---- ۵۲
اشارة ---- ۵۲
و مما یدل علی قرب جبریل علیه السلام، و متابعته، و کونه الواسطة التعلیمیة للنبی صلی اللّه علیه و سلم: ---- ۵۳
کما أن جبریل علیه السلام هو واسطة النبی صلی اللّه علیه و سلم التعلیمیة الوحیدة إلی عالم الغیب: ---- ۵۳
اشارة ---- ۵۳
فأما عالم الملائکة: ---- ۵۳
و أما عالم الجن: ---- ۵۴
و لهذا التفریع فائدة منهجیة ---- ۵۴
کما هو أیضا واسطته إلی غیب خارج ذلک: ---- ۵۴
المطلب الثالث: من حیث خصوص الخصوص: ---- ۵۵

اشارة ----- ۵۵
و جبریل علیه السلام هو المقرئ له صراحة: ----- ۵۵
و لأنه الملقی للنبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ لقرآن الکریم: ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
و (التألیف) فی قول الحجاج: ----- ۵۶
و وجه ثالث هو أن الواسطة بین الملک و الرسول صلی اللّه علیه و سلم ----- ۵۶
عداوة جبریل علیه السلام مقیاس مطلق لعداوة اللّه- تعالی ذکره-: ----- ۵۶
الفصل الثانی اتصال جبریل علیه السلام بالنبی صلی اللّه علیه و سلم لتلقینه الوحی القرآنی و فیه ثلاثة مباحث ----- ۵۷
اشارة ----- ۵۷
المبحث الأول: تهیئة النبی صلی اللّه علیه و سلم للوحی، و الاتصال بالملک: ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
المطلب الأول: التهیئة الإلهیة للوحی: ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
۱- حادثة شق الصدر: ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
فالمرة الأولی: کان هدفها نزع حظ الشیطان: ----- ۵۹
أما المرة الثانیة: فمن أهدافها: ----- ۶۰
۲- ثم بدأ یتعدی القوی البشریة القاصرة: ----- ۶۰
۳- و کان جبریل علیه السلام یأتیه فی المنام: ----- ۶۱
۴- الرؤیا الصادقة: ----- ۶۲
۵- الآیات التی کانت تظهر له: ----- ۶۲
۶- التحنث: ----- ۶۳
المطلب الثانی: التهیئة البشریة للوحی: ----- ۶۳
اشارة ----- ۶۳

أ- التهيئة الذاتية: و يشير إليها ملمحان: ----- ۶۴
ب- التهيئة البيئية: لمحيطه الذى يتلقى فيه الوحى: ----- ۶۴
المبحث الثانى: إمكانية الاتصال المطلق بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم: ----- ۶۵
اشارة ----- ۶۵
۱- الالتقاء الخفى، و الكلام الخفى: ----- ۶۵
۲- و يناديه و يكلمه دون أن يشعر أحد من حواليه غالبا سماعا، كما هو رؤية: ----- ۶۵
۳- الإطلاق من حيث النداء و الوقت: ----- ۶۷
۴- الإطلاق من حيث المكان: ----- ۶۷
اشارة ----- ۶۷
و بعد: ----- ۶۸
المانع من قرب جبريل عليه السّلام: ----- ۶۸
المبحث الثالث: هيئات مجيء الملك بالوحى القرآنى (من حيث عموم الوحى): ----- ۶۹
اشارة ----- ۶۹
و المقتضى المنهجى لذلك: ----- ۶۹
الفصل الثالث هيئة تلقى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السّلام و فيه تسعة مباحث ----- ۷۰
اشارة ----- ۷۰
المبحث الأول: كيفية مجيء جبريل عليه السّلام إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عند تلقينه الوحى القرآنى «۱»: ----- ۷۱
اشارة ----- ۷۱
فلنتتبع هذا الوصف القرآنى «۲» لتلقى جبريل عليه السّلام الوحى القرآنى من اللّه عزّ و جل «۳»، و كيفية نزوله إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: ۲
المبحث الثانى: هيئة إلقاء الوحى القرآنى من جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم: ----- ۷۷
اشارة ----- ۷۷
المطلب الأول: الهيئة العامة لإلقاء الوحى القرآنى: ----- ۷۷
المطلب الثانى: النزول على القلب «۴»: ----- ۷۸
اشارة ----- ۷۸

المعنی: لم تخرج أقوال المؤولین فیها علی أمرین: ۷۹
أ- علی روحک: ۷۹
ب- علی العضو المخصوص: ۷۹
الکاف فی عَلی قَلْبِکَ: ۸۱
الحرف عَلی ۸۱
اشارة ۸۱
و یلوح للباحث ثلاثة أمور فی حرف الجر علی: ۸۱
أولها: أن الاستعلاء مستغرق للملکیة ۸۱
و ثانیها: أن علی مؤکدة للإنزال من أعلی إلی أدنی: ۸۱
و ثالثها: أنه قال علی و لم یقل (فی) ۸۲
إعداد القلب مسبقا: ۸۲
فقد اشتمل النزول علی قلبه صلی اللّه علیه و سلم: ۸۲
۱- علی التحفیظ و التفهیم و التثبت: ۸۳
۲- کما اشتمل النزول علی قلبه صلی اللّه علیه و سلم علی اللفظ کما هو علی المعنی تصریحا لا تلویحا: ۸۳
۳- التمکن من حفظ الألفاظ و جمعها ۸۳
المبحث الثالث: نزول جبریل علیه السلام توقیفی: ۸۴
المبحث الرابع: مظاهر اجتهاد النبی صلی اللّه علیه و سلم فی تلقی القرآن من جبریل علیه السلام قبل نزول التوقیف الإلهی: ۸۵
اشارة ۸۵
فمن مظاهر اجتهاده الأولی: ۸۵
۱- تحریک اللسان بالقرآن قبل فراغ جبریل علیه السلام منه: ۸۵
۲- دراسته بحیث یشق علیه (و هذا أعم من السابق) ۸۵
۳- التعجل فی السؤال عن معانیه: ۸۵
۴- القول القلبی و الاستفزاز العاطفی ۸۶
المبحث الخامس: سمات الرسول صلی اللّه علیه و سلم حین نزول الوحی القرآنی علیه: ۸۶

اشارة ----- ۸۶
۱- تفریغ قلبه صلی اللّه علیه و سلم و حسه، و تخلیة فکره إلا فی المتلقی: ----- ۸۶
اشارة ----- ۸۶
و الحکمة فی تقدم هذا الصوت الشدید «۱»: ----- ۸۷
۲- المعاناة فی تلقی الوحی: ----- ۸۷
اشارة ----- ۸۷
و اتخذت هذه الشدة مظاهر متعددة، منها: ----- ۸۸
۱- ما یؤدی إلی تغیر ملامح وجهه: ----- ۸۸
۲- و منها ما یؤدی إلی شعوره بشدة فی نفسه و نفسه حتی یظنه الموت ----- ۸۸
۳- و منها ما یخرج ملامح جسده عن تأثیر بیئته من حیث ظهور شدة الإجهاد علیه: ----- ۸۸
۴- و منها ما یؤدی إلی ظهوره بمظهر تذلل العبد بیانا لضعفه: ----- ۸۸
۵- بل یؤثّر علی ما لامسه صلی اللّه علیه و سلم من بشر أو حیوان: ----- ۸۸
۶- و هذه المظاهر لیست عوارض تأتی مع الوحی القرآنی أحیانا ----- ۸۹
و لثقل الوحی و معاناة النبی صلی اللّه علیه و سلم دلائل عدة من حیث موضوع البحث: ----- ۹۰
و هل یتنافی هذا مع کون القرآن میسرا للذکر کما فی قوله عزّ و جل وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ "القمر/ ۱۷؟ "لا؛ لوجوه: --- ۹۱
۳- التکلف الطبعی فی حفظ الوحی: ----- ۹۱
۴- تلقی الوحی القرآنی تلقی استماع لصوت متکلم بأحرف: ----- ۹۲
۵- جمع القرآن فی صدره صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۹۲
اشارة ----- ۹۲
فلتنضم هذه الحقیقة الجلیلة إلی حقائق تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ----- ۹۳
و ثم حقیقة موازیة تلوح فی هذا الباب، و هی: ----- ۹۳
و لعل من أعظم أسرار قوله تعالی عَلی قَلْبِکَ ----- ۹۳
هل أوحی إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم شیء من القرآن مناما؟ و الجواب: ----- ۹۴
۶- ارتقاء القوی البشریة للنبی صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۹۵

۷- الاستماع و الإنصات: ۹۵
۸- الوعی لما یقوله الملک: ۹۶
۹- تطبیق هیئات التلقی التوقیفیة: ۹۶
۱۰- استعداد الملکات النفسیة فی النبی صلی اللّه علیه و سلم للحفظ: ۹۶
المبحث السادس: حدیث المعالجة و دلالاته العامة: ۹۷
اشارة ۹۷
المطلب الأول: متن حدیث المعالجة برواياته المختلفة: ۹۷
المطلب الثانی: تحلیل الموقف فی حدیث المعالجة: ۹۸
سبب المعاناة: ۹۸
اشارة ۹۸
۱) علمه أنه قد کلّف فی حدود ما تطیقه قواه البشریة ۹۸
۲) إشفاقه من أن یعتریه القصور البشری ۹۸
۳) حبه للقرآن الکریم ۹۹
المطلب الثالث: تحلیل آیات سورة القیامة الواردة فی حدیث المعالجة: ۹۹
إِنَّ عَلَینا جَمْعَهُ: ورد فیها معنیان «۲»: ۹۹
۱- علینا أن نجمعه فی صدرک: ۹۹
۲- الجمع هو التألیف: ۹۹
و قراءته: ۱۰۰
فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۴»: ورد فیها أربعة معان: ۱۰۱
ثُمَّ إِنَّ عَلَینا بَیانَهُ: ورد فیه معنیان أیضا: ۱۰۱
المطلب الرابع: من فوائد حدیث المعالجة «۱»: ۱۰۳
أول فائدة تتعلق بلفظ القرآن: ۱۰۳
و ثانی فائدة تؤخذ من هذه الآیات مما یتعلق باللفظ: ۱۰۳
المطلب الخامس: من دلالات الحدیث الخاصة: ۱۰۴

۱- تحریک الفم: ۱۰۴
۲- أخذ النفس بالشدة فی قراءة القرآن و حفظه: ۱۰۵
۳- مخارج الحروف هی الخمسة المشهورة: ۱۰۵
المبحث السابع: التلقی (و التلقین): ۱۰۶
اشارة ۱۰۶
المطلب الأول: تعریفه: ۱۰۶
التلقی فی الوضع اللغوی: ۱۰۶
اشارة ۱۰۶
و تحصل من مفاهیم الإلقاء فی الوضع اللغوی الدلالات التالیة: ۱۰۶
۱) أنه حسی ۱۰۶
۲) أنه یعتمد علی القول المحسوس ۱۰۷
۳) یستعمل إلقاء القول استعمالا لغویا خاصا فی التعلیم ۱۰۷
التلقی فی الوضع الاصطلاحی: ۱۰۷
اشارة ۱۰۸
الفرق بین التعلیم و التلقین: ۱۰۸
المطلب الثانی: القرآن تلقین و لیس إلهاما «۱»: ۱۰۸
فهو تعلیم مباشر (تلقین) و لیس إلهاما: ۱۰۹
و لیس تعلیم جبریل علیه السلام الرسول صلی اللّه علیه و سلم بالتصویت شیئا بعد شیء مسألة فرعیة ۱۰۹
و من أدلة کون الوحی القرآنی تلقینا: ۱۰۹
المطلب الثالث: حکم التلقین: ۱۱۰
اشارة ۱۱۰
- و یتضح من هنا أمر آخر هو: أن جبریل علیه السلام لم یعلّم النبی صلی اللّه علیه و سلم بتلاوته علیه الهیئات الخارجیة للأحرف ۱۱۱
و هاهنا مسألة مهمة: ۱۱۲
المطلب الرابع: قواعد التلقی و التلقین: ۱۱۲

اشارة ----- ۱۱۲
۱- قراءة الشيخ على الطالب ----- ۱۱۲
۲- إنصات الطالب لشيخه ----- ۱۱۲
۳- استماع الطالب من شيخه ----- ۱۱۳
۴- إعادة الطالب المقروء ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
و هاهنا سؤال متعلق بهذه القاعدة: ----- ۱۱۳
۵- أن يكون المعاد موافقا لقراءة الشيخ و مطابقا لها ----- ۱۱۳
۶- أن يصحب القراءة تحريک للشفتين ----- ۱۱۳
اشارة ----- ۱۱۳
لكن هل يشترط استماع الشيخ لطالبه عند إعادة المقروء؛ إذ فى المعالجة: ----- ۱۱۴
و هل يشترط أداء هذه القواعد كلها فى التلقى و التلقين؟ ----- ۱۱۴
و هاهنا مسألة فى غاية الأهمية ----- ۱۱۴
المطلب الخامس: المقتضى المنهجى لما سبق ----- ۱۱۵
و تقرير هذه المسألة له ما بعده، إذ ينبنى عليها ثلاثة أمور منهجية: ----- ۱۱۵
أولها: التزام هذه الطريقة (التلقى) منهجا لتعليم القرآن الكريم: ----- ۱۱۵
و ثانيها: فى التزام هذه الطريقة دفع لإيهام إلقاء الشيطان ----- ۱۱۵
و ثالثها: شمول التوقيفية فى أداء الوحى القرآنى ----- ۱۱۵
رابعها: ----- ۱۱۶
و فى خاتمة هذا المبحث يقال: ----- ۱۱۷
المبحث الثامن: كيفية قراءة الرسول صلى اللّه عليه و سلم القرآن على جبريل عليه السلام من حيث الأمر الشرعى، و الواقع التطبيقى «۱»: ----- ۱۱۷
اشارة ----- ۱۱۷
۱- تبدأ باستشعار المصدرية الإلهية للقرآن الكريم دائما عند قراءة القرآن الكريم: ----- ۱۱۷
اشارة ----- ۱۱۷

و لتأكيد التقرير هنا فلتتأمّل هذه المصدرية فى أول سورة نزلت ---- ۱۱۸
و استشعار المصدرية الإلهية للقرآن له مقتضياته الهامة، و فيما يتعلق بمدار البحث هنا تبرز المقتضيات التالية: ---- ۱۱۹
أ- يقذف فى قلب الإنسان كل ما تصل إليه مشاعره الداخلية و انفعالاته العاطفية و حركات أركانه الخارجية من التعظيم اللّه سبحانه و تعالى
ب- استمداد العون و التوفيق فى تحقيق لفظه، و إتقان مبناه «۳» ---- ۱۱۹
و الصورة التطبيقية لهذا قبل التوقيف القرآنى على هيئة تلقى القرآن لاستشعار هذه المصدرية: ---- ۱۲۰
و الصورة التطبيقية بعد التوقيف القرآنى على هيئة تلقى القرآن: ---- ۱۲۰
۲- الاستماع و الإطراق عند تلاوة جبريل عليه السلام عليه: ---- ۱۲۰
اشارة ---- ۱۲۰
و الصورة التطبيقية لذلك ---- ۱۲۱
و هذا هو الأساس الشرعى و المنهجى ---- ۱۲۱
و الاستماع و الإنصات يحقق نتائج ترفع من مستوى الاستيعاب المنهجى لألفاظ القرآن الكريم، و منها: ---- ۱۲۱
أ- أن ذلك ترسيخ لاستشعار المصدرية الإلهية ---- ۱۲۱
ب- أن ذلك أقوى فى استيعاب لفظ الآية ---- ۱۲۱
ج- أن ذلك أقوى فى استيعاب معنى الآية ---- ۱۲۱
۳- ترديد القرآن بعد انتهاء جبريل عليه السلام من قراءته، ليطمئن القلب بتحفظه: ---- ۱۲۱
اشارة ---- ۱۲۱
و الصورة التطبيقية لذلك ---- ۱۲۲
۴- تحريک فمه و شفتيه عند الحفظ أو القراءة: ---- ۱۲۲
۵- (الترتيل) «۲» تبيين الحروف: ---- ۱۲۲
اشارة ---- ۱۲۲
فالترتيل يتضمن عنصرين يشكلان ماهيته الذاتية، هما: ---- ۱۲۲
فأما تبيين الحروف فهو لازم التؤدة و التأنى؛ إذ من غايات التأنى: ---- ۱۲۳
و فى القرآن الكريم تذكر لنا صورة تطبيقية ملائكية «۱» ---- ۱۲۳
و الصورة التطبيقية لذلك: ---- ۱۲۳

و إذا كان ذا فی حدیثه المعتاد، فكیف فی تلاوة كلام اللّه سبحانه و تعالی؟ ---- ۱۲۴
و هو الموافق لقراءة معتدلی قراء المسلمین فی هذه الأیام ---- ۱۲۵
۶- التأتی فی تلاوة القرآن: ---- ۱۲۵
اشارة ---- ۱۲۵
و الغایة من التأنی: ---- ۱۲۶
و التأنی یستلزم السكینة و الوقار ---- ۱۲۶
و التأنی یقتضی إشباع الحركات ---- ۱۲۶
و تذكر حفصة- رضی اللّه تعالی عنها- الصورة التطبیقیة لهذا التأنی فی قولها: ---- ۱۲۷
و لیضبط هذا التأنی من الجهة المقابلة: ---- ۱۲۷
و لا یرتضی القول بأن المراد بالترتیل فی هذه الآیة هو التفریق الزمنی فی الإنزال ---- ۱۲۸
فتحرر من هذا أن جبریل علیه السلام كان یقرئ النبی صلی اللّه علیه و سلم القرآن بالترتیل. و یختم هذا بالقول: ---- ۱۲۸
۷- التغنی بالقرآن، و الجهر به: ---- ۱۲۹
اشارة ---- ۱۲۹
و المعنی: ---- ۱۳۰
و المعنی المتحصل من أقوال أئمة الشأن: ---- ۱۳۰
۸- الترجیع فی القرآن: ---- ۱۳۱
اشارة ---- ۱۳۱
و الصورة التطبیقیة لذلک: ---- ۱۳۱
و یتضح مما سبق أن أداء القرآن ینقسم إلی قسمین: ---- ۱۳۱
أ- الأداء الأصلی ---- ۱۳۱
ب- الأداء الفرعی: ---- ۱۳۲
فالمراتب فی أداء لفظ القرآن الكریم أربعة ---- ۱۳۲
اشارة ---- ۱۳۲
أ- القراءة: ---- ۱۳۲

ب- الترتيل: ---- ۱۳۲
ج- التغنى: ---- ۱۳۲
د- الترجيع: ---- ۱۳۲
۹- مماثلة قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم لقراءة جبريل عليه السلام: ---- ۱۳۳
اشارة ---- ۱۳۳
و الصورة التطبيقية لهذا ---- ۱۳۳
۱۰- قراءته صلى اللّه عليه و سلم على الناس كما أقرأه جبريل عليه السلام من حيث أصل اللفظ و أداؤه: ---- ۱۳۳
اشارة ---- ۱۳۴
فإذا اجتمع- كما سبق-: ---- ۱۳۴
كانت النتيجة التلقائية لهذه المقدمات هى: ---- ۱۳۴
[هيئة قراءة القرآن صفة ذاتية للفظ، و ليست صفة عارضة] ---- ۱۳۵
۱۱- تكرار المحفوظ: ---- ۱۳۵
۱۲- تركيز المراجعة فى قيام الليل: ---- ۱۳۶
اشارة ---- ۱۳۶
أ- هو محل استمداد عون اللّه ---- ۱۳۶
ب- جعل قيام الليل محلا للصورة التطبيقية فى مراجعة القرآن الكريم ---- ۱۳۶
و قد جعل النبى صلى اللّه عليه و سلم قيام الليل وردا للمراجعة اليومية ---- ۱۳۷
[مفهوم حزب على لسان النبى صلى اللّه عليه و سلم ---- ۱۳۸
۱۳- التعاهد السنوى: ---- ۱۳۸
المبحث التاسع: تحليل حديث المدارسة (المعارضة): ---- ۱۳۹
اشارة ---- ۱۳۹
المطلب الأول: متن الحديث برواياته المختلفة: ---- ۱۴۰
المطلب الثانى: الدلالات العامة لحديث المعارضة: ---- ۱۴۰
اشارة ---- ۱۴۰

۱- اعتماد مبدأ المدارسة فی مفردات التعلیم المنهجی لألفاظ القرآن الکریم: ۱۴۰
اشارة ۱۴۰
و من ذلک: ۱۴۱
۲- التأکید علی الحفظ فی حق الرسول صلی اللّه علیه و سلم بما لیس بعده: ۱۴۱
۳- تأکید المعارضة السنویة، و تعویضها عند فواتها لعارض: ۱۴۲
۴- التركيز فی عنصر الوقت لتثبیت و مراجعة لفظ القرآن الکریم: و ذلک باعتماد الدرس اللیلی: ۱۴۳
۵- التركيز فی عنصر الوقت: اعتماد رمضان زمانا للمعارضة ۱۴۳
۶- التركيز فی عنصر الوقت: تعویض المعارضة عند فواتها لعارض: ۱۴۳
۷- تثبت الحفظ بالعمل، و العبادات التی تبارکه: ۱۴۴
المطلب الثالث: متضمّنات المعارضة: تتضمن المعارضة بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم المفاهیم التالیة: ۱۴۴
۱- الإراءة: ۱۴۴
۲- المقابلة: ۱۴۵
۳- الظهور: ۱۴۵
اشارة ۱۴۵
و یمکن القول علی طریقة السبر و التقسیم الأصولیة: ۱۴۵
فإن اعترض بالقول: فهل معنی ذلک أن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لم یکن یعرض معانیه علی جبریل علیه السّلام؟. ۱۴۶
۴- العرضیة اللفظیة: ۱۴۶
۵- المعارضة هی الغایة فی تحقیق اللفظ و التثبت منه: ۱۴۷
اشارة ۱۴۷
و قد ذکر العلماء الاختلاف بین العرض و السماع من حیث الأفضلیة فی التحقیق العلمی للنص: علی ثلاثة أقوال: ۱۴۸
اشارة ۱۴۸
الأول و هو المشهور: الذی علیه الجمهور ۱۴۸
و الثانی: القراءة علی الشیخ أرفع من السماع من لفظه ۱۴۸
و الثالث: و هو المعروف عن مالک و عن سفیان الثوری: ۱۴۸

و أما معارضة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ألفاظ القرآن علی جبریل علیه السّلام فقد اتسمت بسمتین: ----- ۱۴۹
۶- عرض القرآن بالحروف المأذون بالقراءة بها «۲»: ----- ۱۴۹
المطلب الرابع: إیراد علی ما سبق و دفعه: ----- ۱۵۱
و قد یعترض معترض ----- ۱۵۱
اشارة ----- ۱۵۱
و الجواب من وجوه: ----- ۱۵۱
فإن اعترض بأن روح القرآن باقیة- أی مقاصده الکلیة- و إن ذهبت ألفاظه. ----- ۱۵۱
فإن اعترض بأن روح القرآن باقیة- أی مقاصده الکلیة- و إن ذهبت ألفاظه. ----- ۱۵۲
اشارة ----- ۱۵۲
فالجواب: ----- ۱۵۲
علی أن حروفه تلک: ----- ۱۵۲
و من أحسن أدلة التوقیفیة فی أداء القرآن ----- ۱۵۳
المطلب الخامس: المقتضی المنهجی لدلالات حدیث المعارضة، و مفردات تلقی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ألفاظ القرآن الکریم: ----- ۱۵۳
اشارة ----- ۱۵۳
و علی ما سبق: تکون مفردات تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام: ----- ۱۵۴
الفصل الرابع الأصول العامة فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم و فیه خمسة مباحث ----- ۱۵۴
اشارة ----- ۱۵۴
المبحث الأول: اللمحات العامة فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام: ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
المطلب الأول: من حیث مصدر التلقی: ----- ۱۵۵
المطلب الثانی: من حیث مؤشرات فی طریقة التلقی: ----- ۱۵۶
أولا: التعلیم المباشر للبدایات و النهایات و مواضع الآیات ----- ۱۵۶
اشارة ----- ۱۵۶
وجه خاص: ----- ۱۵۷

وجه عام: ----- ۱۵۷
ثانیا: التوسط فی کمیة المنزل: ----- ۱۵۷
ثالثا: مقارنة التلقین بالأمر بکتابة الوحی القرآنی علی سبیل الفوریة: ----- ۱۵۷
رابعا: الترکیز: ----- ۱۵۸
المبحث الثانی: الدقة فی النقل العام: ----- ۱۵۸
اشارة ----- ۱۵۸
۱- الدقة فی نقل الأحداث الواقعیة: ----- ۱۵۸
۲- الدقة فی نقل أحداث المستقبل: ----- ۱۵۹
المبحث الثالث: العلاقة العامة بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم و أثرها فی تعلیم ألفاظ القرآن: ----- ۱۶۰
اشارة ----- ۱۶۰
المطلب الأول: صلة هذا المبحث بموضوع البحث العام: ----- ۱۶۰
اشارة ----- ۱۶۰
أ- التنبیه بالأدنی علی الأعلی: ----- ۱۶۰
ب- بیان رقی الصحبة بین المعلّم علیه السلام و المتعلّم صلی اللّه علیه و سلم ----- ۱۶۱
ج- تثبیت ما سبق ----- ۱۶۱
المطلب الثانی: نماذج من العلاقة العامة بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۱۶۱
أولا: فی المسائل الشخصیة: ----- ۱۶۱
اشارة ----- ۱۶۱
۱- زواجه من عائشة- رضی اللّه تعالی عنها-: ----- ۱۶۲
۲- مراجعته لحفصة- رضی اللّه تعالی عنها-: ----- ۱۶۲
۳- زواج ابنته: ----- ۱۶۲
۴- إخباره بأسرار بیته: ----- ۱۶۲
ثانیا: فی المسائل البدنیة: ----- ۱۶۳
ثالثا: الوزیر: ----- ۱۶۳

رابعا: الناصح ابتداء: ----- ۱۶۳
خامسا: و تجری بینهما المناقشة و المباحثة: ----- ۱۶۴
سادسا: علاقة حب: ----- ۱۶۴
اشارة ----- ۱۶۴
و یرقیه صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۱۶۵
و یقاتل عنه صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۱۶۵
و کان یواسیه صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۱۶۵
کما أن النبی صلی اللّه علیه و سلم ینشغل عمن سواه: ----- ۱۶۵
سابعا: و هو صاحبه فی الدنیا و الآخرة: ----- ۱۶۶
اشارة ----- ۱۶۶
و قد یأتیه بوسیلة غیر معتادة فی ذلک الوقت للتعلیم: ----- ۱۶۶
و یداعب المعلّم علیه السلام المتعلم صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۱۶۷
و یقعد عند النبی صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۱۶۷
و کان لجبریل علیه السلام مکان ممیز عرف باسمه (مقاعد جبریل): ----- ۱۶۷
و من ذا العرض یفهم سر نعی فاطمة- رضی اللّه تعالی عنها- أباها إلی جبریل علیه السلام دون غیره من الملائکة و سائر الخلق: ----- ۱۶۷
المطلب الثالث: التعاهد و الاستدراک: ----- ۱۶۸
أولا: التعاهد: ----- ۱۶۸
اشارة ----- ۱۶۸
۱- التعاهد العام، و هو من حیث کون جبریل علیه السلام شیخ الرسول صلی اللّه علیه و سلم و معلمه: ----- ۱۶۸
۲- التعاهد الخاص، و هو من حیث استکمال متعلقات القرآن الکریم- لفظا- التتمیمیة: ----- ۱۶۹
اشارة ----- ۱۶۹
إعداد مراجع الإقراء: ----- ۱۶۹
إعداد أبی بن کعب رضی اللّه عنه: ----- ۱۶۹
إعداد ابن عباس رضی اللّه عنه: ----- ۱۷۰

ثانیا: متابعة الاستدراک: ۱۷۰
اشارة ۱۷۰
أ- الخاصة من حیث المستدرک علیهم: ۱۷۰
اشارة ۱۷۰
۱- استدراک جبریل علیه السلام فی الدلالة علی لیلة القدر: ۱۷۱
۲- استدراک جبریل علیه السلام فی هیئة الأکل: ۱۷۱
۳- استدراک جبریل علیه السلام فی الإفتاء: ۱۷۱
۴- استدراک جبریل علیه السلام فی اللباس: ۱۷۱
۵- استدراک جبریل علیه السلام فی الفروع: ۱۷۲
۶- استدراک جبریل علیه السلام لتکرار العمل الفرعی فکیف القرآن ۱۷۲
۷- استدراک جبریل علیه السلام فی هیئة الوعظ: ۱۷۲
ب- العامة من حیث المستدرک علیهم: ۱۷۲
ج- الخاصة من حیث الأمر الشرعی: ۱۷۳
د- العامة من حیث الأمر الشرعی: ۱۷۳
المبحث الرابع: التوقیفیة فی غیر أداء القرآن: ۱۷۴
اشارة ۱۷۴
أولا: التوقیفیة فی تفسیر آی القرآن: ۱۷۴
ثانیا: التوقیفیة فی الدعاء: ۱۷۴
ثالثا: التوقیفیة فی المسائل العملیة الفرعیة: ۱۷۵
المبحث الخامس: الحفظ فی الصدر: ۱۷۶
اشارة ۱۷۶
المقدمة: الواجبات التی کانت علی النبی صلی اللّه علیه و سلم بالنظر إلی لفظ القرآن: هی کما یلی بناء علی ما سبق: ۱۷۶
المطلب الأول: تأصیل کلمة (الحفظ) ۱۷۷
المطلب الثانی: متضمنات الحفظ: ۱۷۸

اشارة ----- ۱۷۸
۱- الاستظهار «۱»: ----- ۱۷۸
اشارة ----- ۱۷۸
أ- التدرج فی الاستظهار: ----- ۱۷۸
ب- استظهاره کما هو: ----- ۱۷۸
۲- الحراسة «۳»: ----- ۱۷۸
۳- شموله للکلی و التفصیلی من حیث اللفظ: ----- ۱۷۹
المطلب الثالث: هل کان الحفظ واجبا علی صلی اللّه علیه و سلم؟: ----- ۱۷۹
اشارة ----- ۱۷۹
الجواب نعم، کان واجبا علی النبی صلی اللّه علیه و سلم وجوبا مقطوعا به، و الدلیل علی ذلک:: ----- ۱۷۹
اشارة ----- ۱۷۹
۱- أول سورة نزلت علیه هی سورة اقرأ باسم ربک «۱»: ----- ۱۸۰
۲- أمیته صلی اللّه علیه و سلم: ----- ۱۸۰
۳- مقتضی إرساله، و حقیقة وظیفته صلی اللّه علیه و سلم و هو التبلیغ ----- ۱۸۱
۴- قوله عزّ و جل: ... وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ اسْتَجارَکَ فَأَجِرْهُ حَتّی یَسْمَعَ کَلامَ اللَّهِ " ...التوبة/ ۶:" ----- ۱۸۱
۵- قوله سبحانه و تعالی سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی الأعلی/ ۶" ----- ۱۸۱
۷- قوله عزّ و جل: وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ "ق/ ۹:" ----- ۱۸۲
۸- قوله تعالی: ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً "طه/ ۱۱۴." ----- ۱۸۲
۹- بقاؤه صلی اللّه علیه و سلم أمیا «۳»: ----- ۱۸۳
۱۰- قوله سبحانه و تعالی: وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۴۸) بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِ
۱۱- حدیث عیاض بن حمار المجاشعی رضی اللّه عنه ----- ۱۸۴
۱۲- ما کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یجهد نفسه فیه عند تلقیه الوحی: ----- ۱۸۴
۱۳- و مما یدل علی وجوب حفظ النبی صلی اللّه علیه و سلم للقرآن، حفه بالعوامل المساعدة علی الحفظ ----- ۱۸۴
اشارة ----- ۱۸۴

و من هذه العوامل المساعدة على الحفظ: ----- ۱۸۵
۱۴- الترهيب من نسيان القرآن: ----- ۱۸۵
الفصل الخامس دمغ الباطل و فيه مبحثان ----- ۱۸۶
اشارة ----- ۱۸۶
المبحث الأول: دفع العوامل الخارجية: ----- ۱۸۷
اشارة ----- ۱۸۷
المطلب الأول: دفع تهمة التخيل فى تلقى ألفاظ القرآن بصفة عامة: ----- ۱۸۷
اشارة ----- ۱۸۷
۱- بالضمان الإلهى بالحفظ لكتابه: ----- ۱۸۷
۲- بالضمان الإلهى بعدم تطرق شائبة من الباطل إليه: ----- ۱۸۷
اشارة ----- ۱۸۷
و إثبات هذا النفى يعتمد على إحدى مقدمتين: ----- ۱۸۸
۳- بمعرفة طبيعة الوحى القرآنى: ----- ۱۸۸
۴- بتأكيد الاتصال الحسى بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم ----- ۱۸۸
۵- برؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السلام فى صورته التى خلقه اللّه عزّ و جل عليها عيانا ----- ۱۸۹
اشارة ----- ۱۸۹
فالمرة الأولى: بالأفق المبين ----- ۱۹۰
و المرة الأخرى عند سدرة المنتهى «۳» ----- ۱۹۰
۶- عصمته صلى اللّه عليه و سلم ----- ۱۹۰
۷- تدخل القدرة الإلهية ----- ۱۹۱
۸- استحالة تغيير هيئة من هيئات أدائه صلى اللّه عليه و سلم ----- ۱۹۱
۹- بحراسة الرسول صلى اللّه عليه و سلم من أن يأتيه عدو غيبى يناله بسوء فى نفسه أو وحيه: ----- ۱۹۲
۱۰- (و هو كلية لما قبله) بتفصيل صفات الرسول ----- ۱۹۲
۱۱- (و هو كلية لما قبله أيضا) إكمال الدين ----- ۱۹۲

۱۲- إجمال لنفی جمیع العوامل: ---- ۱۹۳
المطلب الثانی: دفع تهمة التخیل فی تلقی ألفاظ القرآن من حیث تفصیل العوامل المتهمة بإحداث التخیل: و هی أربعة عوامل: ---- ۱۹۴
أولا: دفع تهمة التخیل بسبب الضلالیة التفکیریة: ---- ۱۹۴
اشارة ---- ۱۹۴
۱- ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی ---- ۱۹۴
۲- ببیان طبیعة الوحی: ---- ۱۹۴
ثانیا: دفع تهمة التخیل بتأثیر الجنون: ---- ۱۹۵
ثالثا: دفع تهمة التخیل بتأثیر الجن: ---- ۱۹۵
و أصل هذه الشبهة فی عقول أصحابها: عائد إلی أمرین: ---- ۱۹۵
۱- أن الجن عالم غیبی کالملائکة ---- ۱۹۵
۲- تشبیه حالة الوحی الشدیدة بحالة الکهان ---- ۱۹۶
و دفع هذا العامل یکون بما سبق، بالإضافة إلی الآتی: ---- ۱۹۶
۱- التأکید علی صدق الرؤیة و الاتصال الحسی بین النبی صلی اللّه علیه و سلم و معلمه الملائکی جبریل علیه السلام: ---- ۱۹۶
۲- بقوله تعالی: وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّیاطِینُ (۲۱۰) وَ ما یَنْبَغِی لَهُمْ وَ ما یَسْتَطِیعُونَ (۲۱۱) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ "الشعراء/ ۲۱۰- ۲۱۱:
۳- قوله صلی اللّه علیه و سلم: (من رآنی فی المنام فقد رآنی فإن الشیطان لا یتمثل فی صورتی) «۲»، ---- ۱۹۷
۴- ما قاله القاضی عیاض- رحمه اللّه تعالی-: ---- ۱۹۷
۵- و مما یدفع به توهم الإلقاء الشیطانی فی لفظ القرآن الکریم: فردانیة الملک الموکل بالوحی، و هو جبریل علیه السلام ---- ۱۹۷
اشارة ---- ۱۹۸
و من أعظم مقتضیاته المنهجیة: ---- ۱۹۸
فرع: تحلیل آیات سورة الحج: ---- ۱۹۹
اشارة ---- ۱۹۹
أ- سننیة هذه الشبهة فی الأمم: ---- ۱۹۹
ب- الوصف الدقیق لهیئة إفساد الشیطان عقول القوم و قلوبهم عند ما یرید الأنبیاء إصلاحهم: ---- ۲۰۰
ج- الإلقاء الشیطانی معنوی و لیس لفظیا: ---- ۲۰۰

د- الوسائل الوقائیة و الاجتثائیة لإلقاء الشیطان المعنوی فی عقول الناس: ----- ۲۰۰
۱- المعیة العلمیة الإلهیة الحاکمة: ----- ۲۰۰
۲- إزالة آثار الشبهة الشیطانیة بالقدرة الإلهیة المباشرة: ----- ۲۰۱
۳- إحکام اللّه جلّ جلاله آیاته: ----- ۲۰۱
۴- بیان حکمة اللّه جلّ جلاله من تمکین الشیطان من ترویج شبهاته ----- ۲۰۱
۵- تکفل اللّه جلّ جلاله بالهدایة الدائمة للمؤمنین، و بعصمة نبیهم من الخطأ فی الأمر المعنوی الحال فضلا عن الأمر اللفظی الدائم الت
]الاشارة الی تخافت قصة الغرانیق ----- ۲۰۱
رابعا: دفع التخیل بشبهة السحر: ----- ۲۰۲
هذه مجموعة أسس بین یدی هذه المسألة: ----- ۲۰۲
۱- لم ترتفع صبغة البشریة عن النبی صلی اللّه علیه و سلم بعد نبوته ----- ۲۰۳
۲- و إذا کانت هذه مسلّمة دینیة ----- ۲۰۳
۳- لیس مقام البحث مقاما صالحا لمناقشة مسألة سحر النبی صلی اللّه علیه و سلم من حیث الإثبات و النفی ----- ۲۰۳
۴- من أثبت ذلک یتفق مع النفاة فی عصمت النبی صلی اللّه علیه و سلم ----- ۲۰۳
۵- السحر الذی وقع علیه صلی اللّه علیه و سلم تسلط علی جسده فقط ----- ۲۰۴
اشارة ----- ۲۰۴
أ- کان یخیل إلیه أنه یفعل الشیء و لا یفعله: ----- ۲۰۴
ب- التسلط علی بصره: ----- ۲۰۴
ج- نوع مرض جسدی: ----- ۲۰۴
المبحث الثانی: دفع العوامل الداخلیة (الذاتیة): ----- ۲۰۵
اشارة ----- ۲۰۵
المطلب الأول: معالجة مشکلة النسیان: ----- ۲۰۵
اشارة ----- ۲۰۵
۱- قد اتضح من خلال ما سبق أن معالجة هذه المشکلة ظهر من أول نزول القرآن الکریم ----- ۲۰۶
۲- من أبرز الآیات التی عالجت هذه المشکلة آیات سورة الأعلی ----- ۲۰۶

۳- لأن مشكلة النسيان مشكلة فطرية تتعلق بخلق الإنسان فقد ربط القرآن الكريم ---- ۲۰۶
۴- و لإزالة أى آثار تشكيكية نابعة من احتمال نسيان الرسول صلى اللّه عليه و سلم لشىء من الوحى ---- ۲۰۷
اشارة ---- ۲۰۷
فأما العام فهو: عصمة الشرع الإسلامى المطهر من غوائل النقص، و التغيير، و النسيان ---- ۲۰۷
۵- و أما التقعيد الخاص ---- ۲۰۸
۶- إذا كانت آيات سورة القيامة ---- ۲۰۹
۷- و حتى لا يخرج الرسول صلى اللّه عليه و سلم عن صفاته البشرية بهذه الكفالة الإلهية ---- ۲۰۹
اشارة ---- ۲۰۹
أولهما: النسخ فى العمل: ---- ۲۱۰
و ثانيهما: ما يعرض نسيانه للنبى صلى اللّه عليه و سلم نسيانا مؤقتا: ---- ۲۱۰
و قال الإسماعيلى "النسيان من النبى صلى اللّه عليه و سلم لشىء من القرآن يكون على قسمين: ---- ۲۱۱
أحدهما: نسيانه الذى يتذكره عن قرب ---- ۲۱۱
و الثانى: أن يرفعه اللّه عن قلبه «۱» ... ---- ۲۱۱
و من أعظم فوائد الاستثناء و مقتضياته المنهجية فى تعليم القرآن الكريم ---- ۲۱۲
المطلب الثانى: معالجة مشكلة التهمة بقصور العاطفة البشرية، و التفكير البشرى: ---- ۲۱۳
اشارة ---- ۲۱۳
فيؤخذ هذا النموذج فى نفى هذه التهمة: ---- ۲۱۳
ملحق مناقشة علمية لتعريف القرآن الكريم: ---- ۲۱۴
اشارة ---- ۲۱۴
المبحث الأول: القرآن فى الوضع اللغوى، و مقتضياته: ---- ۲۱۵
اشارة ---- ۲۱۵
المطلب الأول: أقوال العلماء فى الوضع اللغوى للقرآن: ---- ۲۱۵
اشارة ---- ۲۱۵
۱- فقيل: هو اسم غير مشتق خاص بكلام اللّه سبحانه و تعالى ---- ۲۱۵

اشارة ----- ۲۱۵
- و ذهب الجمهور إلى أنه مشتق، ثم اختلفوا فى أصل اشتقاقه: ----- ۲۱۵
۲- فرجع الأشعرى- رحمه اللّه تعالى- أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء: ----- ۲۱۵
۳- و قيل: أنه مشتق من القرينة ----- ۲۱۶
۴- فقال قوم منهم الزجاج- رحمه اللّه تعالى "-:تدور كلمة (قرأ) على معنى الجمع و الضم. ----- ۲۱۷
اشارة ----- ۲۱۷
و هذا هو القول الاشتقاقى الثالث ----- ۲۱۷
۵- و قال قوم: قرأ بمعنى تلا، و القرآن مصدر بمعنى اسم المفعول (المقروء أو المتلو) ----- ۲۱۸
۶- و قال قطرب- رحمه اللّه تعالى "-:إنما سمى القرآن قرآنا لأن القارئ يظهره ----- ۲۱۹
المطلب الثانى: مقتضيات مادة (القرآن) لغة: ----- ۲۱۹
اشارة ----- ۲۱۹
فأما أولا: فإن قاعدة التفكير فى الأصل اللغوى لكلمة (قرآن) هى: ----- ۲۲۰
و أما ثانيا: فإن كون الخطاب الشرعى واردا بأصل الوضع العربى ----- ۲۲۱
و أما ثالثا: فإن كلمة (قرآن) تدل فى أصل معناها على الجمع ----- ۲۲۱
و أما رابعا: فإن قراءة القرآن غير كائنة فى حقيقتها قراءة للقرآن ----- ۲۲۲
و أما خامسا: فالقراءة الحقيقية للقرآن من حيث هى قراءة للقرآن ----- ۲۲۲
و أما سادسا: فمن المقتضيات اللغوية الهامة لمادة قرأ من حيث هى متعلقة بألفاظ القرآن الكريم: ----- ۲۲۲
و أما سابعا: فإن القراءة تستلزم حبس النفس، و رياضة الفك ----- ۲۲۳
المبحث الثانى "القرآن "فى الوضع الاصطلاحى، و مقتضياته: ----- ۲۲۴
اشارة ----- ۲۲۴
المطلب الأول: بواعث تعريف القرآن اصطلاحا: ----- ۲۲۴
المطلب الثانى: أقوال العلماء فى الوضع الاصطلاحى لكلمة (قرآن): ----- ۲۲۵
اشارة ----- ۲۲۵
عرف الإمام الغزالى- رحمه اللّه تعالى- القرآن الكريم بقوله: ما نقل إلينا بين دفتى المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا «۲». ۲۵

شرح التعریف: ---- ۲۲۵
و الفرق بین المصحف و الکتاب: ---- ۲۲۶
إیرادات علی التعریف: ---- ۲۲۷
تعریف الإمام الطبری الزیدی فی شرح الکافل؛ إذ قال: هو الکلام المنزل علی نبینا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم للإعجاز بسورة منه «۳». ۲۲۸
اشارة ---- ۲۲۸
شرح التعریف: ---- ۲۲۹
ربط ما سبق بموضوع البحث: ---- ۲۳۰
فهذان هما التعریفان المشتهران عند العلماء ... «۴»، و یمکن الاستدراک علی ما سبق من کلام بالآتی: ---- ۲۳۰
المطلب الثالث: إشارات عامة حول علاقة التعریف الاصطلاحی بألفاظ القرآن الکریم: ---- ۲۳۱
فهرس المصادر ---- ۲۳۳
اشارة ---- ۲۳۳
المجلات ---- ۲۴۳
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۲۴۳

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن

اشارة

نام کتاب: تلقی النبی ص ألفاظ القرآن

نویسنده: عبد السلام مقبل المجیدی

موضوع: وحی

تاریخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱

ناشر: مؤسسة الرساله

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۴۲۱ / ۲۰۰۰

نوبت چاپ: اوّل

تقدیم فضیلة الشیخ العلامة/ عبد المجید بن عزیز الزندانی «۱»

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم إن الحمد للّه نحمده، و نستعینه، و نستغفره، و نعوذ باللّه من شرور أنفسنا، و سیئات أعمالنا، من یهده اللّه فلا مضل له، و من یضلل فلا هادی له، و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شریک له، و اشهد أن محمدا عبده و رسوله.

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ "آل عمران/ ۱۰۲."

یا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا کَثِیراً وَ نِساءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِی تَساءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلَیْکُمْ رَقِیباً "النساء/ ۱."

یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِیداً (۷۰) یُصْلِحْ لَکُمْ أَعْمالَکُمْ وَ یَغْفِرْ لَکُمْ ذُنُوبَکُمْ وَ مَنْ یُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِیماً الأحزاب/ ۷۰- ۷۱.

(أما بعد:) فیسرنی أن أقدم لأبناء أمتنا الإسلامیة هذا الکتاب الذی یتحدث عن تلقی الرسول صلی اللّه علیه و سلم لألفاظ القرآن الکریم عن جبریل علیه السلام، عن رب العزة سبحانه و تعالی، و الذی قدم فیه الباحث- الذی أسأل اللّه عزّ و جل له التوفیق و أن یجعله من العلماء الأتقیاء العاملین- فصولا شیقة، و بحوثا رصینة، جمع فیها ما تفرق فی الکتب المختصة فی بحث هذه القضایا .... (۱) رئیس جامعة الإیمان، و رئیس هیئة الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم و السنة النبویة برابطة العالم الإسلامی سابقا.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲

فبدأ الباحث بحثه فی فصله الأول عن أول سلسلة البلاغ عن اللّه- جل ذکره- المتمثلة بجبریل علیه السلام و مؤهلاته التی هیأته لنقل کلام اللّه عزّ و جل بأعلی درجات الحفظ، ثم و اصل فی فصله الثانی البحث فی کیفیة اتصال جبریل علیه السلام بالرسول صلی اللّه علیه و سلم، و تهیئة جبریل علیه السلام و الرسول صلی اللّه علیه و سلم لتحقیق ذلک الاتصال بین معلّم من عالم الملائکة و رسول من عالم البشر، و قرّب ذلک بالأمثلة المفیدة ... ثم فصل فی الفصل الثالث کیفیة تلقی الرسول صلی اللّه علیه و سلم لألفاظ القرآن الکریم، و الهیئة التی تم بها ذلک التلقی، و کیفیة مجیء جبرئیل علیه السلام، و کیفیة إلقاء الوحی علی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم، و ضرب لذلک الأمثلة التی تقرب للأذهان فهم ما نقل لنا من کیفیة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم لألفاظ القرآن الکریم عن

جبريل عليه السلام.

ثم ناقش ما يتصل بذلك ما يتعلق بحالة النبى صلى اللّه عليه و سلم وقت التلقى، و حرصه على الحفظ، و ما كان يعالج من الشدة من التنزيل، و يتعجل فيه من الحفظ، و تولى اللّه سبحانه و تعالى لرسوله صلى اللّه عليه و سلم، و إمداده بالقدرة على تلقى ألفاظ القرآن، و حفظه، و تفاصيل ترتيله، و هيئات أدائه، و المدارسة التى كان يتعهد بها جبرئيل عليه السلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى كل عام.

و عرض لنا فى الفصل الرابع ما كان بين جبريل عليه السلام و الرسول صلى اللّه عليه و سلم من صحبة و ألفة، و هما يقومان بمهمة نقل كلام اللّه إلى خلقه و عباده.

و استعرض الباحث فى الفصل الخامس بعض جهالات الجاهلين، و شبهات المبطلين التى ... ما فتئت تلقى بها قلوب الشياطين فى قلوب الكافرين و المفتونين ... و دحضها بما فتح اللّه عليه من حجج و براهين.

و قد تضمن هذا البحث لفتات جديدة تثرى هذا الموضوع، و تستفيد من معطيات العصر، فى تقريب حدوث الوحى بين عالم الملائكة و عالم البشر، و فى رصد الوقائع العملية التى تم بها حفظ ذلك الوحى.

أسأل اللّه تعالى أن ينفع بهذا البحث طلاب العلم و المهتمين بعلوم القرآن، و قضايا الإيمان و العقيدة، و أن يجزى صاحبه خير الجزاء.

و الحمد للّه رب العالمين.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳

تقدم فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد بن على الإمام «۱»

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه الذى هدانا بالقرآن الكريم ذى الذكر، و جعل قرّاءه أهل اللّه و خاصته، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ "يونس/ ۵۸، "و صلوات اللّه المباركات، و تسليماته الزاكيات على سيدنا محمد عبد اللّه و رسوله خاتم الأنبياء و المرسلين، من نزل عليه القرآن العظيم فتلقاه لفظا و أداء، فأدى الأمانة، و نصح الأمة، و علّم أصحابه، فاتصل سند التعليم هم فى الأجيال، و سيبقى محفوظا بحفظ اللّه تعالى أبدا إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ الحجر/ ۹.

(ثم أما بعد:) فلقد سعدت فى جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية بمعرفة الباحث عبد السلام مقبل المجيدى من خلال إشرافى على بحثه لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) فى التفسير و علوم القرآن الكريم بعنوان (تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم)، و هى دراسة تأصيلية لكيفية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام عن اللّه عزّ و جل.

و قد ساعد الباحث حفظه للقرآن الكريم و تجويده، و إتقانه، و جمعه للقراءات القرآنية، و مقدرته البحثية، و همته العالية، وجده فى التحصيل، و تفرغه لذلك فى حبّ، (۱) مستشار رئيس جمهورية السودان لشئون التأصيل و التخطيط الاستراتيجى، و مدير جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية فى أمدرمان سابقا.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴

و شوق، و أدب ... ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ "الحديد/ ۲۱، الجمعة/ ۴."

أما الدراسة فقد خلصت إلى توثيق النص القرآنى، و ذلك داخل فيما ضمن اللّه تعالى من حفظ كتابه العزيز: لا يصيبه تحريف فى لفظه، و لا فى أدائه.

كما تناول البحث مراتب اللفظ القرآنى، و توقيفية نقل ألفاظ القرآن الكريم أصلا و أداء، و أحسن الباحث استخدام مصادر بحثه فى دوائر واسعة من العلوم فى أصول الدين، و التفسير، و علوم القرآن، و السنة، و أصول الحديث، و الفقه و أصوله، و اللغة العربية ....

هذا و قد أجيز البحث، و نال درجة الامتياز، مع التوصية بطباعته.

و نسأل اللّه تعالى أن ينفع بالكتاب و كاتبه المسلمين، و يوفقه لما يستقبل من عمل، و أن يجعل عملنا و إياه صالحا، و لوجهه خالصا متقبلا عنده.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵

إهداء و شكر

الربيين من أهل القرآن ... يتصدر محرابهم القانت: شيخى/ الشيخ المجاهد المجدد: عبد المجيد بن عزيز الزندانى، و شيخى/ شيخ الإقراء: إسماعيل عبد العال أحمد الشرقاوى «۱»، و شيخى/ الأستاذ الدكتور: أحمد على الإمام «۲» ...

جعل نور السموات و الأرض فى قلوبكم نورا ... تقتفون به آثار رسولكم صلى اللّه عليه و سلم: نبيلا- إثر نبيل، على صراط علىّ مستقيم، تغدق عليكم بينات الصحف المطهرة هداها، فإذا سيركم قد حسم بحسام الفرقان، و سيف العزم، فبارك اللّه ذلك المسعى، فهدى، ثم بارك فيه فزاد فيه زيدا صالحا محمّدا طيبا مباركا فيه كرتين، فى زمن قرح و بأساء و ضراء، يتربص فيه بدينكم الدوائر ... فما وهنتم لما أصابكم فى سبيل اللّه، و ما ضعفتم، و ما استكنتم ... فارتقيتم أوج الربانية؛ إذ كل منكم عبد اللّه، فإذا أنتم عباده المخلصون، تسعون فى كمال النعمة بعد إذ تمت بكمال الدين ... رياضكم: دمعة فى محراب الماجدين من المتهجدين، و نغمتكم: تهاليل السفائن الفاتحة للمدائن، و سميركم: تراتيل التنزيل، و غوثكم المساعد: السكنة المنزلة- دوما- على المؤمنين، و سائقكم ابتسامة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مخترقة الحجب الساترة ... أمّا أمين القافلة، و رقيبها، و عاصمها: فحب هو ... وليد الهيام بالعودة لأيام الفاروق ... و فقه النعمان «۳»، و شوق إلى ميسان فى أفنان الجنان ... و إن لقيتم فى سفر الدنيا نصبا، ففيصل رؤاكم الكلية- جلال الدنيا و جمالها-:

وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمانَكُمْ البقرة/ ۱۴۳. (۱) شيخ الباحث الذى تلقى منه ألفاظ القرآن الكريم بقراءاته العشر من طرق الشاطبية و الدرة و الطيبة.

(۲) أحسبهم كذلك، و اللّه حسيبهم ... و لا أزكى على اللّه أحدا.

(۳) أبو حنيفة- رحمه اللّه تعالى، و هو إشارة إلى أئمة السلف عموما، و النعمان أقدم الأربعة- رحمهم اللّه تعالى-.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶

المقدمة

اشارة

"اللهم إنا نحمدك أقصى مدى الحامدين، و نعترف بآلائك كما أوجبت على المطيعين، من عبادك المعترفين، و نسألك أن تصلى على نبيك المرتضى محمد و آله الطاهرين، و صحبه الراشدين، و أن تحسن العون و التسديد على ما أجمع فيه القربة إليك، بما يحظى بالزلفة لديك، و أن تجعل العمل لك، و الاتصال بك، و المطالب مقصورة على مرضاتك، و إن قصرت الأفعال عن مفروضاتك، وصلتها برأفتك، و جعلتها مما شملته بركات رحمتك «"۱».

(و بعد:) فقد تمت كلمات اللّه صدقا و عدلا «۲»، و كان مما تم أنه: لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ "الأنعام/ ۱۱۵ "تأكيدا على أهمية الحفاظ على لفظ القرآن؛ إذ هو المعبر الوحيد، و السبيل الفريد لتأويل معناه، و سبر غوره، و إدراك مغزاه ... و أى تبديل فى لفظه، أو تحريف فى أدائه، ملبس لمعناه بما اكتنفته عقول البشر من معان.

و إذا كانت الآية جاءت على سبيل الخبر؛ فإن الفهم العملى القائم على أسس البناء الفقهى ارتكازا على تقريرات أصول الفقه فى باب الخبر و الأمر- يحتم جعل هذه الحقيقة الإلهية فى إطارها الواقعى، و من ثم تكوين أدوات التنفيذ لإحالة هذه الحقيقة إلى واقع، مع اليقين بأن حدوث ذلك أمر قد ركونى ... للضمان الإلهى (۱) بتصرف من استهلال الإمام أبى الفتح بن جنى فى كتابه (المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها) تحقيق: على النجدى ناصف و آخرون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء كتب السنة- القاهرة ۱۴۱۵ ه- ۱۹۹۴ م.

(۲) إشارة إلى قوله تعالى: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلًا " ...الأنعام/ ۱۱۵."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷

الظاهر فى الآية السابقة ... فتكوين الأدوات الواقعية لحفظ ألفاظ القرآن الكريم إنما هو تناغم مع الحقيقة الإلهية الحتمية ... كما يجتمع النفى فى آية الأنعام المتقدمة مع الإثبات فى آية الحجر إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹ "ليظهر السياج الإلهى المتين الذى حفظ لفظ القرآن الكريم من أن يطرأ عليه أدنى تغيير، أو أن تعتريه شائبة تطوير من ساه أو من متعمد.

و إذا كان اللفظ هو سبيل المعنى فإن أداء اللفظ هو سبيل إخراجه، و إبانته هو طريق إدراكه، فالقدح فى اللفظ قدح فى المعنى، و الخلل فى أداء اللفظ خلل فى اللفظ ذاته. فقد اجتمع من هذا الارتباط: أهمية كل واحد من الثلاثة (المعنى، اللفظ، أداء اللفظ) للآخر، و شدة تعلق كل بالآخر، و المطلّع على مفاهيم اللغة، و دلالات الألفاظ، يعلم اعتراء التغير فيها بمجرد تغير أدائها، فكيف تغير لفظها؟ «۱».

و كانت الجهود الكثيفة التى وجهت للاعتناء بلفظ القرآن الكريم، و طريقة أدائه مكونة الإطار الواقعى لحقيقة الحفظ الإلهى قد بدئت من لدن جبريل عليه السلام الذى علم النبى صلى اللّه عليه و سلم أضرب الوحى يقدمها الوحى القرآنى، و بقيت هذه الجهود متتابعة إلى أيامنا، نقلا للفظ القرآن، و طريقة أدائه، و هيئات ضبطه، و سبل رسم ألفاظه، و دروب الوقف و الابتداء فى آياته، و عدد تلك الآيات، و أزمنة حفظه، و مراجعته، و قراءته، و إقرائه ...

و هذه و نحوها جهود من حيث المحافظة على اللفظ. (۱) و هذا على تفصيل فى أنواع الأداء: إذ منه ما يرجع إلى الصفات الذاتية للفظ، فلا يستقيم اللفظ بدونها كالاستعلاء، و الاستفال، و الجهر، و الشدة ... و منه ما يرجع إلى الصفات العارضة كالتفخيم، و الترقيق، و الفتح، و الإمالة، إذ هى راجعة إلى الاستعلاء، و الاستفال ... فلا يتأثر أصل اللفظ بأدائه هنا، بل إن الدراسات الصوتية، و الملاحظات العابرة لهيئات أداء الكلمات، و نطق الجمل، قد أثبتت تغير المعنى بتغير الهيئات الفرعية للأداء، كتغير النبر، و هو من الهيئات الموغلة فى الفرعية من حيث نطق الألفاظ، انظر: د. يوسف الخليفة أبو بكر: البحث التربوى و اللغوى فى مجال تعليم القرآن الكريم، بحث منشور فى مجلة جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية، العدد الأول، ذو القعدة ۱۴۱۵ ه.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸

و أساس الأسس فى الأدوات الواقعية للمحافظة على اللفظ و أدائه هو المشافهة (التلقى) ... و ما زال المسلمون يقرون- لذلك- أن القراءة سنة يتلقاها الآخر عن الأول «۱»، لا يدخلها اجتهاد بشرى، و لا قياس عقلى، و رسخ فيهم ذلك حتى صار معلوما من الدين بالضرورة، فاتفقوا على أن أول شروط نقل القرآن التلقى المسند من الشيخ إلى الطالب، و إن اختلفوا فى بقية الشروط بعد ذلك، و أصل أصول هذا التلقى: هو التلقى الذى نقل القرآن من السماء إلى الأرض؛ و هو تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم من جبرئيل عليه السلام، و دراسته تضع الدارس على أصل أصول الأسس المنهجية فى الهيئة التعليمية لألفاظ القرآن الكريم، و تمكنه من تحليل ما يتناقله المسلمون من تلك الهيئات.

لذا استحق هذا الموضوع الجليل إفراده بالبحث و الدراسة ليعلم من خلاله كيف كان تلقى الرسول صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام، و كيف كان أداء جبريل عليه السلام، لتلك الألفاظ عند تعليمه للنبى صلى اللّه عليه و سلم كما قال تعالى: وَ

إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "النمل/ ۶ «"۲»؛ و من أهم دواعى ذلك غير الاطمئنان السابغ على حقيقة الحفظ الإلهى لألفاظ القرآن الكريم أن تتخذ التفصيلات المنهجية فى طريقة تلقين جبريل عليه السلام سبيلا منهجيا فى الخطة التعليمية لألفاظ القرآن يرجع إليها، و يتحاكم عند الاختلاف إلى متضمناتها، ما دامت موضوعة ضمن دائرة الأسوة و الطاقة البشرية. (۱) انظر لمعرفة بعض الآثار الدالة على ذلك: (ابن الجزرى) أبو الخير محمد بن محمد بن محمد: منجد المقرئين و مرشد الطالبين ص ۲۰- دار زاهد المقدسى، تفضل بقراءته بعد طبعه: الشيخ محمد حبيب اللّه الشنقيطى، و الشيخ أحمد محمد شاكر.

(۲) راجع: (الطاهر بن عاشور): التحرير و التنوير ۱۹/ ۲۲۳، لم تذكر الطبعة، و لا الناشر، و (الآلوسى) محمود شكرى البغدادى ت ۱۲۷۰ ه: روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم و السبع المثانى ۱۹/ ۲۳۷، دار الفكر، بيروت، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م- قرأه و صححه: محمد حسين العرب؛ إذ رجحا ككثير من المفسرين أن الملقى المراد فى الآية هو جبريل عليه السلام و أن صفتى العلم و الحكمة إليه ترجع.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹

و يصبح طرق هذا الموضوع فى حيز الضرورة فى آن تعالت فيه أصوات الانهزام أمام الضغط الثقافى المستعلى الوافد، فنادت بعدم التزام اللفظ، و أنكرت التزام الأداء من حيث الأصل «۱»، بل حاولت فيها أن تجعل القرآن كأى بناء لغوى منطوق يكوّن صورة أدائية، تتغير بتغير الزمن، و لا يعوق هذا التغيير عوامل التقديس «۲» ...

فهاهنا أصلان استلزما البحث فى هذا الموضوع

إيجابى: و هو معرفة أصل أصول الأسس المنهجية فى الخطة التعليمية لألفاظ القرآن الكريم، و التأكيد الواقعى لحقيقة الحفظ الإلهى لألفاظ القرآن الكريم و أدائه.

سلبى: و هو التأكيد على المتضمنات الذاتية التى ضمتها عملية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام مما يظهر معها تهافت أى طرح غريب فى ميدان تلقى اللفظ القرآنى.

اقتضى ذلك كله أن تدرس- بالتفصيل- هيئة إلقاء جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن الكريم، و هيئة تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم لها، و تقعّد قواعدها، و تبيّن محكماتها؛ إذ ذلك أصل أصول الكليات العلمية الإسلامية، كما هو قاطع لمختلف الأقوال، و متنازع التأويلات فى الجوانب التى تتعلم فى القرآن الكريم من حيث لفظه، و دخول طريقة أدائه فى ذلك التعليم. (۱) انظر: مثال ذلك فى كتاب: الفرقان لمن رمز لاسمه بابن الخطيب، و هو محمد محمد عبد اللطيف، الطبعة لم تذكر- دار الكتب العلمية- بيروت، و قد طبع هذا الكتاب، و مما زعمه أن القرآن حفظ بمعناه لا بلفظه، و أن القرآن لا يجب تلقيه من القراء، فأصدر شيخ الأزهر بعد طبعه قرارا بتشكيل لجنة من ثلاثة من العلماء لمناقشة ما جاء فيه، فوضعت اللجنة تقريرها المتضمن ذكر أباطيله عام ۱۹۴۸ م، و صودر الكتاب، و اختفى من أيدى الناس على أن مصيره كان الإهمال قبل ذلك، و هو كذلك بعد ذلك. و انظر: غانم قدورى الحمد: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ط ۱، ۱۴۰۲ ه- ۱۹۸۲ م، ص ۲۱۲.

(۲) انظر: (عرجون) الشيخ محمد الصادق (عميد كلية أصول الدين): بحث علمى لنقد مزاعم حول قراءات القرآن فى رسالة: (أصوات المد فى القرآن الكريم) بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية، جامعة الأزهر، اتحاد الطلاب بكلية أصول الدين، اللجنة الاجتماعية ۱۳۸۶ ه- ۱۹۶۶ م.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰

و يلاحظ فى منهج البحث ما يلى

۱- الجمع بين الأقوال المختلفة فى اللفظ عند عدم التنافى، مع دلالة السياق، أو غيره على إرادة الجمع «۱»، و ذلك عند بحث مسائل الكتاب العلمية ... و ما حال كثير من الأقوال الواردة فى المسألة الواحدة إلا كما قال الإمام أبو إسحاق الشاطبى- رحمه اللّه تعالى-: إذا تعددت الجهات زال التدافع، و ذهب التنافى، و أمكن الجمع «۲».

۲- قد يسمى الباحث بعض النصوص بتسميات خاصة من حيث تعلقها بالبحث نسبة و تمييزا و اختصارا، اجتهادا منه لا لنص خاص ورد فيها، كالتسمية بآية طه، فيرجع عند الإحالة إلى الآية المخصوصة التى وردت فى ثنايا البحث من سورة طه، و لا تكون التسمية إلا لما تكرر دورانه فى البحث.

۳- يكرر الباحث استعمال عبارة: (كما هو المعمول به عند المسلمين) فى أدق الدقائق فى نقل لفظ القرآن الكريم، و تلاوته كمسألة كيفيات الترتيل، أو الوقت المستغرق للمد أو الغنّ ... تحقيقا لأمرين:

أ- ليكون دليلا عمليا متواترا عاما يأخذ صفة نقل الأمم عن الأمم، و يقمع زبدا من الأفكار التى تحاول الطفو فى واقع المسلمين، زاعمة أن أسلوب نقل القرآن إنما هو اجتهاد من بعض القراء لا غير؛ إذ إيقاف المتقول أمام هذه الحقيقة الصارخة يجعله أمام أمرين لا بد له من أحدهما: (۱) و هو نهج المحققين من العلماء، انظر مثلا: (ابن القيم) أبو عبد اللّه شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب الزرعى (۶۹۱ ه- ۷۵۱ ه-): تهذيب مدارج السالكين ۱/ ۳۹، عند الكلام على قوله تعالى: وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُما أَبْكَمُ ... النحل/ ۷۶، ط ۵، ۱۴۱۴- ۱۹۹۴ م، و هذبه: عبد المنعم صالح العلى العزى- مؤسسة الرسالة، بيروت.

(۲) (الشاطى) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى ت ۷۹۰ ه-: الموافقات فى أصول الشريعة ۱/ ۳۱۳، توزيع عباس أحمد الباز، الطبعة لم تذكر.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱

إما التسليم بذلك و نبذ فكرته، و إما معارضتها بدليل يبرزه، و هو أسلوب فى الحوار مأخوذ من مفهوم قوله تعالى ... قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ "النمل/ ۶۴" ...

ب- ليستبين به مقدار الحفظ الإلهى لكتاب اللّه الكريم على هيئة إجماعية للأمة فى كل ما يتعلق باللفظ القرآنى، حتى فى أدق التفاصيل، و هو أمر يدعو للدهشة ليس له تفسير إلا أن الحفظ للكتاب الكريم إلهى.

۴- و لأن الكلام فى هذا البحث دائر حول أمر سمعى لا عقلى، فالشأن فيه يرجع إلى النقل، و مجال العقل الاستنباط وفق قواعد و أصول الاستنباط، و لذا يلتزم الباحث بإيراد نصوص القرآن الكريم و صحاح عند الاستدلال للحقيقة أو تقعيد القاعدة فيما يتعلق بالموضوع، و لكن قد يرد- فى النادر- حديث ضعف عند بعض صيارفة الحديث فيما كان سبيله الاستئناس لا التقعيد و التأصيل ... و هذا منهج مقبول على تفصيل معلوم عند علماء الحديث و أصول الفقه.

الهيكل العام للبحث

يتكون البحث من خمسة فصول:

و وجه هذه القسمة: أن (تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن) يستلزم الإحاطة العلمية ب (التلقى)، و (المتلقى) و هو النبى صلى اللّه عليه و سلم، و (الملقى) و هو جبريل عليه السلام، و (الملقى) و هو القرآن، و (الخاص من ذلك، و هو ألفاظ القرآن) ... فتلك خمسة محاور، تفصّل فى خمسة فصول إيماء و إشارة، أو تبينا بالقصد الأصلى، و صريح العبارة، و بيان ذلك أن يقال:

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲

لما كان البحث دائرا حول كيفية تعليم جبريل عليه السلام؛ فقد لزم أن تعرف مؤهلات المعلم من حيث هو معلم خاص من عالم غيبى؛ فتظهر من خلال ذلك صورة تفرغه لهذه المهمة الجليلة، و جدارته القائمة على إعداده الإلهى، و استعداده الخلقى، و الخلقى

(المهارى)؛ فكان الفصل الأول منعقدا لهذه الغاية، و عنوانه: مؤهلات المعلم.

و لأن العلم الملقى ينتمى من حيث جنسه إلى عالم الغيب بالنسبة للبشر، و ذا يقتضى عدم قدرة الإنسان فى أحواله الطبيعية على الالتقاء بعالم غيبى أو الاتصال به؛ فقد لزم أن يعلم تفصيل السبل التى جعلت الاتصال بين المعلم جبريل عليه السلام و المتعلم و هو النبى صلى اللّه عليه و سلم ميسورا بل أكثر يسرا من اتصال البشر بالبشر ... فتخبت عند ذاك قلوب الذين أوتوا العلم بأن جبريل عليه السلام كان يأتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فى كل لحظة زمانية، فى أى حيز مكانى ليؤدى مهمته التعليمية إنشاء، أو متابعة ... و ذلك مفصل فى الفصل الثانى، و عنوانه: اتصال جبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم للوحى القرآنى.

و لما كان ما سبق تقدمة لغاية البحث الأساسية: و هى بيان أوجه تعليم جبريل عليه السلام لفظ القرآن، و متعلقات ذلك، و تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن منه، فقد كان الفصل الثالث منعقدا لتلك الغاية، و عنوانه: هيئة تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام بما يحتويه من مباحثه التسعة.

و إذ توجد فى كل موضوع جوانب تقريب من محور البحث عرضا أو غرضا؛ فقد كان الفصل الرابع منعقدا لهذه الغاية، و عنوانه: الأصول العامة فى تعليم جبريل عليه السلام القرآن من حيث اللفظ، و هو يرمى لتحقيق هذا الهدف لا لغيره، كما أن فيه بيان لمظاهر الصحبة المتميزة بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم، و الارتباط الوثيق بينهما، و العلاقة الحميمة التى تمثل أوج الروابط بين مقرئ ملقى، و قارئ متلقى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳

و لأن محور البحث و هو (التلقى) قد يجابه بجملة انتقادات فى دقته، أو بقدح فى هيئته، و يرشح ذلك غرابة الاتصال بين مخلوقين من مستويين فيزيائيين مختلفين، و خصوصيته بين طرفى العملية التعليمية التلقينية؛ فقد انعقد الفصل الأخير لمعالجة جانب السلب فى موضوع البحث، بعد أن سبقته الفصول الأربعة بمعالجة جوانب الإيجاب فيه- و لذا كان الفصل الخامس، و عنوانه: دمغ الباطل، و فيه يذكر الباحث بعض الشبهات المقدوح بها فى دقة تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم، دامغا باطلها بحقائق التلقى اليقينية التى حفت العملية التعليمية بين النبى صلى اللّه عليه و سلم و جبريل عليه السلام، و لذا فتناولها سيكون من هذه الزاوية لا غير.

و لأن البحث دائر حول منهج يعلم و يتعلم تلقيا فقد ألحق بالبحث مناقشة علمية حول ماهية المنهج المتلقى (القرآن الكريم) من حيث حدوده اللفظية كنوع من المعرفة لمذاهب العلماء حول الحدود الفاصلة فى تعريف القرآن الكريم، و للتأكيد على أن اختلاف ألفاظهم فى تعريفه ... إن هو إلا زيادة تأكيد منهم على بدهية حدوده اللفظية عند المسلمين، و المنهج التلقينى فى تعلمه و تعليمه ليعلم أن التلقى صفة ذاتية للقرآن الكريم.

و قد حذف الباحث من هذه الطبعة بعض المباحث، و التراجم، و الحواشى التى لم يرها ضرورية فى النشر العام «۱»، و كانت من أصل الرسالة، كما أن الباحث يعتذر عن الطبيعة الجدلية التى كانت تسوق إليها طبيعة المسألة المبحوثة سوقا.

و من اللّه- وحده- يلتمس التوفيق و السداد، و الحمد للّه رب العالمين. (۱) أصل هذا البحث رسالة علمية قدمت لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير) من قسم التفسير و علوم القرآن فى جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية فى السودان تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد على الإمام مدير جامعة القرآن الكريم سابقا و مستشار الرئاسة لشئون التأصيل، و نالت درجة ممتاز مع التوصية بطباعتها.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴

الفصل الأول مؤهلات المعلم الملقى

اشارة

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى يتألف هذا الفصل من مقدمة و أربعة مباحث:

فالمقدمة لبيان جلية الأمر فى ألفاظ القرآن الكريم و أنها ألفاظ رب العزّة سبحانه و تعالى و كلامه، و ليس لجبريل عليه السلام فيها سوى صفة المرسل المعلّم، و ليس للنبى صلى اللّه عليه و سلم فيها سوى صفة المرسل المبلّغ.

و المبحث الأول يتكلم عن أهمية الحديث عن موضوع جبريل عليه السلام فى بعده التاريخى و أهدافه المنهجية.

و المبحث الثانى يفصل صفات جبريل عليه السلام التى صار بموجبها جديرا بتحمل الوحى القرآنى، و تعليمه للنبى صلى اللّه عليه و سلم فى طبيعته الخلقية، و سجاياه الخلقية.

و المبحث الثالث يتحدث عن كون جبريل عليه السلام هو المختار الوحيد من بين الملائكة ليكون أمين وحى اللّه عزّ و جل لأهل السماء و المبحث الرابع يتحدث عن نتيجة ذلك و هو أن جبريل عليه السلام هو الأمين على وحى اللّه عزّ و جل لأهل الأرض، كما يتكلم هذا المبحث عن المقتضى المنهجى لذلك، و هو سد ذريعة القدح فى الوحى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵

مقدمة: من الموحى بالقرآن؟ من المتكلم به؟:

و هى أهم مسالة منهجية يرتكز عليها البحث على الرغم من صغر الحيز المحدد لها، و لن تجيب الدراسة على هذا السؤال بل إن الإجابة التى فى القرآن الكريم كافية بعد اطراح ما اعترى علماء الكلام من خلل و دخل؛ إذ يقول اللّه تعالى: كَذلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "الشورى/ ۳، "و حسبك عظمة أن المتكلم بالقرآن هو اللّه الذى من عظمته تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ "الشورى/ ۵، "فليس لأعلى رجل فى البشر و هو النبى صلى اللّه عليه و سلم مقدار قطمير فيه وَ كَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ "الشورى/ ۵۲، "و يبقى بعد ذلك تحديد أطر المحافظة على القرآن بعد وصوله إلى البشر ليبقى متلوا كما تكلم به اللّه، و مقروءا كما أنزله اللّه، بما أنزله اللّه لفظا و أداء، لم يطرأ عليه تغيير لفظى، و لم يشبه زيف من تطوير لغوى، أو تحريف لهجى إلا فى الحدود التى أرادها اللّه- تعالى ذكره- و أول هذه الأطر: أن الذى تولى أمر المحافظة عليه هو اللّه سبحانه و تعالى منزله كما قال تعالى مثبتا الحفظ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹، "و قال عزّ و جل نافيا طروء أدنى تغيير لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ "الأنعام/ ۱۱۵، "فهذا فى كلامه من حيث هو كلام مقول، و أما فيه من حيث هو كلام مكتوب فقد قال- جل ذكره- إثباتا للحفظ و نفيا لإمكان التغيير: وَ إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (۴۱) لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ "فصلت/ ۴۱- ۴۲."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶

و الحفظ هنا ينصرف انصرافا أوليا إلى حفظ الألفاظ؛ لأنه قد علم أن المعنى غير منضبط إلا بضبط لفظه له، فحفظ اللفظ مقتض لحفظ المعنى، و حفظ المعنى مستلزم لحفظ اللفظ.

و إذا كان ذلك كذلك، فما نوع نسبة القرآن فى قوله- تعالى ذكره- إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ "الحاقة/ ۴۰، التكوير/ ۱۹؟."

لا يشك من له علم فى كلام العرب، و تصاريف أنواع خطابه، بل من يعاصر الأقوام فى عاداتهم الكلامية أن النسبة إلى جبرئيل عليه السلام نسبة أداء، لا نسبة إنشاء، و هو لازم وصفه بالرسالة، لأنه واسطة فيه، و ناقل له عن مرسله، و هو اللّه- تعالى ذكره-، إذ إضافة القول إلى الرسول إنما هو لأدنى ملابسة لأن جبريل عليه السلام يبلغ ألفاظ القرآن إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فيحكيها كما أمره اللّه عزّ و جل، فهو قائلها أى صادرة منه ألفاظها، لا أنه منشئ ألفاظها، لذا قال القرطبى- رحمه اللّه تعالى- فى تفسير سورة التكوير: و أضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام ثم عداه عنه بقوله تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ "الحاقة/ ۴۳، "ليعلم أهل التحقيق فى التصديق أن الكلام للّه عزّ و جل «۱»، و بذلك صرح سائر العلماء «۲»، فقوله تعالى لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ "التكوير/ ۱۹ "معناه لقول الرسول أى لقوله

المبلغ له عن اللّه سبحانه و تعالى، فقرينة ذكر الرسول تدل على انه إنما يبلغ شيئا أرسل به؛ فالكلام كلام اللّه سبحانه و تعالى: ألفاظه، و معانيه، و جبريل عليه السلام مبلغ عن اللّه، و بهذا الاعتبار نسب القول له «۳». (۱) (القرطبى) أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ۹/ ۲۴۰، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، دار إحياء التراث العربى- بيروت.

(۲) انظر: تفسير الجلالين، و بهامشه حاشية الصاوى ۴/ ۳۸۹، دار الفكر بيروت ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۳ م، قدم له و أشرف على تصحيحه: صدقى محمد جميل، و التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۵، مرجع سابق، و روح المعانى ۳۰/ ۱۰۴.

(۳) (الشنقيطى) محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى: أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ۷/ ۷۰۳، عالم الكتب- بيروت، فالقول الذى ينزل به على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم ليس قوله من حيث الحقيقة كما تقدم، بل يأخذ فيه صفة الرسالة،

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷

فنسبة كلام اللّه- تعالى ذكره- لجبريل عليه السلام نسبة أداء (أى تبليغ الرسول ما أمره اللّه سبحانه و تعالى بتبليغه) لا نسبة إنشاء.

و كذلك يقال فى آية الحاقة بالنسبة للرسول صلى اللّه عليه و سلم، فالنطق نطق القارى، و الكلام كلام البارى، كما يقال هذا قرآن ابن مسعود رضى اللّه عنه، أو قرآن على بن أبى طالب رضى اللّه عنه، أو قراءة فلان ... عنوا به أنه خارج بصوته لا أنه كلامه. قال فى التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۵، مرجع سابق: و فى التعبير عن جبريل بوصف رسول إيماء إلى أن القول الذى يبلغه هو رسالة من اللّه مأمور بإبلاغها كما هى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸

المبحث الأول: أهمية موضوع تعليم جبريل عليه السلام:

اشارة

يتحدث هذا المبحث عن أهمية موضوع تعليم جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم فى إطاره التاريخى، و تعلق ذلك بألفاظ القرآن الكريم، و ما تحققه دراسة هذا الموضوع من أهداف، ذاك بأن هذا الموضوع هو الوجه الآخر لموضوع تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام.

و يتألف هذا المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: البعد التاريخى و الموضوعى للاهتمام بهذا الموضوع.

المطلب الثانى: أهداف دراسة هذا الموضوع.

المطلب الأول: البعد التاريخى و الموضوعى للاهتمام بهذا الموضوع:

إذا كان جبريل عليه السلام هو الذى بلغ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم القرآن الكريم، و علمه إياه فإن جبريل عليه السلام قد جعل بأمر اللّه شيخا للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و معلما له بصريح قوله سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵، "فقد بات حتما على متتبعى علوم القرآن الكريم أن يتتبعوا تفصيلا كيفية تعليم جبريل عليه السلام القرآن الكريم؛ إذ يأخذ حيز الأهمية الأولى فى دراسة العلوم الإسلامية الشرعية، و من هاهنا اهتم العلماء بهذا الموضوع اهتماما بالغا، فإن كان الأمر كذلك؛ فليس الباحث بدعا فى اهتمامه بذا الموضوع، بل كان هذا الموضوع كما لم يزل على رأس قائمة المفردات العلمية و الشرعية التى يمارس درايتها أولوا النهى من المسلمين فضلا عن أرباب الحجى من العلماء.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹

و أول من أثاره: الصحابة تعبدا و ازديادا فى طمأنينة قلب، فقد روت عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن الحارث بن هشام رضى اللّه عنه سأل رسول اللّه، فقال: يا رسول اللّه! كيف يأتيك الوحى؟ ... الحديث «۱».

قال السندى- رحمه اللّه تعالى-: ظاهره أن السؤال عن كيفية الوحى نفسه، لا عن كيفية الملك الحامل له، و يدل عليه أول الجواب، لكن آخر الجواب يميل إلى أن المقصود بيان كيفية الملك الحامل، فيقال يلزم من كون الملك فى صورة الإنسان كون الوحى فى صورة مفهوم متبيّن أول الوهلة، فبالنظر إلى هذا اللازم صار بيانا لكيفية الوحى، فلذلك قوبل بصلصلة الجرس، و يحتمل أن المراد للسؤال عن كيفية الحامل أى كيف يأتيك حامل الوحى «۲».

و لم تنقله عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- ثم من بعدها إلا لجلالته عندهم، فليست المسألة فضول قول، و نافلة كلم.

و قد قال الواقدى- فيما حكاه عنه ابن سعد-: حج أمير المؤمنين هارون الرشيد فورد المدينة فقال ليحيى بن خالد: ارتد لى رجلا عارفا بالمدينة و المشاهد، و كيف كان نزول جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم و من أى وجه كان يأتيه ... «۳».

و جعل ابن حبان- رحمه اللّه تعالى- مسألة بدء الوحى و كيفية تلقيه أول أنواع يحتاج إلى معرفتها من أخبار النبى صلى اللّه عليه و سلم، حيث قال: و أما أخبار النبى صلى اللّه عليه و سلم عما احتيج إلى معرفتها، (۱) يأتى بتمامه- إن شاء اللّه تعالى- فى الفصل الثانى- المبحث الثالث.

(۲) (السندى) أبو الحسن نور الدين عبد الهادى ت ۱۱۳۸ ه: حاشية السندى ۲/ ۱۵۰، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب.

(۳) (ابن سعد) محمد بن سعد بن منيع البصرى الزهرى (۱۶۸ ه- ت ۲۳۰ ه): الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰

فقد تأملت جوامع فصولها، و أنواع ورودها، لأسهل إدراكها على من رام حفظها، فرأيتها تدور على ثمانين نوعا: النوع الأول: إخباره صلى اللّه عليه و سلم عن بدء الوحى و كيفيته «" ...۱».

بل هو رأس المفردات الأصولية، و يظهر هذا فى صنيع الإمام البخارى- رحمه اللّه تعالى- فى صحيحه؛ إذ جعل كتاب بدء الوحى أول كتب الصحيح، و إنما فعله دليلا على المنهج العلمى المسلوك عند المسلمين فى عد العلوم النافعة، مما يطمئن إلى صواب هذا الفقه فى أهمية موضوع جبريل عليه السلام، و فى وصف ابن عباس رضى اللّه عنه لقراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم إثر تعليم جبريل عليه السلام له بأنه (قرأه- أى القرآن- كما قرأه) داع للعلماء عموما، و للمتخصصين فى علوم القرآن خصوصا ليتعرفوا على كنه تعليم جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن من حيث لفظه؛ إذ يتوقف عليه معرفة هيئة نقل أصل الأصول الإسلامية.

و ما للتعليل لأهمية هذا المبحث يذهب هذا المذهب فى الاستدلال على أمر وضوحه جلى كالشمس، و قد كان كافيا ما يظهر من كثرة الآيات التى تتحدث عن جبريل عليه السلام و تعليمه للنبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن دليلا على صحة هذا المرام؟.

المطلب الثانى: أهداف دراسة هذا الموضوع:

اشارة

تحقق دراسة تعليم جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الأهداف التالية:

۱- غرس الاهتمام بالأصول الكلية فى هذه الشريعة المطهرة

؛ إذ عنها تنبثق بقية جزئياتها، و لذا تكرر موضوع تعليم جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن فى القرآن، حتى ذكر إنزال القرآن على قلب

الرسول صلی اللّه علیه و سلم مرتین، و هی جزئیة صغیرة من جزئیات هذا (۱) (ابن حبان) محمد بن حبان بن أحمد التمیمی البستی ت ۳۵۴ ه- صحیح ابن حبان بترتیب ابن بلبان ۱/ ۱۳۱، مراجعة: شعیب الأرناءوط، ۱۳۹۹ ه- ۱۹۷۹ م، مؤسسة الرسالة، بیروت.
تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱
الموضوع، مع أن الوضوء بجمیع متعلقاته من حیث هو وضوء لأهم رکن عملی فی الإسلام لم یذکر فی القرآن إلا مرة واحدة.

۲- بیان الطریقة المنهجیة التی علم بها جبریل علیه السلام

و تعلم بها النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن، و تأصیلها، ثم اتخاذها منهجا فی تعلم ألفاظ القرآن، ما دامت فی حدود الطاقة البشریة الفردیة، و توزیعها علی الأمة إن استدعی صبغها بالجماعیة.

۳- الاستشعار النفسی لما اعتری عملیة نقل الکلام الإلهی

القرآنی من السماء إلی الأرض من مثبتات للحفظ، و مؤیدات لمنع شوائب الدخل، و هذا یکون مقدمة لرفع الإجلال الذاتی المصبوغ بالصبغة العقائدیة فی نفس المسلم لکلام اللّه عزّ و جل.

۴- أن تحاول الأمة بمجموعها جعل جهودها لحفظ کتاب اللّه

أداة من الأدوات الواقعیة لحقیقة الحفظ الإلهیة تقارب ما بذله طرفا الاتصال السماوی و الأرضی لأجل ذلک، و کما رعی اللّه- تعالی ذکره- طرفی الاتصال فی هذا السبیل سیرعی اللّه عزّ و جل الأمة فی السبیل ذاته ... و قد فعل سبحانه و تعالی.
تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲

المبحث الثانی: صفات جبریل علیه السلام:

اشارة

سیقتصر الباحث هاهنا علی الصفات التی ترتبط بموضوع البحث، و هی الصفات التی حبا اللّه بها جبریل علیه السلام لیقوم بهذه المهمة الجلیلة، و هی ما أعده اللّه عزّ و جل فیه من السجایا الخَلقیة و الخُلقیة من حیث أنه الرسول الذی یحمل الوحی، و یعلمه للرسول الذی یعلمه لأهل الأرض، و کلامنا عن هذه الصفات مقتصر علیها من حیث أن جبریل علیه السلام هو الناقل للقرآن من السماء إلی الأرض، و ینقسم هذا المبحث إلی مطلبین من حیث عودة هذه الصفات إلی الطبیعة الخَلقیة، أو إلی السجایا الخلقیة، و قد یتداخلان:

المطلب الأول: صفاته من حیث طبیعته الخُلقیة:

۱- عظمة الخلقة:

فعن ابن عباس رضی اللّه عنه أن النبی صلی اللّه علیه و سلم سئل: یا محمد کیف یأتیک الذی یأتیک؟ یعنی جبرئیل علیه السلام، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (یأتینی من السماء جناحاه لؤلؤ، و باطن قدمیه أخضر) «۱»، و یؤیده: ما رواه عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (رأیت جبریل علیه السلام عند سدرة المنتهی و علیه ستمائة جناح ینثر من

ريشه تهاويل الدر و الياقوت «۲». و تهاويل الدر و الياقوت قال ابن الأثير- رحمه اللّه تعالى- فى تفسيرها ":أى الأشياء المختلفة الألوان، و منه يقال لما يخرج فى الرّياض من ألوان الزّهر التهاويل، و كذلك لما يعلّق على الهوادج من ألوان العهن و الزّينة، و كأن واحدها تهوال، و أصلها مما يهول الإنسان و يحيّره «"۳». (۱) (ابن أبى عاصم) أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيبانى ت ۲۸۷ ه: الآحاد و المثانى ۳/ ۴۵۶، مراجعة: د.

باسم فيصل أحمد الجوابرة، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الراية الرياض.

(۲) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۱۴/ ۳۳۷، مرجع سابق، و قال الشيخ شعيب الأرناءوط ":إسناده حسن."

(۳) (ابن الأثير) المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات الجزرى ت ۶۰۶ ه: النهاية فى غريب الأثر ۵/ ۲۸۲، النهاية فى غريب الأثر تحقيق: طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطباخى، ۱۳۹۹ ه-، ۱۹۷۹ م، دار الفكر- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳

و لجبريل عليه السلام القدرة على التشكل إلى أجسام أخرى، و لكنه كان أكثر ما كان يأتيه فى صورة الصحابى الجليل (دحية الكلبى) ... فعن جابر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال:

(عرض على الأنبياء ... و رأيت جبريل، فإذا أقرب من رأيت شبها دحية بن خليفة) «۱»، و إنما جعلت هذه الصفة أول الصفات لارتباطها بالقدرة التى أودعها اللّه فى جبريل عليه السلام ليأتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فيعلمه القرآن بإطلاق الزمان و المكان، و على أى هيئة كان، و تأتى أمثلة على ذلك- إن شاء اللّه تعالى- «۲».

و هل كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يرى جبريل عليه السلام فى خلقته الأصلية دائما؟

الجواب: لم يره كذلك إلا مرتين فقد ثبت فى صحيح مسلم عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- مرفوعا: (لم أره يعنى جبريل عليه السلام على صورته التى خلق عليها إلا مرتين) «۳»، و بين أحمد فى حديث ابن مسعود أن الأولى كانت عند سؤاله إياه أن يريه صورته التى خلق عليها، و الثانية عند المعراج «۴».

و الأمر لا يستدعى البحث بدقة فى عدد المرات التى رأى النبى صلى اللّه عليه و سلم فيها جبريل عليه السلام؛ إذ المراد بيان أن رؤيته لجبريل عليه السلام مرة تحقق جملة أمور من حيث نقل القرآن: (۱) صحيح مسلم ۱/ ۱۵۳، مرجع سابق، و راجع: (الدينورى) عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة ت ۲۷۶ ه: تأويل مختلف الحديث، مراجعة: محمد زهرى النجار، ۱۹۷۲ م- ۱۳۹۳ ه، دار الجيل- بيروت، ففيه رد على من استنكر وجود خلق له قدرة على التشكل، و قد أتى هذا المستنكر من كبر فى نفسه ما هو ببالغه، و أول كلام ابن قتيبة- رحمه اللّه تعالى "-:و لم يأت أهل التكذيب بهذا و أشباهه، إلا لردهم الغائب عنهم إلى الحاضر عندهم، و حملهم الأشياء على ما يعرفون من أنفسهم، و من الحيوان، و الموات، و استعمالهم حكم ذوى الجثث فى الروحانيين." ...

(۲) انظر: الفصل الثانى- المبحث الثانى.

(۳) مسلم ۱/ ۱۵۳، مرجع سابق.

(۴) (ابن حنبل) أبو عبد اللّه أحمد بن حنبل الشيبانى ت ۲۴۱ ه: مسند الإمام أحمد ۳/ ۱۲۰- مؤسسة قرطبة- مصر. و للترمذى من طريق مسروق عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: (لم ير محمد جبريل فى صورته إلا- مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، و مرة فى أجياد).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴

منها: إيقاع الطمأنينة فى قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم برؤيته لعظيم قدرة اللّه عزّ و جل تتجلى فى جبريل عليه السلام من جهة، و من جهة أخرى لطمأنته، و تثبيت قلبه على قدرة جبريل عليه السلام على نقل القرآن، و تبليغ رسالة ربه دون توان، و زادت هذه الطمأنينة تأكيدا برؤيته له مرة أخرى.

و منها: دفع توهم أن الذی یأتیه شیطان لا من قلبه فقط، بل من قلب غیره.

۲- أنه ملک:

و الملک واحد الملائکة، و هو فی الأصل جمع ملاـک ثم حذفت همزته لکثرة الاستعمال فقیل ملک، و قد تحذف الهاء فیقال ملائک، و قیل أصله مالک بتقدیم الهمزة من الألوک الرسالة، ثم قدّمت الهمزة و جمع «۱»، فالرسالة طبیعة ذاتیة ملازمة لکون الملک ملکا، و هذه الرسالة هی ما یصدر إلی الملائکة من أوامر فیؤدونها أدق أداء، و أتمه؛ لأن الرسالة طبیعة ذاتیة فیهم، و لیس یخفی أن هذه هی أولی وسائل الیقین فی نقل القرآن، إذ کون الرسالة طبیعة ذاتیة فی الملائکة یستلزم: الأمانة فی نقلها، و إتقان النقل، و یعضد هذا أنهم المختارون لیکونوا وسائط بین اللّه عزّ و جل و خلقه، و لذا فقوله تعالی لا یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ "الأنبیاء/ ۲۷،" إیضاح لحال الملائکة، و لیس بتأسیس لصفة جدیدة بعد نعتهم بالملائکة، و اقتضی هذا الإیضاح دحض تخرصات الشرک و أهله فی طبیعة الملائکة.

۳- الروح:

و قد وردت هذه اللفظة علی خمس معان فی القرآن الکریم «۲»، و لا خلاف بین المفسرین و غیرهم فی أن المراد بها فی قوله تعالی نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ "الشعراء/ ۱۹۳ "هو جبریل علیه السلام «۱»، و یسمی جبریل علیه السلام روح القدس لأنه خلق من طهارة «۲». (۱) النهایة فی غریب الأثر ۴/ ۳۵۸، مرجع سابق، و فیه ":و فی حدیث جریر: علیه مسحة ملک، أی أثر من الجمال لأنهم أبدا یصفون الملائکة بالجمال. "و هذه صفة خلقیة أخری إلا أنه لا یتعلق بها کبیر أمر هنا.

(۲) (ابن القیم) شمس الدین محمد بن أبی بکر بن أیوب الزّرعی الدمشقی، الروح لابن القیم ص ۲۰۶- عالم الکتب بیروت، و ذکر ابن حجر- رحمه اللّه تعالی، نقلا عن ابن التین فی معنی لفظ الروح حیث ورد فی القرآن الکریم تسعة معان، و أما حقیقتها فقد ذکر أنهم اختلفوا فیها علی أکثر من مائة قول، و ذا تکلف جلی فیما لا طائل من تحته.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵

و هذه الصفة الجلیلة لجبریل علیه السلام ورد مدحه بها فی معرض التأکید علی سلامة نقل القرآن، و بیان خصائص لفظه من سورة الشعراء، و ذلک دال علی مبلغها من جلالة القدر فی نقل القرآن من السماء إلی الأرض، و لعل من أسرارها فی هذا الباب أن الروح فیه معنی الحیاة و الحرکة، و یومئ ذلک إلی أن تلقی جبریل علیه السلام للقرآن من اللّه سبحانه و تعالی تلق حی لاـ یعروه شائبة کسل، أو موات؛ إذ کون الناقل مخلوقا واحدا و هو جبریل علیه السلام مدعاة لأن یشکک فی نقله أقوام اعتادوا الجدل و ألفوه. «۱»

و یزید هذا المعنی إیضاحا أن لفظة (روح) لا ترد فی القرآن الکریم إلا للأمور التی استأثر اللّه عزّ و جل بها بأحد أنواع الاستئثار علما (کروح الإنسان)، أو قولا (کالقرآن) ...

و لذا ذکر اللّه سبحانه و تعالی خلق آدم، و عظّم خلقه عند ما بین أنه نفخ فیه من روحه وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی "ص/ ۷۲ «۲"» و هی المنقبة التی یذکرها له الناس یوم القیامة فی حدیث الشفاعة الکبری ... و هذا یثبت ما ذکر من علاقة سلامة نقل القرآن من السماء إلی الأرض، و دقة نقله کما قاله اللّه عزّ و جل، بوصف جبریل علیه السلام بالروح.

کما أن من أهم مقتضیات کونه روحا: إمکانیة الاتصال المطلق، مع خفاء ذلک علی من حوله، و ذاک یمکنه من المجیء إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم دون أن یشعر به أحد، و ذلک لأن الروح تطلق علی ما خفی «۳».

۴- السرعة و الفوریة فی النزول بالوحی القرآنی:

حتی لو کان جبریل علیه السلام نازلا بهیئته الشدیدة علی النبی صلی اللّه علیه و سلم، و ذلک عند الاقتضاء إنشاء أو استدراکا، و هذه

(۱) و عند (ابن سعد) أبو عبد اللّه محمد بن سعد بن منیع البصری الزّهری (۱۶۸- ۲۳۰): الطبقات الکبری ۱۹۴/ ۱، دار صادر- بیروت: عن قتادة فی قوله تعالی وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ "البقرة/ ۸۷، "قال ":هو جبریل."

(۲) النهایة فی غریب الأثر ۴/ ۲۳، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث الثانی من الفصل الثانی.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶

الصفة إحدی التطبیقات للصفات الأخری کالقوة، و الأمانة، و لیذکرها هنا نموذجان عن هذه السرعة من حیث البلاغ العام، و البلاغ القرآنی:

فنموذج البلاغ العام: ما قاله صهیب رضی اللّه عنه: (یا رسول اللّه! ما سبقنی إلیک أحد، و ما أخبرک إلا جبریل) «۱». و هذا فی الأحداث الواقعیة، فکیف یکون الشأن فی أمر یتعلق بالوحی القرآنی الإلهی، و قد اتخذت له کل الوسائل الإلهیة المحضة، و البشریة المعانة إعانة إلهیة لیقرأه کما أنزله اللّه و هو البلاغ الخاص؟، و نموذج ذلک: ما رواه سهل بن سعد الساعدی رضی اللّه عنه أنه قال: رأیت مروان بن الحکم جالسا فی المسجد، فأقبلت حتی جلست إلی جنبه فأخبرنا أن زید بن ثابت أخبره أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أملی علیه ... لا یَسْتَوِی الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ غَیْرُ أُولِی الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ "النساء/ ۹۵-" قال-: فجاء ابن أم مکتوم و هو یملیها علیّ، فقال: یا رسول اللّه! لو أستطیع الجهاد لجاهدت، و کان رجلا أعمی، فأنزل اللّه سبحانه و تعالی علی رسوله صلی اللّه علیه و سلم و فخذه علی فخذی، فثقلت علی حتی خفت أن ترض فخذی، ثم سرّی عنه ... فأنزل اللّه عزّ و جل غَیْرُ أُولِی الضَّرَرِ «۲». (۱) المستدرک علی الصحیحین ۳/ ۴۵۲، مرجع سابق، عن صهیب قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (أریت دار هجرتکم سبخة بین ظهرانی حرة، فإنما أن تکون هجرا، أو تکون یثرب)، قال: و خرج رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی المدینة و خرج معه أبو بکر رضی اللّه عنه، و کنت قد هممت بالخروج معه فصدنی فتیان من قریش فجعلت لیلتی تلک أقوم و لا أقعد فقالوا: قد شغله اللّه عنکم ببطنه، و لم أکن شاکیا. فقاموا فلحقنی منهم ناس بعد ما سرت بریدا لیردونی، فقلت لهم: هل لکم أن أعطیکم أواقی من ذهب و تخلون سبیلی و تفون لی؟. فتبعتهم إلی مکة فقلت لهم: احفروا تحت أسکفة الباب فإن تحتها الأواق و اذهبوا إلی فلانة فخذوا الحلتین. و خرجت حتی قدمت علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قبل أن یتحول منها- یعنی قباء- فلما رآنی قال: (یا أبا یحیی ربح البیع) ثلاثا. فقلت: یا رسول اللّه! ما سبقنی إلیک أحد و ما أخبرک إلا جبریل علیه السلام. و قال الحاکم ":هذا حدیث صحیح الإسناد و لم یخرجاه."

(۲) صحیح البخاری ۳/ ۱۰۴۲، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷

۵- القوة:

کما قال تعالی ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوی النجم/ ۶ "أی هو صاحب جسم "فی قوة و قدرة عظیمة علی الذهاب فیما أمر به، و الطاقة لحمله فی غیر آیة النشاط و الحدة، کأنه ذو مزاج غلبت علیه الحدة «۱»، فهو صعب المراس، ماض فی مرارته، علی طریقة واحدة علی غایة من الشدة لا توصف «"۲».

و یأتی تفصیلها فی المطلب الثانی- إن شاء اللّه تعالی-.

علی أنه ینبغی التنبیه من خلال الاستعراض لمظاهر قوة جبریل علیه السلام الخلقیة أن هذه الخلقة العظیمة التی هیأه اللّه- تعالی ذکره-

بها تحمل فی طیاتها تهیئته بحمل الأجهزة التکوینیة المناسبة لحفظ کلام الجبار سبحانه و تعالی عند استماعه، ثم نقله له کما هو إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم بالسرعة المطلوبة فی الوقت المعین ... و لذا کان جبریل علیه السلام، أول من یقوم من الصعق عند ما یتکلم اللّه عزّ و جل بالوحی- کما سیأتی إن شاء اللّه تعالی- «۳».

المطلب الثانی: صفاته علیه السلام، من حیث سجایاه الخلقیة:

۱) کریم:

کما فی قوله سبحانه و تعالی إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ "التکویر/ ۱۹، "و هی صفة تقتضی نفی المذام کلها، و إثبات صفات المدح اللائقة به «۴»، و فی تفسیرها یقول الآلوسی- رحمه اللّه تعالی "-:عزیز علی اللّه سبحانه و تعالی «"۵»، و قال ابن کثیر- رحمه اللّه (۱) المراد الجد و القوة، و لیس الغضب.

(۲) انظر: (البقاعی) برهان الدین أبو الحسن إبراهیم بن عمر (ت ۸۸۵ ه): نظم الدرر فی تناسب الآیات و السور ۱۹/ ۴۴، ۱۴۱۳ ه، ۱۹۹۲ م، ط ۳، المکتبة التجاریة، مکة المکرمة.

(۳) انظر: المبحث الثالث من هذا الفصل.

(۴) البحر المحیط ۸/ ۴۳۴، مرجع سابق.

(۵) روح المعانی ۳۰/ ۱۰۴، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸

تعالی "-:ملک حسن الخلق بهی المنظر «"۱»، و فی التحریر و التنویر فی معنی کریم أنه:

"النفیس فی نوعه «"۲».

فقد جمعت له کلمة "کریم "کل المحامد، کما أظهرت تمیزه بخصائص لا توجد لسواه من الملائکة، فهو نفیس بین الملائکة.

۲) ذو قوة:

اشارة

"أی شدید، و قیل: المراد القوة فی أداء طاعة اللّه سبحانه و تعالی، و ترک الإخلال بها من أول الخلق إلی آخر زمان التکلیف، و قیل: لا یبعد أن یکون المراد قوة الحفظ، و البعد عن النسیان، و الخلط «"۳».

و لا یستبعد شمول وصف ذِی قُوَّةٍ "التکویر/ ۲۰ "لذلک کله؛ إذ یقتضی ذلک إطلاقها، و عدم تقیید النکرة قُوَّةٍ بشیء! بل ذلک هو الأظهر، و یستظهر هذا المعنی حتی یصیر فی حیز الحقیقة المقررة: بمجیء کلمة (قوة) مجموعة فی قوله عزّ و جل ... شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵، "و من حیث خصوص مناط البحث فإنه یظهر من خلال هذا الوصف قوته فی أداء هذه الأمانة الشاملة لکل أنواع القوة.

و المراد الکلی من هذا الوصف: قدرته علی أداء مهمته التعلیمیة، ف- ذِی قُوَّةٍ یعنی أن جبریل علیه السلام، ما کلّف به من أمر غیر عاجز «۴».

و یدخل فی هذه القوة دخولا أولیا:

أ- قوة الحفظ.

ب- و قوة الوصول إلى الرسول من البشر.

(۱) ابن کثیر ۴/ ۴۰۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحریر و التنویر ۳۰/ ۱۵۳، مرجع سابق.

(۳) روح المعانی ۳۰/ ۱۰۴، مرجع سابق.

(۴) انظر: تفسیر الطبری ۳۰/ ۸۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹

ج- و تلطف المجیء

، له بما یحتاج من خصال یحتاجها الملک، لیعوض بها ضعف البشر عن إدراک الملأ الغیبی؛ لذا قال الشوکانی ":ذی قوة شدیدة فی القیام بما کلف به «"۱».

د- و قوة البدن المتعددة المناحی

لازمة للتنقل بین هذه المسافات الهائلة فی وقته الذی أمر بالتبلیغ فیه بشکل دقیق، قال الصاوی- رحمه اللّه تعالی- ذاکرا بعض قوته": فکان من قوته: أن اقتلع قری قوم لوط من الماء الأسود «۲»، و حملها علی جناحه فرفعها إلی السماء، ثم قلبها، و أنه صاح بثمود صیحة فأصبحوا جاثمین، و أنه یهبط من السماء إلی الأرض، ثم یصعد فی أسرع من رد الطرف «۳».

و هذا الأخیر الذی ذکره الصاوی هو المراد، و ما قبله خادم للإیراد، و تناقل المفسرون هذا المعنی فی أداء الرسالة التی کلف بها جبریل علیه السلام، علی أتم وجه و أتقنه، بل جعل ذلک الإتقان هو طبیعة جبریل علیه السلام، فقوله کَرِیمٍ یحتمل أن تکون الصفة المشبهة تدل علی الطبیعة و السجیة الذاتیة لا المتکلفة «۴ "»،فالقوة حقیقتها مقدرة الذات علی الأعمال العظیمة التی لا یقدر علیها غالبا، و تطلق مجازا علی ثبات النفس علی مرادها، و الإقدام علی رباطة الجأش قال عزّ و جل یا یَحْیی خُذِ الْکِتابَ بِقُوَّةٍ "مریم/ ۱۲" خُذُوا ما آتَیْناکُمْ بِقُوَّةٍ "البقرة/ ۶۳، "فوصف جبریل علیه السلام ب ذِی قُوَّةٍ یجوز أن یکون شدة المقدرة، کما وصف بذلک فی قوله ذُو مِرَّةٍ، و یجوز أن یکون من القوة المجازیة، و هی الثبات فی أداء ما أرسل به، کما قال سبحانه و تعالی عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵؛ "لأن (۱) فتح القدیر ۵/ ۴۸۱، مرجع سابق.

(۲) لعله یعنی البحر المیت؛ إذ هو موضعهم ... أو النفط الأسود؛ إذ أن موضعه غائر فی الأرض أکثر من الماء ... فعبر بموضعه دلالة علی اجتثاث القری من أصلها فی الأرض.

(۳) حاشیة الصاوی ۴/ ۳۸۹، مرجع سابق.

(۴) کما فی فقیه من فقه بضم القاف.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰

المناسب للتعلیم هو قوة النفس، و لذا وصف فی النجم ب شَدِیدُ الْقُوی و المراد ب الْقُوی استطاعته تنفیذ ما أمر اللّه سبحانه و تعالی به من الأعمال العظیمة القلبیة و الجسمانیة، فهو الملک الذی ینزل علی الرسل بالتبلیغ، و قوته شملت قوة العقل، إضافة إلی قوة الجسم و قوة أداء المهمة، و إتقانها؛ و لذا وصف بقوله ذُو مِرَّةٍ، و المرة تطلق علی الذات، و تطلق علی متانة العقل، و أصالته، و هو المراد هنا، و اتفق المفسرون علی أن المراد جبریل علیه السلام «"۱».

فإذا جمع هذا مع ما قرره أبو حيان- رحمه اللّه تعالى- فى معنى صفة كَرِيمٍ و هو أنها صفة تقتضى نفسى المذام؛ اتضحت إصرارية تثبيت قوة الحفظ و شدة الملكة التى بها يبلغ وحى ربه، و تعليمه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم القرآن الكريم تفصيلا لكل حرف، و تبيانا لكل كلمة، من غير أن يقال أن ذلك مبالغ فيه، أو أنه ليس فى مقدرة جبريل عليه السلام من حيث الحركة، أو من حيث الحفظ.

۳) مُطاعٍ "التكوير/ ۲۱:"

فهو مطاع فى ملائكة اللّه المقربين يصدرون عن أمره، و هو مؤكد لحقيقة ائتمارهم بأمره، و من أسباب ذلك أنه أمين الوحى فى السماء لأهل السماء- و يرد تفصيل ذلك إن شاء اللّه تعالى- «۲» ...، و من صور طاعة الملائكة لجبريل عليه السلام، طاعة خازن السماء له، كما فى حديث الإسراء «۳»، و ذلك كله مؤثر فى الشعور بمقدرة هذا المعلم. (۱) التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۵، مرجع سابق، و انظر: البحر المحيط ۸/ ۱۵۴، مرجع سابق، و قد ذكر فيه عن الحسن أن "شديد القوى "هو اللّه، و استبعده، و كذا تفسير الشوكانى ۵/ ۱۳۰، مرجع سابق، و أورد ابن كثير ۴/ ۲۱۰ قولا لابن عباس و قتادة ":منظر حسن، "ثم قال ":و لا منافاة بين القولين."

(۲) فى المبحث الثالث من هذا الفصل.

(۳) ففيه: قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل عليه السلام، لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل عليه السلام قال: هل معك أحد؟ قال: نعم! معى محمد صلى اللّه عليه و سلم فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا ...) الحديث ... صحيح البخارى ۱/ ۳۰۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱

۴) أَمِينٍ "التكوير/ ۲۱:"

اشارة

فهو أمين الأمانة التى تقتضى القيام بالتبليغ الذى يصل إلى درجة من الدقة حتى فى هيئات الألفاظ الداخلية و الخارجية، و قد اتخذت هذه الأمانة طابعين:

أ- طابع العموم فى كل ما اؤتمن عليه:

قال الطبرى "أمين عند اللّه على وحيه، و رسالته، و غير ذلك مما ائتمنه عليه «"۱».

ب- طابع الدقة و التفصيل:

إذ يتسع أفق فهمها ليشمل هيئات الألفاظ الداخلية فذلك مقتضى الإطلاق فى وصفه بالأمانة هنا.

و أمانته من حيث الأصالة تتسم بسمتين:

فهى ملكة دائمة ثابتة، و سجية متحددة: إذ الأمين هو الذى يحفظ ما عهد له به حتى يؤديه دون نقص، و لا تغيير.

و أمين (فعيل) إما بمعنى مفعول: أى مأمون من أمنته على كذا، و إما صفة مشبهة من أمن بضم الميم، إذا صارت الأمانة سجيته «۲».

و سر الإتيان بقوله تعالى ثَمَّ بين هاتين الصفتين (مطاع، أمين) فى قوله عزّ و جل مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ: أن ثَمَّ ظرف مكان للبعيد، و المراد أنه موصوف بذلك فى السماء، و هو يوحى بلزوم اكتفائكم بهذه الأوصاف المطمئنة القاذفة لليقين بسلامة الرسالة، و دقتها، و أنها كما أرادها اللّه سبحانه و تعالى، و كما قالها فهى قرآن لم تطرأ عليها بارقة تغيير من أحد من المخلوقين؛ إذ الكلام عن غيب ما أدراكم به أنتم؟ فلتسمعوا وصفه من مرسله، و خالقه، و حسبكم أنه بهذه المكانة فى ذلك المكان الأعلى، و لو شاء اللّه عزّ و جل ما تلا عليكم ما أمر بتبليغه، و لذا قال الآلوسى ":و المقام يقتضى تعظيم الأمانة؛ لأن دفع كون القرآن (۱) تفسير الطبرى ۳۰/ ۸۰، مرجع سابق.

(۲) التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۷، مرجع سابق، و كذا روح المعانى ۳۰/ ۱۰۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲

افتراء منوط بأمانة الرسول «"۱» ... كيف و قد قال عزّ و جل: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا ...

"الحاقة/ ۴۴؟، "و قرئ ثم (بالضم) تعظيما لوصف الأمانة، و تفضيلا على سائر الأوصاف «۲»، فالعطف بها للتراخى فى الرتبة؛ لأن ما بعدها أعظم مما قبلها «۳»، و قال الزمخشرى ":و قرئ ثم تعظيما للأمانة و بيانا؛ لأنها أفضل صفاته المعدودة «"۴».

و لهذه الأمانة مقتضاها العملى الهام فى جهتين:

- جهة فى ذاته:

بأن يكون فى أعلى درجات الخشية اللّه تعالى، و المراقبة له: و هذه و إن كانت سجية دائمة ملازمة للملك من حيث هو ملك، إلا أنها فى جبريل عليه السلام ظاهرة التميز، فعن جابر قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (مررت ليلة أسرى بى بالملإ الأعلى، و جبريل عليه السلام كالحلس البالى من خشية اللّه تعالى) «۵».

- جهة فى غيره:

و هو أن يكون جبريل عليه السلام إذ اتصف بها: مقبول القول، يصدق فيما يقول، مؤتمن على ما يرسل به من وحى، و امتثال أمر، مؤديا لما اؤتمن عليه أحسن الأداء، و أدقه فدخل فى ذلك أن يؤدى لفظ القرآن أحسن أداء، و أتقنه ... بل أن ينقله على أقوم هيئة أمر بها ... فأعظم ما اؤتمن عليه تأدية ألفاظ القرآن. (۱) روح المعانى ۳۰/ ۱۰۵، مرجع سابق.

(۲) انظر: تفسير أبى السعود ۵/ ۴۸۹، مرجع سابق، و القراءة المذكورة قراءة شاذة.

(۳) انظر: فتح القدير ۵/ ۴۸۱، مرجع سابق.

(۴) الكشاف ۴/ ۱۹۱، مرجع سابق.

(۵) رواه الطبرانى فى الأوسط ۲/ ۱۳۴، (الطبرانى) مسند الدنيا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ت ۳۶۰. المعجم الأوسط، مراجعة: محمود الطحان، ۱۴۰۵- ۱۹۸۵، مكتبة المعارف- الرياض، و صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ۵۸۶۴، انظر: (الألبانى) محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير و زيادته، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، ط ۳ ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، المكتب الإسلامى- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳

۵) عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ "التکویر/ ۲۰:"

أی هو ذو مکانة رفیعة عند اللّه العظیم جل جلاله، ف مَکِینٍ (فعیل) من مکن إذا علت رتبته عند غیره، یعنی هو لیس من أفناد الملائکة، بل هو من السادة الأشراف معتنی به انتخب لهذه الرسالة العظیمة، و عدل عن اسم الجلالة إلی (ذی العرش) بالنسبة لجبریل علیه السلام لتمثیل حال جبریل علیه السلام و مکانته عند اللّه سبحانه و تعالی بحالة الأمیر الماضی فی تنفیذ أمر الملک، و هو بمحل الکرامة لدیه «۱».

و مما یتفطن للتأمل فیه فی قوله عزّ و جل فی وصف جبریل علیه السلام: ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ "التکویر/ ۲۰: "توسط عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ بین ذِی قُوَّةٍ و مَکِینٍ، (و سر ذلک): لیتنازعه کلا الوصفین علی وجه الإیجاز، أی هو ذو قوة عند اللّه عزّ و جل، أی جعل اللّه سبحانه و تعالی مقدرة جبریل علیه السلام تخوله أن یقوم بعظیم ما یوکله اللّه عزّ و جل به مما یحتاج إلی قوة القدرة، و قوة التدبیر، و هو ذو مکانة عند اللّه و زلفی.

۶) اقتصار مهمته فی المحتوی العام علی أنه رسول:

اشارة

فلیس له من أمر مضمون الرسالة شیء، بل هو مبلغ له، کما أمر قال القرطبی ":إنه لقول رسول عن اللّه، کریم علی اللّه «"۲».

أ فیحل لقائل أن یقول:

یمکن أن یجتهد البشر فی قول اللّه عزّ و جل، و قد منع منه جبریل علیه السلام؟!.

۷) تمرسه علی الرسالة التی تماثل هذا النوع:

إذ یظهر من وصفه بقوله:

رَسُولٍ هذا التمرس علی الرسالة، و ذلک بدلا من أن یقول لقول ملک کریم، و یتأکد هذا بأنه هو الذی کان ینزل علی الأنبیاء، کما قال ورقة بن نوفل ":هذا (۱) التحریر و التنویر ۳۰/ ۱۵۶، مرجع سابق.

(۲) تفسیر القرطبی ۱۹/ ۲۴۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۴

الناموس الذی أنزل علی موسی «"۱»، و کما قال سبحانه و تعالی فَأَرْسَلْنا إِلَیْها رُوحَنا "مریم/ ۱۷، "و لا خلاف أنه جبریل علیه السلام هنا، و لذا جاء فی تفسیر التحریر و التنویر عند الکلام علی سورة النجم ":و تخصیص جبریل علیه السلام بهذا الوصف یشعر بأنه الملک الذی ینزل بفیوضات الحکمة علی الرسل و الأنبیاء، و لذلک لما ناول الملک رسول اللّه لیلة الإسراء کأس لبن و کأس خمر، فاختار اللبن قال له جبریل علیه السلام: (أخذت الفطرة و لو أخذت الخمر غوت أمتک «")۲».

فإن اعترض معترض بالقول: قد وصف بهذا الوصف النبی صلی اللّه علیه و سلم فی سورة الحاقة و بالصیغة ذاتها، و لمّا یکن متمرسا علی الرسالة- بعد-، فلا یستقیم هذا الاستنباط.

فالجواب: لا نسلم أنه لم يكن متمرسا، إذ ما غشيه من تهيئة لتبليغ الرسالة، قائم مقام ذلك، و سيأتى من هذه التهيئة ما يجلى ذا المعنى «۳».

و يقال تنزلا: هناك فرق بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم من حيث قيام القرينة الحالية فى كل على هذا التمرس أو عدمه.

و من أجل هذا التمرس يعهد لجبريل عليه السلام بالمهمات الجليلة، و منها- بعد الوحى- نقل النبى صلى اللّه عليه و سلم فى عالم السماء ليلة الإسراء: فعن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال: (فرج عن سقف بيتى و أنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة و إيمانا، فأفرغه فى صدرى، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى، فعرج بى إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل (۱) صحيح البخارى ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۲) التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۵، مرجع سابق، و الحديث المذكور أخرجه الشيخان: البخارى ۶/ ۳۰۸، مرجع سابق، و مسلم ۱/ ۱۲۵، مرجع سابق.

(۳) انظر: الفصل الثانى- المبحث الأول.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۵

عليه السلام لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل عليه السلام قال: هل معك أحد؟ قال: نعم! معى محمد صلى اللّه عليه و سلم فقال: أرسل إليه؟. قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا ...) الحديث «۱».

۸) حكيم عليم:

كما قال سبحانه و تعالى: وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "النمل/ ۶؛ "إذ الأكثر على أنها فى نعت جبريل عليه السلام فالمعلم الملقى لا يلقى شيئا إلا بعلمه، و ليس دوره دورا آليا فى النقل، بل يعلمه من حيث الجملة و التفصيل، و يعلمه من حيث الأداء، و أصل اللفظ، كما يتسم بالحكمة التى بها يضع الأمور فى مواضعها، و من ذاك وقت تعليم الألفاظ و مكانه.

فهذه صفات جبريل الخلقية و الخلقية التى تمنحه القدرة الأمينة الدقيقة على تعليم ألفاظ القرآن فى وقتها الذى أمر اللّه سبحانه و تعالى به بأمانة و دقة و حسن تأت.

فإن اعترض معترض على الاستطراد فى ذكر صفات الرسول الذى حمله و ليس يرجع ذا إلى لب البحث؛ فالجواب: فى ذلك من الحكم:

الثناء على الرسول الملقى للقرآن، و المبلّغ له إلى الأرض أولا، و فيه تنويه بالقرآن، و تأكيد لصدقه و عظمته من حيث عظمة من قام بتبليغه ثانيا، و فيه تأكيد على الصفات التى جعلت هذا الرسول المتحمل أهلا لأدائه لفظا و أداء ثالثا، و فيه تحديد لحجم الاجتهاد البشرى فيه من حيث حجم اجتهاد الملك فيه رابعا، و بيان لأصلية التوقيف فى لفظه و فرعيته من حيث مؤهلات هذا الرسول المعنوية، و إمكاناته الحسية على نقل القرآن، و متابعة بدقة؛ إذ منعه من إدخال اجتهاده مع عظيم مكانته من اللّه سبحانه و تعالى، منع لغيره من ضعفة المخلوقين من باب أولى، و هذا خامسا.

و لذا كان قسم اللّه سبحانه و تعالى فى سورة التكوير بقوله فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) الْجَوارِ الْكُنَّسِ " ...التكوير/ ۱۵ " ...لبيان صدق الوحى القرآنى، و تمت هذه الغاية صدقا (۱) صحيح البخارى ۱/ ۳۰۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۶

و عدلا بالثناء على طرفى الاتصال، و النقل القرآنى بين السماء و الأرض إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۱۹) ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ" ...

التكوير ۱۹، " ...فإجراء أوصاف الثناء على الرسول للتنويه به أيضا، و للكناية على أن ما نزل به صدق؛ لأن كمال القائل يدل على صدق القول «۱»، و انظر كيف زاد فى ذكر صفات جبريل عليه السلام إذ هو خبر عما عنده سبحانه و هو غيب عنهم، فكثرة صفاته أدعى لطمأنتهم، ثم أخبرهم عمن عندهم بما يوفونه فلا يحتاج إلى مزيد كلام ... و مما جاء فى حواشى الكشاف تعليقا على تأويل آيات التكوير ":إنما ذكر جبريل عليه السلام: بتلك الصفات و اقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى اللّه عليه و سلم لأن جبريل عليه السلام مجهول «"۲» أى عند البشر. (۱) التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۷۵، مرجع سابق.

(۲) محمد عليان المزروقى الشافعى: حاشية على الكشاف ۴/ ۶۹۱، دار المعرفة- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۷

المبحث الثالث: أمين الوحى فى السماء لأهل السماء:

فى هذا المبحث تتضح المكانة الخاصة لجبريل عليه السلام من ربه سبحانه و تعالى، بعد أن اتضحت المكانة العامة له من خلال المبحث السابق، إذ هو أمين الوحى الإلهى مطلقا، و أول ذلك أنه أمين الوحى فى السماء لأهل السماء، و تلك من أسباب جدارته الفائقة لأمانة الوحى النازل لأهل الأرض.

فعن النواس بن سمعان رضى اللّه عنه قال: سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول: (إن اللّه إذا أراد أن يأمر بأمر تكلم به، فإذا تكلم به أخذت السماء رجفة، أو قال رعدة شديدة فإذا سمع بذلك أهل السماء، صعقوا فيخرون سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه اللّه من وحيه بما أراد فيمر به جبريل عليه السلام على الملائكة، فكلما مر بسماء سألته ملائكتها: ما ذا قال ربنا؟ قال جبريل عليه السلام: قال ربكم الحق و هو العلى الكبير. فيقولون كلهم كما قال جبريل عليه السلام فينتهى جبريل عليه السلام بالوحى حيث أمر من سماء و أرض) «۱».

فجبريل عليه السلام هو أمين الوحى الإلهى سواء كان هذا الوحى أرضيا، و موضوع (تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم) يشكل أنموذجه، أو سماويا كما فى حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه عن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (إذا أحب اللّه العبد نادى جبريل: إن اللّه يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادى جبريل (۱) (الطبرانى) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الدنيا، ت ۳۶۰ ه: مسند الشاميين ۱۹۸۴ م- ۱۴۰۵ ه، مؤسسة الرسالة، بيروت، مراجعة: حمدى بن عبد المجيد السلفى، و أصل هذا الحديث عند ابن حبان ۱/ ۲۲۴، مرجع سابق، بلفظ: (إذا تكلم اللّه بالوحى سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل، فزع عن قلوبهم- قال- فيقولون: يا جبريل! ما ذا قال ربك؟ فيقول: الحق. فيقولون: الحق الحق).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۸

فى أهل السماء: إن اللّه يحب فلانا، فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض) «۱»، و قال صلى اللّه عليه و سلم: (إن العبد ليلتمس مرضاة اللّه، و لا يزال بذلك فيقول اللّه عزّ و جل لجبريل: إن فلانا عبدى يلتمس أن يرضينى، ألا و إن رحمتى عليه، فيقول جبريل: رحمة اللّه على فلان، و يقولها حملة العرش، و يقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع، ثم تهبط له إلى الأرض) «۲».

و قد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه: (إذا تكلم اللّه بالوحى يسمع أهل السماوات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان فيفزعون و يرون أنه من أمر الساعة و قرأ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ... الآية) «۳»، و قد وقع فى بعض روايات حديث النواس ابن سمعان السابق ما نصه: (أخذت أهل السماوات منه رعدة خوفا من اللّه و خروا سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه اللّه بما أراد، فيمضى به على الملائكة، من سماء إلى سماء)، و فى حديث ابن عباس رضى اللّه عنه عند ابن خزيمة و ابن مردويه:

(کمر السلسلة علی الصفوان، فلا ینزل علی أهل السماء إلا صعقوا، فإذا فزع عن قلوبهم إلی آخر الآیة، ثم یقول: یکون العام کذا، فیسمعه الجن ...)، و عند ابن مردویه من طریق بهز بن حکیم عن أبیه عن جده رضی اللّه عنه: (ما نزل جبریل بالوحی، فزع أهل السماء لانحطاطه، و سمعوا صوت الوحی، کأشد ما یکون من صوت الحدید علی الصفا فیقولون: یا جبریل بما أمرت ...) «۴» الحدیث. (۱) صحیح البخاری ۳/ ۱۱۷۵، مرجع سابق.

(۲) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۲۷۹، مرجع سابق.

(۳) فتح الباری ۸/ ۷۲۱، مرجع سابق، و قال ":و أصله عند أبی داود و غیره، و علقه المصنف موقوفا.

(۴) انظر هذه الروایات و غیرها: فی فتح الباری ۸/ ۷۲۱، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۹

و قد لا یکون الوحی أمرا إلیها لأحد من المخلوقین، بل هو حدیث بین الجبار جل جلاله و بین جبریل علیه السلام، فعن أبی هریرة رضی اللّه عنه أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: (لما خلق اللّه الجنة، قال لجبریل: اذهب، فانظر إلیها. فذهب، فنظر إلیها، ثم جاء، فقال: أی رب، و عزتک، لا یسمع بها أحد إلا دخلها، ثم حفها بالمکاره، ثم قال: یا جبریل اذهب، فانظر إلیها. فذهب، فنظر إلیها، ثم جاء، فقال: أی رب، و عزتک لقد خشیت أن لا یدخلها أحد.- قال- فلما خلق اللّه النار، قال: یا جبریل اذهب، فانظر إلیها. فذهب، فنظر إلیها، ثم جاء. فقال: أی رب، و عزتک لا یسمع بها أحد فید خلها، فحفها بالشهوات، ثم قال: یا جبریل اذهب، فانظر إلیها. فذهب، فنظر إلیها، ثم جاء، فقال: أی رب و عزتک، لقد خشیت أن لا یبقی أحد إلا دخلها) «۱».

و قد أرید من التفصیل السالف أن تبیّن مکانة جبریل علیه السلام من الملک جل و عز، و یربط بین ذلک و بین قوله تعالی عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵، "فیستبین جلالة تعلیم لفظ القرآن، و أنه لیس مجرد لفظ یرمی من فم لفم، بل لو ادعی مدع أن تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم للفظ القرآن من جبریل علیه السلام اعتراه من التوقیف، و منع الاجتهاد أکثر مما اعتری معناه لما بعد عن إصابة سهم فکره لعین الحقیقة، و ذلک واضح من حیث أن عتاب اللّه عزّ و جل لنبیه فی القرآن الکریم إنما هو لصواب فی أمر غیر ما ذهب إلیه فی فهم معنی معین، بخلاف اللفظ، فلیس له فیه إلا ما لقّنه، و قد حاول الاجتهاد فی هیئة التلقی فمنع من ذلک «۲».

و ما سبق من أدلة توصلنا إلی نتیجة علی قدر جلیل من الأهمیة هی: أن جبریل علیه السلام هو الوسیط بین اللّه سبحانه و تعالی و أنبیائه، و هو المبحث التالی: (۱) صحیح ابن حبان ۱۶/ ۴۰۶، مرجع سابق، و المستدرک ۱/ ۷۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: حدیث المعاجلة: الفصل الثالث- المبحث السادس.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۰

المبحث الرابع: اختیار جبریل علیه السلام لیکون الوسیط بین اللّه عزّ و جل و رسله:

اشارة

و یتفرع هذا المبحث إلی ثلاث جهات:

جهة من حیث عموم الرسالات السماویة، و جهة من حیث خصوص رسالة النبی صلی اللّه علیه و سلم، وجهة من حیث خصوص الخصوص و هو کون جبریل علیه السلام، هو مقرئ النبی صلی اللّه علیه و سلم و تلک الجهات تشکل ثلاثة مطالب للمبحث:

المطلب الأول: من حیث عموم الرسالات السماویة.

المطلب الثانی: من حیث خصوص رسالة النبی صلی اللّه علیه و سلم.

المطلب الثالث: من حیث خصوص الخصوص و هو الإقراء.

المطلب الأول: من حيث عموم الرسالات السماوية:

اشارة

و من أدلتها غير ما تقدم قول اللّه سبحانه و تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ "النساء/ ۱۶۳، "و من ذلك حديث عائشة رضى اللّه عنه فى بدء الوحى: فقال له ورقة: (هذا الناموس الذى نزل اللّه على موسى) «۱».

فقد قال البخارى فى معناه ":الناموس صاحب السر الذى يطلعه بما يستره عن غيره «"۲»، و قال ابن الأثير ":فى حديث المبعث «۳»: (إنه ليأتيه النّاموس الأكبر) الناموس صاحب سرّ الملك، و هو خاصّه الذى يطلعه على ما يطويه من غيره من سرائره ... و أراد (۱) صحيح البخارى ۱/ ۴ مرجع سابق.

(۲) صحيح البخارى ۳/ ۱۲۴۱، مرجع سابق.

(۳) يعنى الحديث الذى رواه البخارى عن عائشة عن أول بعثته و فيه: قال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذى نزل اللّه على موسى ...

به جبريل عليه السلام، لأن اللّه تعالى خصّه بالوحى و الغيب اللذّين لا يطّلع عليهما غيره «"۱»، و قال شارح الطحاوية فى قوله عزّ و جل نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ "النجم/ ۱۹۴ "هو جبرائيل عليه السلام، سمى روحا لأنه حامل الوحى الذى به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات اللّه عليهم أجمعين» «۲».

و أهمية هذه النتيجة فى هذه الدراسة:

كامنة فى: أن انفراد ملك واحد من عالم الغيب ليكون الوسيط بين اللّه سبحانه و تعالى و بين نبيه صلى اللّه عليه و سلم فى نقل كلام اللّه عزّ و جل يزيل كل وسوسة يقذفها الشيطان فى نفس الإنسان، تشكك فى أنه يحتمل أن أحد الشياطين المتصورة فى صورة معينة قد ألقى كلاما على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، وعده رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وحيا، و هو ما يدفع عاملا خطيرا و منطقيا من عوامل التشكيك فى نقل كلام اللّه سبحانه و تعالى، و قد أدرك الإمام السيوطى أهمية هذا المسألة، فألف رسالة بعنوان "لبس اليلب فى الجواب عن إيراد أهل حلب، "قال ":لما وصل كتاب الأعلام إلى حلب- وقف عليه واقف فرأى فيه قولى أن جبريل عليه السلام هو السفير بين اللّه سبحانه و تعالى و بين أنبيائه، لا يعرف ذلك لغيره، فكتب على الهامش، بل قد عرف ذلك لغيره من الملائكة، فأجاب فأجبت ... الخ «"۳».

المطلب الثانى: من حيث خصوص رسالة النبى صلى اللّه عليه و سلم:

اشارة

يكفى دليلا فى التصريح بأن جبريل عليه السلام هو الوسيط بين اللّه تعالى و بين نبيه صلى اللّه عليه و سلم قوله عزّ و جل قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ "البقرة/ ۹۷، "و قوله سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ (۱) النهاية فى غريب الأثر ۵/ ۱۱۹، مرجع سابق.

(۲) شرح العقيدة الطحاوية ۳۱۵، مرجع سابق.

(۳) (حاجى خليفة) مصطفى بن عبد اللّه القسطنطينى الرومى الحنفى ت ۱۰۶۷ ه: كشف الظنون عن أسامى الكتب و الفنون ۲/ ۱۵۴۷، ۱۹۹۲ م- ۱۴۱۳ ه، دار الكتب العلمية- بيروت-.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۲

الْقُوی النجم/ ۵، "فإن ادعی أن إطلاقها قدی خصّ بنزول جبریل علیه السلام بنوع من الوحی دون غیره، اکتفی بالقول ردا علی ذلک: ذاک عارض یفتقر الدلیل، فإن وجد، و إلا فهو علیل، فلا یرتضی بمجرد التخمین، و من احتج بالعموم للملائکة بقول النبی صلی اللّه علیه و سلم (و أحیانا یتمثل لی الملک ...) «۱» الحدیث، ی جاب علیه: بأن أداة التعریف فیه للعهد لا للاستغراق، بقرینة التصریح بجبریل علیه السلام فی روایة ابن سعد «۲». و قد کان جبریل علیه السلام معلم الدین أصولا و فروعا؛ فعن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (هذا جبریل علیه السلام یعلمکم دینکم) ثم ذکر مواقیت الصلاة «۳»، و نحوه حدیث جبریل علیه السلام، المشهور عن عمر ابن الخطاب عند البخاری و مسلم «۴»، و مثله عن أبی هریرة رضی اللّه عنه عند مسلم «۵».

و مما یدل علی قرب جبریل علیه السلام، و متابعته، و کونه الواسطة التعلیمیة للنبی صلی اللّه علیه و سلم:

ما جاء عن أنس رضی اللّه عنه قال: بلغ عبد اللّه بن سلام مقدم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم المدینة، فأتاه، فقال: إنی سائلک عن ثلاث لا یعلمهن إلا نبی: ما أول أشراط الساعة؟، و ما أول طعام یأکله أهل الجنة؟، و من أی شیء ینزع الولد إلی أبیه؟، و من أی شیء ینزع إلی أخواله؟. فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (خبرنی بهن آنفا جبریل علیه السلام) فقال عبد اللّه: ذاک عدو الیهود من الملائکة ... الحدیث «۶». (۱) انظر: تخریجه فی الفصل الثانی- المبحث الثالث.

(۲) طبقات ابن سعد ۱/ ۱۹۷، مرجع سابق، و انظر فتح الباری ۱۲/ ۴۴۲، مرجع سابق.

(۳) (البیهقی) أبو بکر أحمد بن الحسین بن علی بن موسی (۳۸۴ ه- ت ۴۵۸ ه): سنن البیهقی الکبری، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، ۱۹۹۴ م- ۱۴۱۴ ه، مکتبة دار الباز- مکة المکرمة.

(۴) رواه البخاری ۱/ ۱۵، مرجع سابق، و مسلم ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۵) رواه مسلم ۱/ ۴۹، مرجع سابق.

(۶) صحیح البخاری ۳/ ۱۲۱۱، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۳

کما أن جبریل علیه السلام هو واسطة النبی صلی اللّه علیه و سلم التعلیمیة الوحیدة إلی عالم الغیب:

اشارة

فلا یتعرف علی العالم الغیبی إلا بواسطة جبریل علیه السلام.

و من ذلک أن جبریل علیه السلام واسطته التعلیمیة إلی أهم عالمین غیبین یوازیان عالم البشر:

عالم الملائکة، و عالم الجن:

فأما عالم الملائکة:

فعن عائشة رضی اللّه عنه زوج النبی صلی اللّه علیه و سلم أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال فی حدیث ذهابه إلی ثقیف: (فلم أستفق

إلا و أنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسى، فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى، فنظرت، فإذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى، فقال: إن اللّه قد سمع قول قومك لك، و ما ردوا عليك، و قد بعث اللّه إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فنادانى ملك الجبال، فسلم على، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت. إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم: بل أرجو أن يخرج اللّه من أصلابهم من يعبد اللّه وحده لا يشرك به شيئا) «۱».

و من ذلك تعرفه على ملائكة السماء و خزنتها فى حادثة الإسراء فقد كانت واسطته هى جبريل عليه السلام.

و أما عالم الجن:

فعن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه قال: إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ليلة الجن و هو مع جبريل عليه السلام، و أنا معه، فجعل النبى صلى اللّه عليه و سلم يقرأ، و جعل العفريت يدنو، و يزداد قربا، فقال جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم: (أ لا أعلمك كلمات تقولهن فيكب العفريت لوجهه، و تطفىء شعلته؟ قل أعوذ بوجه اللّه الكريم، و كلماته التامات التى لا يجاوزهن بر، و لا فاجر من شر ما ينزل من السماء، و ما يعرج فيها، و من شر ما ذرأ فى الأرض، و ما يخرج منها، و من فتن الليل و النهار، و من شر طوارق الليل و النهار، إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن. فكب العفريت لوجهه و انطفأت شعلته) «۲». (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۸۰، مرجع سابق.

(۲) (النسائى) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت ۳۰۳ ه: السنن الكبرى ۶/ ۲۳۷ مراجعة: د. عبد الغفار سليمان البندارى و سيد كسروى حسن، ۱۴۱۱ ۵-/ ۱۹۹۱ م دار الكتب العلمية- بيروت، و قد جاء فى رواية: (علمنيهن جبريل و زعم أن عفريتا يكيدنى).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۴

و لهذا التفريع فائدة منهجية

بديعة فيما نحن بصدد جمع شتاته، من حيث واقع وجود عالمين معروفين غير مرئيين من عوالم الغيب هما: عالم الملائكة، و عالم الجن، تتمثل فى حمايته من أن يتطرق إليه الشك عند ما يبلغه غير جبريل عليه السلام من الملائكة الوحى، فيلقى الشيطان أنه ليس ملكا، و حمايته من الشياطين أن يفكروا بالتلبيس عليه «۱».

كما هو أيضا واسطته إلى غيب خارج ذلك:

فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أتانى جبريل عليه السلام فأخذ بيدى فأرانى باب الجنة الذى تدخل منه أمتى) «۲».

و بناء على أن جبريل هو الوسيط بين اللّه و رسله: فهل كانت هيئات الوحى إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم كما كانت إلى الأنبياء السابقين على ما يظهر من قوله تعالى: إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ "النساء/ ۱۶۳؟ "و الجواب: لا! فلا ريب فى اشتراكهم فى أصل الوحى، أما ما بعد ذلك فليس عندنا ما يشير إلى الهيئات التفصيلية لوحى الأنبياء السابقين حتى تتم المقارنة، و لا دليل فى الآية على ترجيح أحد الأمرين إذ لو كانت تشبيها، فإن التشبيه لا يقتضى أن يكون المشبّه مساويا للمشبّه به، و إن كانت إخبارا فهل المراد التفصيل أو القبيل؛ و لا دليل ثم على أحدهما، و ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، و على ضوء هذا التقرير يفهم قول ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى شرح هذه الآية ":و لما كان فى الآية أن الوحى إليه نظير الوحى إلى الأنبياء قبله ناسب

تقدیم ما یتعلق بها، و هو صفة الوحی، و صفة حامله إشارة إلی أن الوحی إلی الأنبیاء لا تباین فیه «"۳». (۱) و نقل القاضی عیاض الإجماع علی عصمته صلی اللّه علیه و سلم فی الشفاء ۲/ ۱۴۱، و لکن ذلک إجماع یفتقر إلی المستند، فلیکن ذا فی طریق ذاک المستند.

(۲) المستدرک ۳/ ۷۷، مرجع سابق.

(۳) فتح الباری ۱/ ۵، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۵

و إنما أورد هذا الکلام هاهنا لئلا یفترض أن القرآن نزل کما نزلت التوراة وحیا مکتوبا، لم تحتج إلی تلقین استدلالا بهذه الآیة، فیجاب بما سبق، و یضاف إلیه أن لیس ثم تفصیل عن الهیئة التی تم بها إیحاء التوراة بدقة إلا قوله عزّ و جل: وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِیلًا لِکُلِّ شَیْءٍ "الأعراف/ ۱۴۵ "و هی لا تنفی التلقین صراحة، علی أنها تبین المقدار الکبیر فی التغایر بین إیحاء التوراة و القرآن من حیث أن التوراة کتبت لموسی علیه السلام کتابة و لم تتلقن تلقینا، و القرآن سمی قرآنا علما علیه أشهر من اسم کتاب مع کونه الاسم الثانی له فی الشهرة، دلالة علی اجتماع القراءة و الکتابة فی الحفاظ علی القرآن الکریم، لکن التلقین یسبق الکتابة عند ذکر أسالیب تعلم القرآن الکریم کما یسبق اسم (القرآن) اسم (الکتاب)، و هو الجاری عند المسلمین فی مشارق الأرض و مغاربها.

و جماع القول أن جبریل علیه السلام قد بلغ أخص مبلغ فی مکانته عند اللّه سبحانه و تعالی من بین الملائکة، و لذا أسند إلیه تعلیم النبی صلی اللّه علیه و سلم لفظ القرآن، فصار کل ما سبق خادما لنقل القرآن الکریم.

المطلب الثالث: من حیث خصوص الخصوص:

اشارة

أی من حیث کون جبریل علیه السلام.

هو المقرئ الوحید للنبی صلی اللّه علیه و سلم من الملائکة، فإن أبا حیان یعرّف جبریل علیه السلام فیقول ":جبریل اسم ملک علم له، و هو الذی نزل بالقرآن علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و هو اسم أعجمی ممنوع من الصرف للعلمیة و العجمة «"۱».

و جبریل علیه السلام هو المقرئ له صراحة:

فعن ابن عباس رضی اللّه عنه حدثه أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قلل:، (أقرأنی جبریل علی حرف، فراجعته، فلم أزل أستزیده و یزیدنی حتی انتهی إلی سبعة أحرف) «۲». (۱) البحر المحیط ۱/ ۳۱۶، مرجع سابق.

(۲) صحیح البخاری ۴/ ۱۹۰۹، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۶

و لأنه الملقی للنبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ لقرآن الکریم:

اشارة

فقد باتت مسألة التلقى منه مصدر مرجعى بدهى فى أواسط الأمة: يرجع إلى طرقها عند الاختلاف، و يحتج بثبوت النقل عنها عند التعليم، فعن الأعمش قال: سمعت الحجاج بن يوسف يقول و هو يخطب على المنبر: ألفوا القرآن كما ألفه جبريل عليه السلام السورة التى تذكر فيها البقرة، و السورة التى تذكر فيها النساء، و السورة التى يذكر فيها آل عمران، قال: فلقيت إبراهيم «۱»، فأخبرته بقوله، فسبه، ثم قال: حدثنى عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع عبد اللّه بن مسعود، فأتى جمرة العقبة، فاستبطن الوادى، فاستعرضها، فرماها من بطن الوادى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إن الناس يرمونها من فوقها، فقال: هذا- و الذى لا إله غيره- مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة «۲».

و (التأليف) فى قول الحجاج:

هل هو الترتيب كما هو أصل معنى الكلمة، أم أنه تسمية السور كما يظهر من السياق؟ و على كل فإن كان هذا فى محله، أو فى تسمية سوره، فكيف فى وضعه و هيئات نطقه؟ و الشاهد واضح من الإسناد إلى جبريل عليه السلام.

فإن اعترض معترض بآيتى خاتمة البقرة؛ إذ أنزلهما ملك غير جبريل عليه السلام؟ فعن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى صلى اللّه عليه و سلم سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال:

(هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، و قال: أبشر بنورين أوتيتهما، لم يؤتهما نبى قبلك، فاتحة الكتاب، و خواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) «۳».

فالجواب: إما أن يكون أنزلهما بعد نزولهما، أى تكرر النزول للاهتمام أو الأمر آخر، و إما أن النزول كان للفضل لا للإنزال ذاته، و يدل لهذا أنه لا مراء فى نزول الفاتحة قبل (۱) يعنى: إبراهيم النخعى.

(۲) رواه مسلم ۲/ ۹۴۲، مرجع سابق.

(۳) السنن الكبرى للنسائى ۵/ ۱۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۷

ذلك فى مكة، و واضح أن الحادثة فى المدينة إذ قد صرح متتبعوا النزول بأن نزول البقرة كان فى المدينة «۱».

و وجه ثالث هو أن الواسطة بين الملك و الرسول صلى اللّه عليه و سلم

كان جبريل عليه السلام فيرجع الوحى هنا إليه، كحادثة الإسراء، و هذا الوجه يتعدى هذه الحادثة إلى كل حادثة جاء فيها ملك آخر مع جبريل عليه السلام كحديث طوفانه صلى اللّه عليه و سلم فى ليلة على بعض المعذبين من أمته «۲».

عداوة جبريل عليه السلام مقياس مطلق لعداوة اللّه- تعالى ذكره-:

و لما سبق كان التشديد، و الإفزاع الأكيد للعقل و العاطفة من مجرد التفكير فى الكلام على جبريل عليه السلام، أو عدائه؛ إذ صار مقياسا مطلقا لعداوة اللّه و رسوله و ملائكته، و لذا كان قوله عزّ و جل مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ "البقرة/ ۹۸ "عقب قوله سبحانه و تعالى مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ "البقرة/ ۹۷، "فعداوتهم للّه عزّ و جل بمنزلة المقدمة الكبرى؛ لأنها العلة فى المعنى عند التأمل، و عداوتهم لرسوله جبريل عليه السلام بمنزلة المقدمة الصغرى لأنها السبب الجزئى المثبت «۳».

و قوله تعالى مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ لا يظهر فيها أن قوله نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ جواب الشرط، لما تقرر فى علم العربية أن اسم الشرط لا بد أن يكون فى الجواب ضمير يعود عليه، و قوله نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ ليس فيه ضمير يعود على من، و قد صرح بأنه جزاء للشرط الزمخشرى و هو خطأ لما ذكرناه من عدم عود الضمير، و لمعنى فعل التنزيل، فلا يصح أن تكون الجملة جزاء، و إنما جزاء محذوف لدلالة ما بعده عليه، (۱) انظر: الإتقان ۱/ ۲۰، مرجع سابق، إتقان البرهان فى علوم القرآن ۱/ ۳۷۸، مرجع سابق.

(۲) رواه البخارى ۶/ ۳۱۲۲، مرجع سابق، و نحو ما رواه البخارى فى صحيحه ۳/ ۱۱۸۲ عن سمرة قال: قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: (رأيت الليلة رجلين أتيانى ... قالا: الذى يوقد النار مالك خازن النار، و أنا جبريل و هذا ميكائيل). و ظاهر أن المعرّف هو جبريل عليه السلام.

(۳) انظر: التحرير و التنوير ۱/ ۶۲۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۸

و التقدير: فعداوته لا وجه لها، أو ما أشبه «۱»، كذا قال أبو حيان- رحمه اللّه تعالى- و لو كان التقدير: فهو عدو للّه أو فهو كافر بالوحى ... لكان أظهر، و أولى، و أنسب لقوله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ فأشار بأن إنزال اللّه جبريل عليه السلام بالقرآن قامع لكل من تسول له نفسه عداوة جبريل عليه السلام. و قد صرح أبو حيان بتقديرين قريبين من هذا- بعد-، و هو إنما أورد أولا عين ما قاله الزمخشرى فى التقدير «۲»، و قال الآلوسى: فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ ":جواب الشرط إما نيابة، أو حقيقة، و المعنى من عاداه منكم فقد خلع ربقة الإنصاف، أو كفر بما معه من الكتاب بمعاداته إياه لنزوله عليك بالوحى «"۳». و موضع الاستشهاد من هذا الإيراد ربط جبريل عليه السلام بإنزال القرآن الكريم «۴»، و قد ذكر عبارة عَلى قَلْبِكَ، و هو ينصرف انصرافا أوليا للقرآن الكريم، و جعل هذا كله خادما للاطمئنان على نقل القرآن، و إيصال كلام اللّه إلى الأرض، و هو زاجر بالإشارة، و بصريح العبارة عن الطعن فيه بعد ذلك أيضا.

إنه جبريل عليه السلام ... إنه القرآن الكريم ... إنه رسول اللّه الأمين صلى اللّه عليه و سلم ... فأين أنت يا حافظ الذكر المبين؟ ...:

أيها الشادى بقرآن كريم!* و هو فى ركن من البيت مقيم

قم! و أبلغ نوره للعالمين قم! و أسمعه البرايا أجمعين

من له من ثروة الهادى نصيب فهو من جبريل فى الدنيا قريب

(۱) انظر: البحر المحيط ۱/ ۳۱۹، مرجع سابق.

(۲) الكشاف ۱/ ۸۴، مرجع سابق، و كذا فعل الشوكانى فى فتح القدير ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق.

(۳) روح المعانى ۱/ ۲۲۰، مرجع سابق.

(۴) إذ إن الضمير المنصوب فى فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عائد للقرآن: إما لأنه تقدم فى قوله وَ إِذا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِما أَنْزَلَ اللَّهُ "البقرة/ ۹۱، "و إما لأن الفعل لا يصلح إلا له هنا على حد ... حَتَّى تَوارَتْ بِالْحِجابِ "ص/ ۳۲ "فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ "الواقعة/ ۸۳، "انظر: التحرير و التنوير ۱/ ۶۲۱، مرجع سابق، و إليه ذهب الكشاف ۱/ ۸۴، مرجع سابق، و قال ":إضماره فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، و يكتفى عن اسمه الصريح بذكر شىء من صفاته." ...

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۴۹

الفصل الثانى اتصال جبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم لتلقينه الوحى القرآنى و فيه ثلاثة مباحث

اشارة

يبحث هذا الفصل عن هيئة اتصال جبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم، و مدى ذلك الاتصال زمانا و مكانا، و وقت

امتناعه، و كيفية مجيء جبريل عليه السلام بالوحى القرآنى من حيث عموم المجيء، لا من حيث تفصيل هيئة المجيء، و اقتضى ذلك أن ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تهيئة النبى صلى اللّه عليه و سلم للوحى القرآنى و الاتصال بالملك.

المبحث الثانى: إمكانية الاتصال المطلق.

المبحث الثالث: هيئات مجيء الملك بالوحى القرآنى (من حيث العموم).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۰

المبحث الأول: تهيئة النبى صلى اللّه عليه و سلم للوحى، و الاتصال بالملك:

اشارة

اقتضت بشرية الرسول، و ملكية الملك أن يهيأ النبى صلى اللّه عليه و سلم لإمكانية لقاء الرسول الملك فى أى وقت، على أى حال من حيث اختلاف الطبيعة فى كل منهما، و قصور قدرة البشر طبيعة عن إدراك الملك أو غيره من العوالم الغيبية، كما أن من أهم أهداف هذه التهيئة إعداد النبى صلى اللّه عليه و سلم ليستوعب كلام اللّه سبحانه و تعالى، و يصير فى مقام حمله و تبليغه، و ليكون جهده لوحده فى ذلك مساويا لجهد الأمة فى حفظ كلام اللّه عزّ و جل بحفظ اللّه سبحانه و تعالى له، كما سيأتى فى حادثة شق الصدر الأولى، و تفرعت هذه التهيئة إلى فرعين هما مطلبا هذا المبحث، و هما:

المطلب الأول: التهيئة الإلهية للوحى.

المطلب الثانى: التهيئة البشرية للوحى.

المطلب الأول: التهيئة الإلهية للوحى:

اشارة

تمثلت فيه هذه التهيئة فى ستة مظاهر، و أولها:

الممهدات التى قيضها اللّه لنبيه صلى اللّه عليه و سلم: و ممن صرح بأن ثمت ممهدات للوحى ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- حيث قال: و بدئ بذلك ليكون تمهيدا، و توطئة لليقظة ثم مهد له فى اليقظة أيضا برؤية الضوء، و سماع الصوت، و سلام الحجر «۱»، و من أهم مظاهر هذه التهيئة:

۱- حادثة شق الصدر:

اشارة

و قد وقعت مرتين: أما المرة الأولى: فعن أنس رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أتاه جبريل عليه السلام و هو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق قلبه فاستخرج منه (۱) فتح البارى ۱/ ۲۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۱

علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه، و أعاده فى مكانه، و جاء الغلمان يسعون إلى

أمه- يعنى ظئره- فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه و هو ممتقع اللون، قال أنس: و قد كنت أرى أثر ذلك المخيط فى صدره «۱»، و فى لفظ [قلبه فاستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج ...].

و أما المرة الثانية عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى اللّه عنه قال: قال النبى صلى اللّه عليه و سلم: (بينا أنا عند البيت بين النائم و اليقظان، و ذكر يعنى رجلا- بين الرجلين، فأتيت بطست من ذهب ملىء حكمة و إيمانا، فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة و إيمانا، و أتيت بدابة أبيض دون البغل، و فوق الحمار يقال له: البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ...) «۲» الحديث.

و فى معنى الحكمة يقول النووى- رحمه اللّه تعالى "-:العلم المشتمل على المعرفة باللّه، مع نفاذ البصيرة، و تهذيب النفس، و تحقيق الحق للعمل به، و الكف عن ضده، و الحكيم من حاز ذلك «"۳».

و عقب عليه ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- قائلا ":و قد تطلق الحكمة على القرآن، و هو مشتمل على ذلك كله، و على النبوة كذلك، و قد تطلق على العلم فقط، و على المعرفة فقط «"۴»، و يدل على صحة وجهة ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى دلالة الحكمة على القرآن قوله صلى اللّه عليه و سلم: (لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه اللّه القرآن ...، و فى لفظ: رجل آتاه اللّه الحكمة، فهو يقضى بها و يعلمها) «۵». (۱) صحيح مسلم ۱/ ۱۴۷، مرجع سابق.

(۲) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۷۳، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۱/ ۴۶۱، مرجع سابق.

(۴) فتح البارى ۱/ ۴۶۱، مرجع سابق.

(۵) البخارى ۶/ ۳۲۱۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۲

فقد وقعت حادثة الشق مرتين، لتحقيق غرضين مختلفين:

فالمرة الأولى: كان هدفها نزع حظ الشيطان:

و بين ذلك أبو حاتم بن حبان- رحمه اللّه تعالى- بقوله ":شق صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم و هو صبى يلعب مع الصبيان، و أخرج منه العلقة، و لما أراد اللّه عزّ و جل الإسراء به أمر جبريل عليه السلام بشق صدره ثانيا، و أخرج قلبه فغسله، ثم أعاده مكانه مرتين فى موضعين، و هما غير متضادين «"۱».

و فى الديباج على صحيح مسلم ":فإن قيل: إنما وقع شق الصدر و هو صغير؟

فالجواب كما قال السهيلى: إنه وقع مرتين، الثانية عند الإسراء تجديدا للتطهير «"۲».

قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:قوله ففرج صدرى هو بفتح الفاء و الجيم أيضا أى شقه، و رجح عياض- رحمه اللّه تعالى- أن شق الصدر كان و هو صغير عند مرضعته حليمة، و تعقبه السهيلى بأن ذلك وقع مرتين و هو الصواب، و محصله إن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التى قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، و الشق الثانى: كان لاستعداده للتلقى الحاصل له فى تلك الليلة «"۳».

و الظاهر أن الشق الأول تعدت أهدافه ما ذكر ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- إلى استعداده صلى اللّه عليه و سلم للقاء الملك، و إيداع قلبه كلام اللّه، و النفى المبكر لحظ الشيطان من قلبه حتى لا يشوش وجوده على تحقيق هذه الأهداف، و يدل على أن هذا التقرير هو التحقيق فى المسألة بقية حديث الشق الأول ففيه: مسألة الوزن، فعن أبى ذر الغفارى رضى اللّه عنه قال: قلت يا رسول اللّه! كيف علمت أنك نبى حين استنبت؟ فقال: (يا أبا ذر! أتانى ملكان و أنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض، و كان الآخرين بين

السماء و الأرض، فقال أحدهما (۱) صحيح ابن حبان ۱۴/ ۲۴۲، مرجع سابق.

(۲) الديباج على صحيح مسلم ۱/ ۲۰۶، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى شرح صحيح البخارى، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۳

لصاحبه: أ هو هو؟ قال: نعم! قال: فزنه برجل، فوزنت به فوزنته، ثم قال: فزنه بعشرة فوزنت بهم، فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنت بهم، فرجحتهم كأنى انظر إليهم ينتثرون على من خفة الميزان، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لو وزنته بأمّه لرجحها) «۱».

و هذا يدل على أن جهده صلى اللّه عليه و سلم فى تلقى الوحى القرآنى و حفظه، ينبغى أن يساوى جهد الأمة فى ذلك، و قد ساواه و زاد بحمد اللّه سبحانه و تعالى.

أما المرة الثانية: فمن أهدافها:

استعداده للتلقى الحاصل فى تلك الليلة من حيث عظم ما أخذ إليه صلى اللّه عليه و سلم من الصعود إلى السموات، و رؤية الآيات الكبرى فى سرعة لا تخطر على قلب بشر، و ذاك أمر بحاجة إلى تهيئة لا تكفى فيها التهيئة الأولى.

و قد ورد ما يدل على أن شق الصدر وقع أكثر من مرة، فقد قال صلى اللّه عليه و سلم: (فأردت أن أرجع، فإذا أنا به و بميكائيل، قد سدا الأفق فهبط جبريل عليه السلام فبقى ميكائيل بين السماء و الأرض فأخذنى جبريل عليه السلام فسلقنى بحلاوة القفا، ثم شق عن قلبى، فاستخرجه، ثم استخرج منه ما شاء اللّه أن يستخرج، ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه، ثم أكفأنى كما يكفأ الأديم أو الآنية، ثم ختم فى ظهرى حتى وجدت مس الخاتم فى قلبى، ثم قال: اقرأ! قلت: ما قرأت كتابا قط. فلم أدر ما اقرأ! ثم قال: اقرأ. فقلت ما أقرأ؟ فقال اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (۱) خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ (۳) ... حتّى انتهينا إلى خمس آيات منها، فما نسيت شيئا بعد، ثم وزننى برجل، (۱) (الدارمى) أبو محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن ت ۲۵۵ ه: سنن الدارمى ۱/ ۲۱، تحقيق: أحمد فواز زمرلى، خالد السبع العلمى، ۱۴۰۷ ه، دار الكتاب العربى- بيروت. و قد جاء التصريح بأن الوزن جاء عقب الشق الأول فى عدد من الروايات منها ما أخرجه ابن سعد ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۴

فوزنته ثم وزننى بآخر فوزنته، حتى وزنت بمائة رجل، فقال: ميكائيل من فوقه: أمة و رب الكعبة، ثم أقبلت فجعلت لا يلقانى حجر، و لا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول اللّه! حتى دخلت على خديجة فقالت: السلام عليك، يا رسول اللّه!) «۱».

قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:و مناسبته ظاهرة «"۲». و لم يتكلم على إسناده فيكون حسنا أو صحيحا عنده على ما شرطه فى المقدمة «۳».

و المقتضى الفعلى لهذا الإعداد للقلب قد ترتب عليه أمور جليلة، بعد أن كانت هذه التهيئة له، لعل أهمها: نزول القرآن على قلبه، و قدرته على استيعابه و تحمله، و من صورها المحسوسة أن قلبه لا ينام و إن كانت عينه تنام.

۲- ثم بدأ يتعدى القوى البشرية القاصرة:

فكان يرى ما لا يستطيع البشر رؤيته، و يسمع ما لا يستطيعون سماعة، و أخبر صلى اللّه عليه و سلم عن ذلك فقال: (إنى أرى ما لا ترون، و أسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، و حق لها أن تئط، ما فيها موضع إصبع إلا ملك ساجد ...)

الحديث «۴». (۱) (الهيثمى) الحافظ نور الدين: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ۲۳، للحارث بن أبى أسامة، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكرى، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، مركز خدمة السنة و السيرة النبوية- المدينة المنورة.

(۲) قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- ۱/ ۴۶۴، مرجع سابق ":و قد روى الطيالسى و الحارث فى مسنديهما من حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحى فى غار حراء، و اللّه أعلم. و روى الشق أيضا و هو ابن عشر، أو نحوها فى قصة له مع عبد المطلب أخرجها أبو نعيم فى الدلائل، و روى مرة أخرى خامسة و لا تثبت."

(۳) (ابن حجر) أحمد بن على حجر العسقلانى: هدى السارى مقدمة فتح البارى ص ۵، حقق أصولها: عبد العزيز بن باز رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها محمد فؤاد عبد الباقى ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۸۹ م، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان.

(۴) مسند أحمد ۵/ ۱۷۳، مرجع سابق، المستدرك ۲/ ۵۵۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۵

و من ذلك: أنه يمكن أن يرى بعض العوالم الغيبية فى حدود ما أتاح اللّه سبحانه و تعالى له كالملائكة و الجن، فأما الملائكة فظاهر من هذا الحديث، و من الحديث عن جبريل عليه السلام، و أما الجن فنحو حديث كلامه و رؤيته لجن نصيبين «۱»، و قبضه على الشيطان الذى مر بين يديه «۲».

و أما السماع فكسمعه صلى اللّه عليه و سلم للمعذبين فى القبر، كما قال: (لو لا أن تدافنوا لدعوت اللّه أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع) «۳»، و هذا الحديث دال على أنه أوتى قوى أخرى كالصبر على تحمل سماع عذاب القبر، و ذلك كله فى حدود معينة، لا أنه قد خرج عن طبيعته البشرية خروجا كليا، و من أهم ثمار ذلك مما له تعلق بموضوع البحث:

ترسيخ اليقين فى نفسه بوحى ربه عزّ و جل بصفة خاصة، و تأكده بأن الذى يأتيه ملك لا شيطان.

و ابتدأ ظهور إحساسه ماديا بالعوالم الغيبية، و بدايات تمييزها لكن دون يقين قبيل الوحى إليه تمهيدا لنزول الوحى عليه، و لأنه لم يأته الوحى صراحة فقد خاف من هذه الظواهر على نفسه: فقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لخديجة: (يا خديجة إنى أرى ضوءا، و أسمع (۱) وردت روايات فى جن نصيبين منها: عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه كان يحمل مع النبى صلى اللّه عليه و سلم، إداوة لوضوئه، و حاجته، فبينما هو يتبعه بها، قال: (من هذا)، فقال: أنا أبو هريرة. فقال: (أبغنى أحجارا أستنفض بها، و لا تأتنى بعظم و لا بروثة)، فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى، حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم و الروثة؟ قال: (هما من طعام الجن، و إنه قد أتانى وفد جن نصيبين- و نعم الجن- فسألونى الزاد، فدعوت اللّه لهم ألا يمروا بعظم و لا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما) أخرجه البخارى ۳/ ۱۴۰۱، مرجع سابق، و انظر:

قصة أخرى فى جن نصيبين: المستدرك للحاكم ۱/ ۷۵۱، مرجع سابق.

(۲) البخارى ۲/ ۹۰۰، مرجع سابق.

(۳) المستدرك على الصحيحين ۱/ ۹۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۶

صوتا، لقد خشيت أن أكون كاهنا فقالت: إن اللّه لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد اللّه، إنك تصدق ...) الحديث «۱»، و عن ابن عباس رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (يا خديجة! إنى أسمع صوتا، و أرى ضوءا و إنى أخشى أن يكون فى جنن) «۲».

۳- و كان جبريل عليه السلام يأتيه فى المنام:

كنوع من التدريج فى اعتياد الطبيعة البشرية لرسول اللّه عليه، ففى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- فى بدء الوحى قالت: أول ما بدئ به رسول اللّه الرؤيا «۳» ... قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى ("-:ما) فى الحديث نكرة موصوفة، أى أول شىء، و وقع

صريحا فى حديث ابن عباس رضى اللّه عنه عند ابن عائذ، و وقع فى مراسيل عبد اللّه بن أبى بكر بن حزم عند الدولابى ما يدل على أن الذى كان يراه صلى اللّه عليه و سلم هو جبريل، و لفظه: أنه قال لخديجة بعد أن أقرأه جبريل عليه السلام اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ: (أرأيتك الذى كنت أحدثك أنى رأيته فى المنام، فإنه جبريل عليه السلام استعلن «"۴».

۴- الرؤيا الصادقة:

فقد جاء فى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- عند البخارى: (أول ما بدئ به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من الوحى الرؤيا الصالحة ... و فى لفظ له:

الرؤيا الصادقة) ... و قد ذكر فى الحديث تفسيرها حيث قالت عائشة: (فكان لا يرى رؤيا إلا وقعت مثل فلق الصبح) «۵»، فالرؤيا الصادقة ":هى التى ليس فيها ضغث، قال ابن المرابط: هى التى ليست ضغثا، و لا من تلبيس الشيطان، و لا فيها ضرب مثل (۱) الطبقات الكبرى ۱۹۴/ ۱، مرجع سابق.

(۲) الطبقات الكبرى ۱۹۴/ ۱، مرجع سابق.

(۳) البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۴) فتح البارى ۱/ ۱۴، مرجع سابق.

(۵) البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۷

مشكل «۱»، أى فى أول المبتدءات من إيجاد الوحى الرؤيا «۲» ... و إنما شبهها بفلق الصبح دون غيره- كما قال ابن أبى جمرة- لأن شمس النبوة كانت الرؤيا مبادى أنوارها، فما زال ذلك النور يتسع حتى أشرقت الشمس «۳».

و عن علقمة بن قيس صاحب ابن مسعود رضى اللّه عنه: (إن أول ما يؤتى به الأنبياء فى المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثم ينزل الوحى فى اليقظة) «۴».

و أكثر ما سبق من الممهدات فى المنام، و ذاك فى ذاته تمهيد لليقظة.

۵- الآيات التى كانت تظهر له:

مثل تسليم الحجر؛ كما ثبت عن جابر ابن سمرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم (إنى لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث إنى لأعرفه الآن) «۵».

و أول ذلك مطلقا ما سمعه من بحيرى الراهب، ثم ما سمعه عند بناء الكعبة حيث قيل له اشدد عليك إزارك و هو فى صحيح البخارى من حديث جابر رضى اللّه عنه «۶». (۱) قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- تعقبيا ":و تعقب الأخير بأنه إن أراد بالمشكل ما لا يوقف على تأويله، فمسلم و إلا فلا."

(۲) و العلاقة بين الرؤيا الصالحة و الصادقة أنهما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة فى حق الأنبياء، و أما بالنسبة إلى أمور الدنيا، فالصالحة فى الأصل أخص، فرؤيا النبى كلها صادقة، و قد تكون صالحة، و هى الأكثر، و غير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع فى الرؤيا يوم أحد، و أما رؤيا غير الأنبياء: فبينهما عموم و خصوص، إن فسرنا الصادقة بأنها التى لا تحتاج إلى تعبير، و أما إن فسرناها بأنها غير الأضغاث، فالصالحة أخص مطلقا، و قيل: الرؤيا الصادقة ما يقع بعينه، أو ما يعبر فى المنام، أو يخبر به ما لا يكذب، و الصالحة ما يسر.

(۳) فتح البارى ۸/ ۷۱۷، مرجع سابق.

(۴) قال فى فتح البارى ۸/ ۷۱۹، مرجع سابق ":رواه أبو نعيم فى الدلائل بإسناد حسن."

(۵) صحيح مسلم ۴/ ۱۷۸۲، مرجع سابق.

(۶) فتح البارى ۳/ ۴۴۳، مرجع سابق، و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى حديث بحيرى الراهب ":و هو عند الترمذى عن أبى موسى بإسناد قوى."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۸

۶- التحنث:

فقد جاء فى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: (ثم حبب إليه الخلاء فكان يتحنث فى غار حراء ...) «۱».

فقولها (حبب): لم يسم فاعله؛ لعدم تحقق الباعث على ذلك، و إن كان كل من عند اللّه، أو لينبه على أنه لم يكن من باعث البشر، أو يكون ذلك من وحى الإلهام.

و الخلاء بالمد الخلوة، و السر فيه أن الخلوة فراغ القلب لما يتوجه له «۲». و قد فسر فى الحديث معنى التحنث من بعض رواته، فقال: (و هو التعبد الليالى ذوات العدد).

و قد قيل فى تأويل التحنث أنه من الحنفية إذ تبدل الثاء من الفاء كثيرا، أو من إلقاء الحنث و هو الإثم «۳».

و حتى لا يتهم النبى صلى اللّه عليه و سلم بالاتصال بالشياطين، أو بالفيض الفلسفى الذاتى من خلال الاستيحاش بالناس، و الاستئناس بالخلوة؛ إذ ذاك مظنة لهما- فإن من أبرز الحقائق التى صاحبت خلوته صلى اللّه عليه و سلم أنه لم يكن مبتدعها فى قريش، بل كانت تلك عادة متأصلة فيهم، فإن الزمن الذى كان يخلو فيه كان شهر رمضان «۴»، و كانت قريش تفعله، كما كانت تصوم عاشوراء، و هم لم ينازعوا النبى صلى اللّه عليه و سلم فى غار حراء، مع مزيد الفضل فيه على غيره؛ لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش، و كان يعظمونه لجلالته، و كبر سنه، فتبعه على ذلك من كان يتأله، فكان صلى اللّه عليه و سلم يخلو بمكان جده، و سلم له ذلك أعمامه لكرامته عليهم «۵».

و هل كان النبى صلى اللّه عليه و سلم متوقعا للوحى بعد ظهور هذه العلامات كما يدل له كلام البلقينى، أم لا لشاهد فزعه، و لقول عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: فجئه الحق، و أيده النووى (۱) البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۲) انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱/ ۱۳، مرجع سابق.

(۳) انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱/ ۱۳، مرجع سابق.

(۴) رواه ابن إسحاق كما قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى فتح البارى ۱۲/ ۳۶۱، مرجع سابق.

(۵) انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱/ ۱۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۵۹

...؟ قال ابن حجر: الظاهر أن الأولى: ترك الجزم بأحد الأمرين «۱»، و لكن قوله تعالى:

وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ "القصص/ ۸۶ "ظاهر فى نفى أن يكون النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يتوقع شيئا من الوحى.

المطلب الثانى: التهيئة البشرية للوحى:

اشارة

فكما أن اللّه عزّ و جل أمر جبريل عليه السلام و من أعانه من الملائكة بتهيئة النبى صلى اللّه عليه و سلم تهيئة إلهية مما هو خارج عن نطاق القدرة البشرية، فقد كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يهيئ نفسه و محيطه تهيئة يلهمها اللّه عزّ و جل له بطريق من طرق الوحى لكيما يتلقى الوحى الذى يأتيه متتابعا قرآنا كان أو غيره و هذه التهيئة نوعان:

أ- التهيئة الذاتية: و يشير إليها ملمحان:

أولهما: معالجته الشدة فى تلقى القرآن كما سيأتى فى حديث المعالجة «۲»؛ و ما تلك المعالجة إلا لما أراد النبى صلى اللّه عليه و سلم أن يبذله من طاقة مستطاعة لحفظ القرآن الكريم، بعد أن أخبر بثقله فى قوله سبحانه و تعالى إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "المزمل/ ۵،" فكأن هذه الآية كانت داعية تهيئته لتلقى لفظ القرآن الكريم.

و ثانيهما: اجتنابه صلى اللّه عليه و سلم للثوم و نحوها، مما تتأذى منه الملائكة، و عند ما يخاف أن تظن أمته حرمتها يبين لهم العلة، و جاء بعض الصحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بمرقة بقر فيها ثوم، فوجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ريح الثوم فقال: (أخرجها) قال: لم يا رسول اللّه؟! أ حرام؟ فقال: (لا، و لكن جبريل عليه السلام يناجينى) «۳». (۱) انظر: فتح البارى ۱۲/ ۳۵۶، مرجع سابق.

(۲) انظر: الفصل الثالث- المبحث السادس من هذه الدراسة.

(۳) (الطبرانى) أبو القاسم مسند الدنيا سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الكبير ۲/ ۴۵۶، مراجعة: حمدى عبد الحميد السلفى، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۳ م، مكتبة العلوم و الحكم، الموصل، أصله فى صحيح مسلم ۳/ ۲۰۰، مرجع سابق، دون ذكر جبريل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۰

و علل الشافعى- رحمه اللّه تعالى- ذلك بقوله ... ":امتنع من أكل الضب؛ لأنه عافه، لا لأنه حرمه، و قد امتنع من أكل البقول ذوات الريح لأن جبريل عليه السلام يكلمه «"۱».

ب- التهيئة البيئية: لمحيطه الذى يتلقى فيه الوحى:

و أنموذجه ما فى حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أتانى جبريل عليه السلام فقال أتيتك البارحة، فلم يمنعنى أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تماثيل، و كان فى البيت قرام ستر فيه تماثيل، و كان فى البيت كلب، فمر برأس التمثال الذى على باب البيت يقطع، فيصير كهيئة الشجرة، و مر بالستر فليقطع، فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن، و مر بالكلب فليخرج، ففعل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و فى رواية: إما أن تقطع رءوسها، أو تجعل بسطا توطأ) «۲».

و عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: وعد النبى صلى اللّه عليه و سلم جبريل عليه السلام فقال: (إنا لا ندخل بيتا، فيه صورة، و لا كلب) «۳».

و هكذا كانت التهيئة الإلهية و التهيئة البشرية لاتصال أمين الوحى فى السماء عليه السلام، بأمين الوحى فى الأرض صلى اللّه عليه و سلم ... و تمضى هالات التعليم النورانية بين أشرف الخلق فى السماء عليه السلام، و أشرف الخلق فى الأرض و السماء صلى اللّه عليه و سلم، لتعلّم و تعليم خير الكلام فى الأرض و السماء:

محمد فى فؤاد الغار مرتجف ... فى كفه الدهر و التاريخ و الصحف مزمل فى رداء الطهر، قد صعدت ... أنفاسه فى ربوع الكون تأتلف جبريل يروى لنا الآيات فى حلل ... من القداسات و الأفلاك قد دلفوا من السموات تهمى كل غادية ... على ديار بنوها بالهدى شغفوا (۱) تأويل مختلف الحديث ۳۱۰، مرجع سابق.

(۲) (الترمذى) أبو عيسى محمد بن عيسى السلمى ۲۷۹ ه: الجامع الصحيح سنن الترمذى ۳/ ۳۸۱، مراجعة: أحمد محمد شاكر و آخرون، دار إحياء التراث العربى، و قال الترمذى ":حسن صحيح "و قال الشيخ الألبانى ":صحيح."

(۳) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۷۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۱

المبحث الثانى: إمكانية الاتصال المطلق بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم:

اشارة

يدرس هذا المبحث مسألة الإطلاق فى اتصال جبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم، زمانا و مكانا، فلا يحول دون لقائه به حائل، و ذلك حتى تطمئن قلوب المؤمنين بدقة تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ إن إمكانية الاتصال المطلق من أهم سمات اتصال جبريل عليه السلام به، و لقائه له، و من سمات هذا الإطلاق:

۱- الالتقاء الخفى، و الكلام الخفى:

فلا- ضير فى وجود بشر من حوله، أو عدم وجودهم لخفاء اتصاله، حيث كان مجىء جبريل عليه السلام دون أن يشعر به الناس، و حديثه مع النبى صلى اللّه عليه و سلم أمامهم، و لا يسمعونه، ليدل بذلك على إمكانية الاتصال به فى أى وقت دون عائق تثيره بشرية الرسول صلى اللّه عليه و سلم أو غيره؛ إذ الاتصال به أمر خارج عن نطاق البشر، و كان هذا من أسباب التهيئة الإلهية للنبى صلى اللّه عليه و سلم كما تقدم «۱»، و مما يدل على ذلك ما فى حديث ابن عباس رضى اللّه عنه قال: كنت مع أبى عند النبى صلى اللّه عليه و سلم و عنده رجل يناجيه، و فى لفظ: و هو كالمعرض عن العباس رضى اللّه عنه فخرجنا من عنده، فقال: أ لم تر إلى ابن عمك كالمعرض عنى؟، فقلت: إنه كان عنده رجل يناجيه، و فى لفظ: فقال: أو كان عنده أحد؟ قلت: نعم! قال: فرجع إليه، فقال: يا رسول اللّه! هل كان عندك أحد؟؛ فإن عبد اللّه أخبرنى أن عندك رجلا تناجيه. قال: (هل رأيته يا عبد اللّه؟) قال: نعم! قال: (ذاك جبريل، و هو الذى شغلنى عنك) «۲»، و كما فى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال لها: (يا (۱) انظر: المبحث السابق من هذا الفصل- المطلب الأول.

(۲) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱/ ۲۹۳، مرجع سابق، و إنما لا يرى جبريل عليه السلام لأنه الروح، و الروح: قال فى النهاية:

"و منه الحديث الملائكة الرّوحانيّون، يروى بضم الراء و فتحها، كانه نسبة إلى الرّوح، أو الرّوح و هو نسيم الرّيح، و الألف و النون من زيادات النّسب، و يريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركها البصر، و منه: حديث ضماد ":إنى أعالج من هذه الأرواح: الأرواح هاهنا كناية عن الجنّ، سمّوا أرواحا لكونهم لا يرون فهم بمنزلة الأرواح."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۲

عائشة! هذا جبريل يقرأ عليك السلام) فقالت: و عليه السلام و رحمة اللّه و بركاته ترى ما لا أرى تريد النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱».

۲- و يناديه و يكلمه دون أن يشعر أحد من حواليه غالبا سماعا، كما هو رؤية:

فعن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: لما كانت ليلتى التى كان النبى صلى اللّه عليه و سلم فيها عندى انقلب، فوضع رداءه، و خلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، و بسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويدا، و انتعل رويدا، و فتح الباب، فخرج، ثم أجافه رويدا، فجعلت درعى فى رأسى، و اختمرت، و تقنعت إزارى، ثم انطلقت على إثره حتى جاء

البقيع، فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف، فانحرفت، فأسرع، فأسرعت ... قلل: (فإن جبريل أتانى حين رأيت، فنادانى، فأخفاه منك، فأجبته، فأخفيته منك، و لم يكن يدخل عليك و قد وضعت ثيابك، و ظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك، و خشيت أن تستوحشى، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع، فتستغفر لهم ...) الحديث «۲».

و غاية ما كانت تصل إليه قدراتهم، أن يظنوا وجود جبريل عليه السلام معه، أو يعتادوا على بعض علامات محسوسة تدل عليه فقط، مع كثرة معاشرتهم لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و ممارستهم لخبره عن مجيء الوحى له: فعن أنس ابن مالك رضى اللّه عنه قال: خرج علينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذات يوم و هو غضبان، و نحن نرى أن معه جبريل عليه السلام حتى صعد المنبر- إلى أن قال أنس- ثم التفت نحو الحائط فقال: (لم أر كاليوم فى الخير و الشر، أريت الجنة و النار وراء هذا الحائط) «۳». (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۷۷، مرجع سابق.

(۲) صحيح مسلم ۲/ ۶۶۹، مرجع سابق.

(۳) (الموصلى) أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى التميمى (۲۱۰- ت ۳۰۷ ه): مسند أبى يعلى ۴/ ۶۵، مراجعة: حسين سليم أسد، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م، دار المأمون للتراث- دمشق، و قال حسين أسد ":إسناده على شرط مسلم."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۳

و قد عبر أنس رضى اللّه عنه عن الظن بالفعل (نرى) «۱».

و كما رواه أبو سعيد الخدرى رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم جلس ذات يوم على المنبر، و جلسنا حوله فقال: (إنى مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا و زينتها) فقال رجل: يا رسول اللّه! أو يأتى الخير بالشر؟ فسكت النبى صلى اللّه عليه و سلم فقيل له: ما شأنك تكلم النبى صلى اللّه عليه و سلم و لا يكلمك، فرأينا أنه ينزل عليه. قال: فمسح عنه الرحضاء فقال: (أين السائل)، و كأنه حمده، فقال: (إنه لا يأتى الخير بالشر ...) الحديث «۲».

و مما يدل على رؤيتهم أو اعتيادهم لبعض العلامات الحسية المصاحبة لمجيء الملك: علامات الكرب المصاحبة للوحى كما سيأتى- إن شاء اللّه تعالى- «۳».

و من هذه العلامات ما جاء عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل، فجاء جبريل عليه السلام فقال: أو قد وضعتم السلاح؟، ما وضعنا أسلحتنا بعد. انهد إلى بنى قريظة، فقالت عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: كأنى أنظر إلى جبريل عليه السلام من خلل الباب قد عصب رأسه من الغبار «۴»، و عن أنس ابن مالك رضى اللّه عنه قال: كأنى أنظر إلى غبار ساطع فى سكة بنى غنم موكب جبريل «۵».

فالأذن المعتادة لا تسمع جبريل عليه السلام، و العين المعتادة لا تراه، و ذلك لأنه يصل إلى مركز الإبصار، و مركز السمع مباشرة ... و لهذا قال صلى اللّه عليه و سلم: (هذا جبريل جاء (۱) و هو يدل على الظن حيث كانت القرينة، كما قال تعالى: إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً" المعارج/ ۶، "و هم إنما يظنون ظنا بدليل قوله تعالى: وَ إِذا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ السَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيها قُلْتُمْ ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَ ما نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ "الجاثية/ ۳۲."

(۲) صحيح البخارى ۲/ ۵۳۲، مرجع سابق، و هو يدل على مجيء الوحى غير القرآنى شديدا.

(۳) انظر: الفصل الثالث- المبحث الخامس.

(۴) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱۳۱/ ۶، مرجع سابق.

(۵) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۷۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۴

يعلمكم دينكم) فلما أراد جبريل عليه السلام أن يعلمهم كان لا بدّ من أن يتمثل لهم بشرا تدرك عيونهم صورته، و تدرك أسماعهم

صوته.

و لا يستطيع البشر أن يروا الملك إلا إذا تمثل لهم بشرا، فقرر النووى (فى حديث أم سلمة- رضى اللّه تعالى عنها- حيث رأت جبريل على صورة دحية): أن "فيه جواز رؤية البشر غير الأنبياء للملائكة، و وقوع ذلك، و يرونهم على صورة الآدميين؛ لأنهم لا يقوون على رؤيتهم على صورهم «"۱»، و يشير إلى ذلك قوله تعالى وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلًا "الأنعام/ ۹، "و أوضح دليل على ذلك: كلام الملائكة مع مريم بنت عمران- عليها السلام- حيث تمثل لها الملك بشرا سويا.

۳- الإطلاق من حيث النداء و الوقت:

فعن أنس رضى اللّه عنه: احفظوا هذا فإنه من كنز الحديث، قال: غزا النبى صلى اللّه عليه و سلم فسار ذلك اليوم إلى الليل، فلما كان الليل نزل و عسكر الناس حوله و نام هو، و أبو طلحة زوج أم أنس، و فلان، و فلان، أربعة، فتوسد النبى صلى اللّه عليه و سلم يد راحلته، ثم نام، و نام الأربعة إلى جنبه، فلما ذهب عتمة من الليل، رفعوا رءوسهم فلم يجدوا النبى صلى اللّه عليه و سلم عند راحلته، فذهبوا يلتمسون النبى صلى اللّه عليه و سلم حتى يلقوه مقبلا، فقالوا: جعلنا اللّه فداك، أين كنت؟ فإنا فزعنا لك؛ إذ لم نرك. فقال نبى اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (كنت نائما حيث رأيتم، فسمعت فى نومى دويا كدوى الرحى، أو هزيزا كهزيز الرحى، ففزعت فى منامى، فوثبت، فمضيت فاستقبلنى جبريل فقال: يا محمد! إن اللّه عز و جل بعثنى إليك الساعة لأخيرك، فاختر إما أن يدخل نصف أمتك الجنة، و إما الشفاعة يوم القيامة ...) الحديث «۲». (۱) فتح البارى ۴/ ۲۳۵، مرجع سابق.

(۲) المعجم الأوسط ۲/ ۲۳۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۵

و لنداء جبريل للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم علامات لا يحس بها الآخرون غالبا، فإن أحسوا بها كان إحساسا غير متميز: فعن أبى ذر رضى اللّه عنه قال: كنت مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فلما أبصر يعنى أحدا قال:

(ما أحب أنه يحول لى ذهبا يمكث عندى منه دينار فوق ثلاث إلا دينارا أرصده لدين- ثم قال-:

إن الأكثرين هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا و هكذا- و أشار أبو شهاب بين يديه و عن يمينه و عن شماله- و قليل ما هم) و قال: (مكانك) و تقدم غير بعيد، فسمعت صوتا، فأردت أن آتيه، ثم ذكرت قوله مكانك حتى آتيك، فلما جاء، قلت: يا رسول اللّه! الذى سمعت- أو قال-: الصوت الذى سمعت، قال: (و هل سمعت؟) قلت: نعم قال: (أتانى جبريل فقال: من مات من أمتك لا يشرك باللّه شيئا دخل الجنة. قلت: و إن فعل كذا و كذا؟ قال:

نعم) «۱».

۴- الإطلاق من حيث المكان:

اشارة

و كان يجيئه حيث كان عند اقتضاء المجيء، و وجود الأمر الإلهى بالنزول: فعن عبد الرحمن بن عوف رضى اللّه عنه قال: دخلت المسجد فرأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خارجا من المسجد، فاتبعته أمشى وراءه، و لا يشعر حتى دخل نخلا، فاستقبل القبلة، فسجد فأطال السجود، و أنا وراءه حتى ظننت أن اللّه عزّ و جل قد توفاه فأقبلت أمشى حتى جئته فطأسأت رأسى أنظر فى وجهه، فرفع رأسه، فقال: (مالك يا عبد الرحمن؟) فقلت له: لما أطلت السجود يا رسول اللّه! خشيت أن يكون اللّه عز و جل قد توفى نفسك، فجئت أنظر، فقال: (إنى لما دخلت النخل لقيت جبريل عليه السّلام فقال: إنى أبشرك أن اللّه عز و جل يقول: من سلم عليك سلمت

عليه، و من صلى عليك صليت عليه) «۲». (۱) صحيح البخارى ۲/ ۸۴۱، مرجع سابق.

(۲) سنن البيهقى الكبرى ۹/ ۲۸۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۶

بل يأتيه إلى أخص أماكنه: فعن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لما رجع يوم الخندق، و وضع السلاح، و اغتسل فأتاه جبريل عليه السّلام و قد عصب رأسه الغبار، فقال: (وضعت السلاح؟ فو اللّه ما وضعته) فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: فأين؟ قال: هاهنا، و أومأ إلى بنى قريظة) قالت: فخرج إليهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم «۱». و ما سبق من أدلة تدل على هذا الإطلاق فى المكان، فى معسكره، و سفره، قاعدا أو قائما أو مضطجعا أو مقاتلا ...

و بعد:

فلا إشكال و لا لبس فى حدوث عملية الوحى بين عالم الملائكة متمثلا بجبريل عليه السّلام و بين عالم البشر متمثلا بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم حتى تتلقف من قبل بعض الألسنة بالغمز أو اللمز ... تلك كانت شنشنة المستكبرين من قبل إذ قالوا أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي "ص/ ۸ ... "فلقد رأينا فى عصرنا صورا من الوحى الخفى الذى يقع بين الناس بعد أن يتوافر فيه شرطان: وسيلة الإرسال المناسبة، و وسيلة الاستقبال الخاصة ... فترى شخصا فى قرية أو مجتمع يتلقى المعلومات من شخص آخر بعيد، يملك جهاز الإرسال المناسب، فيسمعه بأدق ما يكون السماع ... و من لا يملك جهاز الاستقبال بجواره لا يسمع شيئا ... بل يتعدى الأمر من السماع إلى الرؤية، فبواسطة الهاتف المرئى تستطيع أن تسمع بجهازك كما تستطيع أن ترى لكلام و صورة تبعد عنك آلاف الأميال، و تحادثها ... فالشرط هو وجود جهاز الإرسال و الاستقبال ... فإذا كان هذا صنع الإنسان، و هو ما يزال يعد بالمزيد مستقبلا ... فإن الذهن يتقبل بتلقائية شديدة أن يكون خالق الإنسان قد زود المصطفين من رسله من الملائكة و من الناس بما يمكنهم من الاتصال المباشر ... و قد تقدمت مظاهر الإعداد الإلهى لجبريل عليه السّلام فى الفصل الأول ليكون أمين وحى اللّه عزّ و جل، كما سبقت آنفا مظاهر من التهيئة الإلهية (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۰۳۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۷

الخاصة للنبى الكريم صلّى اللّه عليه و سلّم فهى لمحات تبين أن الاتصال بين المستويين الفيزيائيين لعالمى الملائكة و البشر أيسر- حتى- من الاتصال بين البشر و البشر.

و لذا فإن الاتصال المباشر بين مستويين من عالم الوجود الملائكى و البشرى دون واسطة آلات لا شك يتطلب قدرة خاصة ليتم التلقى، و قدرة أخرى عند الاثنين (جبريل عليه السّلام و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم) ليتم الوحى ... و لذلك كنا نرى الآثار الشديدة للاتصال بينهما تظهر على الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم و هو يتلقى الوحى بعد أن هيأه اللّه لذلك الاتصال ... كما سيرد فى المبحث الخامس من الفصل الثالث- إن شاء اللّه تعالى-.

المانع من قرب جبريل عليه السّلام:

و يأتى جبريل عليه السّلام النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حيث هو زمانا و مكانا إلا أن يوجد مانع، كأن تكون امرأته صلّى اللّه عليه و سلّم خلعت ثيابها، أو وجد فى البيت ما يمنع الملك من الدخول «۱»، و تقدم ما يدل على ذلك، و لا يعنى أنه لا يكلمه إن وجد المانع، بل يكلمه، و لكن من مكان بعيد عن مكان المانع فعن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: (فإن جبريل أتانى حين رأيت، فنادانى فأخفاه منك، فأجبته فأخفيته منك، و لم يكن يدخل عليك، و قد وضعت ثيابك ...) الحديث «۲».

(۱) انظر: المطلب الأول- المبحث الأول- من هذا الفصل.

(۲) صحيح مسلم ۲/ ۶۶۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۸

المبحث الثالث: هيئات مجيء الملك بالوحى القرآنى (من حيث عموم الوحى):

اشارة

تعددت الوسائط التى يأتى بها الوحى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم هما المذكورتان فى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن الحارث بن هشام رضى اللّه عنه سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا رسول اللّه! كيف يأتيك الوحى. فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: (أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس، و هو أشده على، فيفصم عنى، و قد وعيت عنه ما قال و أحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى، فأعى ما يقول) قالت عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: و لقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه و إن جبينه ليتفصد عرقا «۱»، و فى لفظ له: (كل ذاك: يأتى الملك أحيانا فى مثل صلصلة الجرس ...).

قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:فقوله (كيف يأتيك الوحى) يحتمل أن يكون المسئول عنه صفة الوحى نفسه، و يحتمل أن يكون صفة حامله، أو ما هو أعم من ذلك، و قوله: (كل ذلك يأتى الملك): أى كل ذلك حالتان «"۲».

و هل مجيء الوحى منحصر فى الحالتين؟ ظاهر الحديث يشير إلى ذلك، خاصة مع قوله: (يأتينى على نحوين) فى رواية ابن سعد «۳»، و قوله (كل ذاك يأتى الملك)، و فيه فائدة جليلة من حيث مجيء الوحى فى صورة معلومة محسوسة لا يمكنه الشك فيها، بخلاف ما لو كان إلهاما مثلا، و ليس المراد هنا نفى الإلهام عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، بل هو ثابت، لكن لا لتبليغ الوحى المأمور بتبليغه؛ إذ هذا يرجع إلى هاتين الصورتين لذا الدليل، و من قال بالعكس فضمان الدليل عليه. (۱) صحيح البخارى ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۱/ ۲۲، مرجع سابق.

(۳) الطبقات الكبرى ۱/ ۱۹۷، مرجع سابق، و قال عنها ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:مرسل مع ثقة رجاله."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۶۹

و المقتضى المنهجى لذلك:

غرس الاطمئنان على دقة نقل الوحى القرآنى من حيث مجيئه فى صورة محسوسة، فلا لبس فيها أولا، و لا يتطرق القادح إليها بسبب الخفاء ثانيا، بخلاف الإلهام فى كل ذلك حيث يمكن ادعاء ذلك فيه لخفائه.

و قد أورد على هذا الحصر أنه قد ثبت مجيء الوحى فى غير هاتين الصورتين، و قد ذكر ذلك ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- و أجاب عليه «۱»، و الجواب الجامع أن يقال: ما ذكر من هيئات أخرى للوحى فى ذاته، أو فى حامله لا تخلو من أحد أمرين:

أن تكون عامة فى الأنبياء و غيرهم، كالإلهام، و الرؤيا الصادقة، فليس حولها كلام، و ليس السؤال واقعا عنها «۲».

أو أنها ترجع إلى أحد الصورتين كالنفث فى الروع، و دوى النحل، فهو كصلصلة الجرس، أو تكليمه صلّى اللّه عليه و سلّم لربه تعالى فى المعراج فذاك كان بواسطة نقل جبريل عليه السّلام له إلى السماء ابتداء، و قد قرر الحافظ ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- ذلك- بعد- حيث قال:

"و قد ذكر الحليمى أن الوحى كان يأتيه على ستة و أربعين نوعا، فذكرها، و غالبها من صفات حامل الوحى، و مجموعها يدخل فيما ذكر «"۳».

و المراد من هذا الاستطراد تثبیت مجیء الملک بصورة محسوسة حال الوحی بصورة عامة لیغدو مسلما فی الذهن: أن الوحی کان یأتیه صلّی اللّه علیه و سلّم بطریق محسوس، فلا یطرأ علیه احتمال التخییل «۴» ... و أما الوحی القرآنی فقد کانت الاحتیاطات فیه أشد من حیث إنزاله علی القلب «۵». (۱) انظر: فتح الباری ۱۲/ ۴۳۶، مرجع سابق.

(۲) لکن قد قال البعض بالفرق بین رؤیا الأنبیاء و غیرهم، فرؤیا الأنبیاء وحی لا یدخله خلل. انظر: فتح الباری ۱۲/ ۴۳۹، مرجع سابق، و علی کل فالوحی القرآنی قد کان أکثر احتیاطا من أن یکون رؤیا منام، کما یلاحظ فی عرض هذا الفصل و فیما یلیه.

(۳) فتح الباری ۱/ ۲۴، مرجع سابق.

(۴) انظر: الفصل الخامس- المبحث الأول من هذه الدراسة.

(۵) انظر: الفصل الثالث- المبحث الثانی- المطلب الثانی من هذه الدراسة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۰

و لیس الداعی ملحا للاسترسال فی ذکر أنواع الوحی الشرعیة، و استقصاء متعلقاتها، إذ المراد معرفة نوع خاص منه هو الوحی القرآنی، تعرفا علی الطریقة المنهجیة المتخذة من قبل جبریل علیه السّلام، التی صاحبت تعلیمه ألفاظ القرآن للرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و تطمینا علی هیئة نقله من حیث اللفظ ... و لتؤسس هذه القاعدة إذ قد أشرعت مراکب الخوض فی عمق البحث: بما أن الوحی القرآنی نوع خاص من عموم الوحی، فسیذکر ما یتعلق به خاصا من حیث اللفظ، کما سیذکر ما یتعلق به عاما من حیث شدة ارتباطه بالخاص، فلا یرد علی الباحث بعض أمور تتعلق بعموم الوحی قد ذکرت فی ثنایا البحث ...

و قد آن أوان الخوض فی المقصود الأساسی من البحث بعد هذه التهیئة، بید أن کل ما سبق و ما سیتلو مبین لعالم الضباب و التیه الیوم کیف حفظ اللّه سبحانه و تعالی کلامه من کل شوائب الدخل، أو لوامع الدخن، لیبقی هدی الحیاری فی أزمنة استعار الضلال ...

هدی سیبقی و ما عشر و أربعة من الزمان سیبقی ما الزمان بقی الله أنزله، و اللّه حافظه، و اللّه ینجی به الدنیا من الرهق

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۱

الفصل الثالث هیئة تلقی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السّلام و فیه تسعة مباحث

اشارة

إننا ندلف إلی هالات موکب تعلیمی تتضال الکلمات عن وصفه ... یرسم لعوالم الاغتراب: أی شیء کان قادة هذه الأمة، و أی نور کانت هذه الأمة من بعد ...

أنا قصة من بدر أرسلها الهدی ... محمد یرویها، و جبریل یکتب و کعبتی الغراء بیتی و قبلتی ... و بستانی المعمور بالحب یثرب و هذا الفصل یشکل لبّ البحث و مداره، کما هو واضح من عنوانه، و ما سبق من الفصول کان تقدمة له من حیث إثبات العوامل الإیجابیة التی تخدمه، و تلاه فصلان:

الرابع مکمل له، خادم لغرضه، و الخامس خاتم له من حیث نفی العوامل السلبیة ... و لذا قسم هذا الفصل إلی تسعة مباحث یحاول الباحث من خلالها إعطاء صورة نموذجیة واقعیة لتلقی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم ألفاظ القرآن الکریم بأمر اللّه عزّ و جل من جبریل علیه السّلام منذ أن یأمر اللّه- تعالی ذکره- جبریل علیه السّلام بتعلیم الوحی القرآنی للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم، و حتی تمام ذلک التعلیم، و بلوغه الکمال بالمتابعة، و المراجعة و التعاهد ... و لذا فمباحث هذا الفصل هی:

المبحث الأول: کیفیة مجیء جبریل علیه السّلام إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عند تعلیمه الوحی القرآنی.

المبحث الثانی: هیئة إلقاء الوحی القرآنی من جبریل علیه السّلام علی قلب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم.

المبحث الثالث: نزول جبريل عليه السّلام توقيفى.

المبحث الرابع: مظاهر اجتهاد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى تلقى القرآن الكريم قبل نزول التوقيف الإلهى.

المبحث الخامس: سمات الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم حين نزول الوحى القرآنى عليه.

المبحث السادس: حديث المعالجة.

المبحث السابع: التلقى و التلقين.

المبحث الثامن: كيفية قراءة الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم على جبريل عليه السّلام من حيث الأمر الشرعى، و الواقع التطبيقى.

المبحث التاسع: حديث المدارسة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۲

المبحث الأول: كيفية مجيء جبريل عليه السّلام إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عند تلقينه الوحى القرآنى «۱»:

اشارة

يدرس هذا المبحث هيئة مجيء جبريل عليه السّلام ليلقى الوحى القرآنى من أول أمر اللّه سبحانه و تعالى له بالنزول حتى إلقائه القرآن على قلب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فقد وصف القرآن الكريم هيئة مجيء جبريل عليه السّلام إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عند إبلاغه الوحى القرآنى وصفا دقيقا، و كان جل ذلك الوصف فى سورة النجم «۲»، التى صدّرت آياتها بإعلاء شأن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بيانا للإرادة الإلهية فى اختياره للنبوة، و إبلاغ كلام اللّه للناس، و الهجوم على قادح فى ذلك يلقيه شياطين الإنس و الجن ... فلما قال عزّ و جل إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى النجم/ ۴، "استؤنف الكلام استئنافا بيانيا، كأنه قيل: فكيف يأتيه هذا الوحى؟، و من يأتيه به؟، و كيف يلقيه إليه فيعيه، و لا يفارقنا؟، و كيف يأتيه الوحى القرآنى و هو كلام اللّه عزّ و جل، فيطيقه و هو بشر؟، فقال اللّه سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى " ...النجم/ ۵، "فسورة النجم ":مقصودها ذم الهوى، لإنتاجه الضلال و العمى ... و الحث على اتباع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى نذارته التى بينتها سورة (ق)، و صدقتها سورة الذاريات، و أوقعتها و عينتها الطور «"۳». (۱) المراد المجيء الخاص لأجل الوحى القرآنى، فليلحظ هذا الاختلاف بين ما ذكر هنا و ما ذكر فى المبحث الثالث من الفصل الثانى.

(۲) و لا ينكر منكر على البحث إظهار كيفية تعليم الوحى للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم من جبريل عليه السّلام من خلال هذه الآيات فقد ذكر ذلك عدد من أرباب التفسير، قال أبو السعود فى تفسيره (۵/ ۴۳)، مرجع سابق ":فى قوله تعالى فَاسْتَوى عطف على عَلَّمَهُ بطريق التفسير، فإنه إلى قوله تعالى ما أَوْحى بيان لكيفية التعليم، "فإن اعترض بأن هذا وصف للوحى فى حالين فقط كان فيهما جبريل عليه السّلام بخلقته الأصلية، و ليس وصفا للوحى بصورته الدائمة، فالجواب: فليكن كذلك، و كما وصف اتصال جبريل عليه السّلام بذلك فى حالين، هو دأبه فى اتصاله به دائما، ما خلا صورته الأصلية؛ إذ قام الدليل على حصرها، و لا دليل على حصر بقية الأوصاف فى هذه السورة فى الحالين، على أن الوحى القرآنى النازل على القلب، يأخذ صورة غير الصورة التى يأتيه فيها الملك بصورة رجل، كما هو ظاهر من وصف نزوله بالقرآن بأنه (على القلب).

(۳) انظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور ۱۹/ ۴۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۳

و من ثم فلا- إنكار على سائل على كيفية اتصال الملك بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم، للتفاوت فى الخلقة بين عالم الملائكة الذين هيأهم اللّه سبحانه و تعالى بقوى بها يكونوا عنده، و بين البشر الذين الذين يضعفون عن مشاهدة عالم الملائكة أو الجن فضلا عن تحملهم للوحى الإلهى، فاحتاجوا إلى الواسطة لنقل هذا الوحى "و لما كان الوحى ظاهرا فى كونه بواسطة الملك، تشوف السامع إلى

بيان ذلك؛ لأن ذلك أضخم فى حقه صلّى اللّه عليه و سلّم و أعلى لمقداره «"۱».

فلنتتبع هذا الوصف القرآنى «۲» لتلقى جبريل عليه السّلام الوحى القرآنى من اللّه عزّ و جل «۳»، و كيفية نزوله إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

۱- يسمع من اللّه سبحانه و تعالى جبريل عليه السّلام الوحى الذى ينزل به: كما فى حديث النواس بن سمعان السابق «۴»، و فيه (فينتهى جبريل إلى حيث أمر من سماء أو أرض). و جبريل عليه السّلام هو الذى يلقى على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم الوحى القرآنى، و هو أمين الوحى فى السماء و الأرض، و رسول اللّه عزّ و جل إلى رسله من البشر.

۲- و هو معلم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ذى الصفات البالغة فى قدرة حاملها على أداء هذه الرسالة على أتم وجه و أحسنه، فليس معلّم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مخلوقا عاديا بل لقد علم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شَدِيدُ الْقُوى (۵) ذُو مِرَّةٍ "النجم/ ۵- ۶ "و قد تقدمت صفاته «۵». (۱) انظر: نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور ۱۹/ ۴۰، مرجع سابق.

(۲) ففيه كما قال فى التحرير و التنوير (۲۷/ ۹۵ "):تمثيل لأحوال عجيبة بأقرب ما يفهمه الناس؛ لقصد بيان إمكان تلقى الوحى عن اللّه تعالى؛ إذ كان المشركون يحيلونه، فبين لهم إمكان الوحى بوصف طريق الوحى إجمالا و هذه كيفية من صور الوحى."

(۳) و قد أعرض البحث عن الأقوال الواردة فى كيفية تلقى الملك للوحى، لأنها محض تخمين فى أمر غيبى، لا يظهر فيه للتحقيق العلمى أثر إلا بالتسليم لظاهر النصوص الدالة على السماع ...

(۴) انظر: الفصل الأول- المبحث الثالث.

(۵) انظر: الفصل الأول- المبحث الثانى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۴

۳- لكن أبرز صفاته التى يشار إليها فى هذا المقام- إذ أظهر الغفلة تعجبهم من اتصال الملأ الأعلى بالبشر، و سرعة وصول الرسول السماوى إلى الرسول البشرى مع وجود هذه المسافات الهائلة بينهما- أنه ... شَدِيدُ الْقُوى (۵) ذُو مِرَّةٍ ...، و قد تقدم شرحها «۱».

۴- عند ما يريد اللّه عزّ و جل من جبريل عليه السّلام الوصول إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لتبليغه الوحى- إرادة أمر و إذن «۲»- فإنه يستعد للقيام بأمر اللّه، و هو بالأفق الأعلى، فاستعداده هنا فعلى بعد أن كان استعدادا فطريا؛ ذلك بأن الأفق هو اسم للجو الذى يبدو للناظر ملتقى بين طرف منتهى النظر من الأرض و بين منتهى ما يلوح كالقبة الزرقاء، و غلب إطلاقه على ناحية بعيدة عن موطن القوم و منه أفق المشرق و أفق المغرب، و وصفه بالأعلى ليفيد أنه من ناحية السماء «۳»، و يومئ لهذا قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: (إنما ذلك جبريل، ما رأيته فى الصورة التى خلق عليها غير هاتين المرتين:

رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء و الأرض) «۴».

فإن اعترض بأن: هذا دال على رؤيته له، لا على استعداده للنزول ... فلا يستقيم الاستدلال! فالجواب: نعم! يدل على رؤيته له، و لكن تبقى الآية محتملة للأمرين إن كان بقية الحديث منقطعا عما قبله، كأنه قال: المراد فى الآيات هو جبريل عليه السّلام، ثم استأنف (۱) انظر: الفصل الأول- المبحث الثانى.

(۲) تفصيل هذه الإرادة الإلهية: فى المبحث الثالث من هذا الفصل.

(۳) و قيل هى رؤيته له بحراء قد سد الأفق. انظر: (أبو حيان) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى ت ۷۵۴ ه: البحر المحيط ۸/ ۱۵۷، ط ۲ ۱۴۱۱ هت- ۱۹۹۰ م، دار إحياء التراث العربى- بيروت، و قوله دَنا تبعد ذلك، و قيل فيها دنا: أى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى جبريل عليه السّلام. انظر: تفسير أبى السعود ۵/ ۲۱۸، مرجع سابق، و واضح و هن هذا القول من حيث سياق الآيات، و من حيث طبيعة قصة الإسراء.

(۴) سنن الترمذی ۵/ ۲۶۲، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۵

فقال: ما رأیته ...، و الأقرب هو ما استدل به علیه هاهنا من حیث أن سیاق الآیات و سببها بصدد تقریر صدق الوحی، و إمکانیة اتصال الملک بالرسول «۱».

و استعداده لأداء هذه الرسالة و النزول بها إلی العالم الأرضی کما قال سبحانه و تعالی فَاسْتَوی فی سورة النجم مفرع علی ما تقدم من قوله عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵، "و الفاء لتفصیل عَلَّمَهُ و المستوی هو جبریل علیه السّلام.

و معنی استوائه: قیامه بعزیمة لتلقی رسالة اللّه سبحانه و تعالی، کما یقال: استقل قائما، و مثل بین یدی فلان، فاستواء جبریل علیه السّلام هو مبدأ التهیؤ لقبول الرسالة من عند اللّه، و کذلک قید هذا بجملة الحال فی قوله وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلی النجم/ ۷، "و الضمیر لجبریل علیه السّلام لا محالة، أی قبل أن ینزل إلی العالم الأرضی «۲».

۵- بعد استعداده لتنفیذ الأمر یبدأ بالنزول بسرعة یعلم مقدارها من أودع فیه القوة الهائلة لتبلیغ الوحی القرآنی إلی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم حیث کان، فلا یبالی بمکانه فی بیت أو فی فراش أو بین أصحابه أو فی جهاده کما تقدم «۳»، ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّی "النجم/ ۸، "و الدنو: هو القرب، و المراد إلی حیث یبلغ الوحی و ذلک إلی مکانه المحدد من الأرض "و إذ کان فعل الدنو، قد عطف ب ثُمَّ علی فَاسْتَوی بِالْأُفُقِ الْأَعْلی علم أنه دنا إلی العالم الأرضی، أی أخذ فی الدنو بعد أن تلقی ما یبلغه إلی الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم، و فَتَدَلَّی انخفض من علو قلیلا، أی ینزل من طبقات إلی ما تحتها، کما یتدلی الشیء المعلق فی الهواء بحیث لو رآه الرائی یحسبه متدلیا، و هو ینزل إلی السماء غیر منقض «"۴». (۱) و سورة النجم أول أغراضها تحقیق: أن الرسول صادق فیما یبلغه عن اللّه تعالی، و أنه منزه عما ادعوه، و إثبات أن القرآن وحی من عند اللّه بواسطة جبریل علیه السّلام، و تقریب صفة نزول جبریل علیه السّلام بالوحی فی حالین زیادة فی تقریر أنه وحی من اللّه واقع لا محالة. انظر: التحریر و التنویر ۲۷/ ۹۶، مرجع سابق.

(۲) التحریر و التنویر ۲۷/ ۹۶، مرجع سابق.

(۳) فی الفصل الثانی- المبحث الثانی.

(۴) انظر: التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۶، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۶

۶- یزداد اقترابه من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم حتی یصبح علی مسافة قوسین منه أو أدنی فَکانَ قابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنی النجم/ ۹."

و فائدة قوله أَوْ أَدْنی بیان دقة وصف المسافة بینهما؛ إذ (أو) فیه للتخییر فی التقدیر، و هو مستعمل فی التقریب، أی إن أراد أحد تقریب هذه المسافة فهو مخیر بین أن یجعلها قاب قوسین أو أدنی أی لا أزید، إشارة إلی أن التقدیر لا مبالغة فیه.

و فی قوله سبحانه و تعالی: ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی النجم/ ۱۱، "تأکید علی أن القرب قرب حسی لا مجرد اتصال روحانی، علی قول من تأوله بأنه رد لتکذیب المشرکین فیما بلغهم من الخبر عن رؤیة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم الملک جبریل علیه السّلام «۱»، و یؤیده ما رواه الإمام البخاری- رحمه اللّه تعالی- عن أبی إسحاق الشیبانی قال: سألت زر بن حبیش عن قوله عزّ و جل فَأَوْحی إِلی عَبْدِهِ ما أَوْحی (۱۰) ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی النجم/ ۱۰- ۱۱ «"۲»، قال: حدثنا ابن مسعود رضی اللّه عنه أنه «۳» رأی جبریل علیه السّلام له ستمائة جناح «۴»، و عن مسروق قال: قلت لعائشة: فأین قوله ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّی (۸) فَکانَ قابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنی . قالت: ذاک جبریل کان یأتیه فی صورة الرجل، و إنه أتاه هذه المرة فی صورته التی هی صورته فسد الأفق «۵». (۱) انظر: التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۸، مرجع سابق.

(۲) قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی "-:کلام أکثر المفسرین من السلف یدل علی أن الذی أوحی هو اللّه، أوحی إلی عبده محمد ، "...و قد ظهر أن الراجح فی نظر الباحث أن الکلام عن جبریل علیه السّلام لوجوه منها: سبب الآیات و سیاقها و قد مضی فی المبحث

الأول من هذا الفصل، و منها ما يشعر بذلك نحو قوله تعالى وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى النجم/ ۱۳، "و منها: قدم سورة النجم فى النزول فهى السورة الثالثة و العشرون، نزلت بعد سورة الإخلاص، و قبل سورة عبس (انظر: التحرير و التنوير ۲۶/ ۸۸، مرجع سابق)، و فى الأثر الذى رواه ابن الضريس فى فضائل القرآن عن ابن عباس رضى اللّه عنه: أنها الحادية و العشرون بين هاتين السورتين، انظر: الإتقان فى علوم القرآن ۱/ ۱۱، مرجع سابق، على أنه لا تعارض بين أن يكون الموحى هو اللّه تعالى، و أن يكون ما قبله فى جبريل عليه السّلام، بل كون ما قبله فى جبريل عليه السّلام هو قول أكثر المفسرين.

(۳) يعنى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كما معلوم.

(۴) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۸۱، مرجع سابق.

(۵) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۸۱، مرجع سابق، و روى أبو يعلى فى مسنده ۸/ ۳۰۴، مرجع سابق: عنها قالت ":أنا أعلم هذه الأمة بهذه، و أنا سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن ذلك قال: (رأيت جبريل) ثم قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۷

و الاستدلال هاهنا فيه الكلام السابق الوارد عند ذكر هذا الحديث آنفا «۱».

و على هذا فإن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كان يرى جبريل عليه السّلام رؤيا حقيقية، لكنها رؤيا فؤاد كما أن العين ترى ضوءا فترسل إشاراتها الضوئية إلى المخ فيتم وعيها فى المخ ... فهل كانت رؤية النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لجبريل عليه السّلام تصل مباشرة إلى مركز الإبصار فى المخ، كما أن استماعه لقراءته يصل إلى مركز السمع فى المخ ... و المخ متصل أعظم الكذب على اللّه، "و عند مسلم ۱/ ۱۵۹، مرجع سابق عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على اللّه الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمّدا صلّى اللّه عليه و سلّم رأى ربه فقد أعظم على اللّه الفرية، قال: و كنت متكئا، فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين! انظرينى، و لا تعجلينى، أ لم يقل اللّه عز و جل وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ" التكوير/ ۲۳ "وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى النجم/ ۱۳؟".

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: (إنما هو جبريل، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين: رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض). و من فوائد هذه الروايات: إسناد عائشة قولها للرسول صلّى اللّه عليه و سلّم صراحة، و قوله منهبطا دال على رؤية النبى لجبريل عليه السّلام حال نزول جبريل عليه السّلام، عليه منهبطا من السماء لتبليغه الوحى.

(۱)* فائدة: قد تأول أكثر المفسرين آيات النجم و التكوير فى جبريل عليه السّلام، و اختلافهم فى رؤية النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لربه إنما هو بأمر خارجهما، و ليس ذا المعترك الكلامى ميدانا للبحث، إنما أريد هاهنا بيان ضعف قول النووى فى شرح مسلم ۲/ ۳۲۱، مرجع سابق ":لم تنف عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- وقوع الرؤية بحديث مرفوع، و لو كان معها لذكرته، و إنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية و قد خالفها غيرها من الصحابة، و الصحابى إذا قال قولا، و خالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا، و المراد بالإدراك فى الآية الإحاطة و ذلك لا ينافى الرؤية "إذ قد ثبت الحديث المرفوع الوارد فى تأويل الآيتين فى مسلم، حتى تعجب ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- من هذا الذهول فقال ":و جزمه بأن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة، فإنه قال فى كتاب التوحيد من صحيحه: النفى لا يوجب علما، و لم تحك عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أخبرها أنه لم ير ربه، و إنما تأولت الآية انتهى، و هو عجيب! فقد ثبت ذلك عنها فى صحيح مسلم الذى شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق فى الطريق المذكورة، قال مسروق و كنت متكئا ...- ثم ذكر طريقا آخر، و فيه: فقلت: يا رسول اللّه! هل رأيت ربك فقال: لا إنما رأيت جبريل منهبطا "فتح البارى ۸/ ۶۱۰، مرجع سابق.

و رابط هـذا الإيراد المعترض سبيل البحث بالبحث هو التأكيـد على ما قرّر أعلاه من أن آيات النجم جاءت موضـحة أنموذج الاتصال بين جبريل عليه السّلام و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۸

بالمركز العقلى المتحكم المسـمى بالفؤاد ...؟ قـد يكون الأمر كـذلك؛ إذ لو كانت رؤيا جارحـة لرآها كل من له الجارحة ذاتها ممن يكون موجودا مع الرسول صـلى اللّه عليه و سـلم فى مكان تلقى الوحى، و قـد يقال باختلاف جارحة النبى صـلى اللّه عليه و سـلم عن جارحة غيره، و لذا تمت تهيئته صلى اللّه عليه و سلم لتلقى الوحى القرآنى كما سبق فى الفصل الثانى، و يقرّب هذا:

أننـا نعلم أن الحيوانات تشترك فى جارحـة السـمع و البصـر مع تفاوتها فى دقتهما، و مـدى تركيزهما ... و لكن ذكر الفؤاد «۱» يجعل الاحتمال الأول أرجح و أوقع، و إن كلن التفصـيل غير مجزوم به؛ إذ قد يكون الاتصال بالمراكز الأساسية للسمع و البصر، و الوعى فى الفؤاد دون المرور بالمراكز التى فى المـخ، و قد يكون الأمر بصورة تفصـيلية غير ذلك، و لكن لا شك أن الواقع العلمى الذى نعيشـه اليوم قـد قرب تصور هـذه العمليـة كثيرا، و مـا ظهر يقرّب فهم ما لم يظهر وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ "ص/ ۸۸ ... "و يزيـد هذا الاحتمال رجحانا ما تم من إعداد خاص لفؤاد النبى صلى اللّه عليه و سلم كما سبق التكلم عن ذلك فى أول الفصل الثانى.

فإن اعترض بالقول: إذا كان جبريل عليه السـلام عنـد نزوله على قلب النبى لتلقينه الوحى القرآنى على مسافـة قاب قوسـين أو أدنى- أ فما كان يقرب من النبى صلى اللّه عليه و سلم أكثر من ذلك، أو ينأى عنه أكثر؟ فالجواب: إما أن يكون هذا تصويرا للحالة الغيبية غير المشاهـدة لغير الرسول صـلى اللّه عليه و سـلم لنزول الملك عليه بالوحى، و هى أشـدها عليه، فتكون فى غايـة (۱) و يزيـد الأمر جلاء ظهور الفرق بين ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى النجم/ ۱۱، "و ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى النجم/ ۱۷ "إذ الأولى لرؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السـلام عنـد نزوله بالوحى عليه بصـفة دائمـة، و الثانية لرؤيته له عيانا فى خلقته الأصـلية فى المرة الثانية من المرتين اللتين شاهد فيهما الرسول صلى اللّه عليه و سلم جبريل عليه السلام فى خلقته الأصلية ... هذا إن جعلت كلمة البصر واردة فى معناها الحقيقى المباشـر و هو الجارحة المعروفة، و هو الظاهر، كما أنه الذى يدل عليه السـياق ... و يحتمل أن يكون المراد مركز البصـر فى الدماغ أو الفؤاد ... و على كلا الاحتمالين فإن ذكر الفؤاد فى الآية الأولى مع علمنا أنه لم يكن الصحابة يشاهدون جبريل عليه السلام إن جاء فى الصورة الشديدة للوحى ... يؤكد أن الاتصال كان بالمركز الأصلى المباشر للإدراك عند النبى صلى اللّه عليه و سلم ... و الأمر- بعد- بحاجة لمزيد تفصيل ... لعله يكون فى طبعات قادمة- إن شاء اللّه تعالى-.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۷۹

الدقة فى وصف مكان الملك، و المسافة التى تبعده عن النبى صلى اللّه عليه و سلم فى هذه الحالة، و إن كان من حواليه لا يراه، و إما أن يكون تصويرا لحالة المجىء المشاهد للملك، و هو كائن عند تمثل الملك رجلا، فقد كان يتم للملك القرب من النبى صـلى اللّه عليه و سـلم أكثر كحديث عمر المشهور فى مجىء جبريل عليه السلام يعلمهم أمر دينهم حيث جعل ركبتيه عند ركبتيه، و وضع كفيه على فخـذيه، و لكن هـذا المجىء المشاهـد للملك لا يتعلق به وحى القرآنى؛ إذ هاهنا حقيقـة تتعلق بهيئة الملك عند الوحى القرآنى هى أن الوحى القرآنى لا يأتى الملك فيه إلا بالصورة الأشد.

فـإن اعترض بـأنه قـد جاء: الوحى القرآنى فى غار حراء و الملك متجسـد للنبى صـلى اللّه عليه و سـلم ظاهر بارز؟. فالجواب: بل كان الوحى فى غار حراء من أشد ما لقيه النبى صلى اللّه عليه و سلم فى تلقى الوحى القرآنى و ذلك ظاهر، حتى رجع النبى صلى اللّه عليه و سـلم بالوحى ترجف بوادره «۱»، ثم قد جاء أن النبى صـلى اللّه عليه و سـلم قد شقّ صدره هناك، و حسـبك بذاك تهيئة و شدة لو صـح، على أن تجسـد الملـك له فى غـار حراء كـان فى بـدايات الوحى تمهيـدا لأـن يعتـاد الاتصـال بالملـك دون أن يعتريه ضـعف جسـمانى، و لا شك عقلى فى أن الـذى يتصل به ليس إلا ملك، و لذا قال صاحب التحرير و التنوير ":فكانت قواه البشـرية يومئذ غير معتادة لتحمل اتصال القوة الملكية بها مباشـرة، فكان ذاك- يعنى التجسد- رفقا بالنبى صـلى اللّه عليه و سـلم أن لا يتجشم شـيئا يشق

عليه «"۲»».

۷- و بعد ذا القرب تكون مرحلة الإلقاء و التعليم: حيث يلقى الملك على النبى صلى اللّه عليه و سلم ما أمره اللّه عزّ و جل به أن يلقيه فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحى النجم/ ۱۰، "و ليس إلقاء الملك من فم إلى فم فحسب، بل يلقيه على قلبه صلى اللّه عليه و سلم ... كأن جبريل عليه السلام يصل رأسا إلى مركز السمع و البصر و الوعى الكامل فى الفؤاد ... إذ إن جارحة البصر (العين)، و جارحة السمع (الأذن) ما هما إلا تحويل و ترجمة لما (۱) البخارى ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۲) التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۰

يشاهد و يسمع من العالم الخارجى إلى مراكز وعيها فى الدماغ و منه إلى المركز الأصلى للوعى (الفؤاد) ... أما الملك فيصل مباشرة بكلام مسموع، كما أن صورته تصل مباشرة إلى مركز الفؤاد، فيلقى بالوحى الإلهى على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و يسمعه النبى صلى اللّه عليه و سلم سماع أذن و فؤاد بدليل تحريك لسانه بعد الملك- و سيفصل ذلك فى المبحث الذى بعد هذا إن شاء اللّه عزّ و جل-، فى حين يرى الصحابة آثار ذلك من الشدة التى تعترى النبى صلى اللّه عليه و سلم، و التى سموها (برحاء الوحى) ... فيلقى الملك الوحى حال كون هذا الملقى بلسان عربى مبين، فيقرؤه جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم كما أمره اللّه سبحانه و تعالى أن يقرأه؛ و لذا نسب الفعل إلى ذاته العلية سبحانه فى قوله فَإِذا قَرَأْناهُ مبالغة فى التأكيد على أن ما قرأه جبريل عليه السلام هو اللفظ الذى أراد اللّه سبحانه و تعالى أن يقرأه، و بالهيئة ذاتها التى أرادها عزّ و جل، و النبى صلى اللّه عليه و سلم حال قراءة جبريل عليه السلام مطرق مستمع لا يحرك لسانه- بعد تعليمه ذاك- حتى يقضى جبريل عليه السلام، قراءة الوحى عليه، فإذا قضى انطلق جبريل عليه السلام، و قرأه النبى صلى اللّه عليه و سلم كما قرأه جبريل عليه السلام، فلا يعترض معترض على هذا الموضع بالقول: إنا لا نراه يحرك لسانه ترديدا، إذ الإلقاء على قلبه، و معلوم أن عدم تحريك لسانه كان بعد نزول سورة القيامة «۱».

و يدل لما سبق تفصيله من مراحل حديث عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنه قال: بينما رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بفناء بيته بمكة جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أ لا تجلس؟) قال: بلى! قال فجلس رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم مستقبله، فبينما هو يحدثه، إذ شخص رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ببصره إلى السماء، فنظر ساعة إلى السماء، فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه فى الأرض، فتحرف رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، و أخذ ينفض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له، و ابن مظعون ينظر، فلما (۱) و يأتى مزيد تفصيل لذلك- إن شاء اللّه تعالى- عند ذكر حديث المعالجة: المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۱

قضى حاجته، و استفقه ما يقال له، شخص بصر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى السماء كما شخص أول مرة، فاتبعه بصره حتى توارى فى السماء فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى، قال: يا محمد! فيم كنت أجالسك، و آتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة. قال: (و ما رأيتنى فعلت؟) قال: رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك، فتحركت إليه، و تركتنى فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك، قال:

(و فطنت لذاك؟)، قال عثمان: نعم. قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أتانى رسول اللّه آنفا، و أنت جالس) قال: رسول اللّه؟. قال: (نعم). قال: فما قال لك؟ قال: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِي الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "النحل/ ۹۰، "قال عثمان فذلك حين استقر الإيمان فى قلبى و أحببت محمدا «۱».

و هكذا كان جبريل عليه السلام ينزل بالوحى على خير الأنام صلى اللّه عليه و سلم ... فتنزل معه على المؤمنين كل سكينة، و كل عزة، و كل نصر ... كيف ترى البشائر التى تنزل مع أول معلم لألفاظ القرآن الكريم من الخلق طرا عليه السلام لأشرف متعلم لألفاظ القرآن

الكريم من الخلق طرا صلى اللّه عليه و سلم؟.

و قد قال عتيبة بن عتيبة بن مرداس التميمى الذى شهد حنينا مع المشركين، فلما رأى المسلمين انفضوا عن النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم نصر برغم ذلك علم أنه جبريل عليه السلام النازل- بإذن اللّه- بالنصر، فثمّ أعلن إسلامه:

فضاربوا الناس حتى لم يروا أحدا حول النبى إلى أن جنّه الغسق

ثمة نزل جبريل ينصرهم من السماء، فمهزوم و معتنق

منا، و لو غير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذن أسيافنا العتق

(۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱/ ۳۱۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۲

المبحث الثانى: هيئة إلقاء الوحى القرآنى من جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم:

اشارة

يدرس هذا المبحث هيئة إلقاء الوحى القرآنى بعد أن يكون جبريل عليه السلام قد دنا من النبى صلى اللّه عليه و سلم فى مرحلته الأولى، أى مرحلة ما قبل إلقاء الوحى القرآنى كلاما، و لذا انقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: الهيئة العامة لإلقاء الوحى القرآنى.

المطلب الثانى: النزول على القلب.

المطلب الأول: الهيئة العامة لإلقاء الوحى القرآنى:

فلنبن الكلام الآن ترتيبا على ما سبق فى المبحث الأول:

۱- ... و إذ قد دنا جبريل عليه السلام من النبى صلى اللّه عليه و سلم، و آن أن يلقى عليه الوحى القرآنى، و يقرؤه عليه فيجب استصحاب أمرين:

أولهما: أن جبريل عليه السلام هو المقرئ الوحيد للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و قد تقدم تقرير ذلك «۱».

و ثانيهما: أن جبريل عليه السلام ليس ملكا عاديا، بل هو الروح «۲» كما أن القرآن روح ...

فتجتمع الحياة الحقة منهما، و إذا كانت الحياة تسرى فى الجسد الميت عند ما ينفخ فيه الروح، فما ظنك بروح يلقّن النبى صلى اللّه عليه و سلم روحا، و جبريل عليه السلام هو الأمين الذى يتسم بأمانة الأداء فلا يخرم مما يؤديه حرفا، زيادة و لا نقصا، كما لا يخرم المكان، و لا الزمان، و لذا استهلت آيات وصف كيفية إنزال جبريل عليه السلام بالقرآن بقوله تعالى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ "النجم/ ۱۹۴، "و يضاف إلى هذا أن قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم قد نزع منه حظ الشيطان، (۱) انظر: الفصل الأول- المبحث الرابع- المطلب الثالث.

(۲) انظر: الفصل الأول- المبحث الثانى- المطلب الثانى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۳

و تم إعداده إعدادا إليها «۱»، فلا مجال فيه لمانع ذاتى يمنع أو يشوش على تلقى ألفاظ القرآن الكريم.

۲- ينخلع النبى صلى اللّه عليه و سلم من قدرته البشرية عند رؤيته الملك، و سماعه الوحى مع بقائه على خلقته البشرية، فالمراد انخلاع القوى الباطنة، لا الخلقة الظاهرة «۲»، فالرؤية و السماع يكونان من المركزين المباشرين للسمع و البصر فى الفؤاد، إذ ما كَذَبَ

الْفُؤادُ ما رَأى النجم/ ۱۱ «"۳»؛ و لذا كان صلى اللّه عليه و سلم يأتيه الوحى شديدا عنيفا؛ إذ يتوجب عليه بذل قوى فوق الطاقة البشرية للسماع غير المعتاد بشريا، و الرؤية غير المعتادة بشريا، و الملكة القوية فى الحفظ مما لا يعتاد بشريا، زيادة فى التأكيد على المحفوظ إذ كان ذلك من لوازم جمعه فى صدره، و ليتمكن من رؤية جبريل عليه السلام و سماعه، و هو ما لا يراه من حوله، و لا يستطيعون سماعه «۴»، و عبر عن ذلك ابن خلدون- رحمه اللّه تعالى- فقال ":و صنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة، جسمانيتها و روحانيتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى، ليصير فى لمحة من اللمحات ملكا بالفعل، و يحصل له شهود الملأ الأعلى فى أفقهم، و سماع (۱) انظر: الفصل الثانى- المبحث الأول.

(۲) فلا يرد على هذا الكلام القول بالتناسخ، أو قدرة البشر على التشكل؛ إذ ذاك ليس لهم، و لا فى إمكانهم، و ينبغى أن يفسر كلام العلماء الذين سينقل عنهم- بعد قليل- فى هذا الموضوع بهذا التفسير؛ إذ إن بقاء النبى صلى اللّه عليه و سلم فى خلقته البشرية آن نزول الوحى عليه ثابت تواترا كما يلاحظ ذلك فى النصوص التى ترد فى هذا البحث.

(۳) و ما علاقة ذلك بمركزى السمع و البصر الكائنين فى الدماغ؟، محل نظر و بحث بدأت بعض الإشارات العلمية بالتلميح إليها، و المستقبل واعد بمزيد تجلية لهذا الموضوع.

(۴) و قال الأصفهانى فى أوائل تفسيره ":اتفق أهل السنة و الجماعة على أن كلام اللّه سبحانه و تعالى منزل،- إلى أن قال مبينا أن اللّه عزّ و جل علم جبريل عليه السلام كيفية قراءة كلامه فى السماء و هو ما سبق فى المباحث الماضية- ثم جبريل عليه السلام أداه فى الأرض و هو يهبط إلى المكان، و فى ذلك طريقتان:

إحداهما: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم انخلع من صورة البشرية، إلى صورة الملكية، و أخذه من جبريل عليه السلام، و ثانيهما: أن الملك نخلع إلى البشرية حتى يأخذه النبى صلى اللّه عليه و سلم منه، و الأولى أصعب الحالين "فتح البارى ۳/ ۱۲۳، مرجع سابق، و لا شك أن الصورتين واردتان كما فى حديث الحارث بن هشام المتقدم ص ۶۸.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۴

الكلام ... «۱»، و الخطاب الإلهى فى تلك اللمحة، و هؤلاء الأنبياء- صلوات اللّه و سلامه عليهم- جعل اللّه عزّ و جل لهم الانسلاخ من البشرية فى تلك اللمحة، و هى حالة الوحى فطرة فطرهم اللّه سبحانه و تعالى عليها، و جبلّة صورهم فيها، و نزههم عن موانع البدن، و عوائقه، ما داموا ملابسين لها بالبشرية، بما ركب فى غرائزهم من القصد، و الاستقامة التى يحاذون بها تلك الوجهة، و ركز فى طبائعهم رغبة فى العبادة، تكشف بتلك الوجهة، فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا، بتلك الفطرة التى فطروا عليها، لا باكتساب، و لا صناعة، فلذا توجهوا، و انسلخوا عن بشريتهم، و تلقوا فى ذلك عن الملأ الأعلى ما يتلقونه عاجوا «۲» به على المدارك البشرية منزلا فى قواها لحكمة التبليغ للعباد «"۳».

- و غير خاف أن المقتضى المنجى هنا يجب أو يتركز فى أن جهود الحفظ البشرية الضخمة للقرآن الكريم خلال القرون، المؤيدة بالرعاية الإلهية إنشاء، و إعدادا، و إمدادا، و متابعة، يجب أن تساوى فى و زنها و تركيزها هذه اللحظات التى يتلقى فيها النبى صلى اللّه عليه و سلم. و بعد ذلك يكون النزول بالقرآن على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هو المطلب الثانى.

المطلب الثانى: النزول على القلب «۴»:

اشارة

إن إلقاء جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن على النبى صلى اللّه عليه و سلم لا يكون خطاب فم لفم، بل قراءة على قلب (على قلبك)، فلا يكون ثم أى (۱) فى الأصل: الكلام النفسانى ... و البحث قائم على ما قرره محققو أهل السنة و الجماعة من أن الكلام حقيقى لا

نفسانى.

(۲) أى مالوا و عادوا به بعد سماعه فى طبيعة البشر.

(۳) عبد الرحمن بن خلدون ت ۸۰۸ ه: مقدمة ابن خلدون ۹۸، ضبط المتن و وضع الحواشى و الفهارس: خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، ط ۱۴۱۷ ه، ۱۹۹۶ م- دار الفكر- بيروت، و إن كان التعبير عن هذه الحالة الدقيقة التى يكون فيها الرسول متصلا بالملك بحاجة إلى حذر فى الكلمة خشية التزيد أو الإبهام، و لذا فقول ابن خلدون ":متى شاءوا "فيه نظر كبير بل متى أذن اللّه عزّ و جل لهم، فجاءهم الملك لا أنهم هم يذهبون ... و لعل من حكم ذلك بقاء صبغتهم البشرية أغلب حتى لا تكون حجة فى عدم الاقتداء ...

(۴) أفرد بالعنونة لجلالته، و عظيم خطره.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۵

ضعف للبشر، و لا نقص يتسم به البشر، و لا لجلجة تصحب إدراك البشر؛ إذ القراءة موجهة إلى مركز إدراك البشر مباشرة، و هو المركز الذى نزع منه جبريل عليه السلام حظ الشيطان، و ملئ حكمة «۱» ... فينخلع النبى صلى اللّه عليه و سلم عندها من بشريته، و هو بشر! أى ينخلع من القدرات البشرية المحدودة مع بقائه على خلقته البشرية ... و ذلك لإزالة أدنى خاطر يخطر على حائم حوله الشياطين، من أن محمدا صلى اللّه عليه و سلم قد يفقد حرفا من هول الموقف، أو من تأثير الطبيعة، و لذا كان هذا التصوير الدقيق لنزول القرآن على محمد صلى اللّه عليه و سلم عَلى قَلْبِكَ، و أكّد عليه فى القرآن مرتين: فى "سورة البقرة/ ۹۷، "و فى "سورة الشعراء/ ۱۹۴."

المعنى: لم تخرج أقوال المؤولين فيها على أمرين:

أ- على روحك:

لأن الروح إحدى إطلاقات القلب كما قال الراغب- رحمه اللّه تعالى-، و قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:و كون الإنزال عليه؛ لأنه المدرك، و المكلف دون الجسد، و قد يقال: لما كانت له صلى اللّه عليه و سلم: جهتان: جهة ملكية يستفيض بها، و جهة بشرية يفيض بها- جعل الإنزال على روحه صلى اللّه عليه و سلم لأنها المتصفة بالصفات الملكية التى يستفيض بها من الروح الأمين، و للإشارة إلى ذلك قيل عَلى قَلْبِكَ دون عليك الأخصر، و قيل: إن هذا لأن القرآن لم ينزل فى المصحف كغيره من الكتب «"۲»».

ب- على العضو المخصوص:

و تخصيصه بالإنزال عليه قيل: للإشارة إلى كمال تعقله صلى اللّه عليه و سلم و فهمه ذلك المنزل، حيث لم تعتبر واسطة فى وصوله إلى القلب الذى هو محل العقل ... و قيل: للإشارة إلى صلاح قلبه صلى اللّه عليه و سلم و تقدسه حيث كان منزلا لكلامه تعالى؛ ليعلم منه حال سائر أجزائه صلى اللّه عليه و سلم، فإن القلب رئيس جميع الأعضاء، و ملكها، و متى صلح الملك صلحت الرعية «"۳»». (۱) انظر: الفصل الثانى- المبحث الثانى.

(۲) روح المعانى ۱۹/ ۱۸۱، مرجع سابق.

(۳) روح المعانى ۱۹/ ۱۸۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۶

فلم تخرج أقوال المؤولين فى معنى (القلب) عن هذين الأمرين:

۱- الروح.

۲- العضو المخصوص ... و على كل منهما فقد أريد من الإنزال على القلب:

المكان الناسب الذى هيأ التهيئة المناسبة لجهود الحفظ، ثم القراءة و الإقراء؛ ليخرج إلى عالم البشر، و كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يسمعها، و يعيها بقوة إلهية قدسية، لا كسماع البشر منه صلى اللّه عليه و سلم، و تنفعل عند ذلك قواه البشرية، و لهذا تظهر آثارها على جسده الشريف ما يظهر، و يقال لذلك (برحاء الوحى) حتى يظنّ فى بعض الأحايين أنه أغمى عليه صلى اللّه عليه و سلم، و قد يظن أنه صلى اللّه عليه و سلم أغفى «۱».

و قد فتح اللّه- تعالى ذكره- أذهان البشرية فى عصرها الحاضر على حقائق علمية ضخمة تقرب لنا سر نزول جبريل عليه السلام، بألفاظ القرآن على قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، فإن جبريل عليه السلام تعدى أداة التوصيل السمعى لدى البشر و هى الأذن الخارجية إلى مركز السمع مباشرة، و أداة التوصيل البصرى لدى البشر و هى العين الخارجية إلى مركز البصر مباشرة ... و يزيد هذا تقريبا أن يقال: لما كان القلب يتلقى الصوت كما يرى الصورة فى المنام ... و الجارحة المباشرة من عين و أذن نائمة مغطاة ... ثم إذا استيقظ تذكر كله فى اليقظة ... و قد جاء التشريح الطبى مؤكدا حقيقة مراكز السمع و البصر، و أنها مراكز فى المخ تعى ما يصل إليه عن طريق الجوارح كما تعى ما يصل إليها عن طريق الرؤى المنامية، و ما قد كشف يقرب لنا ما لم يكشف مما قد غاب عنا، و قد كانت أولى مراحل الوحى التى هيأ بها النبى صلى اللّه عليه و سلم لتلقى الوحى المباشر هى الرؤى المنامية الصادقة، ثم رؤيته للملك فى منامه كما سبق تفصيل ذلك فى الفصل الثانى، و حالة الوحى فى النوم مقربة لحالة الوحى فى اليقظة ... مما قد يقرب لنا فهم كيفية الوحى و حدوثه، (۱) انظر: روح المعانى/ ۱۸۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۷

و استيعاب كيفية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم للوحى بواسطة الاتصال بعالم الملائكة ... بطريقة يرى الصحابة آثارها فى النبى صلى اللّه عليه و سلم من تصبب العرق فى اليوم الشديد البرد، و ترجيع اللسان، و ثقل جسم النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱» دون أن تشاهد أبصارهم صورة الملك، أو تسمع آذانهم صوته ... لأن الاتصال كان فى مستوى لا يدركونه، و لكنهم يسمعون قرآنا معجزا لا تنقضى عجائبه، و لا تشبع منه العلماء، و لا يخلق على كثرة الرد.

و ذكر أبو حيان- رحمه اللّه تعالى- سبعة أقوال فى تخصيص ذكر القلب «۲» حاصلها راجع إلى قولين:

أ- فالأول و الثانى كالشىء الواحد مجموعهما: أن القلب محل التلقى «۳» لهذا الأمر الخطير لا سواه، و إليهما يؤول السادس.

ب- و الثالث و الرابع و الخامس تؤول إلى معنى واحد هو: كونه أشرف عضو فى الجسد، و إليه ما يرجع السابع.

و كلاهما متفرع عن القول الثانى الذى ذكره الإمام الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- (العضو المخصوص)، بيد أنه لا فائدة فى الثانى من حاصل أقواله، لو كان مجرد تكنية عن الجملة الإنسانية، و خصّ لشرفه؛ إذ لقائل أن يقول: (عليك) أخصر و أظهر، و إذ الأمر كذلك فلا (۱) انظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

(۲) أبو حيان فى البحر المحيط ۱/ ۳۲۰، مرجع سابق، و نص قوله ":خص القلب و لم يأت بعليك الأخصر، لأن القلب هو محل العقل، و تلقى الواردات، أو لأنه صحيفته التى يرقم فيها، و خزانته التى يحفظ فيها، أو لأنه سلطان الجسد، أو لأن القلب خيار الشىء و أشرفه، أو لأنه بيت اللّه، أو لأنه كنى به عن العقل إطلاقا للمحل على الحال به، أو عن الجملة الإنسانية؛ إذ قد ذكر الإنزال عليه فى أماكن ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى طه/ ۲ "وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَةَ "النساء/ ۱۱۳، "أو يكون إطلاقا لبعض الشىء على كله."

(۳) فقد نزل جبريل بالقرآن على قلب الرسول صلى اللّه عليه و سلم [فتلقاه تلقيا مباشرا، و وعاه وعيا مباشرا] سيد قطب: فى ظلال القرآن ۵/ ۲۶۱۷، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الشروق- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۸

بدّ لتخصيصه من مغزى: هو ما ذكر فى الأول من الحاصل، كما يلوح للباحث أمر آخر:

هو أن ما أظهره اليهود من عداوة جبريل عليه السلام و ادعاؤهم مجيئه بالخراب «۱» غمز فى أمانته، أو لمز فى دقة نقله؛ إما لأن الوحى ليست مهمته، أو لشدته على البشر أو غير ذلك، فأثنى عليه أبلغ الثناء، و بيّن أن اللمز فيه أو إظهار العداء له هو للّه عزّ و جل و الملائكة و لرسله عداء، و أنه و ميكال قرينا إخاء، و سبق ذلك كله ببيان دقة نقله للوحى على فؤاد النبى صلى اللّه عليه و سلم و أنه بِإِذْنِ اللَّهِ "البقرة/ ۹۷."

الكاف فى عَلى قَلْبِكَ:

و أما سبب التعبير عن ذلك بالكاف فى قوله عَلى قَلْبِكَ دون الياء الدال على المتكلم فهو التأكيد المطرد على المصدرية الإلهية للقرآن الكريم، ففيه إيماء إلى الحفظ للفظ و المعنى، و صرح به فى آية الحجر، و تفصيل ذلك فى المبحث الثامن من هذا الفصل: كيفية قراءة الرسول صلى اللّه عليه و سلم.

الحرف عَلى

اشارة

و أتى بلفظ عَلى لأن القرآن مستعل على القلب، و القلب سامع له مطيع يتمثل ما أمر به و يجتنب ما نهى عنه، و كانت أبلغ من (إلى)، لأن (إلى) تدل على الانتهاء فقط، و عَلى تدل على الاستعلاء، و ما استعلى على الشيء يتضمن الانتهاء إليه «۲».

و يلوح للباحث ثلاثة أمور فى حرف الجر على:

أولها: أن الاستعلاء مستغرق للملكية

، مهيمن على المحل، فارض لسلطانه، واضح ثقله و سيطرته فى مكانه، و كأنه أريد بذلك أن القرآن عند ما ينزله جبريل عليه السلام على قلبك قد (۱) انظر فى ذلك: صحيح البخارى ۳/ ۱۲۱۱، مرجع سابق.

(۲) انظر: البحر المحيط ۱/ ۳۲۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۸۹

تتام قبضه على القلب، و سيطرته عليه، فهو مهيمن على القلب فى لفظه، لا يستطيع القلب أن يفلت منه مثقال ذرة، و فيه: الإشعار بأن ألفاظه مفروضة على القلب فرضا، فلا مجال لزيغ حروفها عنه، و لا لتحريف هيئتها، مع حب قلب الرسول صلى اللّه عليه و سلم لها كما سيأتى «۱»، و لم تبق فيه ذرة تتأثر إلا- به، و لا تحتفل إلا له، فهو خلى عن غيره، و فى هذا تمام الحفظ و الفهم و الاهتمام، و لذا قال الصاوى- رحمه اللّه تعالى "-:عبر ب عَلى لتمكنه، و انصبابه، و رسوخه؛ فإن الشيء إذا صب من أعلى لأسفل رسخ و ثبت «"۲».

و ثانيها: أن على مؤكدة للإنزال من أعلى إلى أدنى:

كما قال تعالى فى آل عمران قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ عَلَيْنا " ...آل عمران/ ۸۴ "فالخطاب للنبى صلى اللّه عليه و سلم موجه، و المنزل

إنما هو منزل عليه من السماء إلى حيث هو، بخلاف آية البقرة قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ ما أُنْزِلَ إِلَيْنا " ...البقرة/ ۱۳۶ "فإن الخطاب لصحابته، ثم لأمته- من بعد- و الإنزال إنما يكون إليهم؛ إذ يتضمن حرف إلى معنى المجاورة، و يجعل فعله يتضمن معنى الإيصال، فليس ثم أعلى و لا أدنى، كأنهم قالوا: آمنا باللّه و ما أنزل على رسوله مما وصل إلينا ... لأنه إنما وصل إليهم من محمد صلى اللّه عليه و سلم و هو بجوارهم لا فوقهم، و لكن لارتباطه بأنزل أفاد أمرا آخر- لاقتضاء الإنزال أعلى و أدنى- هو أن الوحى أنزل على غير المخاطبين ثم وصل إليهم ...

فقد تضمن الفعل: أنزل، و الحرف إلى ذلك ببلاغة بديعة، و إعجاز عظيم ... و من أسراره أنهم جعلوا- بهذا التعبير- ما أنزل على الرسول صلى اللّه عليه و سلم هو ذاته ما وصل إليهم دون ريب ... و معلوم أن التضمين عند العلماء مقدّم على تبادل الحروف «۳».

و ثالثها: أنه قال على و لم يقل (فى)

لئلا يتوهم أن جبريل عليه السلام ألقى القرآن فى قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم دون سماع، و سيأتى مزيد تفصيل له- إن شاء اللّه تعالى- «۴». (۱) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

(۲) حاشية الصاوى ۱/ ۷۲، مرجع سابق.

(۳) (ابن تيمية) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت ۷۲۸ ه، شيخ الإسلام: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ۱۳/ ۳۳۰، جمع و ترتيب: عبد الرحمن بن قاسم العاصمى النجدى الحنبلى، ۱۴۲۱- ۱۹۹۱ م، دار عالم الكتب الرياض.

(۴) انظر: المبحث السابع من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۰

إعداد القلب مسبقا:

وجهت لقلب النبى صلى اللّه عليه و سلم عناية فائقة، و كان جبريل عليه السلام هو الذى هيأ محمدا صلى اللّه عليه و سلم و اعتنى بقلبه خاصة فى كل مرة يأمر اللّه و يأذن بذلك كما سبق فى حديث شق الصدر «۱»، و قد كان قلبه يحس و يعقل حتى إن نامت عيناه، فعن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنه قال: جاءت ملائكة إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم و هو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، و قال بعضهم: إن العين نائمة و القلب يقظان فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم:

إنه نائم، و قال بعضهم: إن العين نائمة و القلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا، و جعل فيها مأدبة، و بعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار و أكل من المأدبة، و من لم يجب الداعى لم يدخل الدار و لم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم:

إنه نائم، و قال بعضهم: إن العين نائمة و القلب يقظان فقالوا: فالدار الجنة، و الداعى محمد صلى اللّه عليه و سلم فمن أطاع محمدا صلى اللّه عليه و سلم فقد أطاع اللّه و من عصى محمدا صلى اللّه عليه و سلم فقد عصى اللّه، و محمد صلى اللّه عليه و سلم فرق بين الناس) «۲»، و فى رواية الترمذى عنه قال: خرج علينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوما، فقال: (إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى و ميكائيل عند رجلى، يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا، فقال: اسمع سمعت أذنك، و اعقل عقل قلبك، إنما مثلك و مثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا ...) الحديث «۳».

فقد اشتمل النزول على قلبه صلى اللّه عليه و سلم:

۱- علی التحفیظ و التفهیم و التثبت:

کما قال الزمخشری- رحمه اللّه تعالی "-:أی حفّظکه، و فهّمک إیاه، و أثبته فی قلبک إثبات ما لا ینسی کقوله عزّ و جل سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی «۴»، و خص القلب، و المعنی علیک لأنه محل الوعی و التثبیت، و لیعلم أن المنزل علی قلبه علیه السلام محفوظ لا یجوز علیه التبدیل، و لا التغییر، و حرف عَلی مستعار للدلالة علی التمکن مما سمی بقلب النبی صلی اللّه علیه و سلم مثل استعارته فی قوله سبحانه و تعالی (۱) انظر: الفصل الثانی- المبحث الأول- المطلب الأول.

(۲) صحیح البخاری ۶/ ۲۶۵۵، مرجع سابق.

(۳) الجامع الصحیح سنن الترمذی ۵/ ۱۴۵، مرجع سابق.

(۴) الکشاف ۳/ ۱۲۶، مرجع سربق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۱

أُولئِکَ عَلی هُدیً مِنْ رَبِّهِمْ "البقرة/ ۵ «۱"»، و قد تقدم التوضیح بأن إرادة القلب حقیقیة و لیست مجازیة ... و أن المراد الوصول إلی محل الوعی المباشر بعد تهیئته سابقا لذلک.

۲- کما اشتمل النزول علی قلبه صلی اللّه علیه و سلم علی اللفظ کما هو علی المعنی تصریحا لا تلویحا:

کما قال الزمخشری ":و لو کان أعجمیا لکان نازلا علی سمعک، دون قلبک لأنک تسمع أجراس حروف لا تفهم معانیها و لا تعیها" «۲».

و استدل أبو حیان- رحمه اللّه تعالی- علی أنه کان صلی اللّه علیه و سلم یسمع من جبریل علیه السلام الأحرف بقوله عزّ و جل: بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ "الشعراء/ ۱۹۵، "فقال ":الظاهر تعلق بِلِسانٍ ب نَزَلَ، فکان یسمع من جبریل علیه السلام حروفا عربیة، "قال ابن عطیة- رحمه اللّه تعالی "-:و هو القول الصحیح، و تکون صلصلة الجرس صفة لشدة الصوت، و تداخل حروفه، و عجلة مورده، و إغلاظه" «۳».

... و بذا تم حفظ الألفاظ من زوایاه الکلیة «۴».

۳- التمکن من حفظ الألفاظ و جمعها

، دون أن ینخرم منها شیء أصلا أو أداء.

اعل موکب الوحی علی کل رائم طمس النور بفمه ... اعل موکب الوحی ... أو ما یکفی: جبریل علیه السلام فی قیادتک، و محمد صلی اللّه علیه و سلم فی ریادتک؟ ... اعل موکب الوحی ... یتراءی لنا خبرک ... حتی ترتفع أعلام الحب فداء بالمهج ...

طرقتک زائرة، فحی خیالها ... بیضاء، تخلط بالحیاء دلالها قادت فؤادک، فاستقاد، و قبلها ... قاد القلوب إلی الصبا فأمالها هل یطمسون من السماء نجومها ... بأکفهم؟ أم یسترون هلالها؟

أم یدفعون مقالة عن ربه؟ ... جبریل بلغها النبی فقالها. (۱) التحریر و التنویر ۱۹/ ۸۸۹، مرجع سابق.

(۲) الکشاف ۳/ ۱۲۷، مرجع سابق، و انظر: تفسیر القرطبی ۱۳/ ۱۳۸، مرجع سابق.

(۳) تفسیر ابن عطیة ۱۱/ ۱۴۸، مرجع سابق.

(۴) کما قال أبو حیان فی البحر المحیط ۷/ ۴۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۲

المبحث الثالث: نزول جبریل علیه السلام توقیفی:

یراد من هذا المبحث التأکید علی حقیقة هامة فی نقل القرآن من السماء إلی الأرض هی: التوقیفیة فی ذلک النقل، ذلک بأن جبریل علیه السلام لیس له من أمر الوحی القرآنی شیء، فنزوله کان بأمر اللّه عزّ و جل، و بعد صدور أمره سبحانه و تعالی، یکون نزول جبریل علیه السلام بإذنه، و علیه فإن نزول جبریل علیه السلام بأمر و إذن إلهی قبل النزول، مستصحبان مع النزول:

کما هو ظاهر من قوله تعالی فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللَّهِ "البقرة/ ۹۷، "و لذا قال أبو المسعود- رحمه اللّه تعالی-: بِإِذْنِ اللَّهِ "بأمره، و تیسیره، و فیه تلویح بکمال توجه جبریل علیه السلام إلی تنزیله، و صدق عزیمته علیه السلام، و هو حال فاعل نزله «"۱»، و قال الصاوی- رحمه اللّه تعالی "-المراد بالإذن الأمر لا العلم «"۲».

فاجتمع فی قوله بِإِذْنِ اللَّهِ: نزول جبریل علیه السلام بالقرآن عن أمر اللّه السابق، ثم تیسیره له ذلک و تسهیله، و هو مؤکد للمصدریة الإلهیة للقرآن الکریم، فما کان لجبریل علیه السلام من هوی شخصی، و لا إرادة ذاتیة فی أن ینزله علی قلبک، لأنه لا یعدو أن یکون منفذا لإرادة اللّه عزّ و جل، و إذنه فی تنزیل القرآن علی قلبک، و منه نستنتج أمرا بالغ الأهمیة هو: التوقیفیة فی نزول الملک:

فعن ابن عباس رضی اللّه عنه أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال: یا جبریل! ما یمنعک أن تزورنا أکثر مما تزورنا، فنزلت وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ لَهُ ما بَیْنَ أَیْدِینا وَ ما خَلْفَنا "مریم/ ۶۴ "إلی آخر الآیة، قال: کان هذا الجواب لمحمد صلی اللّه علیه و سلم «۳»، فقد تجذرت صفة الحق فی کل أجزاء (۱) تفسیر أبی السعود ۱/ ۲۲۰، مرجع سابق.

(۲) حاشیة الصاوی ۱/ ۷۲، مرجع سابق، و لا مانع من إرادة الأمرین، بل هو الظاهر، و بلاغة القرآن تشیر إلیه.

(۳) صحیح البخاری ۶/ ۲۷۱۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۳

الإنزال و التعلیم: الحق هو المنزل، و الحق فی المنزل، الحق فی النزول، کما فی قوله سبحانه و تعالی وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ" الإسراء/ ۱۰۵."

فإذا کانت التوقیفیة صفة ذاتیة للنزول، فکیف المنزل به؟.

و فی حرف الباء فی قوله تعالی بِإِذْنِ اللَّهِ یظهر معنی المصاحبة و الملابسة لأمر اللّه فی نزوله، لا معنی التجاوز و الاجتهاد، ثم أخذ الإذن، فهو أمر اللّه سبحانه و تعالی و إذنه الذی اختاره؛ إذ معلوم أن هذا التعبیر یفید أن الفعل تم بعد الإذن، کما قال عزّ و جل لا تَکَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ "هود/ ۱۰۵ "مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ "البقرة/ ۲۵۵، "مع أن الباء تفید الملاصقة، و هی من أهم معانی الباء «۱»، فقد کان الإذن الإلهی أمرا و إذنا واقعین قبل النزول، ملاصقین للنزول، مستصحبین حتی تمام أداء الوظیفة التعلیمیة.

و ما سبق کان وصفا لعمل المعلّم الملقی علیه السلام، فلننظر فی عمل طالبه المتلقن صلی اللّه علیه و سلم، و هو المبحث التالی: فائدة: قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی- فی فتح الباری ۸/ ۴۲۹، مرجع سابق ":تنبیه، الأمر فی هذه الآیة معناه الإذن، بدلیل سبب النزول المذکور، و یحتمل الحکم أی نتنزل مصاحبین لأمر اللّه عباده بما أوجب علیهم أو حرم، و یحتمل أن یکون المراد ما هو أعم من ذلک عند من یجیز حمل اللفظ علی جمیع معانیه."

(۱) قال ابن هشام- رحمه اللّه تعالی- فی مغنی اللبیب ۱/ ۱۰۱ متکلما عن معانی الباء: الإلصاق، قیل: و هو معنی لا یفارقها فلهذا اقتصر علیها سیبویه "انظر: ابن هشام الأنصاری ت ۷۶۱ ه: مغنی اللبیب عن کتب الأعاریب، تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید، المکتبة العصریة، صیدا- بیروت، طبعة بدون ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۴

المبحث الرابع: مظاهر اجتهاد النبى صلى اللّه عليه و سلم فى تلقى القرآن من جبريل عليه السلام قبل نزول التوقيف الإلهى:

اشارة

اجتهد النبى صلى اللّه عليه و سلم فى تطبيق هيئات تمكنه من حفظ القرآن عند إلقاء الملك له، بيد أن جلالة الأمر، و عظمة قضية التلقى من السماء للأرض منعته من الاجتهاد حتى فى مثل هذه الجزئية بل صار فعله توقيفيا، فلم يقر على اجتهاد، و بين له هيئة تلقيه، و لعل أهم حكم تأخير إنزال الأمر له بكيفية تلقى القرآن أن يعلم المسلمون من بعده ضرورة الوقوف عند التوقيف الإلهى فى تلقى القرآن، و أن النبى صلى اللّه عليه و سلم نهى عن بعض اجتهاداته المخالفة للتوقيف الإلهى فى طريقة التلقى فكيف غيره؟.

فمن مظاهر اجتهاده الأولى:

۱- تحريك اللسان بالقرآن قبل فراغ جبريل عليه السلام منه:

و هو ظاهر آية سورة طه ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ " ...طه/ ۱۱۴، "و آيات سورة القيامة لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ "القيامة/ ۱۶ "فإنه كان يبادر إلى أخذه و يسابق الملك فى قراءته، و لهذا قال عزّ و جل لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ كما قال وَ لا تَعْجَلْ «" ...۱».

و هذه الحركة تأخذ طابع العجلة لاستذكار السابق و دراك اللاحق، و فى رواية لحديث ابن عباس رضى اللّه عنه فى المعالجة: (كان رسول اللّه إذا نزل عليه الوحى يلقى منه شدة، و كان إذا نزل عليه عرف فى تحريكه شفتيه، يتلقى أوله و يحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره ... الحديث «۲»، و أخرج ابن أبى حاتم عن الحسن: كان يحرك به لسانه يتذكره فقيل له: إنا سنحفظه عليك، و للطبرى من طريق الشعبى: (۱) تفسير ابن كثير ۴/ ۳۸۳، مرجع سابق.

(۲) انظر: تفسير ابن كثير ۴/ ۴۵۰، مرجع سابق، و قد بحثت عن هذا النص بلفظه فى مظانه من كتب الحديث فلم أجده، و الألفاظ الأخرى تدل على معناه، و انظر فتح البارى ۱/ ۳۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۵

(كان إذا نزل عليه عجل يتكلم به من حبه إياه) «۴».

و ظاهر أنه كان يتكلم بما يلقى إليه منه أولا فأولا من شدة حبه إياه، و خوفه من تفلته، فأمر أن يتأنى إلى أن ينقضى النزول «۵».

۲- دراسته بحيث يشق عليه (و هذا أعم من السابق)

كما قال الضحاك ":السبب أنه كان صلى اللّه عليه و سلم يخاف أن ينسى القرآن، فكان يدرسه متى غلب ذلك عليه و شق فنزلت" «۶».

۳- التعجل فى السؤال عن معانيه:

كأنه كان يعجل فى الحفظ، و السؤال عن المعنى جميعا كما يظهر بعض المتحمسين من طلبة العلم و نحوه وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ "طه/ ۱۱۴ «"۷».

۴- القول القلبی و الاستفزاز العاطفی

بالإضافة إلی حرکة اللسان خشیة انفلات القرآن، و هو مستلزم لشدة اهتمام الفؤاد بالملقی؛ إذ أنه یلمح بازاء عجلة اللسان عجلة الفؤاد المسببة لاضطراب القلب.

و المراد أن شغل اللسان کان بحرکة السابق، و القلب بتثبیت اللاحق.

عند ذاک نزلت آیات سورة القیامة فقیل له لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ بالقرآن قبل فراغ جبریل علیه السلام منه لِتَعْجَلَ بِهِ أی بقراءته، و حفظه خوف أن ینفلت منه «۸» فنهی عن اجتهاده، و بیّن له کیف یتلقی القرآن، و آیات سورة القیامة تصف ذلک بدقة؛ إذ إن هذه الآیات و نحوها دائرة حول تلقی الوحی من الملک، ففیها "تعلیم من اللّه عزّ و جل لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی کیفیة تلقیه الوحی من الملک «"۹».

فقد استبان أن التوقیف فی الوحی القرآنی قد شمل هیئة الاستماع لتلاوة الملک. (۴) انظر: حدیث المعالجة فی المبحث السادس من هذا الفصل.

(۵) انظر: فتح الباری ۸/ ۶۳۸، مرجع سابق.

(۶) البحر المحیط ۸/ ۳۸۷، مرجع سابق.

(۷) البحر المحیط ۸/ ۳۸۸، مرجع سابق.

(۸) تفسیر الصاوی ۴۵/ ۳۵۳، مرجع سابق.

(۹) تفسیر ابن کثیر ۴/ ۳۸۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۶

المبحث الخامس: سمات الرسول صلی اللّه علیه و سلم حین نزول الوحی القرآنی علیه:

اشارة

إذا کان المبحث السابق قد تحدث عن مظاهر اجتهاد رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی تلقی الوحی القرآنی، و عن نهیه عن ذلک؛ فقد لزم معرفة سماته صلی اللّه علیه و سلم حین تلقی الوحی القرآنی، التی أبان بها عن خصائص التوقیف الإلهی فی تلقی الوحی القرآنی، و هو المراد من هذا المبحث. و هذه السمات تتلخص فی الآتی:

۱- تفریغ قلبه صلی اللّه علیه و سلم و حسه، و تخلیة فکره إلا فی المتلقی:

اشارة

و لذا کانت الغطة فی أول نزول جبریل علیه السلام علیه «۱»، کما کان الوحی القرآنی یأتیه فی مثل صلصلة الجرس.

و صلصلة الجرس «۲»: هو صوت متدارک لا یدرک فی أول الوهلة کصوت الجرس، أی أن الوحی یجیء فی صورة و هیئة لها مثل هذا الصوت، فنبه بالصوت غیر المعهود علی أنه یجیء فی هیئة غیر معهودة فلذا قابله بقوله فی صورة الفتی (و فی لفظ: الرجل)، فصلصلة الجرس مثال لصوت الوحی، و الصلصلة- بصادین مهملتین مفتوحتین بینهما لام ساکنة- فی الأصل صوت وقوع الحدید بعضه علی بعض، ثم أطلق علی کل صوت له طنین، و قیل هو صوت متدارک لا یدرک فی أول وهلة، و الجرس: الجلجل الذی یعلق فی رءوس الدواب و اشتقاقه من الجرس «۳» بإسکان الراء «۱». (۱) کما رواه البخاری ۱/ ۳، مرجع سابق، و فی النهایة فی

غريب الأثر ۲/ ۳۲۷، ۳/ ۳۴۲، مرجع سابق ":فى حديث المبعث: (فأخذ جبريل بحلقى فأبنى حتى أجهشت بالبكاء): السّأب العصر فى الحلق كالخنق و مثله غتت ففى حديث المبعث (فأخذنى جبريل فغتّنى حتى بلغ منّى الجهد): الغتّ و الغطّ سواء كأنه أراد عصرنى عصرا شديدا حتى وجدت منه المشقة كما يجد من يغمس فى الماء قهرا، "و فى فتح البارى ۱/ ۱۰، مرجع سابق ":قوله (فغطنى) بغين معجمة و طاء مهملة و فى رواية الطبرى بتاء مثناة من فوق كأنه أراد ضمنى و عصرنى، و الغط حبس النفس، و منه غطة فى الماء، أو أراد عمنى و منه الخنق، و لأبى داود الطيالسى فى مسنده بسند حسن (فأخذ بحلقى).

(۲) كما فى حديث الحارث بن هشام الذى تقدم فى الفصل الثانى- المبحث الثالث ص ۶۸.

(۳) و منه قيل للهمزة الحرف الجرسى لشدته و جلادته. انظر: (ابن الجزرى) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد ابن محمد بن على ت ۸۳۳ ه: التمهيد فى علم التجويد ص ۴۶، تحقيق غانم قدورى الحمد، ط ۳، ۱۴۰۹ ه- ۱۹۸۹ م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۷

و الحكمة فى تقدم هذا الصوت الشديد «۱»:

أن يقرع الوحى سمعه صلى اللّه عليه و سلم فلا يبقى فيه مكان لغيره «۲».

و لا بد من الإشارة هنا إلى أن السلسلة (أو الصلصلة) ظاهرة صوتية قوية مهابة تظهر مع كل إنزال للوحى الإلهى، و قد تقدم حديث النواس بن سمعان: (إذا تكلم اللّه بالوحى سمع أهل السماء صلصلة) «۳»، و فى قصة حنين حين رمى النبى صلى اللّه عليه و سلم على وجوه العدو التراب، فأخذ كفا من تراب، يضرب به وجوههم، و قال: (شاهت الوجوه)، فهزمهم اللّه عزّ و جل، فحدث أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه و فمه ترابا، و سمعنا صلصلة بين السماء و الأرض كإمرار الحديد على الطست «۴».

فقد كانت هذه الظاهرة الصوتية تدل على جلالة الخطب، و عظم الأمر، و تصاحب نزول الملك و فعله القوى الشديد، و هى لا شك داعية إلى تفريغ القلب و انشغاله بما صاحبها دون غيره.

۲- المعاناة فى تلقى الوحى:

اشارة

فقد كان نزول الوحى القرآنى، يستلزم أمرا زائدا على الطباع البشرية؛ و ذلك ليتم التأهل لاستماع الوحى القرآنى، ثم لحفظه و وعيه و من ثم تبليغه، و هى مسألة تستدعى النظر مع ما عرف عن العرب فى ذلك الوقت من الحفظ المفرط و الذاكرة القوية، لكأن هذه الخاصة التى تميز بها العرب لا تكفى للمحافظة على نص القرآن، أو تكفى، لكن لمزيد التأكد و التأكيد و توثيق النص القرآنى. (۱)

انظر: فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱/ ۳۵، مرجع سابق، و نحوه نقل السندى فى حاشيته على سنن ابن ماجة ۲/ ۱۴۶، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۱/ ۳۷، مرجع سابق.

(۳) انظر: الفصل الأول- المبحث الثالث.

(۴) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۲۸۶، مرجع سابق، و معناه فى: (أبو داود) سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى ت ۲۷۵ ه: سنن أبى داود ۴/ ۳۲، مراجعة: محمد محيى الدين عبد الحميد، و قال الشيخ الألبانى ":حسن."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۸

و لأن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يخرج عن حقيقته البشرية، مع زيادة الاختصاص عنهم فى كونه المصطفى من اللّه للرسالة قُلْ سُبْحانَ رَبِّی هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا "الإسراء/ ۹۳؛ "فقد اقتضى ذلك أن يكون فى طبيعة أقوى من مجرد كونه بشرا حال تلقيه

الوحى مع المحافظة على حقيقته البشرية، و لذا كان يعانى شدة هائلة من الوحى القرآنى بصفة خاصة؛ لأنه النازل على قلبه، و فيه يقول ابن حجر- رحمه اللّه تعالى-:

"معاناة التعب و الكرب عند نزول الوحى لما فيه من مخالفة العادة، و هو كثرة العرق فإنه يشعر بوجود أمر طارئ على الطباع البشرية" «۱»، على أن هذه المعاناة دليل حسى على إتمام عملية الوحى.

و على الرغم من التهيئة الإلهية للنبى صلى اللّه عليه و سلم ليستطيع قبول الوحى، فقد كان يعانى شدة عند نزوله مصداقا لقوله سبحانه و تعالى: إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "المزمل/ ۵، "و كانت الشدة تحصل له عند نزول الوحى لثقل القول «"۲».

و اتخذت هذه الشدة مظاهر متعددة، منها:

۱- ما يؤدى إلى تغير ملامح وجهه:

فعن عبادة بن الصامت: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان إذا نزل عليه الوحى كرب لذلك و تربد وجهه «۳».

۲- و منها ما يؤدى إلى شعوره بشدة فى نفسه و نفسه حتى يظنه الموت

، و هذا يذكر بحديث الغطة فى أول الوحى: فعن عبد اللّه بن عمرو رضى اللّه عنه قال: سألت النبى صلى اللّه عليه و سلم فقلت: يا رسول اللّه! هل تحس بالوحى؟ فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (نعم أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تفيض) «۴». (۱) انظر: فتح بشرح صحيح البخارى ۱/ ۳۰، مرجع سابق.

(۲) انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۶۸۳، مرجع سابق.

(۳) مسلم ۳/ ۱۳۱۶، مرجع سابق.

(۴) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۲/ ۲۲۲، مرجع سابق، و فيه: حدثنا عبد اللّه حدثنى أبى ثنا قتيبة ثنا بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد و قد تقرر فى قواعد المصطلح قبول رواية قتيبة عن ابن لهيعة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۹۹

۳- و منها ما يخرج ملامح جسده عن تأثير بيئته من حيث ظهور شدة الإجهاد عليه:

فعن زيد بن ثابت رضى اللّه عنه: (كان إذا نزل عليه الوحى ثقل لذلك، و تحدر جبينه عرقا كأنه جمان، و إن كان فى البرد) «۱».

۴- و منها ما يؤدى إلى ظهوره بمظهر تذلل العبد بيانا لضعفه:

فعن عبادة ابن الصامت رضى اللّه عنه: (كان إذا أنزل عليه الوحى نكس رأسه و نكس أصحابه رءوسهم، فإذا أقلع عنه رفع رأسه) «۲».

۵- بل يؤثّر على ما لامسه صلى اللّه عليه و سلم من بشر أو حيوان:

فعن زيد بن ثابت رضى اللّه عنه قال:

(كنت أكتب الوحى لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و كان إذا نزل عليه أخذته برحاء «۳» شديدة، و عرق عرقا شديدا مثل الجمان، ثم سرى عنه، فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف، أو كسرة، فأكتب، و هو يملى على، فما أفرغ حتى تكاد رجلى تنكسر من ثقل القرآن، و حتى أقول لا- أمشى على رجلى أبدا، فإذا فرغت، قال: (اقرأه)، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس «۴»، و عند البيهقى: (و إن كان ليوحى إليه، و هو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه) «۵». (۱) رواه الطبرانى، و صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ۴۷۹۳، مرجع سابق.

(۲) رواه مسلم ۴/ ۱۸۱۷، مرجع سابق.

(۳) فى مختار الصحاح ص ۱۹، مرجع سابق ":برحاء الحمى و غيرها بالضم و المد شدة الأذى تقول منه برّح به الأمر تبريحا أى جهده."

(۴) المعجم الأوسط ۲/ ۵۴۴، مرجع سابق.

(۵) دلائل النبوة ۳/ ۴، و عند ابن سعد ۱/ ۱۹۷، مرجع سابق من مراسيل عكرمة: (كان إذا أوحى إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم وقذ- أى ضعف و سكن- لذلك ساعة كهيئة السكران)، و عنده ۱/ ۱۹۷ عن أبى أروى الدوسى قال: (رأيت الوحى ينزل على النبى صلى اللّه عليه و سلم و إنه على راحلته فترغو و تفتل يديها، حتى أظن أن ذراعها تنقصم، فربما بركت، و ربما قامت موتدة يديها حتى يسرى عنه من ثقل الوحى، و إنه ليتحدر منه مثل الجمان).

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۰

و عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان إذا أوحى إليه و هو على ناقته وضعت حرانها، فلم تستطع أن تتحرك، و تلت قول اللّه عزّ و جل إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "المزمل/ ۴ «۱"»، و فى لفظ: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان إذا أوحى إليه و هو على ناقته لا تستطيع أن تتحول حتى سرّى عنه «۲».

۶- و هذه المظاهر ليست عوارض تأتى مع الوحى القرآنى أحيانا

، بل هى سمته الدائم، و عادته المستمرة عند نزول الوحى القرآنى: فعن عائشة: (فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ...) «۳»، و هذا دال على الاعتياد.

فإذا أضيف إلى هذا حقيقة أن الوحى ثقيل على الملائكة يعانون منه و هم الملائكة ... و إذا كان ثقل الوحى أمر طبعى بالنسبة للملائكة، و هم من هيأهم اللّه سبحانه و تعالى ليكونوا عنده، فكيف بالبشر الموصوفين بالضعف؟، و قد تقدم حديث السلسلة على الصفوان «۴»، و فى حديث ابن عباس رضى اللّه عنه عند ابن مردويه (فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا)، و عند مسلم عنه عن رجال من الأنصار أنهم كانوا عند النبى صلى اللّه عليه و سلم فرمى بنجم، فاستنار، فقال: (ما كنتم تقولون لهذا إذا رمى به فى الجاهلية؟ قالوا: (كنا نقول مات عظيم، أو يولد عظيم. فقال: (إنها لا يرمى بها لموت أحد، و لا لحياته، و لكن ربنا إذا قضى أمرا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح سماء الدنيا، ثم يقولون لحملة العرش: ما ذا قال ربكم؟ ...) الحديث «۵». (۱) المستدرك على الصحيحين ۲/ ۵۴۹، مرجع سابق، قال الحاكم ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. "و قال الذهبى فى التلخيص ":صحيح."

(۲) (ابن راهويه) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلى ت ۲۳۸ ه: مسند إسحاق بن راهويه ۲/ ۲۵۴ مراجعة: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشى ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۱ م، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة.

(۳) البخارى ۲/ ۹۴۵، مرجع سابق.

(۴) قال الخطابى ":السلسلة صوت الحديد إذا تحرك و تداخل "كما فى فتح البارى ۸/ ۵۳۳، مرجع سابق، و قد تقدم الكلام على الصلصلة فى ص ۹۶.

(۵) فتح البارى ۸/ ۵۳۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۱

و لثقل الوحى و معاناة النبى صلى اللّه عليه و سلم دلائل عدة من حيث موضوع البحث:

فأولها: التأكيد على توثيق النص القرآنى حال إنزاله، برفع مستوى النبى صلى اللّه عليه و سلم عن المستوى البشرى مع بقائه خارج هذه اللحظات على بشريته فهى الأغلب عليه، و هو ما يدعوه إلى تحمل ما يترتب على ذلك، كما أن وجود شدة العرق فى اليوم الشديد البرد، و ثقل الجسد يدل على طاقة جبارة هائلة يبذلها النبى صلى اللّه عليه و سلم ... و هو ما يؤدى إلى غرس الملقى إليه من القرآن الكريم فى فؤاده غرسا، و نقشها فى قلبه نقشا.

و من المعلوم أنك عند ما تضرب شخصا ضربا شديدا، أو تضغط بعض أعضائه ضغطا موجعا و تقول إثر ذلك كلمة فإنه لا ينساها ... و لذا كان الغت أو الغط فى أول الوحى، و برحاء الوحى بعد ذلك فى مظاهرها المتعددة ... و ثمة ملحوظة أخرى: هى تنوع مظاهر هذه البرحاء بين صلصلة جرس و دوى نحل، و ثقل جسد لتحقيق هدف النقش بأساليب مفاجأة مختلفة لا تعتادها النفس. و هو ما يعطى آفاقا كبيرة فى الأسلوب التربوى الذى ينبغى أن يتبع فى حياتنا التعليمية.

و ثانيها: وجود العلامة الحسية المشعرة للنبى صلى اللّه عليه و سلم بنزول الوحى، و هو ما يدفع تطرق التوهم إليه فيطمئن قلبه- بعد- إذا استيقن، و يدفع تطرق التوهم إلى غيره، فيعلمون سبل الاتصال الرسول الملك و الرسول البشر، فيغدو ما يستنكرونه من هذا الاتصال كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف.

و ثالثها: أن العلامة الحسية على الرغم من شدتها إلا أنها غير مشاهدة لغيره، و لا محسوسة من أحد سواه ممن حوله، إنما يشاهدون أعراضها فى جسده مما لا يدخل تحت نطاق القدرة البشرية «۱»، فلا وجه لنفى قراءة جبريل عليه السلام ما أنزله حرفا حرفا حال إنزال الوحى القرآنى على قلبه، فعدم الشعور بذلك داخل فى أن أمر الوحى برمته غير محسوس أو غير معلوم لمن حوله، بصفة دقيقة إلا ما يرونه من علامات ظاهرية صارت قرائن على وجود الوحى. (۱) أى أنهم اعتادوا ذلك من بعد بما يرونه من تأثر يظهر عليه على هيئة معينة ... سموها (برحاء الوحى).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۲

و فى عصرنا يمكن للإنسان أن يسمع إنسانا، و يرى آخر عن طريق الهاتف المرئى دون أن يشترك معه غيره من المحيطين به فى زمان التكلم و الرؤية إذا توافر الجهاز المرسل عند من يتكلم، و المستقبل عند من يسمع ... و هكذا نقرر بأن اللّه- تعالى ذكره- قد هيأ القدرة لجبريل عليه السلام للاتصال برسوله صلى اللّه عليه و سلم، و هيأ الرسول صلى اللّه عليه و سلم بمستقبلات لما يوحى إليه تدرك آثارها، و لا ترى حقيقتها و كيفيتها.

و رابعها: أن المقتضى المنهجى لهذه الشدة التى يعانيها الرسول صلى اللّه عليه و سلم عند إنزال الوحى القرآنى: أن يستشعر ذلك من يحفظ ألفاظ القرآن، و يحفّظها، و لا يتعامل مع لفظ القرآن بتساهل يذهب بركة القرآن ...

فإن اعترض بأنه: قد ورد ما يدل على يسر الوحى، و سهولة تأتيه ففى رواية الطبرانى لحديث الحارث بن هشام: (و يأتينى أحيانا فى صورة رجل يكلمنى كلاما، و هو أهون على) الحديث «۱» فهذا يدل على أن ثم هينا فى الوحى و أهون منه، فالجواب:

يوضح أمر هذه الرواية الروايات الأخرى، و ذلك أولى من العكس، لطبيعة الشدة المصاحبة للوحى بالنسبة لمن وصفوا بأنهم عند اللّه

عزّ و جل فضلا عمن سواهم ... فقد أراد بقوله:

(أهونه)، الأمر النسبى أى بالنسبة إلى الهيئة الأخرى من الوحى، قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:يفهم منه أن الوحى كله شديد، و لكن هذه الصفة أشدها «"۲».

و لذا فإن الهيئة الأخرى- و هو المجىء فى صورة رجل- ليست خاصة الأنبياء بل يشترك فيها غيرهم، و قد كلمت الملائكة مريم بنت عمران، و ليست بنبية عند الجمهور «۳»، كما كلم الملك هاجر أم إسماعيل: فقد قال ابن عباس رضى اللّه عنه: (فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه- أو قال- بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه، و تقول (۱) المعجم الكبير ۱/ ۳۴۵، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۸/ ۵۶۷، مرجع سابق.

(۳) انظر: تفسير القرطبى ۴/ ۴۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۳

بيدها هكذا ... فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة؛ فإن هاهنا بيت اللّه، يبنى هذا الغلام و أبوه، و إن اللّه لا يضيع أهله ...) «۱».

و هل يتنافى هذا مع كون القرآن ميسرا للذكر كما فى قوله عزّ و جل وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ "القمر/ ۱۷؟ "لا؛ لوجوه:

أولها: أن الحديث آت عن كيفية إيصاله من الملأ الأعلى إلى الأرض لا ما بعد ذلك، إذ قد يقال يسر عند انتقاله من بشر إلى بشر، على أن التيسير المذكور فى الآية ينصرف إلى المعنى قبل اللفظ، بدليل ذكر علة التيسير (للذكر).

و ثانيها: قد ينازع فى الأول، فالثانى واضح و هو: أن أعظم الكلام قد صيغ بأيسر الأساليب المفهومة، و إذا قورن بما ورد فى معلقة امرئ القيس علم مقدار تيسيره، مع أنه لا يستطاع مثله فذا وجه ثان فى توجيه الآية.

و ثالثها: أن ما ذكر من المقتضى المنهجى قد صرّح فيه أن مراده استشعار ثقل القول، لا أنه عند حفظه ثقيل، و يدل له أنه لا يعرف كتاب سماوى، و لا أرضى تيسر حفظه كالقرآن، بل المقارنة هنا لا تتم لشدة البون بين المقارن بينهما «۲»، و هو قوله سبحانه و تعالى فَإِنَّما يَسَّرْناهُ بِلِسانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ "الدخان/ ۵۸."

على أنه ينبغى تقرير أن وصف اللّه سبحانه و تعالى لكلامه بأنه (قول ثقيل) مع أنه كلام، و كلامه- تعالى ذكره، و جلّ عن التشبيه و التمثيل- عند ما ييسره للمخلوق لينقله بلسانه مع أن المعروف أنه يكون عبارة عن اهتزازات هوائية فلا يكون قولا ثقيلا إلا لأنه قول آخر غير قول البشر، و يلقى بطريقة خاصة حتى تكاد فخذ النبى صلى اللّه عليه و سلم أن ترضّ رجل كاتب الوحى، و تضع الناقة له جرانها، و يتفصد له جبين الرسول صلى اللّه عليه و سلم عرقا، فالثقل المراد قد يكون فى العملية التلقينية الأولى بين (۱) صحيح البخارى ۳/ ۱۲۲۷، مرجع سابق، و قد صرح برفعه فى أثناء الحديث.

(۲) و انظر فى معنى الآية: روح المعانى ۲۷/ ۱۲۹، مرجع سابق، و التحرير و التنوير ۲۷/ ۱۷۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۴

جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم يكون ميسرا بعد ذلك على الألسنة، و قد يكون الثقل هو فى القيام به، و تطبيق معناه، و قد يكون الثقل بالنظر إلى أنه كلام الجبار العظيم عزّ و جل كيف يطيق المخلوق حمله، أو فهمه ... لا شك أن حدوث ذلك يدل على تيسير عظيم ... مع أن عظمة كلام اللّه سبحانه و تعالى تجعله ثقيلا على المخلوق ... لكن اللّه عزّ و جل يسره، و بهذا يجمع بين آية المزمل و غيرها كآية الدخان، و آية القمر.

۳- التكلف الطبعى فى حفظ الوحى:

و البند السابق كان يتكلم عن التكلف غير الطبعى، و هنا الإشارة إلى التكلف الطبعى الذى كان فى ابتداء الوحى، و قد وصفه ابن

عباس رضی اللّه عنه بقوله: کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یعالج من التنزیل شدة، و کان مما یحرک به لسانه، و کان ذلک یعرف منه ... الحدیث «۱».

فقوله (کان مما یحرک به لسانه) أی کان کثیرا یفعل ذلک، و کرر (کان) لطول الکلام، (یعالج) المعالجة المحاولة للشیء، و المشقة فی تحصیله، و کان ذلک یعرف منه، أی یعرفه من رآه لما یظهر علی وجهه و بدنه من أثره «۲».

۴- تلقی الوحی القرآنی تلقی استماع لصوت متکلم بأحرف:

إذ الوحی القرآنی لیس إلقاء محضا فجائیا فی النفس (کالإلهام)، بل حرکة و صوت مقطع حرفا حرفا متتابع علی هیئة التعلیم، و یدل له صریحا قوله سبحانه و تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ "القیامة/ ۱۶ "وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ "طه/ ۱۱۴ "عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵، "و فی لفظ للبیهقی لحدیث الحارث ابن هشام (فیعلمنی) «۳»، و هی تطبیق واقعی لحقیقة عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی النجم/ ۵، "و یدل لها قوله فی الروایة المشهورة (فیکلمنی) و عند أحمد (فیخبرنی) «۱»، و لذا کان النبی (۱) یأتی تفصیله إن شاء اللّه فی المبحث الخامس من هذا الفصل.

(۲) انظر: (السیوطی) أبو الفضل جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر (۸۴۹- ۹۱۱ ه): الدیباج علی صحیح مسلم ۲/ ۱۵۸ مراجعة: أبو إسحاق الحوینی الأثری، دار ابن عفان- الخبر- السعودیة.

(۳) و قال ابن حجر فی فتح الباری ۱/ ۱۸، مرجع سابق ":هی تصحیف، "مع أنها لا تستبعد کما هو واضح.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۵

صلی اللّه علیه و سلم یحرک شفتیه عند تلقی الوحی القرآنی، و ما ذاک إلا لمتابعة الحرف الحرف «۱»، کما یدل له: حدیث ابن عباس رضی اللّه عنه فی قصة عثمان بن مظعون، و فیه: (إذ شخص رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ببصره إلی السماء، فنظر ساعة إلی السماء، فأخذ یضع بصره، حتی وضعه علی یمینه فی الأرض، فتحرف رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عن جلیسه عثمان إلی حیث وضع بصره، و أخذ ینفض رأسه کأنه یستفقه ما یقال له ...) «۲»، و فی حدیث المعالجة «۳»، و حدیث المعارضة «۴» من البحث ما یزید ذا الکلام تفصیلا.

۵- جمع القرآن فی صدره صلی اللّه علیه و سلم:

اشارة

إذ الوحی القرآنی کله إنزال علی القلب، و لما فی قوله تعالی إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القیامة/ ۱۷ "و یرتبط بهذه الحقیقة مفهومان:

الأول: أن ذلک لا ینافی أن تعلیم جبریل علیه السلام هو إقراء لکلمات من حروف متتابعة، و تقدم فی البند السابق.

الثانی: أنه لم ینزل من القرآن الکریم شیء فیلقیه إلیه الملک و هو علی صورة الرجل علی مجیئه الأسهل «۵»، بل جاء علی الصورة الأشد، و هذه حقیقة لم تعر کبیر اهتمام لتقریرها، و لا فی تقریرها، لعل ذلک لأنها بدهیة قرآنیة، و من أدلتها:

۱- قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ "البقرة/ ۹۷، "فهذا عام فی کل أنواع الموحی به من قرآن و غیره، و إن کان جل المفسرین یذهب إلی أن الضمیر یعود علی القرآن الکریم عود شهرة لا تستدعی سبق الذکر، و لکن قوله تعالی نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ (۱۹۴) عَلی قَلْبِکَ " ...الشعراء/ ۱۹۴- ۱۹۵- "و هو خاص بالقرآن (۱) و انظر الدلالة الثالثة من بند المعاناة فی المبحث الخامس، من هذا الفصل.

(۲) سبق تخریجه فی المبحث الأول من الفصل الثالث.

(۳) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) انظر: المبحث التاسع من هذا الفصل.

(۵) و صرح صاحب التحرير و التنوير ۱۹/ ۱۸۹، مرجع سابق أن حديث الحارث خاص بوحی القرآن.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۶

الكريم- قد أظهر معنی الضمير الوارد فی سورة البقرة، فإن نوزع فی ذلك فحسبه أن يكون دليلا مستقلا.

۲- حديث التفلت الآتی ذكره بعد قليل «۱»؛ إذ قد ضمن اللّه سبحانه و تعالی جمعه فی فؤاده.

۳- ما ذكر لنا من حوادث إنزال القرآن كلها تخدم هذه الحقيقة، و منها ما ذكره زيد بن ثابت رضی اللّه عنه فی كتبه للقرآن «۲»، إذ وصفه يدل على العادة المستمرة.

فلتنضم هذه الحقيقة الجليلة إلى حقائق تلقی النبی صلی اللّه عليه و سلم

القرآن من جبريل عليه السلام فتعطی بعدا أعظم لمن عمی بصره عن حقائق تلقی القرآن، فزعم دخول الاجتهاد البشری المحض فيه، و لتثبت أن حفظ القرآن هو الحفظ الكامل الذی لا يطرقه شك فی تفلت أو نقصان؛ إذ مجیء جبريل عليه السلام كان على غير الهيئة المعتادة للبشر.

و ثم حقيقة موازية تلوح فی هذا الباب، و هی:

أن هذا المجیء بهذه الشدة لا يستطيعه الجن فی التسلط على بنی آدم، إذ مبلغ فعل الشيطان الإغواء و الوسوسة و الإغراء، و التلبس على قول من يثبته، أما هذه الشدة التی يسمعها رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم فلا سبيل للشيطان لإحداثها.

فإن اعترض بأن: ظاهر آية سورة البقرة أن جبريل عليه السلام ألقی القرآن فی قلب النبی صلی اللّه عليه و سلم من غير سماع قراءة كما هو كذلك فی سورة الشعراء عَلى قَلْبِكَ.

فالجواب: قد بيّن فی مواضع أخر أن معنی ذلك أن الملك، يقرؤه عليه حتی يسمعه منه فتصل ألفاظه و معانيه إلى قلبه بعد سماعه، و ذلك هو معنی (نزوله على قلبه)، و يلاحظ أنه لم يقل (فی قلبه) كما سبق فی المبحث الثانی- و ذلك كما فی قوله عزّ و جل لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ ... بَيانَهُ "القيامة/ ۱۶، " ...و قوله وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً "طه/ ۱۱۴. ("۱) انظر: ص ۱۰۷.

(۲) انظر: ص ۹۹.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۷

و ليس المراد من النزول على القلب ما استدل به قوم راموا أمرا ما هم ببالغيه، فادعوا أن القرآن إلهام و قذف روحانی بدليل الآيتين المذكورتين؛ إذ العرب تستعمل النزول على القلب، و تكليم القلب، و تكليم الصدر، و حفظ الصدر ... و نحو ذلك فی الحفظ و الضبط و الوعی و الفهم لا فی نفی السماع، كما قال أبو ذر رضی اللّه عنه: (ما ترك رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم شيئا مما صبه جبريل و ميكائيل عليهما السلام فی صدره، إلا قد صبه فی صدری، و ما تركت شيئا مما صبه فی صدری، إلا قد صببته فی صدر مالك بن ضمرة) «۱».

و لعل من أعظم أسرار قوله تعالی عَلى قَلْبِكَ

غير ما تقدم، أن القرآن الكريم لا ينساه النبى صلى اللّه عليه و سلم نسيانا كليا كما روى ابن سعد من طريق أبى سلمة الماجشون أنه بلغه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كان يقول: (كان الوحى يأتينى على نحوين: يأتينى به جبريل فيلقيه على كما يلقى الرجل على الرجل فذلك ينفلت منى، و يأتينى فى شىء مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبى فذاك الذى لا ينفلت منى) و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى-:

"و هذا مرسل مع ثقة رجاله، فإن صح فهو محمول على ما كان قبل نزول قوله سبحانه و تعالى لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ، فإن الملك قد تمثل رجلا فى صور كثيرة، و لم ينفلت منه ما أتاه به، كما فى قصة مجيئه فى صورة دحية، و فى صورة أعرابى، و غير ذلك، و كلها فى الصحيح «"۲».

و باعتبار أن الوحى القرآنى كان شديدا، و النوم راحة لا شدة فيه، يطرح سؤال على ميدان البحث:

هل أوحى إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم شىء من القرآن مناما؟ و الجواب:

أن الظاهر من السمات العامة التى تقدمت أن ذلك لم يحدث، لما يتطلبه الوحى القرآنى من استعداد و شدة. (۱) المعجم الكبير ۲/ ۱۴۹، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۱/ ۱۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۸

فإن اعترض بأن: سورة الكوثر نزلت مناما كما رواه أنس رضى اللّه عنه قال: (بينا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ذات يوم بين أظهرنا- إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسما، فقلنا: ما أضحكك يا رسول اللّه؟! قال: (أنزلت على آنفا سورة فقرأ: بسم اللّه الرحمن الرحيم إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ (۱) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (۲) إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ "الكوثر/ ۱- ۳ "الحديث «۱»، إذ ظاهره أن سورة الكوثر نزلت مناما؟.

فالجواب: ذكر العلماء عددا من الأجوبة، و لكن الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- ارتضى:

أن معنى أغفى فى الحديث منصرف إلى ظن بعض الرواة أن ذلك حدث له، و ليس كذلك فى واقع الأمر، و إنما اعترته برحاء الوحى حتى توهم بعض من حوله أنه أغفى فقال ":و قد يظن أنه صلى اللّه عليه و سلم أغفى، و لا يحتاج من قال إن الأشبه أن القرآن كله نزل فى اليقظة إلى تأويل هذا الخبر بأنه صلى اللّه عليه و سلم خطر له فى تلك الإغفاءة سورة الكوثر التى نزلت قبلها فى اليقظة، أو عرض عليه الكوثر الذى أنزلت فيه السورة فقرأها عليهم، ثم إنه على ما قيل أن بعض القرآن نزل عليه صلى اللّه عليه و سلم و هو نائم استدلالا بهذا الخبر، يبقى ما قلناه من سماعه صلى اللّه عليه و سلم ما ينزل إليه، و وعيه إياه بقوى إلهية قدسية و نومه صلى اللّه عليه و سلم لا يمنع من ذلك، كيف و قد صح عنه أنه قال (تنام عينى و لا ينام قلبى «")۲».

و هذا الذى مال إليه الآلوسى، هو ما ذهب إليه الرافعى «۳»، حيث نقل عنه السيوطى قوله ":و الأولى أن تفسر الإغفاءة بالحالة التى كانت تعتريه عند الوحى، و يقال لها برحاء الوحى؛ فإنه كان يؤخذ عن الدنيا، و الأشبه أنه لم ينزل شىء من القرآن فى النوم «"۴»، و مال إليه السندى فى حاشيته على سنن النسائى فقال (":إذ أغفى) الإغفاء (۱) صحيح مسلم ۱/ ۳۰۰، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى/ ۱۸۲، مرجع سابق، و الحديث المذكور أخرجه البخارى ۱/ ۳۸۵، مرجع سابق.

(۳) كبير فقهاء الشافعية المناظر للإمام النووى ... و ليس الأستاذ مصطفى صادق الرافعى أديب العصر.

(۴) الديباج على صحيح مسلم ۲/ ۱۳۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۰۹

بالغين المعجمة-: النوم القليل، و فى المجمع: الإغفاء السنة، و هى حالة الوحى غالبا، و يحتمل أن يريد به الإعراض عما كان فيه «"۱»،

و قال ابن خلدون ":أن توجد لهم- أى الأنبياء- فى حال الوحى غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط، كأنها غشى، أو إغماء فى رأى العين، و ليست منهما فى شىء، و إنما هى فى الحقيقة استغراق فى لقاء الملك الروحانى، بإدراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية، ثم يتنزل إلى المدارك البشرية، إما بسماع دوى من الكلام، فيتفهمه، أو يتمثل له صورة شخص يخاطبه، بما جاء به من عند اللّه ثم تنجلى عنه تلك الحال و قد وعى ما ألقى إليه «"۲».

و يكفى فى الرد على هذا الوجهة قول اللّه عزّ و جل عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵؛ "إذ التعليم مناف للنوم إن أريد بالنوم ما يعتاد البشر، لا إن أريد به نوم الأنبياء.

كما يظهر للباحث أن ما ذكر فى الحديث من نزول سورة الكوثر ليس بنزول حقيقى لاتفاق أهل التفسير و متتبعى النزول أن هذه السورة مكية، و سياقها مثبت لمكيتها، و كلام أنس رضى اللّه عنه مشعر بوجوده حال الحديث و هو مدنىّ كما هو معلوم، و قد قال البيهقى ":و المشهور فيما بين أهل التفسير و المغازى أن هذه السورة مكية «"۳»، و ما ذكره الآلوسى يصلح وجها عند التنزل للرد على نفى المعاناة فى المنام من حيث أن قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم لا ينام.

و إذ انتهت هذه المسألة؛ فهل معنى ما قرر هنا أن الوحى غير القرآنى لم يكن يأت النبى صلى اللّه عليه و سلم على الصورة الأشد؟ و الجواب: لا! إذ لا يعنى ما قرر هاهنا، أن الوحى غير القرآنى لم يكن يأتيه بالصورة الشديدة، بل قد يأتيه كذلك كما فى حديث عبادة

ابن (۱) (السندى) أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادى ت ۱۱۳۸ ه: حاشية السندى على النسائى ۲/ ۱۳۴، مراجعة:

عبد الفتاح أبو غدة ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب.

(۲) مقدمة ابن خلدون ص ۹۲، مرجع سابق.

(۳) سنن البيهقى الكبرى ۲/ ۴۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۰

الصامت رضى اللّه عنه أنه قال: (كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إذا نزل الوحى عليه كرب لذلك، و تربد وجهه، فأوحى إليه ذات يوم، فلقى ذلك، فلما سرى عنه، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (خذوا عنى. قد جعل اللّه لهن سبيلا، الثيب بالثيب و البكر بالبكر، الثيب جلد مائة ثم رجما بالحجارة، و البكر بالبكر جلد مائة، ثم نفى سنة) «۱». و هو دال على مجىء الوحى غير القرآنى بالصورة الأشد.

إنما المراد من البحث السابق نفى أن يأتيه الوحى القرآنى بصورة نبذ الرجل، و إلقاء الفتى، و لذا تكاد لا ترى حديثا فيه ذكر لوحى قرآنى إلا- و صفة إنزاله هى الشديدة إن ذكرت، حتى صار ذلك سيماء الوحى القرآنى التى يذكرها كتابه عند وصفه، كما فى حديث زيد ابن ثابت رضى اللّه عنه المتقدم.

۶- ارتقاء القوى البشرية للنبى صلى اللّه عليه و سلم:

لتسد كل ثغرة ضعف فيها عند التلقى حتى وقت الإبلاغ، كما قال تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۷ "سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶، "و قد قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى قوله سبحانه و تعالى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ "العلق/ ۱ ":"أى لا تقرؤه بقوتك، و لا بمعرفتك، لكن بحول ربك و إعانته «"۲».

۷- الاستماع و الإنصات:

و هذا متحل فى الأمر العام وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ "الأعراف/ ۲۰۴، "فإن نوزع فيه فالأمر الخاص فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۸، "أى: فاستمع له و أنصت: كما فى تفسير ابن عباس رضى اللّه عنه «۳»، و يجعله نصا فى هذه المسألة

نهيه عن تحريك لسانه.

و الفرق بين الاستماع و الإنصات: أن الاستماع أخص من الإنصات؛ لأن الاستماع الإصغاء، و الإنصات السكوت، و لا يلزم من السكوت الإصغاء «۴». (۱) صحيح مسلم ۳/ ۱۳۱۶، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ۱/ ۳۵، مرجع سابق.

(۳) انظر: حديث المعالجة المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۶۸۳، مرجع سابق، و مثله: الديباج على صحيح مسلم ۲/ ۱۵۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۱

۸- الوعى لما يقوله الملك:

و ذا أمر قد تكفل اللّه به إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۷ "سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶، "و سيأتى تحليل هذين الموقفين القرآنيين- إن شاء اللّه تعالى- «۱»، و حدد النبى صلى اللّه عليه و سلم إسقاطه الواقعى فى قوله: (فيفصم عنى و قد وعيت عنه ما قال).

و قوله: (فيفصم) يضرب أى فيقطع عنى حامل الوحى "يقلع، و أصل الفصم القطع «"۲» (و قد وعيت عنه) أى حفظت عنه أى أجده فى قلبى مكشوفا متبيّنا بلا التباس، و لا إشكال «۳».

۹- تطبيق هيئات التلقى التوقيفية:

و هذا ينبنى على توقيفية هيئات التحمل، و يأتى ذلك فى تحليل حديث المعالجة «۴»، و من الملاحظات التى تقال هاهنا أن سورة القيامة من أول ما نزل فى مكة، و ذاك دال على التربية المبكرة على الطرق الصحيحة لتحمل القرآن الكريم.

و يرد بسط مفهوم التلقى و التلقين عقب حديث المعالجة «۵».

۱۰- استعداد الملكات النفسية فى النبى صلى اللّه عليه و سلم للحفظ:

حيث اقترن تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم بكمال الرغبة فى الحفظ و حب المحفوظ، ففى رواية الطبرى عن الشعبى: (عجل يتكلم من حبه إياه)، و لا تنافى بين محبته إياه و الشدة التى تلحقه فى ذلك، فأمر بأن ينصت حتى (۱) انظر: حديث المعالجة المبحث السادس من هذا الفصل، و آية الأعلى فى الفصل الخامس- المبحث الثانى.

(۲) (السيوطى) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر، ت ۹۱۱ ه: تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ص ۱۶۰، ۱۳۸۹- ۱۹۶۹ م المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

(۳) حاشية السندى على النسائى ۲/ ۱۵۰، مرجع سابق.

(۴) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

(۵) انظر: فى المبحث السابع من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۲

يقضى اللّه سبحانه و تعالى وحيه، و وعد بأنه آمن من تفلته منه بالنسيان أو غيره، و نحوه قوله سبحانه و تعالى وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ "طه/ ۱۱۴ "أى بالقراءة «۱».

و عدم التنافى بين الحب و الخوف لأن الحب ولد الخوف فكان ما هو معلوم «۲».

و المقتضى المنهجى لذلك: غرس الإجلال لحفظ القرآن فى نفس المتقدم لحفظه من حيث شرف الحفظ، و من حيث رهبة ادعاء

الانتساب إلی زمرة الحفاظ إن لم یکن قائما بالقرآن تقویما لألفاظه، و قیاما بأحکامه، و تمثلا لأخلاقه ... «۳».

و ما زال حادی الشوق یأرز إلی الحرم المطهر و المسجد النبوی حیث آثار جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم ... إذ ثم کان مرکز تعلّم ألفاظ القرآن الکریم من أمین الوحی فی السماء علیه السلام لأمین الوحی فی الأرض صلی اللّه علیه و سلم ...

ما لمطایانا تمیل ما لها؟ ... أظن رمل رامة بدا لها «۴» لا تحسبنّ میلها من ملل ... و إنما سکر الهوی أمالها تجدّ وجدا فی الحزون کلما ... تذکرت من یثرب أطلالها «۵» و إن حدا الحادی بذکر طیبة ... هیج ذکر طیبة بلبالها «۶» فشوقها یدفعها حتی تری .... آمالها هناک، أو آجالها (۱) انظر: فتح الباری بشرح صحیح البخاری ۱/ ۴۴، مرجع سابق، و انظر: تفسیر القرطبی ۱۹/ ۱۰۶، مرجع سابق.

(۲) تفسیر الطبری ۲۹/ ۱۸۷، مرجع سابق، و انظر: روح المعانی ۲۹/ ۲۴۳، مرجع سابق.

(۳) إذ یلاحظ تساهل بالغ فی حفظ القرآن من قبل المتقدّم له ... فلا هیبة له، و لا إجلال یعتریه ... لکأنما یشربه شرب الماء، غیر مصطحب معه فی مسیرة حفظه حبا أو خوفا.

(۴) رامة: موضع فی البادیة، و أراد به التکنیة عن البلد التی هواها فؤاده، کما هوتها القلوب ... و صرّح بأنها طیبة- بعد-.

(۵) الحزون: جمع حزن، و هی ما غلظ من الأرض ... یکنی عن مشقة السفر.

(۶) البلبال: شدّة الهم و الوسواس فی الصدور و حدیث النفس، فأما البلبال، بالکسر، فمصدر انظر: لسان العرب ۱۱/ ۶۹.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۳

المبحث السادس: حدیث المعالجة و دلالاته العامة:

اشارة

یبسط هذا المبحث حدیث المعالجة المشهور فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم من جبریل علیه السلام، حیث ظهر فیه اجتهاد النبی صلی اللّه علیه و سلم فی هذا التلقی قبل نزول التوقیف الإلهی، و التزامه بمفردات التوقیف الإلهی بعد ذلک ... و قد دل هذا الحدیث علی دلالات هامة فی مسألة تلقی القرآن من جبریل علیه السلام، و لذا فإن هذا المبحث سینقسم إلی خمسة مطالب:

المطلب الأول: متن حدیث المعالجة برواياته المختلفة.

المطلب الثانی: تحلیل الموقف فی حدیث المعالجة.

المطلب الثالث: تحلیل آیات سورة القیامة الواردة فی حدیث المعالجة.

المطلب الرابع: من فوائد حدیث المعالجة.

المطلب الخامس: من الدلالات الخاصة لحدیث المعالجة.

المطلب الأول: متن حدیث المعالجة برواياته المختلفة:

عن ابن عباس رضی اللّه عنه فی قوله تعالی لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یعالج من التنزیل شدة [و فی المعجم الکبیر: إذا نزل علیه القرآن تلقاه بلسانه و شفتیه و کان مما یحرک به [لسانه و] شفتیه [و فی السنن الکبری للنسائی مخافة أن یفلت منه [فیشتد علیه و کان یعرف منه فقال ابن عباس رضی اللّه عنه: فأنا أحرکهما لکم کما کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یحرکهما، و قال سعید: أنا أحرکهما کما رأیت ابن عباس رضی اللّه عنه یحرکهما، فحرک شفتیه، فأنزل اللّه تعالی لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ قال: جمعه له فی صدرک و تقرأه، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، قال:

فاستمع له و أنصت، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع [و أطرق ، فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبى صلى اللّه عليه و سلم كما قرأه

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۴

[كما وعده اللّه «۱»، و فى لفظ للبخارى: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا نزل عليه الوحى حرك به لسانه- و وصف سفيان يريد أن يحفظه- فأنزل اللّه لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، و فى لفظ له: فقيل له لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ يخشى أن ينفلت منه إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ أن نجمعه فى صدرك، و قرآنه أن تقرأه فَإِذا قَرَأْناهُ يقول أنزل عليه فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ أن نبينه على لسانك، و فى السنن الكبرى للنسائى: إذا نزل القرآن عليه يعجل بقراءتها ليحفظه «۲»، و فى لفظ: كان يعالج من ذلك شدة فأنزل اللّه عزّ و جلّ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ يقول: لتعجل بأخذه، يقول: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ يقول: جمعه أن نجمعه فى صدرك، و أن تقرأه، فَإِذا قَرَأْناهُ فإذا أنزلناه، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ يقول: فاستمع و أنصت، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ: أن نبينه بلسانك فاستراح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «۳».

المطلب الثانى: تحليل الموقف فى حديث المعالجة:

سبب المعاناة:

اشارة

كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يعانى عند إنزال القرآن عليه، و تلقيه له من صوت الملك من مشكلة استيعاب قواه البشرية للفظه؛ إذ يخاف من ضعفها مع عظم المنزل، فيتعجل أخذه من الملك متلقيا إياه بلسانه و شفتيه «۴»، لا لصعوبة حفظه؛ إذ هو من قوم اشتهروا بالحافظة المدهشة حتى أقاموها مقام الكتابة، و إنما كان سبب المعاناة متمثلا فيما يلى: (۱) صحيح البخارى ۱/ ۶، مرجع سابق، و الزيادات غير المعزوة هى للبخارى من طرق أخرى.

(۲) و نحوه فى: (الحميدى) أبو بكر عبد اللّه بن الزبير ت ۲۱۹ ه: مسند الحميدى، مراجعة: حبيب الرحمن الأعظمى، ۱۳۸۱ ه، دار الكتب العلمية- بيروت.

(۳) المعجم الكبير ۱۱/ ۴۵۸، مرجع سابق.

(۴) و فيه دليل على وجوب حفظ القرآن على النبى صلى اللّه عليه و سلم إذ لو كان يريد حفظ المعنى لما احتاج لبذل هذا الجهد، كما أن فيه دليلا على أن القرآن ليس بإلهام.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۵

۱) علمه أنه قد كلّف فى حدود ما تطيقه قواه البشرية

؛ إذ تلك من أساسات الشريعة، و تحديد مقدار هذه الطاقة عائد إلى مراقبة العبد لربه الذى يعلم السر و أخفى، و لذا فالنبى صلى اللّه عليه و سلم يستنفر- عند نزول الوحى عليه- جميع قواه خوفا من التقصير، و هذا واضح عند تحليل النص للوهلة الأولى.

۲) إشفاقه من أن يعتريه القصور البشرى

، فینفلت بعض القرآن منه، خاصة أنه لا یعلم الغیب صلی اللّه علیه و سلم، و لا یدری کمیة المنزل من حیث القلة و الکثرة.

۳) حبه للقرآن الکریم

، و لا تنافی بینه و بین السابق إذ الحب مولد الإشفاق.

فنهی النبی صلی اللّه علیه و سلم عن اتباع أسالیبه الخاصة فی تلقی القرآن و حفظه من العجلة بأخذه، و تحریک اللسان لأجل ذلک فی موضعین من القرآن الکریم، هما موضعا طه و القیامة، و أخبر أن هیئة تلقی القرآن توقیف، و لیست اجتهادا، و بیّن له الأسالیب التی یتلقی بها القرآن، و وعد بثلاثة أمور (من حیث اللفظ حیث أمر بذلک، و ضمن له تحقیقه): جمعه فی صدره (حفظ أصل اللفظ)، و قراءته بعد ذهاب الملک کما قرأه علیه الملک (أداء اللفظ بالهیئة التجویدیة و الأدائیة ذاتها)، و تبیینه بلسانه أی أداؤه کما أنزل إلیه «۱»، فقد نهی النبی صلی اللّه علیه و سلم عن اتباع أسالیبه الاجتهادیة فی تلقی الوحی القرآنی و تعلمه، و الموضعان اللذان فیهما النهی:

أحدهما: قوله عزّ و جل وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ "طه/ ۱۱۴، "و الآخر: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ" ... القیامة/ ۱۶- ۱۸."

فأما الأول: و هو قوله سبحانه و تعالی: ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ " ...طه/ ۱۱۴، "فقد قرر المفسرون أنه یجوز أن یکون معنی العجلة بالقرآن العجلة بقراءته حال إلقاء جبریل علیه السلام آیاته، فعن ابن عباس رضی اللّه عنه: کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یبادر جبریل علیه السلام فیقرأ قبل (۱) و تفصیل ذلک یأتی فی المطلب الثالث من هذا المبحث: تحلیل آیات سورة القیامة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۶

أن یفرغ جبریل علیه السلام حرصا علی الحفظ و خشیة من النسیان، فأنزل اللّه سبحانه و تعالی ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ " ...طه/ ۱۱۴، "فیکون المراد بقضاء وحیه: إتمامه و انتهاؤه، أی انتهاء المقدار الذی هو بصدد النزول «"۱».

و أما الثانی فهو فی سورة القیامة: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ "القیامة/ ۱۶- ۱۹."

المطلب الثالث: تحلیل آیات سورة القیامة الواردة فی حدیث المعالجة:

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ: ورد فیها معنیان «۲»:

۱- علینا أن نجمعه فی صدرک:

و هو عن ابن عباس رضی اللّه عنه و هو فی الصحیح کما فی متن الحدیث، و عن قتادة تفسیره بالحفظ «۳» ... و هما تعبیران آئلان إلی معنی واحد.

۲- الجمع هو التألیف:

و هو ما رواه الطبرى عن قتادة «۴»، و رواه البخارى معلقا عن ابن عباس رضى اللّه عنه فقال: قوله سبحانه و تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: تأليف بعضه إلى بعض «۵».

و كلا المعنيين يكونان حقيقة الجمع، و هى: جمعه فى الصدر محفوظا كما أنزله اللّه عزّ و جلّ بلفظه و نظمه و تأليفه ... و لئن كان تأليفه (ترتيب الآيات للاختلاف فى ترتيب السور) من اللّه، فلأن تكون أوجه الأداء منه سبحانه و تعالى أولى. (۱) انظر: التحرير و التنوير ۱۹/ ۳۱۷، مرجع سابق، و نحوه فى تفسير الجلالين و حاشية الصاوى عليهما ۳/ ۸۰، مرجع سابق، و كذا فى تفسير ابن كثير ۳/ ۴۹۵، مرجع سابق.

(۲) و أورد الآلوسى فى روح المعانى ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق: قولين آخرين فى معنى جمعه و قرآنه و ضعفهما، و لا يستحقان الاشتغال بهما.

(۳) انظر: فتح البارى ۸/ ۶۳۷، مرجع سابق.

(۴) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۸۸، مرجع سابق.

(۵) صحيح البخارى ۴/ ۱۷۷۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۷

و قراءته:

وقع فى رواية الطبرى فى معناها: و تقرأه بعد، أى: قراءتك إيله، أى جريانه على لسانك، فقرآنه مصدر مضاف إلى المفعول «۱».

فَإِذا قَرَأْناهُ:

ورد فى هذه الآية أربعة معان عن ابن عباس رضى اللّه عنه «۲».

الأول: أى قرأه عليك الملك، و هو مما ورد فى متن الحديث.

و الثانى: رواه عنه البخارى: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ: فإذا جمعناه و ألفناه، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أى ما جمع فيه، فاعمل بما أمرك، و انته عما نهاك اللّه «۳».

و الثالث: رواه عنه البخارى فقال ":باب قوله فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، قلل ابن عباس رضى اللّه عنه: قَرَأْناهُ بيناه فَاتَّبِعْ اعمل به «"۴».

و الرابع: أى: (فإذا أنزلناه) معلقا، رواه عنه البخارى موصولا فى خلق أفعال العباد، و فيه ":فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ فاتبع مجمله، و تفهم ما فيه «"۵».

و عند الطبرى من طريق قتادة فى قوله فَاتَّبِعْ ما يؤيد التأويل الثانى لابن عباس رضى اللّه عنه إذ قال فيه ":اتبع حلاله و اجتنب حرامه" «۶».

و التفسير الأول عن ابن عباس رضى اللّه عنه أشهر. (۱) حاشية الصاوى بهامش تفسير الجلالين ۴/ ۳۵۳، مرجع سابق.

(۲) أما ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فقال ":و الحاصل أن لابن عباس رضى اللّه عنه فى تأويل قوله تعالى قَرَأْناهُ و فى قوله فَاتَّبِعْ قولين انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۶۸۳، مرجع سابق.

(۳) صحيح البخارى ۴/ ۱۷۷۰، مرجع سابق.

(۴) صحيح البخارى ۴/ ۱۸۷۷، مرجع سابق، و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:هذا التفسير رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس- رضى اللّه تعالى عنهما- أخرجه بن أبى حاتم "انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ۸/ ۶۸۲، مرجع سابق.

(۵) (البخارى) أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجعفى ت ۲۵۶ ه: خلق أفعال العباد ۸۴ مراجعة: د. عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية- الرياض ۱۳۹۸ ه- ۱۹۷۸ م.

(۶) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۸۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۸

و لا- تنافى بين هذه التأويلات، إذ يصبح المعنى عند الجمع بين الوارد فيها: فإذا أنزلناه فبيناه، بأن قرأه عليه الملك مجموعا مؤلفا فاستمع له و أنصت، فإذا انتهت قراءة جبريل عليه السلام فاقرأ أنت، ثم اتبع ما فيه من حلال، و اجتنب ما فيه من حرام ... فكانت ألفاظ التفسير مختلفة بحسب بدايات نزول القرآن و نهاياته؛ إذ البدء يكون بنزول الملك، ثم التبيين بقراءة الملك أيضا، و هو مستدع لإنصات النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم تكون مرحلة قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثم مرحلة العمل به ... فقد اتفقت فى حقيقتها «۱»، و يدل لهذا أن ابن عباس رضى اللّه عنه فسر قوله تعالى أَنْزَلْناها "النور/ ۱، "كما روى عنه البخارى: بيناها «۲»، و قال ابن حجر": كذا فى النسخ، و الصواب (أنزلناها و فرضناها) بيناها «"۳»، فجعل معنى بيناها لفرضناها لا لأنزلناها، و هو غريب من حيث أنه صرح بأن النسخ اجتمعت على أن بيناها معنى لأنزلناها، فكان النظر داعيا إلى التأمل فى المناسبة بينهما قبل صرفه بادئ الرأى إلى معنى آخر، و قد ظهرت للباحث مناسبة معنى الإنزال للبيان من خلال تأويل ابن عباس رضى اللّه عنه لقوله قَرَأْناهُ بأنه أنزلناه تارة، و بمعنى بيناه تارة أخرى، فقد جعل ابن عباس رضى اللّه عنه البيان لازم الإنزال، و ما أحسن ذاك بالنظر إلى الذات الإلهية، فتخطئة النسخ جميعا عارض يفتقد القرينة فنبقى على الأصل.

فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۴»: ورد فيها أربعة معان:

أولها: فاستمع له و أنصت ":أى أنصت إلى قراءتنا «"۱»، و قال الزمخشرى ":فكن مصغيا له فيه، و لا تراسله، و طمئن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ؛ فنحن فى ضمان تحفيظه. ("۱) و هذا التأويل للآيات هو الموافق لتأويل ابن عباس رضى اللّه عنه كما سبق. و قد قال عنه صاحب التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۴۹، مرجع سابق ":هذا ما لا خلاف فيه بين أهل الحديث و أئمة التفسير."

(۲) صحيح البخارى ۴/ ۱۷۷۰، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۸/ ۴۳۳، مرجع سابق.

(۴) روح المعانى ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۱۹

و قال الآلوسى «۱ "»:فكن مصغيا له لا مباريا، و قيل: فَإِذا قَرَأْناهُ فاتبع بذهنك و فكرك قُرْآنَهُ أى: فاستمع و أنصت، و صح هذا من رواية الشيخين و غيرهما عن ابن عباس رضى اللّه عنه «۲».

و ثانيها: أن الضمير فى قوله فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ لجبريل عليه السلام، و التقدير: فإذا انتهت قراءة جبريل عليه السلام فاقرأ أنت «۳».

و ثالثها: فاعمل ما أمرك.

و رابعها: اتبع مجمله و تفهم ما فيه.

و لا تنافى بينها، بل حال هذه الآية كما سبق فيما قبلها.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ: ورد فيه معنيان أيضا:

أن نبينه بلسانك «۴»، و الآخر: العمل، و ذكر ابن جرير القولين «۵»، و لا- تنافى بينهما كما يظهر «۶»، و القول فيهما كالقول فى الآية السابقة، مثلا بمثل، و ذلك أن بيان مجمله، أو تفصيل مشكله غير كائن إلا بتحقيق لفظه، و قد يقف الراسخون فى العلم حيارى أمام لفظة محرفة، أو مصحفة حتى يتيقنوا لفظها أو يقاربوا، ثم يسبروا غور معناها بعد، و الأمر هاهنا كذلك إذ ينصرف معنى البيان انصرافا

أولیا إلی معنی البیان اللفظی، و هو آیل فی کلام اللّه- بعد- إلی البیان المعنوی، فمن فسره بالبیان المعنوی فهو (۱) التحریر و التنویر ۲۹/ ۳۴۹، مرجع سابق.

(۲) روح المعانی ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق.

(۳) فتح الباری ۸/ ۶۸۳، مرجع سابق.

(۴) و عند البخاری فی خلق أفعال العباد ۸۴، مرجع سابق ":أن نثبته علی لسانک "و لا یعترض بأنه یحتمل أن یکون قد اعتراها التصحیف، إذ قد ورد فی قوله تعالی فَتَبَیَّنُوا "الحجرات/ ۶ "القراءة الأخری فتثبتوا و المعنی مرتبط بینهما؛ إذ التثبت ثمرة التبین.

(۵) تفسیر الطبری ۲۹/ ۱۸۹، مرجع سابق.

(۶) کما لا منافاة بین الأقوال الثلاثة التی أوردها ابن جریر ۲۹/ ۱۸۹، مرجع سابق فی تأویل فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و هی:

فاستمع قرآنه، فاتبع معانیه من الشرائع و الأحکام، فاعمل به.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۰

باعتبار نهایة الأمر، و لذا قدّم تأویل الآیة بالبیان اللفظی عند العلماء:

فقال الآمدی ":یجوز أن یراد بالبیان الإظهار، لا بیان المجمل: یقال بان الکوکب إذا ظهر- قال- و یؤید ذلک أن المراد جمیع القرآن، و المجمل إنما هو بعضه، و لا اختصاص لبعضه بالأمر المذکور دون بعض «"۱»، و معنی الجملتین إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: إن علینا جمع الوحی، و أن تقرأه، و فوق ذلک أن تبینه للناس بلسانک، أی نتکفل لک بأن یکون جمعه و قرآنه بلسانک، أی عن ظهر قلبک لا بکتابة تقرؤها، بل أن یکون محفوظا فی الصدور، مبینا لکل سامع لا یتوقف علی مراجعة، و لا علی إحضار مصحف من قرب أو بعد، فالبیان هنا بیان ألفاظه، لیس بیان معانیه؛ لأن بیان معانیه ملازم لورود ألفاظه «"۲» ...، و قال الآلوسی ":یجوز أن یراد بالبیان الإظهار لا بیان المجمل، و قد صح من روایة الشیخین و غیرهما و جماعة عن الحبر أنه قال فی ذلک: ثم إن علینا أن نبینه بلسانک، و فی لفظ: علینا أن تقرأه، و یؤید ذلک أن المراد بیان جمیع القرآن، و المجمل بعضه «"۳».

و هذا عند التقدیم لشیء علی شیء، و إلا فإن الآیة محتملة لجمیع أنواع البیان یقدمها بیان اللفظ إذ الکلام فیه، و غیره بینی علیه، و یقوی ذلک العموم لأنواع البیان: أن قوله بیانه جنس مضاف فیعم جمیع أصنافه من إظهاره، و تبیین أحکامه، و ما یتعلق بها من تخصیص، و تقیید، و نسخ، و غیر ذلک.

ففی هذه الآیات: تکفل اللّه له أن یجمعه فی صدره، و أن ییسره لأدائه علی الوجه الذی ألقاه إلیه، و أن یبینه له، و یفسره، و یوضحه، فالحالة الأولی جمعه فی صدره، و الثانیة تلاوته و بیانه فی مخارج لفظه حق بیانه، و الثالثة تفسیره، و إیضاح معناه «۴». (۱) فتح الباری شرح صحیح البخاری ۸/ ۶۳۷، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحریر و التنویر ۲۹/ ۳۵۰، مرجع سابق.

(۳) روح المعانی ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق.

(۴) انظر: (ابن کثیر) أبو الفداء عماد الدین إسماعیل بن کثیر القرشی الدمشقی ت ۷۷۴ ه: تفسیر القرآن العظیم ۴/ ۳۸۳، تقدیم: محمد عبد الرحمن المرعشلی، إعداد: مکتب تحقیق دار إحیاء التراث العربی، أعد فهارسها: ریاض عبد اللّه عبد الهادی ط ۱، ۱۴۱۷- ۱۹۹۷ م، دار إحیاء التراث العربی- بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۱

و تلخیصا للمعالم السابقة مع ما ورد فی الفصل الأول یقال: انطلاقا من قاعدتی الإثبات و النفی الحاصرتین المانعتین لأی تدخل من الخلق فی أداء کلام اللّه سبحانه و تعالی، و هما الواردتان فی قوله- تعالی ذکره-: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹" إثباتا، لا مُبَدِّلَ لِکَلِماتِهِ "الأنعام/ ۱۱۵، "نفیا، فإن الحفظ الإلهی للکتاب الکریم فی عالم المخلوقین قد بدأت أدواته الواقعیة بالتشکل

مـذ تكلم به الخالق- تعالى ذكره: فقد اختار اللّه عزّ و جل حافظا قويا أمينا لنقل كلامه، و تعليمه للخلق بدقة متناهية، و نحن نعرف من وسائـل العصـر مـا يتمكن به الإنسـان من حفـظ كلامـه بلا تغير، بل بنفس المؤثرات التى تحف بكلامه ... كالمسـجلة التى إذا وجهت رسالة بواسـطتها لشخص، أمكنك أن تقول له: قد قلت لك كذا و كذا مع أنك قلته فى وقت آخر، و مكان آخر ... و لا تكون كاذبا بذلك، و إن كان لم يسـمع منك مباشرة ... بل سمع من المسجل، لكن المسجلة لدقة حفظها، و ضبطها نقلت نقلا أمينا ... و للّه المثل الأـعلى، فقـد جعـل اللّه- تعالى ذكره- جبريل عليه السـلام أمينا على الوحى قويا على نقله لدرجـة يكاد من دقتها أن يصـح القول بأن الذى اقرأ النبى صـلى اللّه عليه و سلم هو اللّه- تعالى ذكره-، و لذا جاز نسبة إقراء جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم كلام اللّه إلى اللّه- تعالى ذكره- لشدة ضـبطه و إتقانه و دقته ... و هذا هو سر إسناد الفعل إلى اللّه فى قوله سبحانه و تعالى فَإِذا قَرَأْناهُ مع أن القائم به هو جبريل عليه السلام ... فكانت قراءة جبريل عليه السلام مطابقة أمينة تماما كما تلقاه عن اللّه- جل و علا-.

المطلب الرابع: من فوائد حديث المعالجة «۱»:

أول فائدة تتعلق بلفظ القرآن:

هى أن الالتزام بجمع القرآن فى صـدر النبى صـلى اللّه عليه و سـلم ثم جريانه على لسانه كما قرأه جبريل عليه السـلام ... لم يقف عند قراءة الألفاظ كما هى، بل تعدى ذلك (۱) عدا ما تقدم فى المطالب السابقة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۲

إلى (بيان الألفاظ) بيانا واضـحا مسـتمدا من عربية اللسان من حيث العموم، و هيئة تلاوة القرآن من حيث خصوص كونه قرآنا، فتأويل ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنـا بَيانَهُ "بتفهيم ما أشـكل عليك من معانيه «"۱» قصـر لعام بغير دليل، و تخصـيص للمعنى بغير مخصص، على أن الأنسب و الأوفق للمقام الكلام على اللفظ قبل المعنى "فإن الكلام له لفظ و معنى، و له نسبة إلى الأذن و القلب و متعلق بهما، فسماع لفظه حفظ الأذن، و سـماع حقيقة معناه و مقصوده حظ القلب «"۲»، و كلاهما مراد بيانه، و الأول أولى لأنه طريق إلى الثانى الـذى هو الغايـة من الأمرين، قال ابن كثير فى قوله سـبحانه و تعالى ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ: أى بعد حفظه و تلاوته، نبينه لك و نوضـحه، و نلهمك معناه على ما أردنا و شرعنا «"۳».

و ثانى فائدة تؤخذ من هذه الآيات مما يتعلق باللفظ:

أن الحفظ للألفاظ مقدم على اسـتلهام المعنى و بيانه «۴»، و هى القاعـدة المسـتنتجة من قوله عزّ و جل ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، فليس المعنى سابقا للحفظ، و المراد ليس إيجاد المعنى: إذ هو قبل اللفظ فى حيز العدم و الخفاء، و ليس المراد استحضاره فى الذهن، و هو يدل من جهة أخرى على أهمية ضـبط اللفظ، لا على ما زعم من أن المعانى الأولية هى المقصودة بقطع النظر عن قالبها، و هى ما سـمى أصوليا بالمعانى الثانوية «۵»، ثم كانت هذه التسمية، و ذا التقسيم سببا فى التهوين من الجانب اللفظى للكلمات ... و بذا استبان غرور من ادعى سبق الاهتمام بالمعنى، و قد يسلّم فى أن المعنى يسبق اللفظ من حيث الوجود النفسى، و لكن الكلام هنا عن معنى موجود فى الخارج عبّر عنه بلفظ ... فأنّى له أن يعرف دون عبور ممره الموصل إليه و هو اللفظ؟، و هذا (۱) حاشية الصاوى ۳/ ۳۵۴، مرجع سابق.

(۲) تهذيب مدارج السالكين ۱/ ۷۰، مرجع سابق.

(۳) تفسير القرآن العظيم ۴/ ۳۸۳، مرجع سابق.

(۴) و هو ما رجحه العلماء فى فهم الآية كما سبق، على أن الترجيح فرع التضاد، و لا تضاد بحمد اللّه ...

(۵) و اسـتنتج البعض هـذا من فهم خـاطئ لكلام الإمام الشاطبى فى الموافقات ۲/ ۶۶، مرجع سـابق، فإنه إنما مهـد بكلامه ذاك عن

مسألة الترجمة للقرآن.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۳

هو حال ألفاظ القرآن الكريم، إذ لا يعرف المعنى الذى يريده اللّه سبحانه و تعالى فى كلامه إلا بمعرفة لفظه، و لفظه هو سبحانه و تعالى لا- لفظ غيره، و هذا على القول بأن ثُمَّ فى قوله سبحانه و تعالى ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ للتراخى الزمنى، إما على القول بأنها للتراخى الرتبى ... فلا تنخرم القاعدة كليا لكنها تعدل بحيث يقيد بيان المعنى بملازمة إتقان اللفظ إذ هو طريقه.

و لعل هذا المعنى هو الذى يسوغ تعليم الصبيان ألفاظ القرآن، و تحفيظهم إياها، و إن لم يتقنوا معناها.

كما لا ينافى هذا التأويل ما أورده ابن جرير عن ابن عباس رضى اللّه عنه: كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه فقال اللّه لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ أن نجمعه لك وَ قُرْآنَهُ أن نقرئك فلا- تنسى «"۱»؛ فإنها مؤيدة لما سبق مكملة له ففيها التأكيد على تكفل اللّه عزّ و جلّ بحفظ كتابه من حيث العموم، بالإضافة إلى ما نبأت به الروايات الأولى فى هيئات حفظ كتابه من حيث الخصوص (خصوص التلقى فى كل مرة) و انظر ما سيأتى فى بند تكرار المحفوظ «۲».

المطلب الخامس: من دلالات الحديث الخاصة:

۱- تحريك الفم:

فالقراءة النفسية لا وجود لها، أو لا تسمى قراءة عند الإطلاق «۳». و لا- يعترض على هذا بأنه: منتقض بأن القرآن ذكر، فيكون فى النفس، كالقول؛ إذ قال اللّه سبحانه و تعالى: وَ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِما نَقُولُ "المجادلة/ ۸، "لأن القراءة مرتبة أعلى من القول من حيث تحريك الفم (۱) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۹۰، مرجع سابق.

(۲) انظر: المبحث الثامن من هذا الفصل.

(۳) و لذا بوب الإمام البيهقى فى سننه الكبرى ۷/ ۳۵۰، مرجع سابق ":باب الرجل يطلق امرأته فى نفسه و لم يحرك به لسانه."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۴

(الشفتين و اللسان)، و لذا قال اللّه سبحانه و تعالى وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ "الأعراف/ ۲۰۴، "و لم يقل (و إذا قيل)، و يدل له: أنه كان يمكن أن لا ينازع الصحابة رسول فى القراءة فى الصلاة لو قرءوا فى أنفسهم، و سمى فعلهم قراءة، و لكنه أبى عليهم، إذ القراءة لا بد فيها من تحريك الفم، بل و إسماع النفس على الأقل عند بعض الفقهاء «۱» ... و قد يقال كل ما ذكر معارض ... فيجاب حينئذ بأن القراءة النفسية- إن وجدت- لا بد من تقييدها بذلك، و لا يكفى فيها الإطلاق.

و قوله: (فأنا أحركهما) دلالة على أن القراءة لا- تسمى كذلك إلا بتحريك الشفتين، و يدل على ذلك آية القيامة لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ و آية طه ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ...، إذ يلمح منها ضرورة تحريك اللسان فى حفظ القرآن إذ النهى مؤقت بقراءة المعلم.

و نأخذ منه أيضا أفضلية استجماع القلب و الإنصات التام للسماع الأول من الشيخ، لتكون خطوات لازمة من خطوات تلقى القرآن، و قراءته، و حفظه.

و من بواعث تحريك الفم عند قراءة القرآن: الحفظ، و خشية النسيان، و حب القرآن ... و من أسرار ذلك: تهييج اللسان لإظهار استسلامه للّه، و حركته فى طاعة اللّه عزّ و جل سبحانه و تعالى و مبادرته فى المشاركة فى إظهار كلام اللّه عزّ و جل ... فيشترك القلب، و اللسان، ثم الجوارح بالعمل فى إجلال كلام اللّه سبحانه و تعالى، و قال ابن حجر فى تجلية عمل اللسان فى إحياء البواعث المذكورة ":قوله: (فيشتد عليه) ظاهر هذا السياق أن السبب فى المبادرة حصول المشقة (۱) انظر: (المهدى) أحمد بن يحيى المرتضى

ت ۸۴۰ ه: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، و بهامشه: جواهر الأخبار و الآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للعلامة محمد بن يحيى بن بهران الصعدى ت ۹۵۷ ه، أشرف عليها: عبد اللّه محمد الصديق، و عبد الحفيظ سعد عطية، دار الكتاب الإسلامى- القاهرة، و انظر: د. مصطفى ديب البغا: التحفة الرضية فى فقه السادة المالكية ص ۴۰، شرح و أدلة و تكملة متن العشماوية، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، دار ابن كثير، دمشق- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۵

التى يجدها عند النزول فكان يتعجل بأخذه لنزول المشقة سريعا، و بين فى رواية إسرائيل: (أن ذلك كان خشية أن ينساه، حيث قال: فقيل له لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ تخشى أن ينفلت)، و أخرج بن أبى حاتم من طريق أبى رجاء عن الحسن: (كان يحرك به لسانه، يتذكره، فقيل له: إنا سنحفظه عليك)، و للطبرى من طريق الشعبى: (كان إذا نزل عليه عجل يتكلم به من حبه إياه)، و ظاهره أنه كان يتكلم بما يلقى إليه منه أولا فأولا من شدة حبه إياه فأمر أن يتأنى إلى أن ينقضى النزول، و لا بعد فى تعدد السبب «"۱».

و تعدد السبب مع اتحاد المقتضى (التحريك) موجب منهجيا اعتماد تحريك الفم عند إرادة تحقيق أحد تلك البواعث (الخوف، و الإشفاق، و الحب).

۲- أخذ النفس بالشدة فى قراءة القرآن و حفظه:

أما فى القراءة فحديث التعتعة: عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- قالت: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة و الذى يقرأ القرآن و يتتعتع فيه و هو عليه شاق له أجران) «۲»، و الماهر لا تظهر مهارته إلا بعد الدربة، فينهار بناء من بنى سهولة أخذ القرآن على عربيته أى أن حفظه سهل لمجرد كونه عربيا، و عدم الحاجة إلى الكلفة فى تعلمه؛ إذ قد اتضحت ضرورة الكلفة للقسمين المذكورين فى حديث التعتعة.

و أما فى الحفظ فظاهر ذلك فى حديث المعالجة.

و أما فى المراجعة ففى أحاديث التفلت «۳». فلا بد من أخذ النفس بشىء من الشدة فى قراءة القرآن، و حفظه، و مراجعته.

و المقتضى المنهجى لهذه الشدة: إعطاء قراءة القرآن، و حفظه، و تلاوته، و مراجعته، حجمها الحقيقى دون هضم، أو تقليل من حجمها، إذ معظم الحالات الواقعة فى حياة (۱) فتح البارى ۸/ ۶۸۲، مرجع سابق.

(۲) صحيح مسلم ۱/ ۵۴۹، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۶

حفاظ القرآن فضلا عن بقية أمة القرآن التهوين من ذلك إما تكاسلا، أو تهاونا، أو هروبا من الإغراق فى مفهوم البركة! فيقلل البعض من العزيمة فى معالجة الوحى القرآنى قراءة، أو حفظا، أو مراجعة، لئلا يهول مفهوم البركة على مفهوم بذل الأسباب، أو الاطلاع على بقية كتب أهل العلم، أو التوسع فى معرفة الثقافات العصرية ... و هذه مسألة بحاجة إلى مزيد تدبر دون شطط.

و لا ينافى هذا قوله سبحانه و تعالى وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ "القمر/ ۱۷» كما تقدم «۱»، و لما هو ظاهر أن القرآن ميسر للذكرى، و لا علاقة لذا مع موضوع الحفظ، و حديث التعتعة المذكور آنفا صريح فى هذا التقرير.

۳- مخارج الحروف هى الخمسة المشهورة:

فلا يستدل بآية القيامة لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ على أن اللسان هو المخرج الوحيد، و لذا ذكر فى حديث المعالجة (الشفتين)، قال ابن

حجر ":قوله: (و كان مما يحرك به لسانه و شفتيه) اقتصر أبو عوانة على ذكر الشفتين، و كذلك إسرائيل، و اقتصر سفيان على ذكر اللسان، و الجميع مراد إما لأن التحريكين متلازمان غالبا، أو المراد يحرك فمه المشتمل على الشفتين و اللسان لكن لما كان اللسان هو الأصل فى النطق اقتصر فى الآية عليه «"۲».

و يقال على السياق نفسه: و اقتصر على الشفتين و اللسان لأنهما الظاهران للعيان، بخلاف الحلق و الجوف و الخيشوم. (۱) انظر: المبحث الخامس من هذا الفصل.

(۲) فتح البارى ۸/ ۶۸۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۷

المبحث السابع: التلقى (و التلقين):

اشارة

يحلل هذا المبحث مصطلح (التلقى)، و لذا فهو يتكون هذا المبحث من خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريفه.

المطلب الثانى: القرآن تلقين و ليس إلهاما.

المطلب الثالث: حكم التلقين.

المطلب الرابع: قواعده.

المطلب الخامس: المقتضى المنهجى لأسلوب تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم.

المطلب الأول: تعريفه:

التلقى فى الوضع اللغوى:

اشارة

مأخوذ من الإلقاء، و يظهر فى الإلقاء كونه حسيا مشاهدا سواء كان قولا يلقى باللسان، أو شيئا يلقى باليد، أو بغير ذلك، فقد ذكر ابن الأثير فى النهاية للإلقاء عشرة معان: خمسة منها صريحة فى الإلقاء الحسى، و منه قولهم: ما لى أراك لقا بقا؟، فاللقى: الملقى على الأرض، و ما بعده إتباع له، و معنيان صريحان فى عودته للخطاب حين مجيئه من جهة لأخرى، و ثلاثة معان منها تعود إلى الإلقاء الحسى من حيث كون أصلها واقعا بالقول، و هو فعل محسوس، و منه قولهم: ما يلقى لها بالا: أى ما يحضر قلبه لما يقوله منها: و البال: القلب «۱».

و تحصل من مفاهيم الإلقاء فى الوضع اللغوى الدلالات التالية:

۱) أنه حسى

، فليس أمرا معنويا، و هو ما يضاد الإلهام من حيث الأصل، فالإلهام شىء معنوى اعتبارى. (۱) انظر: النهاية فى غريب الحديث و الأثر

۴/ ۲۶۶، مرجع سابق، و كذلك: مختار الصحاح ۶۰۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۸

۲) أنه يعتمد على القول المحسوس

عند كون الإلقاء إلقاء الكلام، كما فى قوله عزّ و جل فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ "النحل/ ۸۶، "فيكون كذلك من الملقى، و هو كذلك من المتلقى، كما فى قوله تعالى إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ " ...النور/ ۱۵، "فلا يعقل أن يكون إلقاء الكلام، و لا تلقيه أمرا معنويا محضا لغة ... هذا خلف من القول تأباه طبيعة الوضع اللغوى، فإذا ورد ما يدل على أنه معنوى، فإما أن يكون ذلك على سبيل المجاز، أو هو معتمد على إلقاء حسى، كقولهم: نعى إليه فلان فما ألقى لذلك بالا؛ فإن المراد: ما استمع له، و لا اكترث به «۱»، و ذلك صريح استعماله مجازا لا يعلم معناه دون العلم بالإلقاء الحسى، فهو أصله.

۳) يستعمل إلقاء القول استعمالا لغويا خاصا فى التعليم

، و تلقيه فى التعلم، و التواصى ... و هما حسيان من حيث الأصل، و منه قوله تعالى وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ "القصص/ ۸۰، "أى ما يعلمها، و لا ينبه عليها، و منه قوله سبحانه و تعالى فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ " ...البقرة/ ۳۷ «"۲»».

۴) يصاحب الإلقاء و التلقى عرفا لغويا حضور القلب، فلا يكون مباغتا، غير متهيأ له، و ذلك واضح مما سبق من سرد لبعض الاستعمالات اللغوية المختلفة للإلقاء ... و ذلك يعنى الفهم و حسن الأخذ.

و التلقين هو الإلقاء فى كل ذلك إلا أنه خاص لغة بالكلام المتعلم.

و لا بد من الحسن فى الإلقاء و التلقى، و إلا لم تطلق عليه هذه الكلمة؛ و لذا يقال:

فلان لقن إذا كان حسن التلقى لما يسمعه «۳». (۱) انظر: النهاية فى غريب الحديث و الأثر ۴/ ۲۶۶، مرجع سابق.

(۲) انظر: النهاية فى غريب الحديث و الأثر ۴/ ۲۶۶، مرجع سابق.

(۳) انظر: (الزمخشرى) جار اللّه محمود بن عمر: الفائق فى غريب الحديث ۳/ ۳۲۵، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى، ط ۲، توزيع دار الباز.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۲۹

و هذه المعانى كلها تجتمع فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام، فهو إلقاء و تلق محسوسين، بين جهتين اعتمدتا القول، حال كونهما حاضرى القلب، يعتمد الأخذ بينهما على القول لا غيره من أنواع الإيحاء، مطبقين فى ذلك ضوابط العملية التعليمية و التعلمية.

و يظهر ذلك بينا بلا خفاء عند الجمع بين الوصف العام لأخذ النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام بأنه تعلم كما فى قوله سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵، "و بين الوصف الخاص لذلك بأنه تلق كما فى قوله عزّ و جل وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "النمل/ ۶."

و لا بد من التأكيد على ملاحظة بارزة فى العرف القرآنى لدلالة الإلقاء و التلقى، هى أن الإلقاء لم يستعمل فى العرف القرآنى إلا للأمر المحسوس، و هذا يعطى التصور الأولى لمفهوم إلقاء ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم، فتذهب الظنون العلمية التى تنافى ذلك فى مكانها من التوهمات المحضة.

التلقى فى الوضع الاصطلاحى:

اشارة

هو عبارة عن الهيئة المنهجية الشرعية لتعليم الألفاظ القرآنية بأن يقرأ الشيخ الآية، و يتلقاها الطالب عنه بسمعه و فؤاده، فالتلقى بهذا هو العملية المكملة لعملية التلقين إذ التلقين من الشيخ، و التلقى من الطالب، كما قال البخارى- رحمه اللّه تعالى "-:قال معمر «۱»: وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "النمل/ ۶ "أى يلقى عليك و تلقاه أنت أى تأخذه عنهم، و مثله فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ "... البقرة/ ۳۷ «"۲».

و قال أبو عبيدة ":و تلا علينا أبو مهدى آية فقال: تلقيتها من عمى، تلقاها عن أبى هريرة رضى اللّه عنه تلقاها عن النبى صلى اللّه عليه و سلم و قال فى قوله عزّ و جل وَ لا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ (۱) عنى بمعمر هنا أبا عبيدة معمر بن المثنى اللغوى، انظر: مجاز القرآن، لا معمر بن راشد شيخ عبد الرزاق.

(۲) صحيح البخارى ۶/ ۲۷۲۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۰

"القصص/ ۸۰: "أى لا- يوفق لها، و لا يلقنها، و لا يرزقها، و حاصله أنها تأتى بالمعانى الثلاثة، و أنها هنا صالحة لكل منها، و أصله اللقاء، و هو استقبال الشيء، و مصادفته «"۱».

فإذا قيل (الهيئة الشرعية لتعليم القرآن الكريم)، أو أطلق أحدهما (التلقى أو التلقين) دخل فيه الآخر ضمنا.

فإن اعترض بالقول: لم لا يستخدم مصطلح التعليم بدل التلقين؟.

فالجواب: أن التلقين أخص من التعليم، و وجه خصوصيته فى غاية الأهمية فى تعليم ألفاظ القرآن الكريم؛ إذ:

الفرق بين التعليم و التلقين:

۱- أن التلقين يكون فى الكلام فقط، و التعليم يكون فى الكلام و غيره، تقول: لقنه الشعر، و لا- تقول لقنه التجارة، و الخياطة، كما يقال علمه فى جميع ذلك.

۲- التعليم يكون فى المرة الواحدة، و التلقين لا يكون إلا فى المرات.

۳- التلقين هو مشافهتك الغير بالتعليم، و إلقاء القول إليه ليأخذه عنك، و وضع الحروف مواضعها، و التعليم لا يقتضى ذلك، و لهذا لا يقال: إن اللّه يلقن العبد، كما يقال إن اللّه يعلمه «۲».

و قد ورد تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم موصوف بالأمر العام، و هو التعليم فى قوله عزّ و جل عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى النجم/ ۵، "و موصوفا بالأمر الخاص و هو (التلقى) وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "النمل/ ۶ "لغايات لن يكون من أهمها: نفى الإلهام فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم، و إثبات المشافهة صيغة وحيدة للتعليم القرآنى من حيث اللفظ. (۱) (أبو عبيدة) معمر بن المثنى ت ۲۱۰ ه: مجاز القرآن عند ذكر سورة البقرة ۱/ ۳۸، و سورة النمل ۲/ ۹۱، حققه د. محمد فؤاد سزكين، ط ۱، الخانجى الكتبى بمصر ۱۹۵۴ م.

(۲) انظر: (العسكرى) أبو هلال الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعيد ت بعد ۳۹۵ ه: الفروق فى اللغة ص ۷۵.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۱

المطلب الثانى: القرآن تلقين و ليس إلهاما «۱»:

فهو تعليم مباشر (تلقين) و ليس إلهاما:

إذ قد تنوعت وسائل الوحى كما قال ابن قتيبة- رحمه اللّه تعالى "-:كل شىء دللت به عن كلام، أو كتاب، أو إشارة أو رسالة، و ذكر له معان فى القرآن: الإشارة، و الإيماء، و الإلهام، و الإعلام فى المنام، و الإعلام بالوسوسة من الشيطان، و الأمر ... ثم قرر أن معناه فى خصوص الوحى بالقرآن التلقين من جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و نص قوله فى قوله سبحانه و تعالى وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هـذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ "الأنعام/ ۱۹ ":"فهذا إرسال جبريل عليه السلام بالقرآن «"۲» زاد فى فتح البارى من معانى الوحى: الإعلام فى خفاء، و الكتابة، و المكتوب، و التصويت شيئا بعد شىء- قال- و قيل أصله التفهيم، و كل ما دللت به من كلام، أو كتابة، أو رسالة، أو إشارة فهو وحى، و شرعا: الإعلام بالشرع، و قد يطلق و يراد به اسم المفعول منه أى الموحى، و هو كلام اللّه المنزل على النبى صلى اللّه عليه و سلم «۳» فمدار الحديث فى هذا المبحث حول حالة خاصة من الوحى بمعناه المصدرى هو الإعلام و التفهيم بالتصويت شيئا بعد شىء، و ذلك أعم من أن يتمثل له الملك رجلا، و حول حالة خاصة الوحى بمعنى اسم المفعول و هو القرآن و المراد كيفية تلقى الرسول صلى اللّه عليه و سلم لألفاظه.

و يلاحظ أن المدلول اللغوى للوحى يوضح طبيعته: فلا- تراه عين غير الموحى إليه، و لا- تسمعه أذن غيره كذلك ... و يمكن أن يدرك ببساطة أن المدلول اللغوى للوحى يشير إلى أن ثم نوعا منه لا تسمعه الأذن المعتادة، و لا العين المعتادة، و يصل إلى مركز الإبصار، و مركز السمع مباشرة، و يمكن التعبير عنه من (۱) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

(۲) (ابن قتيبة) أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ۲۷۶ ه-): تأويل مشكل القرآن ص ۴۸۹، شرحه و نشره: السيد أحمد صقر- المكتبة العلمية.

(۳) فتح البارى ۱/ ۱۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۲

خلال المعانى السابقة للوحى بالقول: التفهيم و الإعلام بالتصويت شيئا بعد شىء، و لذا لما أراد جبريل عليه السلام أن يستعلن للناس كان لا بد من تمثله بصورة البشر، بخلاف الصورة الأشد للوحى، فإنه لا يستعلن، بل يكون خفيا، و لكنه محسوس للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و الصحابة إنما يرون آثاره- كما سبق- فلذا قال صلى اللّه عليه و سلم: (هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم) فلما أراد جبريل عليه السلام أن يعلمهم كان لا بد من أن يتمثل لهم بشرا تدرك عيونهم صورته، و تدرك أسماعهم صوته كما تقدم فى الفصل الثانى مفصلا.

و ليس تعليم جبريل عليه السلام الرسول صلى اللّه عليه و سلم بالتصويت شيئا بعد شىء مسألة فرعية

بل هى مسألة من مسائل الأصول، يذكرها العلماء فى كتب العقائد، فقد جاء فى العقيدة الطحاوية عند قول الإمام الطحاوى- رحمه اللّه تعالى "-:نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين "قال الشارح ":تصريح بتعليم جبرائيل إياه إبطالا لتوهم القرامطة و غيرهم أنه تصوره فى نفسه إلهاما «"۱».

و من أدلة كون الوحى القرآنى تلقينا:

۱- قوله سبحانه و تعالى: وَ إِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ "النمل/ ۶."

۲- قوله عزّ و جل: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۸؛ "ففيها الأمر بالاستماع و الانصات؛ إذ الاستماع و الإنصات للملك ينافى الإلهام الذى يقع فى النفس دون استماع لأحد، و ينظر المبحث السابق فى معنى الآية.

۳- قوله سبحانه و تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶؛ "إذ الإقراء ينافى الإلهام منافاة لغوية و شرعية.

۴- أول لقاء لجبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم فى غار حراء؛ إذ أقرأه و لم يلهمه، بل أكد له الإقراء بضمه إليه. (۱) شرح الطحاوية ۳۱۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۳

۵- حديث الحارث بن هشام المتقدم «۱»؛ إذ حالتا الوحى المذكورتان تنافيان الإلهام.

۶- و يدل على ذلك الباء فى قوله سبحانه و تعالى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ "الشعراء/ ۱۹۴ "إذ هى: للملابسة، و الجار و المجرور متعلق بمحذوف حال، كأنه قال: نزل فى حلل ملابسة له على حد خرج زيد بثيابه «۲»، و لو كان إلهاما لما احتيج للنزول به.

۷- حديثا المعالجة «۳» و المدارسة «۴».

المطلب الثالث: حكم التلقين:

اشارة

يجب التزامه منهجا وحيدا فى تعليم ألفاظ القرآن الكريم، و نبذ ما سواه من حيث التقعيد العام «۵»، و يؤكد هذا الحكم أسلوب أخذ النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن عن جبريل عليه السلام؛ إذ كان النبى صلى اللّه عليه و سلم فى ابتداء الأمر إذا لقن القرآن نازع جبريل عليه السلام القراءة، و لم يصبر حتى يتمها مسارعة إلى الحفظ ... قاله الحسن و غير واحد «۶»، و قد جاء فى رواية ابن أبى حاتم: يتلقى أوله، و يحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره، و تفصيل الاستدلال أن يقال: (۱) انظر: الفصل الثانى- المبحث الثالث.

(۲) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين ۳/ ۲۲۴، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) انظر: المبحث التاسع من هذا الفصل.

(۵) و لم يكن استدلال صاحب كتاب الحلقات القرآنية على وجوب التلقين وسيلة وحيدة فى تعليم القرآن الكريم، و تعلمه موفقا؛ إذ حصر الأمر فى دائرة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) و ذلك مما يضعف الحكم، و يجعل الاستدلال على أصل القضية مضيعا لها. انظر: عبد المعطى محمد رياض طليمات: الحلقات القرآنية، دراسة منهجية شاملة، ط ۱، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م، إصدار برنامج تحفيظ القرآن الكريم- جدة.

(۶) فتح البارى ۸/ ۶۳۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۴

كان الوعد بجمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم أولا، ثم بقراءته كما أنزل إليه، و كما سمعه من جبريل عليه السلام ثانيا فى قوله- تعالى ذكره- إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ "القيامة/ ۱۷- ۱۹، "وعدا من اللّه عزّ و جل، فقد صار حقا على اللّه سبحانه و تعالى فعل ذلك ... فليس للقدرة الملائكية التى يتمتع بها جبريل عليه السلام دخل فى ذاك، و لا أسند الأمر للقدرة البشرية، و هذا دال على مقدار الاعتناء و عظمة الاهتمام و شدة التوقيف فى تلقى لفظ القرآن الكريم.

- و إن كان الوعد إلهى كذلك: فما فائدة إقراء جبريل عليه السلام له؟ أما كان كافيا جمع اللّه سبحانه و تعالى القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم إلهاما أو قذفا إلى قلبه بالقدرة الإلهية التى وسعت كل شىء؟

و الجواب: هاهنا أعظم دليل على وجوب التزام منهج التلقى و التلقين كأساس للمنهجيات التعليمية فى إقراء ألفاظ القرآن الكريم ...

فلا وزن لرسم "خط "المصحف، و لا للغة، و لا لتعلم فردى أحادى دون شيخ (سند) ... فى تلقى لفظ القرآن الكريم ... و لو لم تكن هذه الحكمة، فما كان فائدة إلقاء جبريل عليه السلام القرآن للنبى صلى اللّه عليه و سلم قراءته، و نزوله بالقرآن (على) و ليس فى- قلب محمد صلى اللّه عليه و سلم؟ مع أن الإلهام لا يستدعى النزول.

و منه نأخذ جلالة الركن الأعظم فى تعلم القرآن و قبول قراءة لفظ لتعد قرآنا، و هو السند المقبول قرائيا الضامن للمشافهة.

- و يتضح من هنا أمر آخر هو: أن جبريل عليه السلام لم يعلّم النبى صلى اللّه عليه و سلم بتلاوته عليه الهيئات الخارجية للأحرف

(و المراد تركيب الحروف المعروف)، و الهيئات الداخلية (الهيئات الصوتية للحرف الواحد)، و الهيئات اللازمة عند تركيب كلمة بكلمة و حرف بحرف، و هيئات الوقف و الابتداء، و نحو ذلك من

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۵

أحكام التلاوة، و تفصيلات علم القراءة و التجويد «۱» ... لم يفعل جبريل عليه السلام ذلك إلقاء و قراءة و إقراء للفظ القرآنى إلا ليقرأها النبى صلى اللّه عليه و سلم على أصحابه و الناس أجمعين كذلك، ثم تتناقلها الأجيال كذلك، فلا يأتى متقول بعد ذلك فيركب من كلمتين أو أكثر لفظا جديدا أو معنى جديدا فيقرأ به ما دام الإجماع السابق فى التلقى، و الفهم عند السابقين لمعنى الآية ينافيه (بخلاف ما إذا دخل ضمنه أو وضحه)، و ذلك كمن يركب معنى جديدا فى قوله- تعالى ذكره- وَ إِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ "الممتحنة/ ۱، "و يستحل قراءتها كذلك زاعما أنه لا يوجد دليل ملزم لقراءتها كما تلقيت، أو كمن يركب من قوله عزّ و جل لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ "النساء/ ۷ "معنى جديدا؛ بأن يقرؤها: لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ و يسكت، ثم يقول وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَ الْأَقْرَبُونَ؛ إذ التلقى مفسد لهذه القراءة المبتدعة.

و يبين ما سبق من تفصيل ما تقدم من معنى قوله سبحانه و تعالى فَإِذا قَرَأْناهُ «۲»: أى:

عليك بقراءة جبريل عليه السلام ... فكان وعدا إليها بأن يكرره النبى صلى اللّه عليه و سلم كقراءة جبريل عليه السلام.

فإن اعترض بأنه: قد يعترى قراءة جبريل عليه السلام الخلل ... فلما ذا ارتكاب تأويل قَرَأْناهُ أى بقراءة جبريل عليه السلام ... و لم لا يكون الإلهام الربانى بديلا عن استماع جبريل عليه السلام؟. (۱) المراد هنا التقعيد العام، لا التفصيلى، و إلا فثمّ تفاوت فى مقدار التوقيف بين ما ذكر من حيث التفصيل، ففى الوقف و الابتداء لا شك أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يلاحظ جبريل عليه السلام فيه، و كذا الصحابة مع نبيهم، و العادة جارية بذلك كما يلاحظ فى حفظة القرآن مع مشايخهم، و الدواعى متوافرة عليه، و قد كانوا يلاحظون ما دونه ... و لكن التوقيف فيه عام لا تفصيلى.

(۲) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۶

فالجواب: تظهر حكمة بالغة من التعبير عن قراءة جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم بلفظ قَرَأْناهُ؛ إذ لم يقل قرأه جبريل عليه السلام، و ذلك ليكون من قبيل إسناد ما هو للمأمور للآمر «۱»، فقوله "فَإِذا قَرَأْناهُ أى إذا قرأه جبريل عليه السلام عنا فأسندت القراءة إلى ضمير الجلالة على طريقة المجاز العقلى و القرنية واضحة «"۲» ... نفيا لأى حدس، أو تخمين، أو بارقة تتلجلج فى الصدور عن عدم إتقان جبريل عليه السلام للقراءة كما أرادها اللّه سبحانه و تعالى من حيث هيئاتها الصوتية المصاحبة (الداخلية و المشتركة) «۳» فضلا عن الألفاظ فى ذاتها فأوجز لنا فى قَرَأْناهُ إخباره عزّ و جل بإزالة دخل شيطان قد يطرأ عند تحليل الموقف القرآنى بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم إذ كان القارئ هو اللّه سبحانه و تعالى بإسناد القراءة إليه ... و يقرّب هذا بأن يقال: كأن أداء جبريل عليه السلام لألفاظ القرآن الكريم عبارة عن مسجلة تعيد ما تكلم اللّه عزّ و جل به، و جبريل عليه السلام كأنه مسجل

يعيد ما تكلم اللّه- تعالى ذكره- به ... دون زلل أو خطل فى أدق الهيئات الأدائية للحرف فيما خلا الصفة الإلهية المنزهة عن التمثيل و التخيل ... فيقرأه جبريل عليه السلام كما نقله عن اللّه- تعالى ذكره- كما تنقل المسجلة، فجعل اللّه- تعالى ذكره- إقراء جبريل عليه السلام على النبى صلى اللّه عليه و سلم إقراء من اللّه- تعالى ذكره- لنبيه صلى اللّه عليه و سلم لشدة دقة جبريل عليه السلام فى بيانه للأحرف؛ إذ هو الواسطة بين اللّه و رسوله محمد صلى اللّه عليه و سلم ينقله كما أقرأه اللّه عزّ و جل له تماما لكل حرف، و أحسن تفصيلا لكل كلمة.

و فى هذا يقول ابن كثير ":و أن ييسره على الوجه الذى ألقاه إليه «"۴»، و قال الزمخشرى ":جعل قراءة جبريل عليه السلام قراءته" «۵»، و قال الآلوسى ":أتممنا قراءته عليك بلسان (۱) حاشية الصاوى، و بهامشه تفسير الجلالين ۳/ ۳۵۴، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۴۹، مرجع سابق.

(۳) المراد بالمشتركة الصوت المصاحب للحرف عند التقائه حرفا آخر فى كلمته أو فى كلمة أخرى، كالإدغام مثلا.

(۴) ابن كثير ۴/ ۳۸۳، مرجع سابق.

(۵) الكشاف ۴/ ۱۶۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۷

جبريل عليه السلام المبلغ عنا «"۱»، و فى المقابل فقد ضمن اللّه عزّ و جل قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن كما أنزله اللّه سبحانه و تعالى، و بالهيئة التى سمعها من جبريل عليه السلام، كما قال فى الجلالين ":فكان صلى اللّه عليه و سلم يسمع ثم يقرؤه" «۲»، و لذا قال ابن عباس رضى اللّه عنه كما فى البخارى ":فكان إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده اللّه عزّ و جلّ «"۳».

و هاهنا مسألة مهمة:

إذ الآية حوت الأمر الإلهى بإعادة المقروء كما قرأه جبريل عليه السلام، كما حوت الضمان الإلهى بذلك أيضا، و الثانى و هو الضمان تقدم ما يثبته من فهم العلماء للآية، و الأول قال عنه ابن كثير: فَإِذا قَرَأْناهُ أى إذا تلاه عليك الملك عن اللّه تعالى فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أى فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك «"۴»، و قد يسر اللّه عزّ و جل ذلك عليه.

المطلب الرابع: قواعد التلقى و التلقين:

اشارة

من خلال ما سبق يمكن إجمال قواعد التلقى و التلقين فى:

۱- قراءة الشيخ على الطالب

، و هو ما كان جبريل عليه السلام يفعله مع النبى صلى اللّه عليه و سلم (السماع من لفظ الشيخ).

۲- إنصات الطالب لشيخه

عند استماعه قراءته، و هو ما أمر به النبى صلى اللّه عليه و سلم.

۳- استماع الطالب من شيخه

، استماع أذن و فؤاد، و هو ما أمر به النبى صلى اللّه عليه و سلم.

۴- إعادة الطالب المقروء

اشارة

الذى قرأه الشيخ على الطالب، و هو ما أمر به النبى صلى اللّه عليه و سلم.

و هاهنا سؤال متعلق بهذه القاعدة:

إذ نرى نبينا صلى اللّه عليه و سلم يؤمر بإعادة المقروء كما قرأه الملك مع أن لا حاجة لذلك ما دام قد وعد بجمع القرآن فى صدره و إجرائه على لسانه فلم يكرره بعد استماعه للملك؟. (۱) روح المعانى ۲۹/ ۱۱۷، مرجع سابق.

(۲) الجلالين ۴/ ۲۵۴، مرجع سابق.

(۳) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) تفسير ابن كثير ۴/ ۲۸۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۸

و الجواب: لتثبيت القاعدة الثالثة و الرابعة من قواعد التلقى، و لم يكرره صلى اللّه عليه و سلم إلا لتبيان أسلوب التلقى؟ ... و لرسم خطواته بدقة فائقة النظير تؤذن بتوقيفية تلقى اللفظ القرآنى من جميع زواياه ... و ما ظن أنه اجتهاد فهو إلى التوقيف يعود فى أصله ... إذ التكرار لأمور منها: تثبيت تلاوة القرآن بالهيئة ذاتها، و تنغيماتها التى سمعت من الشيخ، بغض النظر عن الصوت من حيث الملاحة و نقيضها، و منها تثبيت المحفوظ أو المقروء.

۵- أن يكون المعاد موافقا لقراءة الشيخ و مطابقا لها

، و المراد من الموافقة: الموافقة فى أصل الألفاظ و أدائها، و هو ما تراه عند عامة الناس من المقرئين و القارئين ... و يبقى تفاوتهم بعد ذلك من حيث الملاحة فى الصوت، و الاختلاف فى العوامل النفسية إلى تؤدى إلى اختلاف المشاعر و الأحاسيس، و يظهر أثرها فى القراءة، و قد ترى أن هذه العوامل التى يسمح فيها الاجتهاد فى أداء لفظ القرآن ليس مما كلف بها العبد عموما إذ هى تعود إلى أمر خارج عن نطاق قدرته، و إن كان ثم قدر من الحث على التزام مسلك معين فى هذه الناحية: كتدبر القراءة، و قراءة القرآن بحزن.

و هذا مأخوذ مما سبق فى قول ابن عباس رضى اللّه عنه: كما قرأه، و يدل له قول النبى صلى اللّه عليه و سلم:

(من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد) «۱».

۶- أن يصحب القراءة تحريك للشفتين

اشارة

، و هو ما يعنى نوعا من الجهر بالقراءة، و يدل له فعل النبى صلى اللّه عليه و سلم كما فى هذا الحديث؛ إذ النهى مؤقت حتى يقضى جبريل عليه السلام، الوحى، فالإنكار عليه ليس لتحريك لسانه و شفتيه، بل لكون هذا التحريك حاصلا حال قراءة جبريل عليه السلام، فيبقى التحريك هو الأصل عند ما ينتهى توقيت النهى، كما يدل له ما سيرد (۱) السنن الكبرى للنسائى ۵/ ۷۱، مرجع سابق، (ابن ماجة) أبو عبد اللّه محمد بن يزيد القزوينى ت ۲۷۵ ه: سنن ابن ماجة ۱/ ۴۹، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقى، دار الفكر- بيروت، صحيح ابن حبان ۱۵/ ۵۴۳، مرجع سابق، مستدرك الحاكم ۲/ ۲۴۷، مرجع سابق، مسند أحمد ۴/ ۲۷۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۳۹

فى المقتضيات اللغوية لتعريف القرآن الكريم فى ملحق الكتاب، على أن التلقين لا يتأتى وجوده إلا بالجهر بالقرآن الكريم على ما هو بديهى.

لكن هل يشترط استماع الشيخ لطالبه عند إعادة المقروء؛ إذ فى المعالجة:

(فكان إذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه كما قرأه ...)؟.

الظاهر أن ذلك بحسب حالة الطالب من حيث اطمئنان شيخه لقدرته على إعادة المقروء باقتدار أو عدم قدرته، و أما أن جبريل عليه السلام لم يكن يسمع من النبى صلى اللّه عليه و سلم لصريح قول ابن عباس رضى اللّه عنه: فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه كما قرأه ... فالجواب من وجهين:

أولهما: لا نسلّم أن جبريل عليه السلام لا يسمع لعدم إحاطتنا علما بقدرة جبريل عليه السلام على السماع من حيث تعديها لمكان حضوره أولا.

و ثانيهما: أن ذلك كائن لضمان اللّه سبحانه و تعالى لنبيه صلى اللّه عليه و سلم إعادة المقروء كما قرأه عليه جبريل عليه السلام، و من هنا أخذ نظر الشيخ فى مدى مقدرة الطالب ... فلولا وعد اللّه عزّ و جلّ لنبيه صلى اللّه عليه و سلم بقراءته على لسانه كما قرأه لما انصرف، ثم إن الوحى يحميه ظاهرا كان أو غائبا، و بذلك يخضع الأمر الواجب فى هذه المسألة لمعرفة الشيخ.

و هل يشترط أداء هذه القواعد كلها فى التلقى و التلقين؟

الظاهر عدم الاشتراط للأول؛ إذا استبدل به قراءة الطالب على شيخه، إما ابتداء، و إما حفظا مباشرا عن ظهر قلب، و ذلك لأن النبى صلى اللّه عليه و سلم (الطالب) كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى رمضان، و أما قراءة جبريل عليه السلام فى أول نزول الآيات فسببه عدم معرفة الرسول صلى اللّه عليه و سلم بها ابتداء؛ و لذلك عامل العلماء قراءة العالم معاملة عرض الطالب كما سيأتى تفصيله فى حديث المعارضة «۱»، و قد يترجح أحدهما (السماع من لفظ الشيخ، أو عرض الطالب على الشيخ) لعارض يراه الشيخ فى تلميذه من نجابة أو بلادة ... و هو المعمول به عند المسلمين إلى اليوم. (۱) انظر: المبحث التاسع من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۰

و هاهنا مسألة فى غاية الأهمية

من ناحيـة دراسـة وسائل المعرفـة المكسـبة لليقين فى المنهـج الإسـلامى و هى: أن ثمّ نوعا من التواتر الـذى يفيد اليقين الضـرورى أو النظرى، و هو التواتر العملى بأن يتناقل المسلمون العمل فى العبادة جيلا جيلا دون نكير، فيأخذ حكم المتواتر، و لو كان مستنده آحادا كأركان الصـلاة و مقادير الزكاة، و ألفاظ الأذان، و رمى الجمار فى مناسك الحـج، و كثير من مثل ذلك ... و وجود جزئيات فى هذا النوع مختلف فيها أمر لا يخرم هذه القاعدة ... فاضـمم إلى هذه الأمثلة أداء القرآن تجده أولى منها جميعا، من حيث ثبوت اليقينية له، و هذا تكرار لأمر سبق ذكره فى المنهج، أوجبه الاعتناء بالمقام، كما أن تفصيله ليس هنا.

المطلب الخامس: المقتضى المنهجى لما سبق

و تقرير هذه المسألة له ما بعده، إذ ينبنى عليها ثلاثة أمور منهجية:

أولها: التزام هذه الطريقة (التلقى) منهجا لتعليم القرآن الكريم:

إذ إن توافر الـدواعى للطرق الأخرى فى إنزال القرآن الكريم وحيا «۱»، مع عدم اسـتعمالها، و تخصيص طريقة التلقين مع عدم الحاجة إليها إذ أن اللّه قد تكفل بأن يلهمه القرآن بقوله إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، و بقوله سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى قال الشوكانى- رحمه اللّه تعالى- "أى سـنجعلك قارئا بأن نلهمك القراءة، فلا تنسى ما تقرؤه «"۲»، و هذا وسم لاسـتخدام غيرها بالبدعية، و من ثم فاستعمال أسلوب القراءة المباشـرة من المصـحف دون تلقين بدعـة، أو أنه تعلّم للقرآن على غير الطريقـة الـتى شـرعها القرآن، و هو مـا قرره الصـاوى- رحمه اللّه تعالى- فى قوله ":و الحكمـة فى تلقى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم عن جبريل عليه السـلام ظاهرا أنه يكون سـنة متبعة (۱) ككونها أسهل و أسرع، و هى بالنظر إلى قدرة اللّه عزّ و جل ليست أعسر إذ هى لا تعجز كلمة كن مع وقوعها فى أمور أخرى أقل شأنا من القرآن، و مثالها النفث فى الروع، أو الإلهام.

(۲) فتح القدير ۴/ ۵۲۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۱

لأمته، فهم مأمورون بالتلقى من أفواه المشايخ، و لا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السـطور، بل التلقى له سـر آخر «"۱»، و هذا أمر مقرر فى أذهان المسلمين لم تمل دائرة تعليمهم عنه مثقال ذرة «۲»، و هذا ما يعطى تصورا عن مدى الواقعية الحقيقة قوله عزّ و جل إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹."

و ثانيها: فى التزام هذه الطريقة دفع لإيهام إلقاء الشيطان

فى ما يتلقنه النبى صـلى اللّه عليه و سـلم، من حيث واحدية الملك الملقن و عدم تغيره، و من حيث تعليمه تعليما تلقينيا، لا تتطرق إليه شبهة الوسوسة، و سيأتى مزيد تفصيل لذلك فى فصل دمغ الباطل «۳».

و ثالثها: شمول التوقيفية فى أداء الوحى القرآنى

، و من ثم تبليغه و تناقله لأصل اللفظ، و لهيئة أدائه.

رابعها:

بیـان أولی لحجم الاجتهـاد فی نقل القرآن الکریم من حیث تظاهر جوانب التوقیف فی النقل، فبقی الاجتهاد محصورا فیما تتفاوت فیه قدرات البشر فی الأداء مما هو خارج عن نطاق قدرتهم کالصوت، أو عدم الإتقان و یدل له حدیث التعتعة «۴».

فإن اعترض بالقول: ما شأن مقالة البحث: و مقدار الاجتهاد فیه؟ و أین مکمن الاجتهاد فیا وصف؟.

فالجواب: هـذا مبحث واسع من حیث تحدیـد أطره حتی لا یشط فی فهمها، و لیشـر هاهنا إلی ما یتعلق بالجزئیـة مناط البحث: فمکمن الاجتهاد مع هـذا التشدیـد فی التوقیف فی تلقی القرآن الکریم- حتی فی هیئة اسـتماعه- کامن فی الصوت الممنوح من اللّه عزّ و جل للإنسان من حیث الملاحة و الحسن فقد یکون ندیا، أو أقل نداوة، و فی الصوت من (۱) حاشیة الصاوی ۳/ ۸۰، مرجع سابق.

(۲) و قد أسهب فی الکلام عن ذلک الإمام الشاطبی فی الموافقات، المقدمة الثانیة عشرة ۱/ ۹۱، مرجع سابق.

(۳) انظر: الفصل الخامس- المبحث الأول.

(۴) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۲

الجهر و المخافتـة و فی النفس الممنوع من اللّه سـبحانه و تعـالی، علی أن التوقیف ضابـط حتی لموضوع الجهر و المخافتـة؛ إذ وردت نصوص تقید ذلک «۱»، و مما یشار إلی دخول الاجتهاد فیه جزئیات نادرة لم یرد التنصـیص علی کیفیـة النطق الجزئی لها، فترجع إلی الإحالة العامة فیها علی اللغة العربیة، کمثل الوقف علی أواخر الکلم، و إدخال الروم و الإشـمام فیه عند من یزعم أن لا نص ورد روایة فیها «۲»، و نحو الوقف و الابتداء إذ أمر الاجتهاد فیه واسع ما دام مراعی فیه القواعد العامة التی وضـعها علماء الإقراء مستقاة من هیئات التلقین، فهو علم توقیفی فی الجملة، و مثله علم العدد (الفواصل) ففیه نوع اجتهاد فیما لم یرد نص علی عده، أو ورد فیه نصان موهمان للعـد و عـدمه، فاختلف فیه علماء العدد، لکنه قلیل جدا بل نادر إذا ما قورن بالمتفق علیه «۳»، لکن الشـأن هنا أعلی من الشأن فی بقیة العلوم النقلیـة، فلئن کـانت تلـک العلوم "کلها مسـتندة إلی الخبر عن الواضع الشـرعی، و لا مجال فیها للعقل إلا فی إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول لأن الجزئیات الحادثـة المتعاقبـة لا تندرج تحت النقل الکلی بمجرد وضـعه فتحتاج إلی الإلحاق بوجه قیاسـی، إلا أن هذا القیاس یتفرع عن الخبر بثبوت الحکم فی الأصل و هو نقلی فرجع هذا القیاس إلی النقل لتفرعه عنه «"۴» فإن القیاس هاهنا- لشدة ضبط التلقین للجوانب المختلفة للفظ القرآن الکریم، و لعدم کون الجزئیات حادثة و لا متعاقبة إذ کلها موجودة- کامن فی قیاس مثال علی مثال ضـمتهما قاعدة کلیة، و هو المعنی الذی أشار إلیه الإمام الشاطبی- رحمه اللّه تعالی- فی قوله فی نفی القیاس العام فی تلقی القراءة: (۱) کآیة الإسراء ... وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِکَ وَ لا تُخافِتْ بِها وَ ابْتَغِ بَیْنَ ذلِکَ سَبِیلًا " ...الإسراء/ ۱۱۰ "مثلا.

(۲) و فی هذا نظر کبیر من حیث أن القراء منعوا أشیاء تجوز عربیة کالإشمام و الروم فی المفتوح و المنصوب.

(۳) انظر: الشـیخ عبـد الفتاح القاضـی: بشـیر الیسـر شـرح ناظمـة الزهر فی علم الفواصل للإمام الشاطبی ص ۵، ط ۱۳۹۷ ه- ۱۹۷۷ م، مطبوعات الأزهر- مصر.

(۴) المقدمة لعبد الرحمن بن خلدون ۵۴۹، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۳

و مـا لقیاس فی القراءة مـدخل ... فـدونک ما فیه الرضا متکفلا مع قوله فی إثبات نوع مخصوص من القیاس ":فاقتس لتنضـلا «"۱»؛ و لـذا تری کثرة غامرة من الجزئیات اللفظیة القرآنیة آتیة علی غیر القیاس المخصوص دلالة علی أصـلیة النقل فیها، و لذا احتاج الدارس للقرآن إلی التلقین لزاما، و أکـد تلک الحاجـة أن المصـحف لم یکتب لیوافق الخط اللفظ تماما کما هو مقرر فی علم الرسم بل لا بد من التلقی، و هو ما یجعل العمدة الأولی للقرآن من حیث هو قرآن لا من حیث هو کتاب ....

و فى خصوص الفعل العملى لتلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم من جبريل عليه السلام فقد تقدم ذكر لمظاهره فى صفات جبريل عليه السلام فى الفصل الأول كما يظهر ذلك بارزا فى ثنايا البحث بما يجعل هذا الأمر قطعيا معلوما من الدين بالضرورة.

و فى خاتمة هذا المبحث يقال:

قد جاءت آيات القيامة مفصلة لمدلول قوله سبحانه و تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹ «"۲»، و من هذه الآيات المؤكدة المفصلة لآية الحجر نأخذ: تكفل اللّه المطلق بشأن هذا القرآن: وحيا و حفظا و جمعا و بيانا، و هيئة تعليم فَإِذا قَرَأْناهُ، و إسناده إليه عزّ و جل بكليته ليس للرسول من أمره إلا- حمله و تبليغه «۳»، و حتى تبليغه بكيفية هى الكيفية ذاتها التى سمعها من الملك كما تقدم مرارا. (۱) انظر: (متن الشاطبية): باب الفتح و الإمالة، و باب الراءات، مرجع سابق. و انظر: (أبو شامة) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقى المقدسى: إبراز المعانى من حرز الأمانى، دار صادر- بيروت، و الشيخ عبد الفتاح القاضى ت ۱۴۰۳- ه: الوافى فى شرح الشاطبية فى القراءات السبع، ط ۵- ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۴ م، مكتبة السوادى- جدة، مكتبة الدار- المدينة المنورة.

(۲) و بين شدة وضوح هذه الآية فى دورانها حول اللفظ، و فى ذلك رد على من زعم أن الحفظ المضمون للقرآن الكريم منصرف لمفهوم اللفظ لا للفظ ... فإن زال اللفظ فأنى لنا بمفهومه؟

(۳) و انظر: فى ظلال القرآن ۶/ ۳۷۷۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۴

المبحث الثامن: كيفية قراءة الرسول صلى اللّه عليه و سلم القرآن على جبريل عليه السلام من حيث الأمر الشرعى، و الواقع التطبيقى «۱»:

اشارة

و بعد أن ذكرت المباحث المتعلقة بنزول الوحى، و كيفية تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم له، و سماته حين ذلك، كان لا بدّ من وصف لما يقوم به النبى صلى اللّه عليه و سلم من عمل عند قراءته القرآن على جبريل عليه السلام مذ ينزل عليه الوحى القرآنى حتى تمام العملية التعليمية، من حيث الأمر الشرعى و الواقع التطبيقى ... ليعلم أى شىء كان النبى صلى اللّه عليه و سلم، و أى شىء كان تعلمه لألفاظ القرآن الكريم، و تعليمه ... و أى قوم- بعد- هم المسلمون:

أناس على الخير منهم، و جعفر .... و حمزة، و السجاد ذو الثفنات إذا افتخروا يوما أتوا بمحمد ... و جبريل، و القرآن، و السورات و قد تلخص ذلك فيما يلى:

۱- تبدأ باستشعار المصدرية الإلهية للقرآن الكريم دائما عند قراءة القرآن الكريم:

اشارة

و يظهر أنموذج هذا فى قوله عزّ و جل: وَ كَذلِكَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً (۱۱۳) فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، ثم قال بعد: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً "طه/ ۱۱۴ "فأكد على المصدرية الإلهية فى عدة ألفاظ: أَنْزَلْناهُ على الرغم من أن المباشر للإنزال هو جبريل عليه السلام، وَ صَرَّفْنا، نقضى فى قراءة يعقوب على الرغم من أن المباشر للقراءة هو جبريل عليه السلام، و أشار إلى تفرده بهبة المنح الإلهية، و رأسها القرآن الكريم وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى

عِلْماً ثم وسط بين الآيتين بقوله فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكَ الْحَقُ (۱) أريد بالأمر الشرعى: مجموع التوجيهات الشرعية التى أمر اللّه سبحانه و تعالى نبيه صلى اللّه عليه و سلم بتطبيقها و أن يقرأ القرآن بها من حيث انتمائها إلى الأحكام الخمسة، و أريد بالواقع التطبيقى: واقع النبى صلى اللّه عليه و سلم من حيث التزامه بتلك التوجيهات، و الهدف من ذلك كما سيذكر أعلاه التأكيد على التوقيفية فى لفظ القرآن و أدائه، بالإضافة إلى الأهداف المنهجية الأخرى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۵

و هى جملة اعتراضية، و فى تفريع الجملة الاعتراضية على إنزال القرآن إشارة أيضا إلى أن القرآن قانون ذلك الملك، و أن ما جاء به هو السياسة الكاملة الضامنة صلاح أحوال متبعيه فى الدنيا و الآخرة «۱»، و فى هذا السبيل ترى التعبير عن إنزال القرآن يرجع إلى هذه المصدرية عند الكلام على النازل، و المنزل به، و المنزل عليه.

و من الإشارة إلى هذه المصدرية: فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ: لم يقل فإنه نزله على قلبى مع أن محمدا صلى اللّه عليه و سلم أمر بإخبار اليهود عن نفسه؛ لأن من شأن العرب إذا أمرت رجلا- أن يحكى ما له عن نفسه أن تخرج فعل المأمور مرة مضافا إلى كناية نفس المخبر عن نفسه إذا كان المخبر عن نفسه، و مرة مضافا إلى اسمه كهيئة كناية اسم المخاطب؛ لأنه و إن كان مأمورا بقيل ذلك فهو مخاطب مأمور بحكاية ما قيل له «۲»، كما قال الزمخشرى موضحا لذلك ":جاءت على حكاية كلام اللّه عزّ و جل كما تكلم به كأنه قيل: قل ما تكلمت به من قولى: من كان عدوا لجبريل عليه السلام «"۳». و لهذا حكمة عظيمة من حيث التأكيد على المصدرية الإلهية للقرآن، و الدقة المتناهية فى نقله من السماء إلى الأرض، فحكاية كلام اللّه سبحانه و تعالى اقتضت عَلى قَلْبِكَ بالخطاب ... و لو قال (على قلبى) لقيل هذه دعوى، لم يبينها لنا ربك، و لم يقلها ... ثم فيه تثبيت لقلب الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و طمأنة له من أن تزعزعه كثرة تشكيكات أهل الكتاب و من و الاهم، فكأن الخطاب من اللّه عزّ و جل للرسول صلى اللّه عليه و سلم قصدا له، لا لخصومة من أهل الكتاب ... و هم مقصودون تبعا لا- استقلالا، و ذا يوائم قوله سبحانه و تعالى ... كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ" ... الفرقان/ ۳۲ ("۱) التحرير و التنوير ۱۶/ ۳۱۶، مرجع سابق، و راجع روح المعانى ۱۶/ ۳۹۱، مرجع سابق، و البحر المحيط لأبى حيان ۶/ ۲۸۱، مرجع سابق.

(۲) الطبرى ۱/ ۴۳۶، مرجع سابق.

(۳) الكشاف ۱/ ۸۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۶

وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ "هود/ ۱۲۰."

و الكلام فى الباء فى قوله سبحانه و تعالى: بِإِذْنِ اللَّهِ "البقرة/ ۹۷ "مؤكد لما ذكر هنا، و قد تقدم «۱».

و لتأكيد التقرير هنا فلتتأمّل هذه المصدرية فى أول سورة نزلت

فى قوله عزّ و جل اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ "العلق/ ۱، "فالباء لها ثلاثة أوجه من التفسير:

۱- إما أن تكون للاستعانة، و الجار و المجرور متعلقان بالفعل (اقرأ)، أى اقرأ مستعينا بذكر اسم ربك.

۲- و إما أن تكون للمصاحبة، و الجار و المجرور فى موضع الحال من ضمير اقرأ الثانى مقدما على عامله للاختصاص، أى اقرأ ما سيوحى إليك مصاحبا قراءتك اسم ربك، فالمصاحبة مصاحبة الفهم و الملاحظة لجلاله، و يكون هذا إثباتا لوحدانية اللّه عزّ و جل بالإلهية.

۳- و إما أن تكون بمعنى على كقوله سبحانه و تعالى مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ "آل عمران/ ۷۵ "أى على قنطار، و المعنى اقرأ على اسم ربك، أى على إذنه، أى أن الملك جاء على اسم ربك أى مرسلا من ربك «۲».

ثم تتجلى هذه المصدرية فى موقف تعليمه الإقراء فى إضافة اسم إلى الاسم الظاهر (ربك) المضاف إلى الكاف، ثم تجلت تارة أخرى فى قوله سبحانه و تعالى اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ ... الثلاث الآيات كالاستئناف البيانى، كأنه الرسول صلى اللّه عليه و سلم قال: و كيف اقرأ، و لست بقارئ؟ فأجيب: الذى علم القراءة بالقلم، يعلمك ما لم تعلم، و لا عجب فى أن تقرأ، إذ العلم يحصل بوسائل أخرى مثل الإملاء و التلقين و الإلهام، و تأمل فى وصفه عزّ و جل فى هذا الموقف بالأكرم ... (۱) انظر: المبحث الثالث من هذا الفصل.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۴۳۶، مرجع سابق، و انظر: تفسير الثعالبى ۴/ ۴۲۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۷

و استشعار المصدرية الإلهية للقرآن له مقتضياته الهامة، و فيما يتعلق بمدار البحث هنا تبرز المقتضيات التالية:

أ- يقذف فى قلب الإنسان كل ما تصل إليه مشاعره الداخلية و انفعالاته العاطفية و حركات أركانه الخارجية من التعظيم اللّه سبحانه و تعالى

، و بذل الوسع فى تحقيق كلامه، و قد نقل الآلوسى عن الطيبى ما يؤكد هذا من حيث اللفظ، فمما قاله: وَ لا تَعْجَلْ ... عطف على قوله عزّ و جل فَتَعالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لما فيه من إنشاء التعجب، فكأنه قيل: حيث نبهت على عظمة جلالة المنزل، و أرشدت إلى فخامة المنزل، فعظّم جنابه الملك الحق المتصرف فى الملك و الملكوت، و اقبل بكلك على تحفظ كتابه، و تحقق مبانيه، و لا تعجل به" «۱»، و قال سيد قطب ":فتعالى اللّه الملك الحق الذى تعنو له الوجوه، و يخيب فى حضرته الظالمون، و يأمن فى ظله المؤمنون الصالحون، هو منزل هذا القرآن من عليائه، فلا يعجل به لسانك، فقد أنزل القرآن لحكمة و لن يضيعه، إنما عليك أن تدعو ربك ليزيدك من العلم، و أنت مطمئن إلى ما يعطيك، لا تخشى عليه الذهاب، و ما العلم إلا ما يعلمه اللّه؛ فهو الباقى الذى ينفع و لا يضيع، و يثمر و لا يخيب «"۲».

ب- استمداد العون و التوفيق فى تحقيق لفظه، و إتقان مبناه «۳»

، و عدم نسيه أو تفلته من قائله عزّ و جل، و منزله جل شأنه و لذاك كانت خاتمة آية طه بالدعاء، و مما يعضد هذا المفهوم ما أعقب اللّه- جل ذكره- لآية طه من ذكر لقصة آدم عليه السلام، حيث قال: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً "طه/ ۱۱۵، "و نسيان آدم عليه السلام هنا كان لأمر واحد محسوس، و ذلك عند ما و كل إلى نفسه فى المراقبة، فكيف (۱) روح المعانى ۱۶/ ۳۹۳، مرجع سابق.

(۲) فى ظلال القرآن ۴/ ۲۳۵۳، مرجع سابق.

(۳) لم يتكلم عن المعنى؛ إذ ليس مدار البحث، كما سبق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۸

سيكون النسيان لمتعدد ملفوظ؟، و لذا فليرجع النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى ربه فيستعين على تحمل القرآن و حفظه و أدائه، فكأنه لما مدح عزّ و جل القرآن، و حرض على استعمال التؤدة و الرفق فى أخذه، و عهد على العزيمة بأمره، و ترك النسيان فيه ضرب حديث آدم مثلا للنسيان و ترك العزيمة «۱»، و ذكر ابن عطية: أن فى ذلك مزيد تحذير للنبى صلى اللّه عليه و سلم عن العجلة لئلا يقع فيما لا ينبغى، كما وقع آدم عليه السلام «۲».

كان ذلك فحوى الأمر الإلهى.

و الصورة التطبيقية لهذا قبل التوقيف القرآنى على هيئة تلقى القرآن لاستشعار هذه المصدرية:

تعجل النبى صلى اللّه عليه و سلم نزول القرآن و استكثاره منه، إذ ورد فى تفسير قوله تعالى وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ثلاث تفسيرات:

أحدها: أنها كقوله تعالى لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.

و الثانى: أنها نهى للنبى صلى اللّه عليه و سلم عن استعجال نزول القرآن، لأنه ما يتنزل إلا بأمر ربه عزّ و جل، و ليس للنبى صلى اللّه عليه و سلم من الأمر شىء، و يدل له حبه صلى اللّه عليه و سلم للوحى، و تشوقه إليه، قال صاحب التحرير و التنوير ":لما كان النبى صلى اللّه عليه و سلم حريصا على صلاح الأمة شديد الاهتمام بنجاتهم؛ لا جرم خطرت بقلبه الشريف عقب سماع تلك الآيات رغبة، أو طلبة فى الإكثار من نزول القرآن، و فى التعجيل به إسراعا بعظة الناس و صلاحهم، فعلمه اللّه سبحانه و تعالى أن يكل الأمر إليه" «۳». (۱) انظر: روح المعانى ۱۶/ ۳۹۳، مرجع سابق.

(۲) (ابن عطية) أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسى: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ۱۰/ ۹۹، تحقيق و تعليق:

عبد اللّه ابن إبراهيم الأنصارى، السيد عبد العال السيد إبراهيم، ط ۱، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۵ م.

(۳) التحرير و التنوير ۱۹/ ۳۱۶، مرجع سابق، و نقل الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- نحوه عن الماوردى، و تراجع هذه المصادر لمعرفة التفسير الثالث.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۴۹

و الصورة التطبيقية بعد التوقيف القرآنى على هيئة تلقى القرآن:

هو استراحة النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱» من خوف تفلت القرآن منه صلى اللّه عليه و سلم بعد تكفل اللّه سبحانه و تعالى بعدم ذلك، و الإكثار من دعاء وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً، و اتباع ما أوقفه القرآن من هيئات فى حفظه، و عدم استعجال نزول القرآن عليه إذ لكل أجل كتاب، و إرجاع كل فضل ينزله اللّه عزّ و جل على نبيه صلى اللّه عليه و سلم لمنزله عزّ و جل، و قد قال أبو حيان- رحمه اللّه تعالى- فى قوله سبحانه و تعالى وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً ":و هذا القول متضمن للتواضع للّه، و الشكر له على ما علم من ترتيب العلم، أى كما علمتنى مآرب لطيفة فى باب التعلم، و أدبا جميلا ما كان عندى فزدنى علما «"۲».

ج- على أن من أهم مقتضيات المصدرية الإلهية التى حفت بالحقائق السابقة تؤدى إلى حقيقة الحق فى إنزال القرآن و تلقينه للرسول صلى اللّه عليه و سلم و تلقيه من جبريل عليه السلام و هو معنى قوله تعالى وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ "الإسراء/ ۱۰۵، "و حقيقة الحق هى أولى دعائم التوقيف فى نقل القرآن الكريم.

۲- الاستماع و الإطراق عند تلاوة جبريل عليه السلام عليه:

اشارة

و ذلك تنفيذا لقوله عزّ و جل فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۸ "على ما تقدم «۳».

و الصورة التطبيقية لذلك

ما قاله ابن عباس رضى اللّه عنه: فكان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام استمع [و أطرق .

و هذا هو الأساس الشرعى و المنهجى

فى جعل القراءة الابتدائية من الشيخ أو عليه مع نظر الطالب فى المصحف هى أول خطوات حفظ القرآن «۴» كما تقدم فى التلقين و التلقى «۵». (۱) كما عبر ابن عباس رضى اللّه عنه فى حديث المعالجة، انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۲) البحر المحيط ۶/ ۲۸۱، مرجع سابق، و لعله ناقل عن الكشاف ۲/ ۴۴۸، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) و قد تغتفر هذه الخطوة عند من يوثق به من الطلاب فتكون قراءته على الشيخ هى قراءة الحفظ مباشرة كما تقدم فى المبحث السابع.

(۵) انظر المبحث السابع من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۰

و الاستماع و الإنصات يحقق نتائج ترفع من مستوى الاستيعاب المنهجى لألفاظ القرآن الكريم، و منها:

أ- أن ذلك ترسيخ لاستشعار المصدرية الإلهية

من حيث الطمأنينة و عدم الجزع، أو الخوف على فوات شىء من القرآن لعموم الوعد الإلهى بالحفظ لكتابه، ثم لخصوص الوعد الإلهى بجمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم و عدم نسيه له إلى أن يبلغه، ثم عدم نسيه له نسيانا كليا.

ب- أن ذلك أقوى فى استيعاب لفظ الآية

و من ثم حفظها أصلا، و محلا، و وضعا، و أداء.

ج- أن ذلك أقوى فى استيعاب معنى الآية

و فهمها بعكس الترديد خلف جبريل عليه السلام فإنه باعث على الاضطراب و الارتباك، و خاصة إن اقترن الترديد لموضع سبق بالاستماع لموضع يلحق، قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:إنه ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع بما بعدها «"۱»، و قال أبو السعود- رحمه اللّه تعالى "-:إن استقرار الألفاظ فى الأذهان تابع لاستقرار معانيها فيها، و ربما يشغل المتلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها «"۲».

۳- ترديد القرآن بعد انتهاء جبريل عليه السلام من قراءته، ليطمئن القلب بتحفظه:

اشارة

و هو صريح فى الأمر القرآنى، و الوعد الإلهى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ كما تقدم «۳»، و قال الزمخشرى- رحمه اللّه تعالى- فى قوله سبحانه و تعالى وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ " ...طه/ ۱۱۴ ":"لما ذكر القرآن و إنزاله قال على سبيل الاستطراد:

(۱) روح المعانى ۱۶/ ۳۹۲، مرجع سابق.

(۲) تفسير أبى السعود ۳/ ۶۶۸، مرجع سابق، و انظر: تفسير أبى حيان ۶/ ۲۸۱، فتح القدير ۳/ ۴۸۷، أضواء البيان ۴/ ۵۱۸، تفسير القرطبى ۱۱/ ۲۵۰، تفسير ابن كثير ۳/ ۱۴۸، مراجع سابقة، و ذكر ابن كثير حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه [اللهم انفعنى بما علمتنى، و علمنى ما ينفعنى، و زدنى علما، و الحمد للّه على كل حال .

(۳) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۱

"و إذا لقنك جبريل عليه السلام ما يوحى إليك من القرآن، فتأن عليه ريثما يسمعك و يفهمك، ثم أقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك، و لا تكن قراءتك مساوقة لقراءته، و نحوه قوله عزّ و جل لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ «"۱».

و الصورة التطبيقية لذلك

ما وصفه ابن عباس رضى اللّه عنه فى حديث المعالجة: فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبى صلى اللّه عليه و سلم ....

۴- تحريك فمه و شفتيه عند الحفظ أو القراءة:

و هذا مأخوذ من منطوق آيات القيامة، و من مفهوم حديث المعالجة و قد مضى، و من الحديث الآتى فى الجهر بالقرآن.

۵- (الترتيل) «۲» تبيين الحروف:

اشارة

التّرتيل، فى القراءة الترسل فيها، و التبيين بغير بغى «۳»، و قد عرفه مجاهد بقوله فى قوله سبحانه و تعالى: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا قال": بعضه أثر بعض على تؤدة «"۴»، و عن قتادة قال ":بينه بيانا «"۵».

فالترتيل يتضمن عنصرين يشكلان ماهيته الذاتية، هما:

التأنى (التؤدة)، و تبيين الحروف و هما متلازمان، و هما يقتضيان أمرا ثالثا: هو إشباع الحركات، و يستلزم الترتيل أمرا رابعا هو: السكينة و الوقار التى تميز قارئ القرآن عن مطرب الألحان، فاجتمعت فى الترتيل أربع متضمنات: التأنى و التؤدة، و تبيين الحروف، و إشباع الحركات، و السكينة و الوقار «۶». (۱) الكشاف ۲/ ۴۸۸، مرجع سابق.

(۲) حكم الترتيل، و تحليل عناصره الذاتية و الطارئة ليس من ميدان البحث، و لذا لن يكون توسع فى ذلك.

(۳) مختار الصحاح ص ۹۸، مرجع سابق.

(۴) رواه الطبرى قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى فتح البارى شرح صحيح البخارى ۹/ ۸۹، مرجع سابق ":بسند صحيح."

(۵) تفسير الطبرى ۲۸/ ۱۲۷، مرجع سابق.

(۶) و ذا موضح التأصيل الشرعى لمراتب القراءة المعروفة فى علم التجويد.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۲

و للطبيعة التفصيلية لهذا المبحث من حيث معرفة كيف علم جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن من حيث اللفظ فإنه سيفرد لكل من العنصرين الأولين بند مستقل من خلال تحليل قوله سبحانه و تعالى ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا "المزمل/ ۴، "و أما الأخيرين فالإشارة العابرة لهما فى مقام كذا المقام كافية، و يلاحظ التصريح بها جميعا آتيا فى كلام العلماء مما سيرد فى البحث عند الكلام عن العنصرين الأولين.

فأما تبيين الحروف فهو لازم التؤدة و التأنى؛ إذ من غايات التأنى:

تفصيل الحروف، قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:اقرأه على تؤدة و تمهل و تبيين حروف، بحيث يتمكن السامع من عدها، من قولهم (ثغر رتل) إذا كان مفلجا لم تتصل أسنانه بعضها ببعض، و أخرج العسكرى عن على فى المواعظ أن رسول اللّه سئل عن هذه الآية فقال: بينه تبيينا، و لا تنثره نثر الدقل، و لا تهذه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه و حركوا به القلوب و لا يكن هم أحدكم آخر السورة «"۱»، و عند الشوكانى "اقرأه حرفا حرفا، "قال الزجاج ":هو أن يبين الحروف، و يوفيها حقها من الإشباع، و أصل الترتيل: التنضيد و التنسيق و حسن النظام، و تأكيد المصدر بالفعل يدل على المبالغة على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض، و لا ينقص من النطق من مخرجه المعلوم، مع استيفاء حركته المعتبرة «"۲»، و قال الطبرى ":بينه تبيينا، و ترسل فيه ترسلا «"۳»، و قال ابن حجر": قوله سبحانه و تعالى ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا أى اقرأه مترسلا بتبيين الحروف، و إشباع الحركات «"۴». (۱) روح المعانى ۲۹/ ۱۷۸، مرجع سابق، و نحوه عند أبى السعود ۵/ ۴۱۲، مرجع سابق.

(۲) تفسير الشوكانى ۵/ ۳۸۷، و نحوه القرطبى ۱۹/ ۳۶، مرجع سابق، و قال سيد قطب- و هو المعروف قدره فى اللغة العربية "-:و ترتيل القرآن و هو مد الصوت به، و تجويده بلا تغن و لا تطر، و لا تخلع فى التغنيم."

(۳) تفسير الطبرى ۲۹/ ۱۲۶، مرجع سابق.

(۴) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۳/ ۲۳، مرجع سابق، و قال فى ۹/ ۸۹ ":تبيين حروفها و التأنى فى أدائها، ليكون أدعى إلى فهم معانيها."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۳

و فى القرآن الكريم تذكر لنا صورة تطبيقية ملائكية «۱»

لمبدأ الترتيل فى قول اللّه سبحانه و تعالى ... وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا "الفرقان/ ۳۲ "فهو خبر عن الملأ الأعلى، و لأن القراءة توقيف؛ فإن هيئة قراءة القرآن يجب أن تتماثل، و لم يأخذها جبريل عليه السلام فى الملأ الأعلى إلا عن اللّه عزّ و جلّ، فحكى اللّه سبحانه و تعالى كيفية قراءة جبريل عليه السلام ثم أمر النبى صلى اللّه عليه و سلم بقراءة القرآن على الهيئة ذاتها فقال سبحانه و تعالى: ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا وصلة ما بين خبر الملأ الأعلى، و الأمر الإلهى الكريم مضمر تدل عليه الأخبار الأخرى و التقدير: ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ ...، و ذلك على نسق ما سمعته من جبريل عليه السلام إذ قد رتلناه على لسانه ترتيلا، و فى أضواء البيان ":هذه الآية نص بترتيل القرآن ترتيلا، و أكد بالمصدر تأكيدا لإرادة هذا المعنى «۲» كما قال ابن مسعود رضى اللّه عنه: لا تنثروه نثر الدقل، و لا تهذوه هذا الشعر، فقوا عند عجائبه، و حركوا به القلوب، و لا يكن هم أحدكم آخر السورة «"۳».

و الصورة التطبيقية لذلك:

ما وصف صحابة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كلام نبى اللّه سبحانه و تعالى حيث كان يرتل كلامه، و يترسل فيه فجابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنه يقول: (كان فى كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ترتيل أو ترسيل) «۴»، و عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-: (أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه لم يكن يسرد الحديث كسردكم) «۵»، و أنكرت على أبى هريرة رضى اللّه عنه سرعة حديثه، و قالت: (و لو أدركته لرددت عليه) «۶»، أى لأنكرت عليه، و بينت له أن الترتيل فى التحديث أولى من السرد، فقولها "لم يكن يسرد الحديث (۱) و اغتفرت النسبة إلى الجمع خوفا من اللبس.

(۲) و استدل صاحب التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۶، مرجع سابق: بالمصدر على تأكيد إرادة المعنى، و فى هذا رد على من يتوهم الترتيل هنا بمعنى التنجيم.

(۳) أضواء البيان ۸/ ۶۱۰، مرجع سابق.

(۴) سنن أبى داود ۴/ ۲۶۰، مرجع سابق، قال الشيخ الألبانى: صحيح.

(۵) صحيح البخارى ۳/ ۱۳۰۷، مرجع سابق.

(۶) صحيح البخارى ۳/ ۱۳۰۷، مرجع سابق، صحيح مسلم ۳/ ۱۹۴۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۴

كسردكم أى يتابع الحديث استعجالا بعضه إثر بعض لئلا يلتبس على المستمع، زاد الإسماعيلى من رواية بن المبارك عن يونس: (إنما كان حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فصلا فهما تفهمه القلوب «"۱»»، و قال فى موضع آخر ":قولها (لو عده العاد لأحصاه) أى لوعد كلماته، أو مفرداته، أو حروفه لأطاق ذلك، و بلغ آخرها، و المراد بذلك المبالغة فى الترتيل و التفهيم «"۲»».

و إذا كان ذا فى حديثه المعتاد، فكيف فى تلاوة كلام اللّه سبحانه و تعالى؟

و إنما ابتدأ البحث بحديث جابر رضى اللّه عنه حتى لا يرد على جوهر التقرير هاهنا أن الترتيل قد يراد به التفريق فى الإنزال (التنجيم)، فحديث جابر رضى اللّه عنه يرده، و إن كان المعنى الذى قيل وارد، لكن فى غير ذا المكان «۳».

و تصف أم سلمة- رضى اللّه تعالى عنها- الصورة التطبيقية لترتيل الرسول صلى اللّه عليه و سلم (بأن قراءة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم كانت: بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين يعنى كلمة كلمة) «۴»، و عن ابن أبى مليكة أن بعض أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم و لا أعلمها إلا حفصة سئلت عن قراءة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقالت: (إنكم لا تطيقونها قالت: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۱) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۶/ ۵۷۹، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۶/ ۵۷۸، مرجع سابق.

(۳) و صار الترتيل مستعملا فى عرف العلماء فى هذا المعنى لا فى معنى التفريق (التنجيم) ففى سنن البيهقى الكبرى ۱/ ۴۲۷، مرجع سابق، أن أبا سعيد الخدرى رضى اللّه عنه قال: (إنى أراك تحب الغنم و البادية، فإذا كنت فى غنمك و باديتك، فأذنت بالصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن و لا إنس، و لا شىء إلا شهد له يوم القيامة- قال أبو سعيد-: سمعته من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رواه البخارى، قال الشافعى: و الترغيب فى رفع الصوت، يدل على ترتيل الأذان "و فيها أيضا ۲/ ۵۲، مرجع سابق ":باب كيف قراءة المصلى قال اللّه عزّ و جل ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا قال الشافعى- رحمه اللّه تعالى "-:الترتيل ترك العجلة فى القرآن عن الإبانة. "و تبيين الحروف، و إشباع الحركات مقتض نوعا من التفريق بين الحروف تضبطه المشافهة ليعطى كل حرف حقه و مكانته.

(۴) سنن البيهقى الكبرى ۲/ ۴۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۵

تعنی الترتیل «۱»، و قد صرح متتبعو سننه بأن الترتیل عادته فی قراءته، و یقرنون ذلک بعادته فی اعتدال أرکانه فی الصلاة «۲»، قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی "-:و من المعلوم من عادته صلی اللّه علیه و سلم ترتیل القراءة، و تعدیل الأرکان «"۳».

و قد کان ترتیله صلی اللّه علیه و سلم للسورة یصیرها أطول من أطول منها

و هو الموافق لقراءة معتدلی قراء المسلمین فی هذه الأیام

فقد روی مسلم من حدیث حفصة- رضی اللّه تعالی عنها- أنه صلی اللّه علیه و سلم کان یرتل السورة حتی تکون أطول من أطول منها «۴».

و عن یعلی بن مملک: أنه سأل أم سلمة- رضی اللّه تعالی عنها- عن قراءة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و صلاته، فقالت: (و ما لکم و صلاته؟، کان یصلی و ینام قدر ما صلی، ثم یصلی قدر ما نام، ثم ینام قدر ما صلی، حتی یصبح)، و نعتت قراءته فإذا هی تنعت قراءته حرفا حرفا «۵».

و فی معنی قولها (ثم نعتت قراءته) یقول السندی ":أی وصفت و بینت بالقول، أو بالفعل بأن قرأت کقراءته صلی اللّه علیه و سلم. و قوله: (حرفا حرفا)، و قال أبو البقاء: نصبهما علی الحال أی مرتلة «"۶».

و قوله (حرفا حرفا) یبین العلاقة بین أصل الوضع اللغوی و الاستعمال العرفی لکلمة ترتیل. (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۶/ ۲۸۶، مرجع سابق.

(۲) و فیه بیان ماهیة الترتیل فی عرفهم، و أنه لیس التنجیم الزمنی.

(۳) فتح الباری شرح صحیح البخاری ۲/ ۲۷، مرجع سابق.

(۴) صحیح مسلم ۶/ ۳۳۵۲، مرجع سابق، و لا- مکان لما ادعاه ابن حبان- رحمه اللّه تعالی- أن الرکعة الأولی من صلاة الظهر إنما طالت علی الثانیة بالزیادة فی الترتیل فیها مع استواء المقروء فیهما، إذ ما الدلیل علی استواء المقروء؟ و ما الدلیل علی ترتیله فی الأولی دون الثانیة، مع أن عادته المستمرة هی الترتیل؟

(۵) سنن أبی داود ۲/ ۷۳، مرجع سابق، و قال الألبانی ":ضعیف."

(۶) حاشیة السندی علی النسائی ۲/ ۱۸۱، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۶

و کان ترتیله فی الصلاة نموذجا عملیا یسمعه الصحابة ثلاث مرات یومیا علی الأقل، و لم یکن ترتیله مقتصرا علی الفرائض بل ذلک شأنه فی النوافل؛ و من ذلک بوّب ابن حبان فی صحیحه ":ذکر ما کان یرتل المصطفی صلی اللّه علیه و سلم قراءته فی صلاة اللیل" «۱».

و إنما کان الإکثار من هذه الأوصاف لتطبیق النبی صلی اللّه علیه و سلم للترتیل، و الاستزادة منها فی البحث، لأهمیتها البالغة فی إثبات أمر جوهری هو:

تحری صحابة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لنقل الهیئة الداخلیة لقراءته (الأداء)، کتحریهم لنقل أصل ألفاظه.

۶- التأنی فی تلاوة القرآن:

اشارة

و هو جوهر الترتیل الذی أمر اللّه عزّ و جل به فی قوله ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا.

فحقيقة ترتيل القرآن ":قراءته على ترسل، و تؤدة بتبيين الحروف، و إشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل، و هو المفلج المشبه بنور الأقحوان، و لا بهذه هذا و لا يسرده سردا، كما قال عمر: شر السير الحقحقة، و شر القراءة الهذرمة، حتى يشبه المتلو فى تتابعه الثغر، و قوله عزّ و جل تَرْتِيلًا تأكيد فى إيجاب الأمر به، و أنه ما لا بد منه للقارئ «"۲»، فليس هذا الأمر تحسينيا فى القراءة، بل هو مندرج ضمن الطلب الشرعى. (۱) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۶/ ۳۱۸، مرجع سابق.

(۲) الكشاف ۴/ ۱۵۲، مرجع سابق، و الكلام المنسوب لعمر لم أحده بعد لأى، و إنما ذكر (شر السير الحقحقة) على لسان الهواتف قبل النبوة، انظر: (الأصبهانى) إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمى ت ۵۳۵ ه: دلائل النبوة ۲/ ۱۶۹، تحقيق: محمد محمد الحداد، ۱۴۰۹ ه، دار طيبة- الرياض، و جاءت على لسان الحسن البصرى، انظر: (ابن المبارك) أبو عبد اللّه عبد اللّه بن المبارك ابن واضح المروزى ت ۱۸۱ ه: كتاب الزهد ص ۴۶۸، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمى، دار الكتب العلمية- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۷

و التصريح بالتأنى ظاهر فى قوله سبحانه و تعالى ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ... لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ؛ إذ فى كل منهما زجر عن الاستعجال فى حفظ الكتاب الكريم، و ذاك فى معنى الاستعجال فى تلاوته، و لذا قال الزمخشرى فى قوله سبحانه و تعالى كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ ":كَلَّا زجر لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن عادة العجلة، و إنكار لها عليه، و حثّ على الأناة، و التؤدة، و قد بالغ فى ذلك باتباعه قوله بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ كأنه قال: بل أنتم يا بنى آدم لأنكم خلقتم من عجل، و طبعتم عليه تعجلون فى كل شىء، و من ثم تحبون العاجلة «"۱»، و قال الآلوسى ":كَلَّا إرشاد للرسول صلى اللّه عليه و سلم، و أخذ به عن عادة العجلة، و ترغيب له فى الأناة، و بالغ سبحانه فى ذلك لمزيد حبه إياه باتباعه قوله سبحانه و تعالى بَلْ- ثم سرد الألوسى غير ذلك المعنى، و عقب باستحسان كلام الزمخشرى- قال-: و اللائق بجزالة التنزيل، و لطيف إشاراته ما أشار إليه ذو اليد الطولى جار اللّه تجاوز اللّه عن تقصيراته «"۲»، و تفصيل الاستدلال مبسوط فى تحليل الموقف القرآنى الذى تثيره كل من الآيتين «۳».

و قد بين اللّه سبحانه و تعالى مدى هذا النهى، و مدة هذه العجلة المنهية: فى قوله وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ" طه/ ۱۱۴."

و الغاية من التأنى:

التدبر، فقد قال ابن كثير ":اقرأه على تمهل؛ فإنه يكون عونا على تدبره «"۴».

و التأنى يستلزم السكينة و الوقار

و لذا ففى تفسير الجلالين ":و رتل القرآن: تثبت فى تلاوته، "و قال الصاوى ":اقرأ بترتيل، و تؤده، و سكينة، و وقار «"۱». (۱) الكشاف ۴/ ۱۶۵، مرجع سابق، و كذا أبو السعود ۵/ ۴۳۱، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى ۲۹/ ۲۴۵، مرجع سابق.

(۳) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) ابن كثير ۴/ ۳۷۰، مرجع سابق، و نحوه عند الشوكانى فى فتح القدير ۵/ ۳۸۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۸

و التأنى يقتضى إشباع الحركات

كما سبق فى كلام الزمخشرى آنفا «۱»، و فى التحرير و التنوير ":و أريد بترتيل القرآن: ترتيل قراءته، أى التمهل فى النطق بحروف القرآن حتى تخرج من الفم واضحة، مع إشباع الحركات التى تستحق الإشباع «"۲».

و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى حديث المعالجة «۳ "»:و شاهد الترجمة منه: النهى عن تعجيله بالتلاوة؛ فإنه يقتضى استحباب التأنى فيه، و هو المناسب للترتيل «"۴».

و تذكر حفصة- رضى اللّه تعالى عنها- الصورة التطبيقية لهذا التأنى فى قولها:

كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها، و يزيد هذا إيضاحا حديث أبى وائل قال: غدونا على عبد اللّه فقال رجل: قرأت المفصل البارحة فقال: (هذا كهذ الشعر؟، إنا قد سمعنا القراءة، و إنى لأحفظ القرناء التى كان يقرأ بهن النبى صلى اللّه عليه و سلم، ثمانى عشرة سورة من المفصل، و سورتين من آل حم) «۵».

و إنما قال: (هذا كهذ الشعر)؛ لأنهم كانوا إذا أنشدوا القصيدة، أسرعوا ليظهر ميزان بحرها، و تتعاقب قوافيها على الأسماع، و الهذ: إسراع القطع «۶».

فإذا حلل هذا الكلام مليا من حيث تعريف الترتيل اللغوى، و متضمّناته فى الاستعمال العرفى حتى يتم الوصول إلى تقريب لمقدار هذه التؤدة، و ضبط لذاك التمهل «۷»؛ إذ غير خاف أن إنشاد الشعر فى المحافل عادة لا يخلو من ترتيب و تفاعل بين المعنى و المبنى، (۱) حاشية الصاوى ۴/ ۳۳۸، مرجع سابق.

(۲) التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۶، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

(۴) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۹/ ۹۰، مرجع سابق.

(۵) صحيح البخارى ۴/ ۱۹۲۴، مرجع سابق.

(۶) التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۶، مرجع سابق.

(۷) و ليس فى تفاوت ضبط ذلك حجة لمنكر التواتر فى الأداء، إذ أصل الأداء كالمد مثلا: ثابت عند عامة المسلمين، فضلا عن عامة القراء، و هو ما يدور الكلام حوله، أما مراتبه فقد يسلم بالنظر فى تواترها، و لا ضير فى ذلك.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۵۹

و تريث مع إسراع يعرف عند سماع الشعر، كما لا يخلو من نوع محاولة إلصاق بآخر البيت لتتناغم أوزانها و كلماتها، و ذاك حالة بين السرعة المفرطة المشبّهة بقراءة نشرات الأخبار، أو إلقاء خطب المنابر المهيّجة للسامع، و بين الإبطاء الممل ... فإذا كان هذا الإلقاء للشعر مذموما، و هو بهذه المنزلة غير المتعجلة الإلقاء نسبيا من حيث واقعه، ظهر أن ترتيل القرآن الكريم يستلزم تأنيا أكثر، و تؤدة أعظم، و محاولة إظهار للمبنى أجمل، تتكفل بإبداء للمعنى أكمل، لا- على حسابه كما هو معلوم، من غير مبالاة بإدراك نهايات الآيات، و خواتيم السور ... و هذا الضبط لتلك التؤدة هو ما تسمعه من مهرة القراء فى عصرنا كما فى كل عصر، و هو ما عليه غالب حال المسلمين حتى الأميين منهم الذين لا يعرفون إلا بعض آيات يرددونها، فإنه يظهر تغير طريقة قراءتهم، و نبرات صوتهم إن كانت للقرآن الكريم «۱».

و ليضبط هذا التأنى من الجهة المقابلة:

إذ إن الاهتمام باللفظ على حساب المعنى، أو الغلو فى التؤدة، أو الإفراط فى التغنى بالقرآن مدا، و ابتداء، و وقفا ... يضاد غاية

الترتيل، و يصبح اللفظ غاية بعد أن كان وسيلة، و يكون القرآن كتاب للاستمتاع الموسيقى المجرد فحسب، و هو كتاب الهداية ... فلا يرد على ما قرّر آنفا ما انحدر إليه بعض متزعمى الإقراء، و متصدريه فى هذا الباب.

فإن اعترض بأن الرابط بين ما يرومه هذا المبحث من بيان متعلقات تعليم جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم من حيث اللفظ و بين موضوع الترتيل غير واضح، و لا نص صريح فى علاقة جبريل عليه السلام بالترتيل؟.

فالجواب: كان الأمر بالترتيل مبكرا على سنن نزول الوحى، فقد كان جملة ما نزل من القرآن حين نزول أوائل سورة المزمل سورتين أو ثلاث على أصح الأقوال «۲»، (۱) و هذا من أعظم أدلة التواتر، و هو ظاهرة ليست بغريبة على المناهج المعرفية لدى المسلمين تدل على مقدار الحفظ الإلهى للكتاب الكريم.

(۲) انظر: الإتقان ۱/ ۲۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۰

و يشير قوله سبحانه و تعالى فيها إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "المزمل/ ۴ «"۱» إلى أن القرآن بادئ بالنزول، و هذه بداية إضافية لا حقيقة أوجب تقريرها الكثرة الكاثرة لما سينزل من الوحى بعدها مقارنة بما سبق ... و لما كان جبريل عليه السلام هو المقرئ لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ما ينزل من القرآن، كما أنه الذى يعارضه به تعاهدا، و مراجعة، و تثبيتا، فقد لزم أن يكون جبريل عليه السلام هو الذى يقرئه بالترتيل ابتداء، و هو ما صرح به فى قوله سبحانه و تعالى ... وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا "الفرقان/ ۳۲."

و لا يرتضى القول بأن المراد بالترتيل فى هذه الآية هو التفريق الزمنى فى الإنزال

لقرينة سياق الآية، فأولها قوله سبحانه و تعالى وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً " ...الفرقان/ ۳۲؛ "لأن التأسيس أولى من التأكيد «۲»، و قد تقدم فى سياق الآية التنبيه على تفريق القرآن زمنيا فى إنزاله إلى الأرض من كلام الكفار مع إقرارهم على ذلك و بيان الحكمة منه، فصارت نهاية الآية دالة على معنى آخر هو هيئة تلاوة القرآن، على أن العرف الشرعى قاض بأن لفظة (رتل) مستعملة فى هيئة أداء القرآن «۳» لا فى تنجيمه، و قد تقرر فى الأصول تقديم الحقيقة الشرعية و العرفية على اللغوية «۴»،

فتحرر من هذا أن جبريل عليه السلام كان يقرئ النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن بالترتيل. و يختم هذا بالقول:

إن سورة المزمل قد نعتت بدقة الطبيعة الذاتية للقرآن الكريم قَوْلًا ثَقِيلًا، و كيفية وصولها من السماء إلى الأرض سَنُلْقِي، و وسيلة الاستعانة على تلقيه قُمِ اللَّيْلَ، (۱) و القول الثقيل هو القرآن كما تقرر عند أئمة التفسير، انظر: التحرير و التنوير ۲۹/ ۲۶۰، مرجع سابق.

(۲) انظر مثلا فى علم أصول الفقه: نثر الورود ۱/ ۲۲۵، مرجع سابق.

(۳) كما فى قوله عزّ و جل وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا "المزمل/ ۳، "و قول النبى صلى اللّه عليه و سلم (... اقرأ و ارق و رتل ...) و يأتى تخريجه بعد قليل فى هذا الفصل.

(۴) انظر مثلا- فى علم أصول الفقه: نثر الورود ۱/ ۱۲۰، مرجع سابق، المستصفى ۱/ ۳۴۱، مرجع سابق، نهاية السول ۲/ ۱۴۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۱

و هيئة النطق به، و الوقت المختار لمراجعته، و بيان الأوقات التى تصرف فى أمور أخرى غير مراجعته و تعاهده ... و إذ قد كانت هذه العناية الكثيرة الدقيقة ... علم مقدار التوقيفية فى نقل لفظ القرآن الكريم.

فإن اعترض بأن: الإلقاء هو هيئة أداء القرآن من جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم، و لا دليل أصرح فيه من آية المزمل إِنَّا

سَنُلْقِي، و الإلقاء هو رمى الشيء من اليد إلى الأرض و طرحه، و يقال: شيء لقى: أى مطروح، و إذا كان كذلك فهو لا يفيد التمهل.

فالجواب: عن هذا الإيراد:

۱- غاية ما يدل عليه أصل الوضع اللغوى لمادة ألقى هو الطرح، فأين اقتران السرعة معه أو عدم اقترانها؟، على أن الحقيقة العرفية مقدمة على الوضع اللغوى.

۲- لا يضرب دين اللّه سبحانه و تعالى بعضه ببعض، بل يؤخذ هذا الدليل مجموعا إليه بقية الأدلة السابقة و المقترنة، فيكون النقل محققا، و التقرير مصدقا.

۳- الإلقاء فى آية المزمل مستعار لمعنى الإبلاغ الذى يأتى دفعة واحدة لأن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يكن متوقعا له، و لا مترقبا حدوثه، فأريد تنبيهه على كمية الملقى عليه من خلال ما يشعر به لفظ (نلقى) ليقدر الأمر حق قدره، فاستعير الإلقاء للإبلاغ دفعة على غير ترقب «۱».

و يدل على أنه ليس المراد بالإلقاء القذف دون تمهل: ورود التعبير عنه فى السنة بالنبذ (فينبذه إلى) و ذلك عند ما يتمثل الملك له رجلا، و هذا الوصف يضاد معنى القذف السريع؛ إذ أن الرجل عند ما ينبذه إليه إنما ينبذه فى لغة البشر و لا يقتضى ذاك السرعة، و قد ورد التعبير عن الكلام بالإلقاء فى قوله سبحانه و تعالى فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكاذِبُونَ "النحل/ ۸۶، ("۱) التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۲

و منه قوله عزّ و جل فَكَذلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ "طه/ ۸۷، "و تقدم تفصيل ذلك فى المبحث السابع.

على أن هذا الإيراد غريب فى مدخله، من حيث أن الوحى يستلزم السرعة و إلا لا يسمى وحيا، و يرد فيه ما سبق، ثم إن السرعة واضح معناها فى النسبية (الإضافية) مقارنة بفعل البشر، لا من حيث أنها سرعة مطلقة.

و هنا أمر ينبغى التنبه له هو أن الإلقاء إنما يكون للأمر الحسى كالحجر و الكلام، و قد يستعار للأمر غير المشاهد كالوسوسة كما فى قوله سبحانه و تعالى وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ "الحج/ ۵۲ «"۱».

۷- التغنى بالقرآن، و الجهر به:

اشارة

فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه كان يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (لم يأذن اللّه لشيء ما أذن للنبى يتغنى «۲» بالقرآن)، و قال صاحب له: يريد يجهر به «۳»، زاد فى لفظ له: قال سفيان: تفسيره يستغنى به «۴»، و فى لفظ: (ما أذن اللّه لشيء ما أذن لنبى حسن الصوت بالقرآن يجهر به)، و عن معقل بن يسار رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (لا يأذن اللّه لشيء إذنه لأذان المؤذنين، و الصوت الحسن بالقرآن) «۵»، و عند ابن حبان (ما أذن اللّه لشيء كإذنه للذى يتغنى بالقرآن يجهر به) «۶». (۱) انظر: تحليل هذه الآية فى الفصل الخامس، و كان هذا التنبيه حتى لا يظنّ أن الإلقاء معنوى فقط، فيجوز أن يكون إلهاما.

(۲) قال ابن حجر فى الفتح ۹/ ۷۰، مرجع سابق ":قال ابن الجوزى: اختلفوا فى معنى قوله (يتغنى) على أربعة أقوال: أحدها: تحسين الصوت، و الثانى: الاستغناء، و الثالث: التحزن، قاله الشافعى، و الرابع: التشاغل به، تقول العرب:

تغنى بالمكان أقام به، و فيه قول آخر حكاه ابن الأنبارى فى الزاهر قال: المراد التلذذ و الاستحلاء له، كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، فأطلق عليه تغنيا من حديث (أنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء)، و هو كقول لنابغة:

بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغنى، أطلق على صوتها غناء؛ لأنه يطرب كما يطرب الغناء، و إن لم يكن غناء حقيقة."

(۳) صحيح البخارى ۴/ ۱۹۱۸، مرجع سابق.

(۴) و فى سنن الدارمى ۱/ ۷۶۵، مرجع سابق: و قال ":يريد به الاستغناء، "و لا شك فى ضعف هذا الرأى إن أريد به نفى الآخر، و ليس المقام بمتسع لتفصيل ذلك، فيكتفى بالإشارة العابرة أعلاه.

(۵) المعجم الكبير ۲۰/ ۲۱۶، مرجع سابق.

(۶) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۳/ ۳۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۳

و المعنى:

ما أذن اللّه لشىء كإذنه لنبى يتغنّى بالقرآن أى ما استمع اللّه لشىء كاستماعه لنبى يتغنّى بالقرآن أى يتلوه يجهر به «"۱».

و قال أبو حاتم بن حبان ":قوله صلى اللّه عليه و سلم يتغنى بالقرآن يريد يتحزن به، و ليس هذا من الغنية، و لو كان ذلك من الغنية لقال (يتغانى به)، و لم يقل (يتغنى به) و ليس التحزن بالقرآن و طيب الصوت، و طاعة اللهوات بأنواع النغم بوفاق الوقاع، و لكن التحزن بالقرآن هو:

أن يقارنه شيئان: الأسف و التلهف: الأسف على ما وقع من التقصير، و التلهف على ما يؤمل من التوقير، فإذا تألم القلب، و توجع، و تحزن الصوت، و رجّع، بدر الجفن بالدموع، و القلب باللموع، فحينئذ يستلذ المتهجد بالمناجاة، و يفر من الخلق إلى وكر الخلوات، رجاء غفران السالف من الذنوب، و التجاوز عن الجنايات و العيوب، فنسأل اللّه التوفيق له «"۲»، فقوله (ما أذن اللّه): يريد ما استمع اللّه لشىء (كإذنه) كاستماعه للذى يتغنى بالقرآن يجهر به يريد يتحزن بالقراءة «۳».

و فى سنن البيهقى ":قال أبو عبيدة: فى قوله (كإذنه) يعنى ما استمع اللّه لشىء كاستماعه لنبى يتغنى بالقرآن، و لم يرض و من رواية من روى كإذنه قال و قوله (يتغنى بالقرآن) إنما مذهبه عندنا تحزين القراءة «"۴».

و المعنى المتحصل من أقوال أئمة الشأن:

أن لفظ (أذن) بفتحة ثم كسرة فى الماضى، و كذا فى المضارع مشترك بين الإطلاق، و الاستماع تقول: أذنت آذن بالمد، فإن أردت الإطلاق فالمصدر بكسرة ثم سكون، و إن أردت الاستماع فالمصدر بفتحتين، كما قال عدى بن زيد: (۱) النهاية فى غريب الأثر ۱/ ۳۳، مرجع سابق.

(۲) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۳/ ۲۷، مرجع سابق.

(۳) انظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۳/ ۳۰، مرجع سابق.

(۴) سنن البيهقى الكبرى ۱۰/ ۲۲۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۴

أيها القلب تعلل بدن إن همى فى سماع و أذن

أى فى سماع و استماع، فأصل أذن بفتحتين أن المستمع يميل بإذنه إلى جهة من يسمعه «۱».

و هو ما قرره العلماء، و شهد له الاشتقاق اللغوى، و ممن قرر ذلك:

قال السيوطى ":قال النووى: معناه عند الشافعى و أصحابه و أكثر العلماء من الطوائف و أصحاب الفنون: تحسين صوته به، و الصحيح أنه من تحسين الصوت و يؤيده الرواية الأخرى يتغنى بالقرآن يجهر به «"۲».

و قال السندى ":يتغنى بالقرآن: أى يحسن صوته به حال قراءته أو هو الجهر، و قوله (يجهر به) تفسير له أو يلين، و يرقق صوته ليجلب به إلى نفسه و الى السامعين الحزن و البكاء، و ينقطع به عن الخلق إلى الخالق جل و علا «"۳».

و واضح أن هذه مرتبة فوق مرتبة الترتيل ...

۸- الترجيع فى القرآن:

اشارة

هو تقارب ضروب الحركات فى القراءة، و أصله الترديد، و ترجيع الصوت: ترديده فى الحلق «۴».

و الصورة التطبيقية لذلك:

ما رواه معاوية بن قرة عن عبد اللّه بن المغفل المزنى رضى اللّه عنه قال: رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح- قال-: فرجع فيها، قال: ثم قرأ معاوية يحكى قراءة ابن مغفل، و قال: لو لا أن يجتمع الناس عليكم لرجعت كما رجع ابن مغفل يحكى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقلت لمعاوية كيف كان ترجيعه قال آآآ ثلاث مرات «۵». (۱) انظر: فتح البارى شرح صحيح البخارى ۹/ ۲۷۶۹، مرجع سابق.

(۲) الديباج على صحيح مسلم ۲/ ۳۹۳، مرجع سابق.

(۳) حاشية السندى على النسائى ۱/ ۱۸۰، مرجع سابق.

(۴) فتح البارى ۹/ ۹۲، مرجع سابق.

(۵) صحيح البخارى ۶/ ۲۷۴۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۵

فهذا يحتمل أمرين: أحدهما: أن ذلك حدث من هز الناقة، و الآخر: أنه أشبع المد فى موضعه، فحدث ذلك، و الثانى هو الصحيح بقرينة السياق؛ فإن فى بعض طرقه (لو لا أن يجتمع الناس لقرأت لكم بذلك اللحن) أى النغم. قال ابن حجر ":و الذى يظهر أن فى الترجيع قدرا زائدا على الترتيل، فعند ابن أبى داود من طريق أبى إسحاق عن علقمة قال: بت مع عبد اللّه بن مسعود فى داره، فنام، ثم قام، فكان يقرأ قراءة الرجل فى مسجد حيه لا يرفع صوته، و يسمع من حوله، و يرتل، و لا يرجع «"۱»، و يدل لهذا الكلام ما جاء عن أم هانئ- رضى اللّه تعالى عنها-: كنت أسمع صوت النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هو يقرأ و أنا نائمة على فراشى يرجّع القرآن «۲».

كما يدل هذا الحديث على أن الترجيع غالب فعله فى تلاوة القرآن الكريم.

فقد تحصل من هذا أن أداء القرآن يستلزم: تحريك اللسان و الشفتين (القراءة)، و الترتيل، و التغنى، و الترجيع.

و يتضح مما سبق أن أداء القرآن ينقسم إلى قسمين:

أ- الأداء الأصلى

و يمثل الترتيل بعناصر حقيقته، و هو المسمى فى علم التجويد: حق الحروف.

ب- الأداء الفرعى:

و يمثل التغنى و الترجيع حقيقة، و يسمى فى علم التجويد مستحق الحروف.

و اللفظ يستحيل معناه بتغير الأداء الأصلى، أو تركه، و قد يحدث ذلك بترك الأداء الفرعى. (۱) فتح البارى ۹/ ۹۲، مرجع سابق.

(۲) (الطحاوى) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ۳۲۱ ه: شرح معانى الآثار ۱/ ۳۴۴، مراجعة محمد زهرى النجار- ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۶

فالمراتب فى أداء لفظ القرآن الكريم أربعة

اشارة

من حيث الماهية اللغوية، و المدلول الشرعى (و ترجع هيئات الترتيل من تحقيق، و حدر، و تدوير إليها):

أ- القراءة:

و لا- تكون إلا بإخراج كل حرف من مخرجه، و هى جنس عام للقرآن و غيره، و أصبحت القراءة تنصرف إلى قراءة القرآن عن ظهر قلب عندهم، و هو المفهوم من كلمة (القرآن) أى المقروء من الصدر، فى مقابل لفظ الكتاب أى المكتوب، و يقتضى هذا المفهوم أن يقرأ من الصحف التى كتب فيها، أو من الصدور التى حفظ فيها بالتلقى من الأفواه.

ب- الترتيل:

و هو هيئة خاصة بالقرآن الكريم، فهو مرتبة أعلى من القراءة، و على هذا فإن الترتيل يحتوى مراتب القراءة الثلاثة الشهيرة: التحقيق، و الحدر، و التدوير بحسب تفاوت درجات الترتيل ليكون أحدها.

ج- التغنى:

و هو هيئة خاصة بالقرآن الكريم، فهو مرتبة أعلى من الترتيل، ففيه تنغيم للصوت على القواعد المتلقاة، فلا يرد عليه الغناء المعروف عند البشر.

د- الترجيع:

و هو ترديد للفظ المقروء المرتل المتغنى به، أو زيادة تحبيره و تحسين أدائه بزيادة تحقيق المد و نحوه.

و على هـذا التقرير: فلاـ يمكن إطلاق القول بنفى تواتر الأداء حتى يسأل عن ماهيته المقصودة من هـذه المراتب، و تواترها (اليقين فى ثبوتهـا) بـدهى واضـح، و إن تفاوتت مراتبها فى التواتر، فما ورد على ألسـنة بعض العلماء «۱» منى نفى لتواتر الأـداء يحمل على الأداء الـذى لا ينضـبط بالتلقى، و هو ما صـرّح به ابن خلـدون، و ذلك كتحديـد مراتب المد بالدقة المتناقلة بعدد الحركات، فإن أصل المد راجع إلى ذات الحرف (و هو المسـمى بالمـد الطبيعى)، و هـذا يندرج فى (القراءة)، (۱) انظر إشارة إلى كلام بعضـهم فى هامش ص ۱۷۰، من هذا المبحث.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۷

و مده فوق ذات الحرف راجع إلى عربيته الصرفة من لقائه للهمز أو السكون، على ما هو مقرر فى علوم العربية، و ذا عائد للقراءة أيضا، و ترديده بتأن و تبيين أظهر للحروف يرجع إلى الترتيل، و تواتره بين المسـلمين أبين من أن يتكلم عليه، و تنغيمه على هيئة معينة يرجع إلى التغنى و الترجيع، و تواتره بين المسلمين معلوم أيضا، و بقى التحديد الأكثر دقة من أربع حركات، أو ست، أو نحو ذلك قد يسلم بعدم تواتره «۱»، و لاـ ضائر يضـير القرآن من عـدم تواتره، فمثله كمثل إنسان كسـى أنواع الثياب، فقائل يقول: كم ثوبه إلى رسـغه، و آخر يقول بل إلى خنصره، و ثالث يقول بل بين ذلك ... مع اتفاقهم جميعا على أنه اكتسى ... فأين من يقول بأن الزاعم قصر الكم قد أنقص فى طبيعـة الرجل الأصـلية؟، و بأن الزاعم طول الكم قد زاد فى خلقة الرجل الأصـلية؟ فكذلك القرآن لا يضـيره تفاوت مراتب المد و نحوها حتى يقال بأن الذى زاد دون تواتر قد زاد فى كلام اللّه ... و نحو ذلك، و لا يتسع المقام لأكثر من هذا.

۹- مماثلة قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم لقراءة جبريل عليه السلام:

اشارة

و يدخل فى ذلك مماثلة أصل اللفظ، و هيئة أدائه الداخلية، و ذلك تطبيقا لأمر اللّه، و تحقيقا لوعده فى قوله عزّ و جل إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فتكفل سبحانه بجمع لفظ القرآن و هيئة أدائه فى صدر النبى صـلى اللّه عليه و سـلم (الحفظ)، و بأن يقرأه بعد كما سـمعه من جبريل عليه السلام أصلا و أداء، و الاختلاف كائن فى الصوت فحسب، إذ صوت جبريل عليه السلام يختلف عن صوته صلى اللّه عليه و سلم، و نفسه يختلف عن نفسه.

و أكـد شـمول هـذا الوعد لأصل اللفظ و لأدائه بقوله سبحانه و تعالى ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ "القيامة/ ۱۹، "و البيان هو إظهار الكلمـة حرفا حرفا، دون دمج، أو تداخل فلذا يسـمّى (الإظهار) و هو حكم من أحكام النون و الميم الساكنتين فى علم التجويد- (۱) و هو ما صرّح به ابن الجزرى- رحمه اللّه تعالى- فى منجد المقرئين ص ۴۳، على الرغم من إنكاره الشديد على ابن الحاجب- رحمه اللّه تعالى-.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۸

البيان لأن فيه تبيين للنون و الحرف الذى بعدها دون إخفاء، أو قلب، أو إدغام، و تقدم الكلام عن ذلك «۱».

و الصورة التطبيقية لهذا

عبر عنها ابن عباس رضى اللّه عنه بقوله: (فإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبى صلى اللّه عليه و سلم كما قرأه [كما وعده اللّه «۲».

و الضـمير فى قوله فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ لجبريل عليه السـلام و التقدير: فإذا انتهت قراءة جبريل عليه السـلام فأقرأ أنت، و تقدم تفصيل ذلك فى المبحث السابع من هذا الفصل.

۱۰- قراءته صلى اللّه عليه و سلم على الناس كما أقرأه جبريل عليه السلام من حيث أصل اللفظ و أداؤه:

اشارة

و يختلف عن البند السابق فى أنه أخص منه مطلقا من حيث أنه مأمور بتلاوته على الناس لقوله سبحانه و تعالى ... لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ" ... الأنعام/ ۱۹، "و قوله: إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِی حَرَّمَها وَ لَهُ کُلُّ شَیْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَکُونَ مِنَ الْمُسْلِمِینَ وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ "...النمل/ ۹۱، "و السابق أعم من حيث أنه يقرؤه لنفسه أو للناس.

و إنما أفردت هذه النقطة بالذكر مع دخولها فيما سبق لأهميتها فى إحداث اليقين القطعى، بحقيقة: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يقرأ ألفاظ كما أقرأه جبريل عليه السلام لا يخرم منها حرفا، و لا هيئة لعموم قول ابن عباس رضى اللّه عنه: (كما أقرأه)، و لقوله عزّ و جل قُلْ ما يَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَیَّ " ...يونس/ ۱۵."

فإذا اجتمع – كما سبق –:

۱- الأمر الإلهى الموجب اتباع هيئة معينة للنطق بالقرآن (الأداء)، و هو قوله سبحانه و تعالى ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا "المزمل/ ۴ "و نحوها، ۲- و التطبيق الملائكى (جبريل) عليه السلام لذلك الأمر مبالغة فى اتباع تلك الهيئة كما فى قوله عزّ و جل ... وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا" الفرقان/ ۳۲ «"۳"»، (۱) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من هذا الفصل ص ۱۱۳.

(۲) صحيح البخارى ۱/ ۶، مرجع سابق.

(۳) و يلاحظ بعين التأمل أن إيراد هذه الجملة كان أثناء حجاج الخصماء فيه، ليظهر بالغ أهميتها.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۶۹

۳- و النص النبوى عليها (اقرأ و ارق و رتل) «۱» ... و نحوه، ۴- و التطبيق النبوىّ لها، ۵- و دقة وصف الصحابة لتلك الهيئة، ۶- مع تناقل هذه الهيئة عبر الأجيال ...

كانت النتيجة التلقائية لهذه المقدمات هى:

التوقيفية المحضة فى نقل هيئة أداء القرآن، كنقل أصل ألفاظه ...

فإذا أضيف إلى هذا: أن الرسول صلى اللّه عليه و سلم كان إذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه كما قرأه، و أن الصحابة حفظوه و كتبوه كما أقرأهم الرسول صلى اللّه عليه و سلم ... و أن حلقات الحفظ هذه قد توالت من اللّه- جل و علا- إلى رسوله من أهل السماء عليه السلام إلى رسوله من أهل الأرض صلى اللّه عليه و سلم، ثم إلى صحابة رسوله صلى اللّه عليه و سلم، ثم إلى الأمة باختلاف مكانها و زمانها ... بأعلى درجات الحفظ و الضبط ... كما كان الرسول صلى اللّه عليه و سلم يقوم بالعرض اليومى للصحابة عند نزول القرآن، و فى الصلوات الجهرية، و فى نوافله الليلية التى كان يصل و رده فيها إلى سدس القرآن الكريم فى كل ليلة غالبا ... فقد ضمن اللّه عزّ و جل للقرآن حفظه: كتابة بالقلم، و أداء بالصوت الذى حفظت حروفه فى أدق صفاتها و مخارجها من حيث مقاطع الأداء (أماكن الخروج) و ما يصاحبه من غنة، أو مد، أو ترقيق، أو تفخيم، أو استعلاء، أو استقال ... كما حفظت أماكن الوقف و الابتداء، و السكتات الواجبة و الجائزة ...

فحفظ اللّه- تعالى ذكره- ألفاظ القرآن فى هذه الأمة بالأدوات الواقعية الإنسانية التى تتسم بأعلى قواعد الحفظ، و أدق مقاييس الضبط.

و لا يعترض معترض على هذه النتيجة الحتمية بأنها منخرمة بما يشاهد من اختلاف أداء القرآن، لأنه هذا الاختلاف مرده إلى أمور خارجية أخرى (۱) صحيح ابن حبان ۳/ ۴۳، مرجع سابق؛ إذ مفهومه دال على مراد التقرير، و كأحاديث التغنى بالقرآن.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۰

كالاختلاف الفطرى فى أصوات الناس، و الاختلاف النفسى من حيث التذوق لنغمة التصويت، و الاختلاف العقلى من حيث تقدير البطء و السرعة ... و هذا كله لا يقدح فى التوقيف فى الأداء، حذو التوقيف فى الصلاة، إذ لا جدال فى أنها عبادة توقيفية، و ترى الاختلاف فيها و اردا من حيث البطء و السرعة فى أداء أركانها ...

و ما يشبه ذلك مما يرجع إلى البشر.

[هيئة قراءة القرآن صفة ذاتية للفظ، و ليست صفة عارضة]

و هذه، و ما سبقها توطئة لإثبات ما هو عند المسلمين بدهى من أن هيئة قراءة القرآن صفة ذاتية للفظ، و ليست صفة عارضة، أو أمرا تتميميا «۱»، كما أن فى هذا التقرير إشارة إلى منبع الوهم الزاعم عدم تواتر أوجه الأداء، و هو ما صرح به ابن الحاجب و ابن خلدون- رحمهما اللّه تعالى- «۲» ... و حسب ذا القول أن يكون مناقضا للمقتضى اللغوى لمادة (۱) فتبيين الحروف هو ما يعبر عنه علماء التجويد بقولهم: إخراج الحرف من مخرجه مع إعطائه حقه و مستحقه، إذ منعه من الصفات الذاتية إعدام لذاته، كمن أراد إخراج الدال غير مجهورة فهو مخرجها تاء، و منعه من الصفات العارضة هضم له و عدم بيان لحقيقته، و إزراء به يستنكره أهل اللغة كإنسان بدون ساتر له من ملبس، و الإعراب النحوى من صفاته العارضة، فهذا هو المقياس فى دحر فكر من توسوس له نفسه التهاون فى صفات الحروف العارضة، و من هاهنا يمكن إرساء قاعدة قوية فى منع التطوير المزعوم فى الأصوات اللغوية العربية، و ذلك لوجوب التزام بيان الحرف فى القرآن الكريم على ما تلقاه لاحق من سابق.

(۲) أما ابن الحاجب: فصرّح بذلك فى مختصر الأصول له، و قد نفى عنه قوم ذلك بأن عبارة الاستثناء من التواتر لم ترد فى النسخ المشورة من المختصر، و أما ابن خلدون فقد رجح ذلك فى المقدمة ص ۵۵۲- تاريخ ابن خلدون- تأليف:

عبد الرحمن بن خلدون ت ۸۰۸ ه- ضبط المتن و وضع الحواشى و الفهارس: خليل شحادة- مراجعة الدكتور: سهيل زكار- دار الفكر بيروت الطبعة الثالثة ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۶ م: حيث قال ":و قد خالف بعض الناس فى تواتر طرقها- يريد القراءات- لأنها عندهم كيفيات للأداء، و هو غير منضبط، و أباه الأكثر و قالوا بتواترها، و قال آخرون بتواتر غير الأداء منها كالمد و التسهيل لعدم الوقوف على كيفيته بالسمع و هو الصحيح "و لعله عنى بالبعض الذين رجّح كلامهم ابن الحاجب فهو عنه ناقل، و لو نفى التواتر عن الأداء كما قيل، لنفاه عن أصل اللفظ، و هو ما لا يقول به ابن الحاجب، و لا يرضاه، و هو الأصولى المقرئ الكبير؛ إذ الأداء يتضمن النطق بأصل اللفظ (و هذا المسمى مخارج الحروف)، و صفاته الأصلية، و يتضمن الصفات العارضة الناشئة عن الصفات الأصلية، و نفى تواتر الأداء نفى لأصل اللفظ سواء أريد به المتضمن الأول أو الثانى، إذ لا يستقيم نفى الصفة العارضة بدون نفى أصلها، و لا تستطيع تصنيف التأنى فى القراءة صفة أصلية، فلا جرم أنها إلى الصفات العارضة تنتسب بسبب، و أما الأول فأمره بين، و قد تقدم فى المتن تحليل، و التكرار هنا

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۱

الترتيل، و لما تراه من اجتماع الأمة على تفاصيل تطبيق الترتيل، الذى ينصرف مفهومه فى أول وهلة إلى الصفات العارضة للقراءة و حروفها.

۱۱- تكرار المحفوظ:

ليرسخ فيه، فقد قال الزمخشرى- رحمه اللّه تعالى "-:فأمر أن يستنصت له، ملقيا إليه بقلبه و سمعه حتى يقضى إليه، ثم يقضيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه «"۱»، و هو من معانى فى قوله عزّ و جل فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:أتبع قرآنه بالدرس

علی معنی کرره حتی یرسخ فی ذهنک «"۲»، و أورد ابن جریر «۳» عن ابن عباس رضی اللّه عنه ":کان لا یفتر من القرآن مخافة أن ینساه، فقال اللّه سبحانه و تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ "القیامة/ ۱۶- ۱۷ "أن نجمعه لک وَ قُرْآنَهُ أن نقرئک فلا تنسی؛ "و هذا دالة علی تکرار المحفوظ، و المعارضة و المدارسة نموذج للصورة التطبیقیة لهذا التکرار.

۱۲- ترکیز المراجعة فی قیام اللیل:

اشارة

فقیام اللیل له عدة تعلقات من حیث لفظ القرآن الکریم:

أ- هو محل استمداد عون اللّه

و لذا أمر النبی صلی اللّه علیه و سلم بقیام اللیل لیکون السبیل الذی یستعین به علی تلقی هذا القول الثقیل.

ب- جعل قیام اللیل محلا للصورة التطبیقیة فی مراجعة القرآن الکریم

تثبیتا للألفاظ، و تبیینا للأصوات، ففی قیام اللیل تکون "مواطأة القرآن أشد موافقة لسمعه و بصره و قلبه «"۴»، و له بالقرآن تعلقان: هو فی أسلوب طرح الکلام ... فکلام ابن الحاجب- رحمه اللّه تعالی- حال ثبوته عنه، یشیر إلی ما صرّح به من بعد ابن خلدون من أن المراد هو ما لا یتوقف ضبطه علی السمع کمراتب المد.

(۱) الکشاف ۴/ ۱۶۵، مرجع سابق، و مثله: أبو السعود ۵/ ۳۴۰، مرجع سابق.

(۲) روح المعانی ۲۹/ ۲۴۴، مرجع سابق.

(۳) تفسیر الطبری ۲۹/ ۱۹۰، مرجع سابق.

(۴) صحیح البخاری ۱/ ۳۸۲، مرجع سابق، عن ابن عباس- رضی اللّه عنهما-، و قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالی-:

"و هذا وصله عبد بن حمید من طریق مجاهد. "انظر: فتح الباری شرح صحیح البخاری ۳/ ۲۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۲

عام: فهو أَشَدُّ وَطْئاً أی ":أثبت فی الخیر، "و خاص فهو وَ أَقْوَمُ قِیلًا أی: أبلغ فی الحفظ «"۱».

و کونه أبلغ فی الحفظ: مجمل فصله الشوکانی بقوله: وَ أَقْوَمُ قِیلًا أی أشد مقالا، و أثبت قراءة لحضور القلب فیها، و هدوء الأصوات ...".

و لا یتوقف ذلک عند مجرد الحفظ، بل یتعداه إلی تبیین اللفظ فقد نقل الشوکانی عن قتادة و مجاهد ":أی أصوب للقراءة، و أثبت للقول؛ لأنه زمان التفهم، و قال الکلبی:

أبین قولا بالقرآن «"۲».

و المقصود أن قیام اللیل هو محل لتکون مواطأة القرآن بین القلب و اللسان أشد، کما أنه أجمع للتلاوة أی أرسخ للحفظ، و لهذا قال عزّ و جل هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلًا "المزمل/ ۶، "أی أجمع للخاطر فی أداء القراءة و تفهمها ... «۳».

و علاقة قوله عزّ و جلّ: إِنَّ ناشِئَةَ اللَّیْلِ هِیَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِیلًا بما قبلها ... وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا (۴) إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا" المزمل/ ۴- ۵ "أنها تعلیل لتخصیص زمن اللیل بالقیام فیه، و المراد: إنّ فی قیام اللیل تزکیة و تصفیة لسرک، و ارتقاء بک إلی

المراقی الملکیة، فالمعنی: إن صلاة اللیل أعود علی تذکر القرآن، و السلامة من نسیان بعض الآیات، و أعون علی المزید من التدبر، قال ابن عباس رضی اللّه عنه ":أدنی من أن یفقهوا القرآن، "و قال قتادة ":أحفظ للقرآن، "و قال ابن زید ":أقوم قراءة لفراغه من الدنیا «"۴»، و قد اشتهر حدیث حذیفة رضی اللّه عنه فی قیامه صلی اللّه علیه و سلم بسورة البقرة و آل عمران و النساء «۵» أنموذجا لورده صلی اللّه علیه و سلم فی المراجعة فی قیام اللیل. (۱) تفسیر الطبری ۲۹/ ۱۷۰، مرجع سابق.

(۲) فتح القدیر ۵/ ۳۸۸، مرجع سابق، و راجع: تفسیر أبی السعود ۵/ ۴۱۲، مرجع سابق.

(۳) انظر: تفسیر ابن کثیر ۴/ ۳۷۰، مرجع سابق.

(۴) التحریر و التنویر ۲۹/ ۱۶۳، مرجع سابق، و قال فی قوله تعالی وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا متعلقة بقیام اللیل أی:

رتل قراءتک فی القیام، و یجوز أن تکون أمرا مستقلا متعلقا بکیفیة قراءة القرآن، جری ذکره بمناسبة قیام اللیل، و هذا أولی لأن الصلاة تدخل فی ذلک و انظر: البحر المحیط ۸/ ۳۶۳/ مرجع سابق.

(۵) رواه مسلم ۳/ ۳۴۲، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۳

و قد جعل النبی صلی اللّه علیه و سلم قیام اللیل وردا للمراجعة الیومیة

و لذا جعله البحث نموذجا للوقت النموذجی لها «۱»، فقد کان النبی صلی اللّه علیه و سلم یقرأ ما یلقی إلیه فی اللیل أثناء قیامه فی الصلاة.

و لمراجعة القرآن فی صلاة اللیل أثر فی تثبیته بل ذلک أحد أهم قواعد حفظه، و فی موضوع تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم یوجد دلیلان: عام و خاص فی مراجعته صلی اللّه علیه و سلم فی اللیل:

فأما الدلیل العام فقد قال صلی اللّه علیه و سلم: (إذا قام صاحب القرآن فقرأه باللیل و النهار ذکره، و إن لم یقم به نسیه) «۲» و من أحق منه صلی اللّه علیه و سلم بوصف صاحب القرآن؟.

و أما الدلیل الخاص الذی فیه: أنّ قیامه فی صلاته کان بما یلقی إلیه فما حدثت به عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قام لیلة من اللیالی فقال: (یا عائشة! ذرینی (۱) لا یعنی هذا نفی الغایات الشرعیة الأخری لقیام اللیل.

(۲) رواه مسلم ۱/ ۵۳۶، مرجع سابق، عن ابن عمر- رضی اللّه عنهما-، و قوله (لم یقم به) تحتمل معنی قیام اللیل، و تحتمل معنی العمل به، و قد قال المبارکفوری فی معنی قول الصحابی یخاطب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (أن لا أقوم بها): کما فی تحفة الأحوذی ۸/ ۱۵۰ ":أی فی صلاة اللیل، "انظر: (المبارکفوری) أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحیم، ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

و یؤکد هذا المعنی الحدیث الذی وردت فیه هذه العبارة ما روی الترمذی ۵/ ۱۵۶ عن أبی هریرة رضی اللّه عنه قال:

بعث رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بعثا، و هم نفر فدعاهم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فقال: (ما ذا معکم من القرآن؟) فاستقرأهم، حتی مرّ علی رجل منهم هو من أحدثهم سنا، فقال: (ما ذا معک یا فلان؟) قال: معی کذا، و کذا، و سورة البقرة. قال: (معک سورة البقرة؟). قال: نعم!. قال: (اذهب، فأنت أمیرهم) فقال رجل- هو أشرفهم-: و الذی کذا و کذا یا رسول اللّه! ما منعنی أن لا أتعلم القرآن إلا خشیت أن لا أقوم به. قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (تعلم القرآن، و اقرأه، و ارقد، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه، و قام به کمثل جراب محشو مسکا تفوح ریحه کل مکان، و من تعلمه، فرقد و هو فی جوفه کمثل جراب وکئ علی مسک) حسنه الترمذی، و ضعفه الألبانی، و صححه ابن حبان، و قال الشیخ شعیب الأرناءوط فی تعلیقه علی ابن حبان ":رجاله ثقات رجال الصحیح غیر عطاء مولی أبی أحمد."

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۴

أتعبد لربی) قلت: و اللّه إنی لأحب قربک، و أحب ما یسرک، قالت: فقام فتطهر، ثم قام یصلی، فلم یزل یبکی حتی بلّ الأرض، و جاء بلال یؤذنه بالصلاة، فلما رآه یبکی، قال:

یا رسول اللّه! تبکی و قد غفر اللّه ما تقدم من ذنبک و ما تأخر؟ قال: (أ فلا أکون عبدا شکورا؟ لقد نزلت علی اللیلة آیات، ویل لمن قرأها و لم یتفکر فیها إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ ...) الآیة «۱»، و لا یعترض علی النصّ بأنه غیر صریح فی الدلالة علی المراد؛ لأن قرائن الحال، و اقتران الوصف بالحکم فی الحدیث مقتضیان المطلوب من إیراده، و هو مراجعته لما أنزل علیه، و الذی أنزل علیه هنا الآیات العشر من سورة آل عمران.

[مفهوم حزب علی لسان النبی صلی اللّه علیه و سلم

بل کان یؤکد علی المراجعة ببیان وسائل التدارک عند الفوات فعن عبد الرحمن ابن عبد القاری: قال سمعت عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه یقول: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (من نام عن حزبه، أو عن شیء منه فقرأه فیما بین صلاة الفجر و صلاة الظهر کتب له کأنما قرأه من اللیل) «۲»، و قد شمل قوله (حزبه) الصلاة و القرآن، و هو إلی القرآن أقرب؛ إذ مصطلح الحزب علی لسان النبی صلی اللّه علیه و سلم یختص بالقرآن «۳».

کما جعل صلی اللّه علیه و سلم شدة الحض علی قیام اللیل مع الاهتمام فیه بقراءة القرآن مقترنا ببیان الحد الأدنی للقراءة أمرا لازما لتکون دافعا إلی الترقی المستمر فی زیادة کمیة المقروء کما فی قوله صلی اللّه علیه و سلم: (من قام بعشر آیات لم یکتب من الغافلین، و من قام بمائة آیة کتب من (۱) رواه ابن حبان فی صحیحه ۲/ ۳۸۶، مرجع سابق، و صححه الألبانی فی السلسلة الصحیحة رقم ۶۸.

(۲) صحیح مسلم ۱/ ۵۱۵، مرجع سابق.

(۳) ففی مسند الإمام أحمد بن حنبل ۴/ ۹: عن أوس بن حذیفة أن رسول اللّه قال: (طرأ علی حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتی أقضیه) قال- (فسألنا أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حین أصبحنا- قال- قلنا:

کیف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، و خمس سور، و سبع سور، و تسع سور، و إحدی عشرة سورة، و ثلاث عشرة سورة، و حزب المفصل من قاف حتی یختم). و هو فی سنن ابن ماجة ۱/ ۴۲۷ و قال الألبانی: ضعیف.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۵

القانتین، و من قام بألف آیة کتب من المقنطرین) «۱»، و فی الحدیث إشارة برمی الذی لم یقم بعشر آیات بالغفلة، و فی ذلک تهییج نحو القیام، و قراءة هذا المقدار، و ما الحکم هنا إلا غیر تحریم لترک قیام اللیل ما أشبهه بالتحریم.

بل شرعت الوسائل البدیلة لقیام اللیل لمن فتر أو کسل متضمنة الارتباط الدائم بالقرآن، و الاستفزاز الشعوری بقیام اللیل، و إن لم یقمه فقد قال صلی اللّه علیه و سلم: (من قرأ بمائة آیة فی لیلة کتب له قنوت لیلة) «۲»، و سواء کان معنی الحدیث القراءة المجردة، أو القراءة مع قیام اللیل الذی أشعر به تعدیة الفعل بالباء، فإطلاق القراءة فیه کاف فی الاستدلال علی المطلوب.

علی أن حرص النبی صلی اللّه علیه و سلم علی استذکار القرآن و مراجعته أوضح من أن یدلل علیه، و لئن کان قد قال فی حرفة عادیة: (من علم الرمی ثم ترکه فلیس منا فقد عصی) «۳»، لهو قائل ثم فاعل أکثر من ذلک فی أصل أصول الشریعة الإسلامیة.

۱۳- التعاهد السنوی:

و ذلک بمراجعة القرآن علی جبریل علیه السلام سنویا فی کل رمضان، و یأتی تحلیل هذا الموقف التعلیمی «۴»، و هذا هو الأصل الشرعی المنهجی فی العرضة الثانیة أو الثالثة تأکیدا و تثبیتا للمحفوظ، و هذا التعاهد غیر التعاهد الدائم (المراجعة الدائمة)؛ إذ کلامنا

عن اتصال الرسول صلى اللّه عليه و سلم التعليمى جبريل عليه السلام فى القرآن الكريم من حيث اللفظ، و المراجعة الدائمة عمل ذاتى. (۱) صحيح ابن حبان ۶/ ۳۱۰، مرجع سابق، و صحيح ابن خزيمة ۲/ ۱۸۱، انظر: (ابن خزيمة) إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمى ت ۳۱۱ ه: صحيح ابن خزيمة، مراجعة: د. محمد مصطفى الأعظمى ۱۳۹۰ ه- ۱۹۷۰ م، المكتب الإسلامى- بيروت.

(۲) (المقدسى) أبو عبد اللّه محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلى ت ۶۳۴ ه: الأحاديث المختارة ۸/ ۲۷۸، تحقيق: عبد الملك ابن عبد اللّه دهيش، ۱۴۱۰ ه، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

(۳) رواه مسلم ۳/ ۱۵۲۲، مرجع سابق.

(۴) فى المبحث التاسع من هذا الفصل ص ۱۷۷.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۶

فإن اعترض بأنه: لم يتم عرض الجزء الذى نزل بعد آخر رمضان قبل موت النبى صلى اللّه عليه و سلم؟

فالجواب: ليس عدم العلم علما بالعدم، بل إنّ القواعد العامة للموضوع هى التى تجعل الباحث يميل إلى الحكم بالنفى أو الإثبات عند عدم وجود النص الصريح فى مدار النزاع، و ما عرض فى خصوص موضوعنا يجعل الناظر فيها يميل إلى ترجيح أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قد عرض القرآن قبل وفاته، و ذلك لما رأيته من الاهتمام المؤكّد بذلك من خلال ما سبق، و لقد خرج النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى شهداء أحد قبل وفاته فصلى عليهم بأمر ربه «۱»، فكيف يكون الأمر له فى خصوص القرآن الكريم، على أنه لو لم يتم العوض فلا ضير للتكفل بالحفظ أو لما قاله ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:و كأن الذى نزل فى تلك الأيام لما كان قليلا بالنسبة لما تقدم اغتفر أمر معارضته «"۲».

و فى آخر هذا المبحث: فهل أتاك نبأ رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إذ يتلقى ألفاظ ألفاظ القرآن الكريم؟، و جبريل عليه السلام إذ يعلمه لفظ القرآن المجيد؟ ... فيا حادى الشوق أشعل سرج العزيمة ... و أمط عنا- بذاك- فى الظلماء ذل الهزيمة ... و يا رسول اللّه:

قد كنت بدرا و نورا يستضاء به ... عليك تنزل من ذى العزة الكتب و كان جبريل بالآيات يحضرنا ... فغاب عنا، و كل الشوق ينسكب

(۱) كما ثبت فى البخارى ۱/ ۵۷۶، مرجع سابق.

(۲) فتح البارى ۹/ ۴۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۷

المبحث التاسع: تحليل حديث المدارسة (المعارضة):

اشارة

قد تكررت- فيما سبق- الإشارة إلى حديث المعارضة، و لأنه يمثّل أنموذج المراجعة السنوية للقرآن الكريم من جهة، و لما يتضمنه من دلالات متميزة من حيث تلقين جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن من جهة أخرى؛ فقد لزم إبرازه بالبحث و التحليل، لذا عقد هذا المبحث، و ينقسم إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول: متن الحديث برواياته المختلفة.

المطلب الثانى: الدلالات العامة لحديث المعارضة.

المطلب الثالث: متضمّنات المعارضة.

المطلب الرابع: إيراد على ما سبق و دفعه.

المطلب الخامس: المقتضى المنهجى لحديث المعارضة.

المطلب الأول: متن الحديث برواياته المختلفة:

عن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن عتبة أن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: كان النبى صلى اللّه عليه و سلم أجود الناس بالخير، و كان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام، و كان جبريل عليه السلام، يلقاه كل ليلة فى [و فى لفظ من رمضان، حتى ينسلخ، [كان يلقاه فى كل سنة فى رمضان «۱»، يعرض عليه النبى صلى اللّه عليه و سلم «۲» القرآن، [فيدارسه القرآن «۳»، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة [و روى أبو هريرة و فاطمة- رضى اللّه تعالى عنهما- عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أن جبريل كان يعارضه القرآن «۴»، و وقع عند أحمد فى آخر هذا الحديث: لا يسأل شيئا إلا أعطاه «۵»، و حديث فاطمة الذى أشار إليه البخارى هو ما روته عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- (۱) صحيح مسلم ۴/ ۱۸۰۳، مرجع سابق.

(۲) و مثل هذا التصريح فى مسلم ۴/ ۱۸۰۳، و عند أحمد ۱/ ۲۳۰، مرجع سابق: كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يعرض الكتاب على جبريل عليه السلام فى كل رمضان، فإذا أصبح رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم من الليلة التى يعرض فيها ما يعرض ...

(۳) ما بين الأقواس ألفاظ أخرى للبخارى.

(۴) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۷۷، مرجع سابق.

(۵) مسند الإمام أحمد ۱/ ۳۲۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۸

قالت: إنا كنا أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم عنده جميعا، لم تغادر منا واحدة، فأقبلت فاطمة- عليها السلام- تمشى، و لا و اللّه ما تخفى مشيتها من مشية رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فلما رآها رحب و قال: مرحبا بابنتى، ثم أجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم سارها فبكت بكاء شديدا، فلما رأى حزنها سارها الثانية، فإذا هى تضحك، فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالسر من بيننا، ثم أنت تبكين، فلما قام رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سألتها: عم سارك؟، قلت:

ما كنت لأفشى على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سره. فلما توفى، قلت لها: عزمت عليك بما لى عليك من الحق لما أخبرتنى. قالت: أما الآن فنعم، فأخبرتنى، قالت: أما حين سارنى فى الأمر الأول، فإنه أخبرنى (أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، و إنه قد عارضنى به العام مرتين، و لا أرى الأجل إلا قد اقترب فاتقى اللّه، و اصبرى، فإنى نعم السلف أنا لك) قالت:

فبكيت بكائى الذى رأيت، فلما رأى جزعى سارنى الثانية، قال: (يا فاطمة أ لا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة) «۱».

المطلب الثانى: الدلالات العامة لحديث المعارضة:

اشارة

و الدلالات المأخوذة من هذا الحديث هى:

۱- اعتماد مبدأ المدارسة فى مفردات التعليم المنهجى لألفاظ القرآن الكريم:

اشارة

فقد تنوعت روايات الحديث فى وصف هذا الموقف التعليمى بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم، فوصفه بعضها بأنه (مدارسة)، و بعضها بأنه (معارضة)، و بعضها (يعرض عليه القرآن)، و بعضها أبهم الفاعل، و صرّح البعض بأن الفاعل للعرض هو النبى صلى اللّه عليه و سلم، و البعض أن الذى كان يعرض هو جبريل عليه السلام و منه استنباط الإمام النسائى: أن جبريل عليه السلام هو الذى كان يعرض القرآن على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و هو ما أشار إليه البخارى فى قوله:

و روى أبو هريرة و فاطمة- رضى اللّه تعالى عنهما- عن النبى صلى اللّه عليه و سلم أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن ... و هذه الأوصاف مستلزمة سبر معانيها اللغوية و الاصطلاحية، (۱) صحيح البخارى، ۵/ ۲۳۱۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۷۹

للتمكن من تحليل هذا الموقف التعليمى المتميز، و الخروج بنتائج حقيقية تترتب عليه.

و من ذلك:

أ- أن المدارسة تستلزم الفقه الدقيق، و لا بد من أن يجمع ذاك إلى حسن المعنى و تركيزه، صحة اللفظ و عذوبته و قوته، كما جاء عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة ابن جابر: (أ لا أخبركم عن من صحبت؟! صحبت عمر بن الخطاب، فما رأيت أحدا أفقه فى كتاب اللّه، و لا أحسن مدارسة منه ...) «۱». فليس المعنى فقط هو المعتبر فى المدارسة، و ظاهر أنه لا يستطاع الوصول إليه إلا عبر اللفظ، فإن كان هذا اللفظ هو كلام اللّه عزّ و جل كان من البدهى أن لكل حرف فيه دلالته التى لا يقوم غيره فيها مقامه ...

ب- و المدارسة الرمضانية هى الأساس الشرعى المنهجى للعرضة الثانية، و الثالثة للقرآن الكريم من الطالب على شيخه ... كما هو معمول به عند المسلمين، تدقيقا للفظ و تأكيدا للحفظ، و تثبتا من الأداء.

۲- التأكيد على الحفظ فى حق الرسول صلى اللّه عليه و سلم بما ليس بعده:

و المراد بذلك مقتضياته التعليمية فى حق الأمة، ذلك أن اللّه قد تكفل بإقراء النبى صلى اللّه عليه و سلم على هيئة قراءة جبريل عليه السلام لفظا و أداء أولا، ثم تكفل بعدم نسيه من صدره ثانيا، ثم بحفظ كتابه ثالثا ... و على الرغم من ذلك فقد كانت المعارضة السنوية للقرآن الكريم تأخذ مجراها الدورى، مع جملة تأكيدات فيها على غايتها و فحواها «۲»، كتكرار (۱) (المزى) أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن الزكى عبد الرحمن ت ۷۴۲ ه: تهذيب الكمال ۲۳/ ۴۷۲، مراجعة:

بشار عواد معروف، ۱۴۰۰ ه- ۱۹۸۰ م، مؤسسة الرسالة- بيروت، و قد رواه البخارى فى التاريخ الكبير ۷/ ۱۷۵، و مما يلزم إضافته فى سياق تقرير المعنى المشار إليه: أن قبيصة قد تأثر بصحبة هؤلاء الأساتذة، فكان كما قال عبد الملك ابن عمير إذا ذكر الفصحاء": فصحاء الناس ثلاثة: الحسن البصرى، و موسى بن طلحة القرشى، و قبيصة بن جابر الأسدى " ...تهذيب الكمال ۲۳/ ۴۷۲، مرجع سابق.

(۲) و لذا قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:و فيه استحباب تكثير العبادة فى آخر العمر، و مذاكرة الفاضل بالخير و العلم، و إن كان هو لا يخفى عليه ذلك لزيادة التذكرة و الاتعاظ، و فيه أن ليل رمضان أفضل من نهاره، و أن المقصود من التلاوة الحضور و الفهم، لأن الليل مظنة ذلك لما فى النهار من الشواغل و العوارض الدنيوية و الدينية."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۰

المعارضة مرتين فى العام الذى توفى فيه، و استمرارها فى كل ليلة من شهر رمضان مع أنه كان يمكن الاكتفاء ببعض المجالس سواء كرر جميع القرآن كل ليلة، أو فرقه على الليالى و هو الأظهر و هو ما أكده الإمام النووى- رحمه اللّه تعالى- فى شرحه لهذا الحديث

حيث قال ":و استحباب الإكثار من القراءة فى رمضان و كونها أفضل من سائر الأذكار؛ إذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعلا، فإن اعترض بأن المقصود تجويد الحفظ، قلنا: الحفظ كان حاصلا، و الزيادة فيه تحصل ببعض المجالس «"۱».

و هل للاعتكاف علاقة بعرض القرآن؟ ذاك ما لا يمكن نفيه أو إثباته، و لكن العلاقة طردية بين الاعتكاف و عرض القرآن «۲»، و متضمّن الاعتكاف الذى يجعل تلاوة القرآن من أساساته، و الانقطاع للّه عزّ و جل من أوصافه الذاتية «۳» ... قد يوحيان بهذه العلاقة.

۳- تأكيد المعارضة السنوية، و تعويضها عند فواتها لعارض:

فقد اختلف فى سبب معارضته صلى اللّه عليه و سلم مرتين فى العام الذى توفى بعده، و لا شك أن مجرد العلم الإلهى بوفاته سبب كاف فى التأكيد على أصل أصول الدين، و يجعل ذلك كالمقطوع به استنباطه صلى اللّه عليه و سلم حيث قالت ابنته فاطمة: (أخبرنى أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة و إنه قد عارضنى به العام مرتين و لا أرى الأجل إلا قد اقترب)، لكن هذا لا يفسر اعتكافه مرتين على المستوى ذاته من القوة ... و قد عرض ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- اختلاف العلماء فى سبب اعتكافه فى العام الذى توفى بعده عشرين يوما فقال: قيل: السبب فى ذلك أنه صلى اللّه عليه و سلم علم بانقضاء أجله، فأراد أن يستكثر من أعمال الخير؛ ليبين لأمته الاجتهاد فى العمل إذا بلغوا أقصى العمل (۱) فتح البارى شرح صحيح البخارى ۳۱/ ۱، مرجع سابق.

(۲) حيث كان يعرض القرآن مرة، و يعتكف عشرة أيام، فلما عرضه مرتين اعتكف عشرين يوما ... و لقائل أن يقول:

ليست هذه العلاقة مؤثرة، بل اتفق الاطراد لعارض.

(۳) حتى أن اعتكاف النبى صلى اللّه عليه و سلم كان تصاحبه شدة فى التبتل، قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى الفتح ۴/ ۲۸۵، مرجع سابق ":و قد روى ابن المنذر عن ابن شهاب أنه كان يقول: عجبا للمسلمين، تركوا الاعتكاف و النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يتركه منذ دخل المدينة حتى قبضه اللّه "و قال مالك ":أنه لم يعلم أن أحدا من السلف اعتكف إلا أبا بكر بن عبد الرحمن، و أن تركهم لذلك لما فيه من الشدة."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۱

ليلقوا اللّه عزّ و جل على خير أحوالهم «۱»، و قيل: السبب فيه أن جبريل عليه السلام كان يعارضه بالقرآن فى كل رمضان مرة، فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه به مرتين؛ فلذلك اعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين، و يؤيده أن عند ابن ماجة: (و كان يعرض عليه القرآن فى كل عام مرة، فلما كان العام الذى قبض فيه عرضه عليه مرتين) «۲»، و قال ابن العربى:

يحتمل أن يكون سبب ذلك أنه لما ترك الاعتكاف فى العشر الأخير بسبب ما وقع من أزواجه، و اعتكف بدله عشرا من شوال- اعتكف فى العام الذى يليه عشرين ليتحقق قضاء العشر فى رمضان انتهى، و أقوى من ذلك أنه إنما اعتكف فى ذلك العام عشرين لأنه كان العام الذى قبله مسافرا، و يدل لذلك ما أخرجه النساء و للفظ له و أبو داود و صححه ابن حبان و غيره من حديث بن أبى بن كعب رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، فسافر عاما فلم يعتكف فلما كان العام المقبل اعتكف عشرين، و قال فى موضع آخر: و يحتمل أيضا أن يكون السر فى ذلك أن رمضان من السنة الأولى لم يقع فيه مدارسة لوقوع ابتداء النزول فى رمضان ثم فتر الوحى، ثم تتابع، فوقعت المدارسة فى السنة الأخيرة مرتين ليستوى عدد السنين و العرض، و يحتمل تعدد هذه القصة بتعدد السبب، فيكون مرة بسبب ترك الاعتكاف لعذر السفر، و مرة بسبب عرض القرآن مرتين «"۳».

و قد ظهر أن من بين الأقوال الخمسة المذكورة فى التعليل لاعتكافه عشرين يوما قولان يرجعان إلى علاقة الاعتكاف بالقرآن الكريم.

(۱) يضعّف هذا أنه أخبر عن نفسه بعدم العلم باقتراب أجله إلا بعد أن رأى جبريل عليه السلام عارضه القرآن مرتين، و ذاك كائن فى منتهى رمضان فكذلك الاعتكاف فيقوى من هنا أن يكون للاعتكاف علاقة فى معارضة القرآن، و لكن يقوى الاستنباط الأول النعى العام له صلى اللّه عليه و سلم فى سورة النصر و كانت بعد فتح مكة، فلقائل ذاك القول أن يقول: استكثر من الخير بعد ما نزلت

عليه هذه السورة و من ذلك الاعتكاف، و أما المعارضة فكانت تحديدا أدق من النعى العام.

(۲) سنن ابن ماجة ۲/ ۳۴۵، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۴/ ۲۸۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۲

و هل كانت المعارضة تتم قبل أن يفرض صيام رمضان؟ الظاهر من قول ابن عباس رضى اللّه عنه: (و كان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ [كان يلقاه فى كل سنة فى رمضان) «۱»- أن المعارضة كانت تتم فى كل رمضان حتى قبل أن يفرض صيامه، و يقوى ذلك رواية (من)؛ فإن (من) هاهنا إما لابتداء الغاية الزمانية على قول من يجيزها أى من ابتداء شهر رمضان فيه بعد نبوته إلى آخر رمضان قبل وفاته، و فيه إدماج معنى الحرفين فى التقدير، أو أن (من) لبيان الجنس فيصدق على جميع رمضانات النبوة «۲».

قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:و هذا ظاهر فى أنه كان يلقاه كذلك فى كل رمضان منذ أنزل عليه القرآن، و لا يختص ذلك برمضانات الهجرة، و إن كان صيام شهر رمضان إنما فرض بعد الهجرة؛ لأنه كان يسمى رمضان قبل أن يفرض صيامه «"۳».

۴- التركيز فى عنصر الوقت لتثبيت و مراجعة لفظ القرآن الكريم: و ذلك باعتماد الدرس الليلى:

إذ كانت المعارضة تتم ليلا، ليتم الوصول إلى الكمال فى الإحاطة بالدرس القرآنى إذ يتم حفظ، أو مراجعة ما يراد تثبيته من الليل، ثم يعقبه نوم، ثم تجرى مراجعته سحرا أو بكرة؛ لأنه إذا تساوى زمن الحفظ و اليقظة بين التعلم و التذكر؛ فإن زمن النوم أقل ضررا على الحفظ من زمن اليقظة؛ لعدم التعرض لخبرات جديدة خلال النوم يحصل بسببها النسيان؛ فإن النسيان إنما يحدث من جراء حصول خبرات جديدة، يفسح لها الدماغ مجالا، فيطمس أشياء قبلها «۴»، و لذا قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى ":اختيار الليل لأن المقصود من التلاوة الحضور و الفهم، لأن الليل مظنة ذلك، لما فى النهار من الشواغل و العوارض الدنيوية و الدينية. "و قد مر نحو هذا فى فوائد آيات المزمل «۵». (۱) صحيح مسلم ۴/ ۱۸۰۳، مرجع سابق.

(۲) انظر: فى معانى (من): مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ۱/ ۳۱۹، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۴/ ۲۸۵، مرجع سابق.

(۴) المهارات الدراسية ص ۱۲۴، بواسطة: مقال ظاهرة النسيان، مجلة البيان، عدد ۱۰۵، مرجع سابق.

(۵) تكرر فى أكثر من موضع، انظر (مثلا): ص ۱۷۲ من هذا البحث.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۳

۵- التركيز فى عنصر الوقت: اعتماد رمضان زمانا للمعارضة

و لا يخفى مدى ملاءمة ذلك.

۶- التركيز فى عنصر الوقت: تعويض المعارضة عند فواتها لعارض:

و تقدم «۱»، و تجدر الإشارة إلى استبعاد الغرض التعبدى المحض من تعويض المعارضة؛ لأن الأجر يكتب لدائم العمل إن حجب عنه لعارض معتبر كسفر أو مرض على ما تقرر فى التقعيد الأصولى «۲»، فقد ثبت النص بذلك فعن أبى بردة- و اصطحب هو و يزيد بن أبى كبشة- فى سفر، فكان يزيد يصوم فى السفر، فقال له أبو بردة: سمعت أبا موسى- يعنى أباه هو الأشعرى- رضى اللّه عنه مرارا

يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا) «۳».

و كل ما سبق يجعل الحكم بإلزامية المراجعة السنوية على النبى صلى اللّه عليه و سلم أمرا بالغ الوضوح.

و يجب إبراز ملاحظة هى: أن ما تفرع عما تقرر أعلاه من تعويض المعارضة تأسس على تحتم المراجعة عليه صلى اللّه عليه و سلم، و لقائل أن يقول: لا نسلم تعويض المعارضة، بل ما يحجب جبريل عليه السلام عن معارضة النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن فى سفره، و كونه لم ينقل فلأن عدم العلم ليس علما بالعدم، و يكفى قرائن الأحوال الأخرى، أما المعارضة مرتين فى آخر رمضان فتأكيدا على القرآن الكريم لا للتعويض، و هو الذى يظهر من الحديث.

۷- تثبت الحفظ بالعمل، و العبادات التى تباركه:

و يلمح هذا من الحالة النفسية التى تتعاظم عندها الطاعة بعد تلقى القرآن الكريم أو مدارسته مع جبريل عليه السلام، و تلك مسألة واضحة فى نص الحديث: (۱) انظر ص ۱۷۴ من هذا البحث.

(۲) انظر: الموافقات ۱/ ۳۴۲، مرجع سابق.

(۳) صحيح البخارى ۳/ ۱۰۹۲، مرجع سابق.

فى زيادة الإنفاق من حيث الشكر، و قيام الليل من حيث المراجعة و الذكر، و تمام القول أن خلقه القرآن، و ذاك كاف فى الإقامة عليه، و الحفاظ على نصه؛ إذ قد استحالت الألفاظ بمعانيها إلى جسد متحرك، قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى شرح هذا الحديث "قيل الحكمة فيه: أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس، و الغنى سبب الجود، و الجود فى الشرع إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى، و هو أعم من الصدقة، و أيضا فرمضان موسم الخيرات، لأن نعم اللّه على عباده فيه زائدة على غيره فكان النبى صلى اللّه عليه و سلم يؤثر متابعة سنة اللّه فى عباده فبمجموع ما ذكر من الوقت، و المنزول به، و النازل، و المذاكرة حصل المزيد فى الجود و العلم عن اللّه تعالى «"۱».

ففى هذا الحديث أن مداومة التلاوة توجب زيادة الخير «۲».

المطلب الثالث: متضمّنات المعارضة: تتضمن المعارضة بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم المفاهيم التالية:

۱- الإراءة:

إذ "عرض الشىء عليه يعرضه عرضة أراه إياه «"۳» ... فعرض النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن على جبريل عليه السلام يتضمن نظر جبريل عليه السلام فى لفظ النبى صلى اللّه عليه و سلم و أدائه تصويبا، و تفهيما، و تعبدا، و عرض جبريل عليه السلام يتضمن نظر النبى صلى اللّه عليه و سلم فى لفظ جبريل عليه السلام تعلما، و تفهما، و تعبدا، إذ كل منهما يرى الآخر لفظه، و أداءه، و يحتمل أيضا: و معناه، و لذا جاء فى مادة عرض "و عرضت الكتاب، و عرضت الجند عرض العين إذا أمررتهم عليك، و نظرت فى حالهم «"۴».

(۱) فتح البارى ۱/ ۳۱، مرجع سابق.

(۲) انظر: فتح البارى ۱/ ۴۶، مرجع سابق.

(۳) لسان العرب ۹/ ۱۳۷، مرجع سابق.

(۴) لسان العرب ۹/ ۱۳۸، مرجع سابق.

۲- المقابلة:

من قولهم عارض الكتاب بالكتاب قابله به «۱»، و يشترط أن يكون ثمّ أصل مقابل عليه، و فرع مقابل به، فيظهر من ذلك أرقى ما يمكن أن يصل إليه التدقيق، مما هو خارج عن نطاق البشر فی مقابلة حفظ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی ما أمر جبریل علیه السلام بحفظه من ربه، و أهم صفة ذاتية لجبريل عليه السلام عند نزوله من السماء أنه ما ينزله ربه سبحانه و تعالى إلا بالحق «۲».

۳- الظهور:

اشارة

ففی مختار الصحاح ":عرض له كذا أی ظهر، و عرضته له أظهرته له و أبرزته إليه «"۳» ... فإظهار القرآن، و إبرازه من النبی صلی اللّه علیه و سلم لجبريل عليه السلام، و العكس يعنی إظهار ألفاظ القرآن لفظا لفظا من الشيخ لتلميذه و من التلميذ علی «۴» شيخه، و يؤكد هذا العرض الدقيق ما جاء فی معنی مادة عرض ":عرض الجند إذا أمرهم عليه و نظر فی حالهم «"۵»، و هذه غاية فی الدقة فی وصف تثبيت ألفاظ القرآن الكريم فی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم، و لا يرد علی هذا التقرير احتمالية أن يكون ما كان يعرضه الرسول صلی اللّه علیه و سلم، أو ما كان يعض عليه هو معانی القرآن و أمور الشريعة؛ إذ لو كان الأمر كذلك لقيل يعرض عليه الشريعة أو نحوها من العبارات، و لا يخصص القرآن بالذكر.

فإن اعترض بأن: القرآن هو الشريعة كلها نصا أو تضمنا، فعبر به فی الحديث عنها، فالمعروض هو أحكام الشرعية لا ألفاظ القرآن.

(۱) مختار الصحاح ص ۲۷۰، مرجع سابق، النهاية فی غريب الأثر ۳/ ۱۳۳، مرجع سابق.

(۲) من قوله عزّ و جل ما نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ ما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ "الحجر/ ۸، "بل إن مجرد النزول لا يكون إلا بأمر من اللّه، لقوله: وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ "مريم/ ۶۴، "و ليس للملك الاجتهاد فی إنشاء أمر، أو تنفيذه كما فی قوله عزّ و جلّ: لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ "الأنبياء/ ۲۷، "فالحق صفة ذاتية فی النزول و النازل و المنزل به، فلا مس من باطل يعتريه، و لا اجتهاد من مخلوق يأتيه.

(۳) مختار الصحاح ۱۷۸، مرجع سابق.

(۴) تضمن الفعل إظهار الطالب ما عنده معنی التصويب علی ما عند الشيخ، لذا عدی فعدی ب (علی).

(۵) لسان العرب ۹/ ۱۳۸، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۶

فالجواب: الدليل صحيح، و الاستدلال غير صحيح؛ لأن تخصيص القرآن بالذكر فی جميع الروايات يدل علی اقتصار الكلام عليه، و لو أراد الكلام عن الشريعة أو الدين و نحوها لما عدل عن لفظها أو ما يدل عليه كما فی قوله عزّ و جل ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلی شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها " ...الجاثية/ ۱۸، "و كما فی قول النبی صلّی اللّه علیه و سلّم (هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم)، لم يقل قرآنكم ... فتقرر بهذا أنه أراد لفظ القرآن بخصوص مفهومه.

و يمكن القول علی طريقة السبر و التقسيم الأصولية:

إمـا أن يكون المعروض هو ألفاظ القرآن، و إما معانيه، و إما شـيء آخر، و لا جائز أن يكون شـيئا آخر، لأن الكلام على القرآن، و لا جائز أن يكون معانى القرآن لأنه لا يطلق عليها قرآن عرفا، فتعين أن المعروض هو ألفاظ القرآن.

فإن اعترض بالقول: فهل معنى ذلك أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن يعرض معانيه على جبريل عليه السّلام؟.

فـالجواب: بل يحتمل أنه كان يعرضـها، و لكن دلالـة الحـديث على عرضـها بالتبع أو بالإشارة، لا بالقصـد الأصـلى ... و لقـد تمسـك المسـلمون بـذلك فى ظاهرة مذهلـة تقـدم التواتر العملى و العلمى المفيـد للعلم الضـرورى فى أن المعروض كان فى المقام الأول هو ألفاظ القرآن «۱»، و ذلك كتمسـكهم بشعائر الإسلام الضرورية كرمى الجمار على الرغم من آحادية نصوصها ... فتقرر أن المعروض هو ألفاظ القرآن، و ذاك مؤشر على مقدار الحراسة التى كانت تحف ألفاظه.

فـإن اعترض بـأن: المعروض إنما هو القرآن من حيث النسـخ و عـدمه «۲» و يقويه حـديث ابن عبـاس رضـى اللّه عنه، فالجواب: ذاك بعض المعروض لا- كله عنـد التنزل فى إثبـاته ... (۱) و يمكنك اسـتخدام أسـلوب الأصوليين: تخريـج المناط ثم تنقيحه للوصول إلى هذه النتيجة.

(۲) على قول من يثبت النسخ.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۷

و إلا فمن ذا يعقل أن يعرض النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم آيات مبتورة على جبريل عليه السّـلام هى الناسـخة، دون عرض مواضـعها و سورها؟ على أن تصـريح الصـحابة، بأن النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم عرض القرآن مرتين فى العام الـذى توفى بعده واضح فى عرضـه القرآن كله لا بعضه من أوله إلى آخره ...

و لا يعرف للعرض معنى غير هذا عند إطلاقه، و أجيال المسلمين تتوارث هذا المعنى فهما و تطبيقا، و لينبئهم بعلم زاعم غير ذلك.

۴- العرضية اللفظية:

إذ إن اسـتخدام لفظة يعرض فى أغلب الروايات عند الراوى الواصف لما حدث، ثم مجيئها على لسان النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم «۱» دال على فحواهـا، و هو عرض الألفاظ و استعراضـها، و معلوم أن العرض ضـد الطول «۲» .... فهل يكون أثر إيقاع هـذه اللفظة الدقيقة الوصف إلا عرض الألفاظ واحدا واحدا، و اقتضاء لفظة العرض سبر الجوانب الداخلية فى اللفظة أداء و معنى؟.

فيعرض "من العرض و هو بفتح العين و سـكون الراء، أى يقرأ، و المراد يستعرضه ما أقرأه إياه «"۳» بل قد صرح بعض شراح الحديث أثناء شـرحهم لحـديث المعالجـة بأن العرضـية تشـمل الحروف حرفا حرفا، قال السـندى- رحمه اللّه تعالى "-:يحرك شـفتيه أى لكل حرف عقب سماعه من جبريل عليه السّلام «"۴». (۱) راجع متن الحديث فى المطلب الأول من هذا المبحث ص ۱۷۷.

(۲) لسـان العرب ۹/ ۱۳۷، مرجع سـابق، مختار الصـحاح ۱۷۸، مرجع سـابق، و فيه ":و عرض الشـيء فـأعرض، أى أظهره فظهرن فهو كقولهم كبه فـأكبّ، و هو من النوادر و قوله عزّ و جـل وَ عَرَضْـنا جَهَنَّمَ يَوْمَئِـذٍ لِلْكـافِرِينَ عَرْضـاً " ...الكهف/ ۱۰۰ "أى أبرزناها حتى نظروا إليها، فأعرضت هى أى استبانت و ظهرت، و رآه فى عرض الناس أيضا أى فيما بينهم، و فلان من عرض الناس أى من العامة، و فلاـن عرضـة للناس أى لا يزالون يقعون فيه، و جعلت فلانا عرضـة لكـذا أى نصـبته له، و قوله سـبحانه و تعالى وَ لا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَـةً لِأَيْمانِكُمْ " ...البقرة/ ۲۲۴ "أى نصبا، و نظر إليه من عرض "و هذا كله مقرر مبدأ (العرضية اللفظية)، و القصد من استخدام هذه اللفظة لبيان جعل ألفاظ القرآن عرضة للمقابلة و الإظهار فى (عرض) الألفاظ أى فيما بينها من (عرض) الألفاظ أى من عامتها.

(۳) فتح البارى ۹/ ۴۳، مرجع سابق.

(۴) حاشية السندى ۲/ ۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۸

و لا يعترض بأن هذه بديهة! و تحصيل حاصل، إذ لا يمكن عرض الألفاظ دون حروفها؛ لأن التصريح بمتابعة الحروف دليل على شدة الاعتناء بها، و فيه رد على زاعم التكلف فى حق من يخوض غمار علم الصوتيات، على أنه قد يعنى بالحرف غير ذلك، و هو اللفظ فيدخل ما ذكر ضمنا.

و مما جاء دالا على أن لفظة (يعرض) تتضمن سبر الجوانب الداخلية قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: (لئن كنت أقصرت الخطبة، فقد أعرضت المسألة) «۱». قال ابن منظور ":أى جئت بالمسألة واسعة كبيرة «"۲»، و ذاك بما تضمنته جوانبها الداخلية من معنى، و لذا يقال فيمن يطيل العبارات أى الألفاظ الخارجية: أطلت الخطبة، و لا يقال أعرضت ....

فإن اعترض بالقول: ذاك ما نبغ! فالمعروض- على ذلك- هو المعنى لا اللفظ، فالجواب: أما تنزلا فليس أحدهما بأجلى من الآخر فى الدخول الأولى فى اللفظة، و أما حقيقة فإن دخول الأداء الداخلى للفظ أقرب، و أسرع تبادرا إلى الذهن «۳» من دخول المعنى فى العرض، و هو المستخدم اصطلاحا فى سائر العلوم، و هذا من نوادر اصطلاحات (۱) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۲/ ۹۸، مرجع سابق: عن البراء بن عازب- رضى اللّه تعالى عنه- قال: جاء أعرابى إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فقال: يا رسول اللّه! علمنى عملا يدخلنى الجنة. قال: (لئن كنت أقصرت الخطبة، فقد أعرضت المسألة: أعتق النسمة، و فك الرقبة) قال: أو ليستا بواحدة؟ قال: (لا عتق النسمة أن تفرد بعتقها، و فك الرقبة أن تعطى فى ثمنها، و المنحة الوكوف، و الفيء على ذى الرحم القاطع، فإن لم تطق ذاك، فأطعم الجائع، واسق الظمآن، و مر بالمعروف، و انه عن المنكر، فإن لم تطق ذلك، فكف لسانك إلا من خير).

و قال الشيخ شعيب الأرناءوط فى تعليقه على ابن حبان: إسناده صحيح، و هو فى مستدرك الحاكم و قال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، قال الذهبى فى التلخيص (لمستدرك الحاكم): صحيح.

(۲) لسان العرب ۹/ ۱۳۷، مرجع سابق، و فى النهاية ۳/ ۳۲۳ ":و منه الحديث (فإذا عرض وجهه منسح) أى جانبه."

(۳) فمن اشتقاقات عرض كما فى مختار الصحاح ص ۱۷۸، مرجع سابق ":و العرض أيضا الجسد، و فى صفة أهل الجنة (إنما هو عرق يسيل من أعراضهم) أى من أجسادهم "و قد سمى المناطقة و علماء الكلام العرض فى مقابلة الجوهر، و هذا قريب فى مقارنته باللفظ و المعنى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۸۹

العلوم الإسلامية، و قد قال ابن الأثير فى معنى حديث جبريل عليه السّلام ":أى كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة المقابلة «"۱».

و ما أسهل تصور هذا لكل مسلم يقرأ القرآن الكريم؛ إذ ما زال عرض الألفاظ القرآنية هو لب عملية تعليم القرآن الكريم تتواتر بالمعنى الاصطلاحى و اللغوى فى جميع الأمصار كما هى فى سائر الأعصار «۲».

۵- المعارضة هى الغاية فى تحقيق اللفظ و التثبت منه:

اشارة

فالعرض هو قراءة التلميذ على شيخه، و يقابله السماع و هو قراءة الشيخ و سماع تلميذه منه، و قد يستعمل أحدهما فى معنى الآخر، و القراءة أعم منهما، و لذا بوب البخارى ":باب القراءة و العرض على المحدث «"۳» ... قال ابن حجر ":إنما غاير بينهما بالعطف لما

بينهما من العموم و الخصوص، لأن الطالب إذا قرأ كان أعم من العرض و غيره، و لا يقع العرض إلا بالقراءة؛ لأن العرض عبارة عما يعارض به الطالب أصل شيخه معه، أو مع غيره بحضرته فهو أخص من القراءة ... «"۴»، و هذا معناه بالمفهوم الحديثى، و لا بد فيه من القراءة، فلا تسمى المناولة «۵»، عرضا إلا تقييدا.

و قد ذكر العلماء الاختلاف بين العرض و السماع من حيث الأفضلية فى التحقيق العلمى للنص: على ثلاثة أقوال:

اشارة

(۱) النهاية فى غريب الأثر ۳/ ۳۲۴، مرجع سابق.

(۲) قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فى فوائد عرض القرآن فى رمضان بين جبريل عليه السّلام و النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ":و فى ذلك حكمتان:

إحداهما تعاهده، و الأخرى تبقية ما لم ينسخ منه و رفع ما نسخ، فكان رمضان ظرفا لإنزاله جملة و تفصيلا و عرضا و أحكاما."

(۳) صحيح البخارى ۱/ ۶۰، مرجع سابق.

(۴) فتح البارى ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق.

(۵) هى أن يناول الشيخ كتابه الأصل لطالبه، و يجيزه فيه ... على تفصيل فى ذلك، انظر: فتح البارى ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق، تدريب الراوى ۲/ ۱۷۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۰

الأول و هو المشهور: الذى عليه الجمهور

أن السماع من لفظ الشيخ أرفع رتبة من القراءة عليه ما لم يعرض عارض يصير القراءة عليه أولى، و من ثم كان السماع من لفظه فى الإملاء أرفع الدرجات لما يلزم منه من تحرز الشيخ و الطالب.

و الثانى: القراءة على الشيخ أرفع من السماع من لفظه

و نقله الدار قطنى فى غرائب مالك عنه، و نقله الخطيب بأسانيد صحيحة عن شعبة و ابن أبى ذئب و غيرهما، و اعللوا ذلك: بأن الشيخ لو سها لم يتهيأ للطالب الرد عليه، و عن أبى عبيد قال: القراءة على أثبت و أفهم لى من أن أتولى القراءة أنا «۱».

و الثالث: و هو المعروف عن مالك و عن سفيان الثورى:

كلاهما سواء، و روى البخارى معلقا عن الحسن البصرى ":ما أبالى قرأت عليك، أو قرأت على «"۲».

و هذا كله فى الحديث، و أما القرآن فإن قراءة الطالب على شيخه (العرض) هو الأصل، و هو المعروف عن السلف كما هو المعمول به إلى الآن، و لذا احتج مالك على من لم يجز العرض فى الحديث بجوازه فى تلاوة القرآن "فيما رواه الخطيب فى الكفاية من طريق ابن وهب قال: سمعت مالكا، و سئل عن الكتب التى تعرض عليه: أ يقول الرجل حدثنى؟ قال: (نعم! كذلك القرآن، أ ليس الرجل يقرأ على الرجل فيقول: أقرأنى فلان؟)، و روى الحاكم فى علوم الحديث من طريق مطرف قال: صحبت مالكا سبع عشرة سنة، فما رأيته قرأ الموطأ على أحد، بل يقرءون عليه- قال-: و سمعته يأبى أشد الإباء على من يقول: لا يجزيه إلا السماع من لفظ الشيخ، و يقول: كيف لا يجزيك هذا فى الحديث، و يجزيك فى القرآن، و القرآن أعظم «"۳».

و أما معارضة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ألفاظ القرآن على جبريل عليه السّلام فقد اتسمت بسمتين:

(۱) انظر: فتح البارى ۱/ ۱۳۵، مرجع سابق.

(۲) الأثر: رواه البخارى ۱/ ۳۵، و انظر: فتح البارى ۱/ ۱۵۰، مرجع سابق.

(۳) انظر: فتح البارى ۱/ ۱۵۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۱

السمة الأولى: أنها أتت بعد خطوات الحفظ التى أولها خطوات التلقين ... و المقتضى المنهجى لذلك جعل المعارضة مرتبة تالية للمتقنين لتأكيد الحفظ، و تثبيت مخارج الحروف، و التأكد من وجوه الأداء، و بقاء كل ذلك على الدوام دون تطرق خلل له بفعل الأمد، فالمعارضة هى غاية التحقيق.

و السمة الثانية: أنها جمعت بين السماع و العرض، فأزالت قوادح كل طريقة على حدة:

أما العرض (من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على جبريل عليه السّلام عرض الطالب على شيخه): فقد جاء فى رواية البخارى: (يعرض عليه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم) و عليها أغلب الروايات.

و أما السماع (من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لجبريل عليه السّلام سماع الطالب لشيخه): فقد جاءت بقية الروايات مبهمة فاحتملت العرض و السماع، و تأكد ذلك بروايات المفاعلة (يعارض، يدارس و نحوها)، و المفاعلة لا تكون إلا من طرفين غالبا «۱»، و وردت روايات مصرحة بالسماع، منها ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: (كان يعرض على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه، و كان يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين فى العام الذى قبض فيه) «۲».

و يزيد الأمر تأكيدا أن القراء و المحدّثين لا- يستخدمون إلا- لفظ (يعرض) للتعبير عن المراد لتصل أعلى درجات الاحتياط فى نقل ألفاظ القرآن الكريم، و ذا ما فهمه الإمام النسائى فبوب فى سننه الكبرى "باب عرض جبريل عليه السّلام القرآن «"۳»، و من قبله الإمام (۱) و قد تستخدم فى فاعل واحد مثل عاقب و داوى و سافر ... و لكن هذا استثناء، و ذاك أصل.

(۲) صحيح البخارى ۴/ ۱۹۱۱، مرجع سابق، و عند الإسماعيلى فى مستخرجه على البخارى بلفظ "كان جبريل عليه السّلام يعرض على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم القرآن فى كل رمضان."

(۳) و رواية صحيح ابن خزيمة ۳/ ۱۹۳، مرجع سابق، فيها إجمال يؤيد هذا الاستنتاج، ففيها: (يأتيه جبريل فيعرض عليه القرآن)، ... فيستأنس بذلك على المطلوب، و يصير هذا فى حيز الثبات بحديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- عن فاطمة فى المعارضة، حيث قالت: (إن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة، و إنه قد عارضنى به مرتين) قال ابن

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۲

البخارى حيث بوب "باب كان جبريل عليه السّلام يعرض القرآن على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم «"۱».

و ينبغى أن يلاحظ أنه لم يوجد مثل هذا (العرض أكثر من مرة) فى الأساليب العلمية التعليمية التى تتبع فى ديار المسلمين إلا فى خصوص مادة القرآن الكريم، و كان ذلك مقتضى منهجيا من مقتضيات هذه الطريقة التى اتبعها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى تعلمه على يد جبريل عليه السّلام، و وجودها فى بقية العلوم الشرعية مقارنة بالقرآن الكريم فى حكم النادر.

۶- عرض القرآن بالحروف المأذون بالقراءة بها «۲»:

إذ قد حسم أمر عرضه للقرآن كله (لكل ما نزل منه) فى كل رمضان بحديث العرضتين الثابت عن ابن عباس، و فاطمة، و أبى هريرة

رضى اللّه عنه رضى اللّه تعالى عنهم، و فى ذلك دلالة على أمرين: حجر- رحمه اللّه تعالى- فى فتح البارى (۹/ ۴۳ "):و المعارضة مفاعلة من الجانبين، كأن كلا منهما كان تارة يقرأ و الآخر يستمع."

(۱) صحيح البخارى ۴/ ۱۹۱۱، مرجع سابق، و هو ما رجحه ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- فقال ":فيحمل على أن كلا منهما كان يعرض على الآخر."

(۲) لا يمكن لنطاق البحث أن يتوسع فى شرح مدلول حديث الأحرف السبعة؛ و لكن يقال على سبيل الإجمال: محصّل ما ورد فى هذا الموضوع من أقوال يرجع إلى: أن المراد من الأحرف السبعة من حيث العموم و مراد الحديث، لا من حيث التحديد هو "ما يشمل اختلاف اللهجات، و تباين مستويات الأداء الناشئة عن اختلاف الألسن، و تفاوت التعليم، و كذلك ما يشمل اختلاف بعض الألفاظ، و ترتيب الجمل، بما لا يتغير به المعنى المراد، "أو يتغير المعنى بما لا يتضاد به المعنيان الواردان فى القراءتين، و يكون الجميع مرادا، دون تكرار للآية، أو تطويل للمصحف، و فى ذلك تيسير ظاهر "،و هذا دون محاولة حصر تلك الوجوه فى سبع لغات، أو وجوه من الخلاف، و يظل معنى الحديث بعد ذلك يشير إلى الرخصة التى جاءت تيسيرا و حلا لمشكلة واجهت الجماعة المسلمة، دون تحديد لأبعاد تلك الرخصة، لكنها لا تخرج عن إطار وجوه القراءات المروية."

و ما بين علامتى التنصيص الأوليين هو من كلام الدكتور عبد الصبور شاهين، انظر: تاريخ القرآن ۶۱، دار القلم ۱۹۶۶ م، و ما بين علامتى التنصيص الأخريين هو من كلام غانم قدورى الحمد، انظر: رسم المصحف ۱۴۴، مرجع سابق، و انظر أيضا: (الباقلانى) محمد بن الطيب ت ۴۰۳ ه: نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق د. محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، الطبعة بدون لكل ما سبق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۳

أنه صلّى اللّه عليه و سلّم كان يعرض كل ما نزل، و أنه كان يقسم ذلك العروض على ليالى رمضان «۱»، و يدل لذلك حديث ابن عباس رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: (أقرأنى جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف) «۲».

كما لم تبق روايات العرض مجالا لما احتمله ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- «۳» من أن العرض محتمل أن يقسم ما نزل من القرآن فى كل سنة على ليالى رمضان؛ إن أراد به أنه لا يقرأ إلا ما نزل فى تلك السنة، أما إن أراد به أنه يخصص لكل ما نزل ليلة فذاك أبعد من حيث زيادة عدد الليالى على عدد سنوات النزول، و من حيث أن أهداف العرض تأكيد تأليف آياته على ما أراد اللّه سبحانه و تعالى، لا على ترتيب نزولها، و هما مختلفان كما هو معلوم ... فيظل احتمالا بعيدا، و إن افترض ... و بذا يحسم أمر عرضه صلّى اللّه عليه و سلّم لكل ما نزل من القرآن «۴».

و بقى أمر عرضه القرآن بجميع حروفه المأذون فى القراءة بها فهل كانت العرضة كذلك؟ و الجواب: لا نص فى ذلك، بيد أن المؤشرات العامة تجعل ذلك محتملا احتمالا راجحا، لأنه كان صلّى اللّه عليه و سلّم يقول للمختلفين فى القراءة: (أقرأنى جبريل) «۵»، أو (هكذا أنزلت) «۶» قال ابن حجر- رحمه اللّه تعالى "-:و لعله كان يعيد ذلك الجزء مرارا، بحسب تعدد الحروف المأذون فى قراءتها، و لتستوعب بركة القرآن جميع الشهر «"۷». (۱) و قد صرح ابن حجر- رحمه اللّه تعالى- ببعض ذلك فى فتح البارى ۹/ ۴۵، مرجع سابق، فقال ":و لو لا التصريح بأنه كان يعرضه مرة واحدة، و فى السنة الأخيرة مرتين- لجاز أنه كان يعرض جميع ما نزل عليه كل ليلة، ثم يعيده فى بقية الليالى."

(۲) البخارى ۳/ ۱۱۷۷، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۹/ ۴۵، مرجع سابق.

(۴) لم يتكلم الباحث عن العرضة الأخيرة كلاما مستقلا؛ لاستحقاقها تأليفا مستقلا فى حقيقتها، و إثبات بعض أحكام الألفاظ بها، و

خطورة بناء حكم عليها، و ذلك مخرج البحث عن مرامه، و إنما وردت الإشارة إليها فى ثنايا الكلام.

(۵) رواه البخارى ۴/ ۱۹۰۹، و ۳/ ۱۱۷۷، مرجع سابق.

(۶) رواه البخارى ۴/ ۲۳۴۰، مرجع سابق.

(۷) فى فتح البارى ۹/ ۴۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۴

المطلب الرابع: إيراد على ما سبق و دفعه:

و قد يعترض معترض

اشارة

بأن ما سبق مما يفهم منه تفخيم الاعتناء باللفظ ينافى ما رواه الإمام مالك عن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه أنه قال لإنسان ":إنك فى زمان كثير فقهاؤه، قليل قراؤه، تحفظ فيه حدود القرآن، و تضيع حروفه، قليل من يسأل، كثير من يعطى، يطيلون فيه الصلاة، و يقصرون الخطبة، يبدءون أعمالهم قبل أهوائهم، و سيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه، كثير قراؤه، تحفظ فيه حروف القرآن، و تضيع حدوده، كثير من يسأل، قليل من يعطى، يطيلون فيه الخطبة، و يقصرون الصلاة، يبدءون فيه أهواءهم قبل أعمالهم «"۱»، و قد أورد أبو إسحاق الشاطبى- رحمه اللّه تعالى- هذا الأثر فى معرض الاستدلال «۲».

و الجواب من وجوه:

۱- أن الشأن أولا فى صحة هذا الأثر من حيث السند، ثم من حيث المتن، فأما سنده فمنقطع حيث جاء فى الموطأ:

و حدثنى عن مالك عن يحيى بن سعيد أن عبد اللّه بن مسعود، فقد ضعف من حيث السند.

۲- و من حيث المتن- على فرض صحة السند و اتصاله- فإن نكارة موضع الشاهد منها واضح؛ حيث لم ترد فى بقية طرق الأثر، فقد ورد فى موضع آخر من (۱) (إمام دار الهجرة) أبو عبد اللّه مالك بن أنس الأصبحى ت ۱۷۹ ه: موطأ الإمام مالك ۱/ ۱۷۳، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقى- دار إحياء التراث العربى، مصر، و قد جاء هذا الحديث مرفوعا فيما رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ۳/ ۱۹۷، مرجع سابق، عن حزام بن حكيم بن حزام عن أبيه عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال: (إنكم قد أصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، كثير معطوه، قليل سؤاله، العمل فيه خير من العلم، و سيأتى زمان قليل فقهاؤه، كثير خطباؤه، كثير سؤاله، قليل معطوه، العلم فيه خير من العمل).

(۲) انظر: الموافقات ۲/ ۱۷۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۵

الموطأ و المعجم الكبير دون موضع الشاهد، كما أنها فاسدة معنى عند أخذها على ظاهرها؛ إذ كيف تحفظ حدود القرآن، و حروفه مضيعة.

فإن اعترض بأن روح القرآن باقية- أى مقاصده الكلية- و إن ذهبت ألفاظه.

فالجواب:

فى إطلاق هذا القول نظر إن أطلقنا القول بضياع حروفه، و هل نعرف روحه دون تأكدنا من حروفه؟، فإن سلّم ذلك فمقاصده المزعوم بقاؤها حروف فى ذاتها فيعاد الكلام عليها جذعة.

فإن اعترض بأن روح القرآن باقية- أى مقاصده الكلية- و إن ذهبت ألفاظه.

اشارة

فالجواب:

فى إطلاق هذا القول نظر إن أطلقنا القول بضياع حروفه، و هل نعرف روحه دون تأكدنا من حروفه؟، فإن سلّم ذلك فمقاصده المزعوم بقاؤها حروف فى ذاتها فيعاد الكلام عليها جذعة.

فالجواب:

فى إطلاق هذا القول نظر إن أطلقنا القول بضياع حروفه، و هل نعرف روحه دون تأكدنا من حروفه؟، فإن سلّم ذلك فمقاصده المزعوم بقاؤها حروف فى ذاتها فيعاد الكلام عليها جذعة.

على أن حروفه تلك:

إما أن تكون متغيرة، و إما أن تكون منعدمة و إما أن تكون قائمة بالنفس، و إما أن تكون ثابتة:

فالأول: و هو ما كانت حروفه متغيرة لا يعتبر شرعا صالحا للبشر لعدم انضباطه، أو ظهور معالمه فضلا عن أن يكون شرعا إلهيا.

و الثانى: و هو ما كانت حروفه منعدمة، أو قائمة بالنفس فلا يتعلق به حكم؛ لأنه معدوم.

و الثالث: متعين بعد ما سبق، و هو المراد.

و لو صح هذا الزعم القائل بأن "الألفاظ مجرد وسائل فلا تقدس فى ذاتها، بل الأمر متجه إلى روح القرآن و مقاصده، "لصح أن يقال من باب أولى: فلا داعى لتقديس جميع الوسائل العلمية و العملية فى الحياة، فتعطل دراسة اللغة العربية للحجة ذاتها، و مثلها سائر علوم الوسائل، و لا يحتاج لدراسة العلوم الطبية؛ لأن المقصد شفاء المريض! و لا يدرى كيف سيشفى؟!، و لا داعى لاستخدام أداة لارتقاء السقف؛ لأن الهدف الوصول إلى السقف؟! و لا تدرى كيف سيصل؟!، لتحدث- بعد- فوضى ضاربة فى الحياة العلمية و العملية.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۶

۳- عند التسليم بصحة موضع الاستشهاد فى الحديث، فإن وضعه فى موضعه الصحيح هو الحكمة ذاتها ... إذ إن مراد ابن مسعود رضى اللّه عنه منه ترك التعمق فى السعى وراء الألفاظ، و حتمية إعطائها القدر المناسب لها دون إيغال شاغل بها عن المراد منها، و النهى عن التنطع، و التعمق ... و النهى عن الإيغال و الغلو ليس خاصا بالوسائل بل هو عام فى كل شىء مقاصدا و وسائلا ... و ذا من بدهيات دلالات سبيل القصد، و الوسطية فى الشريعة، بل فى سائر جوانب الحياة المختلفة «۱» ... و هذا الفهم لمنطوق كلام ابن مسعود رضى اللّه عنه هو ما نص على مثله السيوطى- رحمه اللّه تعالى- فى تنوير الحوالك حيث قال ("قليل قراؤه) أى الخالون من

معرفة معانيه، و الفقه فيه، (و تضييع حروفه) أى أن المحافظين على حدوده أكثر من المحافظين على التوسع فى معرفة أنواع القراءات" «۲».

و من الأدلة على أن الإمام أبا إسحاق الشاطبى- رحمه اللّه تعالى- لا يريد ما ذهب إليه هؤلاء، أنه قال- بعد- معددا القواعد التى تبنى على الأصل الذى ذكره، و ورد الاستدلال بكلام ابن مسعود رضى اللّه عنه ضمنه ":اتباع الهوى فى الأحكام الشرعية مظنة لأن يحتال بها على أغراضه، فتصير كالآلة المعدة لاقتناص أغراضه «"۳»، و هذا دال على أن كلام ابن مسعود رضى اللّه عنه، ينبغى أن يفهم فى إطاره، فلا يتخذ مطية لهدم الشريعة التى هى أصل أثر ابن مسعود رضى اللّه عنه، و لذا فإنه كان يقعّد لقراءته أقوى تقعيد، و يعتمد على أوثق الأسانيد و هو قوله:

(أخذتها من فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم) «۴». (۱) انظر: الموافقات ۲/ ۱۲۰، مرجع سابق.

(۲) تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ص ۱۴۴، مرجع سابق.

(۳) الموافقات ۲/ ۱۷۶، مرجع سابق.

(۴) المعجم الكبير للطبرانى ۳/ ۱۹۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۷

و من أحسن أدلة التوقيفية فى أداء القرآن

قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: (ما أنا بقارئ)؛ إذ كررها ثلاثا و بين أبو شامة- رحمه اللّه تعالى- بأن قوله أولا (ما أنا بقارئ) دال على الامتناع، و ثانيا على الإخبار بالنفى المحض، و ثالثا على الاستفهام "،و يؤيده أن فى رواية أبى الأسود فى مغازيه عن عروة أنه قال: (كيف أقرأ)، و فى رواية عبيد بن عمير عن ابن إسحاق: (ما ذا اقرأ) و فى مرسل الزهرى فى دلائل البيهقى: (كيف أقرأ)، و كل ذلك يؤيد أنها استفهامية «"۱».

المطلب الخامس: المقتضى المنهجى لدلالات حديث المعارضة، و مفردات تلقى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ألفاظ القرآن الكريم:

اشارة

إذا كان النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قد كفى مؤنة الحفظ و المراجعة لتكفل اللّه سبحانه و تعالى له بذلك، على ما سبق فى حديث المعالجة «۲»، فإن خطواته البشرية لتثبيت الحفظ، و دوام المراجعة، إن هى إلا إشارات واضحة لتحويل مقتضاها إلى قواعد منهجية فى الإحاطة بالدرس القرآنى حفظا، و تلاوة، و مراجعة، و استدعاء، و بيان معنى، و عملا، و صنيع البحث هنا مجرد الإشارة العابرة إلى بعض ذلك بغية الإثارة، و الاستفزاز البحثى لمن يعتريه طيف التوهم فى المفردات الشرعية الأساسية، أو يقذف الشيطان فى قلبه وسواس الشك، لا التحليل و الإطناب؛ إذ ليس مجال البحث ... و قد تقدم فى المطالب الأربعة السابقة بعض المقتضيات المنهجية لدلالات الحديث، و الأمر الجامع لها: أن يكون لحفظة القرآن معارضة سنوية للقرآن الكريم على مشايخهم، أو معارضة ثانية بعد ختم القرآن حفظا على الأقل، و تزداد عدد مرات المعارضة بحسب حالة الطالب ... و تكون للمسلمين عموما عرضة للقرآن الكريم نظرا أو غيبا عن ظهر قلب على شيخ متقن، و أفضل أوقات ذلك فى رمضان ... مع ظهور التعبد و التبتل عند قراءة القرآن فى العرضة ... خاصة الإنفاق. (۱) انظر: فتح البارى ۱/ ۲۴، مرجع سابق.

(۲) انظر: المبحث السادس من هذا الفصل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۸

و علی ما سبق: تکون مفردات تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام:

۱- إلزامیة حفظ الألفاظ، و قد تکفل اللّه سبحانه و تعالی بجمعه لنبیه فی صدره (الحفظ).

۲- إتقان الحفظ، و قد کان إنزال القرآن الکریم علی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم من بین سائر أنواع الوحی، و هو أشده علی النبی صلی اللّه علیه و سلم لهذا الغرض فی المقام الأول.

۳- إلزامیة المراجعة العامة للمحفوظ، و قد تکفل اللّه عزّ و جل لنبیه صلی اللّه علیه و سلم بأن لا ینسی منه شیئا علی سبیل النسیان الکلی «۱».

۴- إنزاله منجما؛ لیکون أثبت فی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم حفظا، و أداء، و تبلیغا.

۵- بیان لفظ القرآن الکریم، و قد تکفل اللّه سبحانه و تعالی بأن یقرأه النبی صلی اللّه علیه و سلم کما قرأه جبریل علیه السلام، حذو القذة بالقذة، و ذا شامل لأصل اللفظ و لأدائه.

۶- العنایة بأداء ألفاظ القرآن، و قد تکفل اللّه عزّ و جل بإظهاره علی لسان نبیه صلی اللّه علیه و سلم و تبیینه.

۷- إنزال القرآن الکریم و تلقینه للنبی صلی اللّه علیه و سلم مرتلا- (مجوّدا منجّما)، و وجوب ترتیله علی النبی صلی اللّه علیه و سلم علی الهیئة ذاتها التی رتله بها جبریل علیه السلام.

۸- تهیئة مراجعة یومیة للقرآن الکریم فی قیام اللیل أو غیره «۲».

۹- تهیئة مراجعة سنویة للقرآن الکریم فی کل رمضان یعارض فیها النبی صلی اللّه علیه و سلم و جبریل علیه السلام- کل منهما الآخر- ألفاظ القرآن الکریم متضمنة النظر فی ألفاظه من حیث أصل اللفظ و من حیث الأداء. (۱) انظر: دلالات حدیث المعالجة فی المبحث السادس من هذا الفصل ص ۱۱۳، و ما سیأتی- إن شاء اللّه تعالی- فی الفصل الخامس.

(۲) انظر: المبحث الثامن من هذا الفصل ص ۱۷۱.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۱۹۹

الفصل الرابع الأصول العامة فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم و فیه خمسة مباحث

اشارة

تظاهرت الأدلة علی إلزامیة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام و حفظها و مراجعتها، و حفها بالعوامل التی تجعل الاعتناء بها واجبا یومیا لا- یترک و لا ینسی، و جعل تلقیها، ثم تبلیغها فی غایة الدقة تحقیقا لألفاظها، و بیانا لمخارج حروفها، و إتقانا لأدائها؛ و قد عقد هذا الفصل لیدرس الأصول العامة التی توضح ما سبق، و تعضده، فی أمور حیاة النبی صلی اللّه علیه و سلم مما یتعلق بموضوع التلقی من قریب أو من بعید؛ و لبیان العلاقة بین معلم النبی صلی اللّه علیه و سلم جبریل علیه السلام و بین النبی صلی اللّه علیه و سلم، و الصحبة الحمیمة بینهما، و لذلک ینقسم هذا الفصل إلی خمسة مباحث:

المبحث الأول: اللمحات العامة فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام.

المبحث الثانی: دقة جبریل علیه السلام فی النقل العام.

المبحث الثالث: العلاقة العامة (الصحبة) بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم، و أثرها فی تلقی ألفاظ القرآن الکریم.

المبحث الرابع: التوقیفیة فی غیر أداء القرآن.

المبحث الخامس: الواجبات التی کانت علی النبی صلی اللّه علیه و سلم بالنظر إلی تلقی لفظ القرآن الکریم.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۰

المبحث الأول: اللمحات العامة فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام:

اشارة

يدرس هذا المبحث اللمحات العامة فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام، و المراد بذلك جملة حقائق تجلت بها عملية التلقى، تحمل فى مطلبين:

المطلب الأول: من حيث مصدر التلقى.

المطلب الثانى: من حيث مؤشرات فى طريقة التلقى.

المطلب الأول: من حيث مصدر التلقى:

و المراد به تثبيت بدهية الإسناد فى بيان مصدر تلقى القرآن الكريم؛ حيث صار إسناد رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين فى نقل ألفاظ القرآن الكريم بصفة خاصة من بين سائر أنواع الوحى بديهة «۱» يذكرها الصحابة، لبيان أقصى درجات علم اليقين فى نقل نصوص ألفاظ المعلومات التى تصل إلى البشر، و إبرازا لدليل الصدق فى النقل و تطمينا، و محافظة على الإسناد، و بيانا للطريقة التعليمية الصحيحة فى تلقى القرآن، و تصييرا لتوقيفية المتلقى مسلمة لا تناقش فى أذهان المسلمين ... و هذه المواقف تجلى هذه الحقيقة:

۱- فعن زاذان أبى عمر عن ابن مسعود رضى اللّه عنه قال له: يا أخى! إن لنا مجلسا فائتنا فأقبلت إليه فى مجلسه، فتعلمت منه سبعين سورة. فقال لى عبد اللّه: أخذتها من فى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم نزل بها جبريل عليه السلام من عند رب العالمين عزّ و جل «۲». (۱) و لعل ذلك عائد إلى ما يشير إليه الأصوليون من مسألة ورود اجتهاده صلى اللّه عليه و سلم فى السنّة النبوية لا وضعا، بل اجتهادا فى أحوال خاصة كما هو معلوم، انظر: نهاية السول ۴/ ۴۳۷، مرجع سابق.

(۲) المعجم الكبير ۹/ ۷۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۱

۲- مر عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه برجل و هو يقول: السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضى اللّه تعالى عنهم و رضوا عنه إلى آخر الآية، فوقف عليه عمر، فقال: انصرف! فلما انصرف، قال له عمر: من أقرأك هذه الآية؟ قال: أقرأنيها أبى بن كعب. فقال: انطلقوا بنا إليه! فانطلقوا إليه، فإذا هو متكئ على وسادة، يرجل رأسه، فسلم عليه، فرد السلام، فقال: يا أبا المنذر! قال: لبيك! قال: أخبرنى هذا إنك أقرأته هذه الآية، قال: صدق تلقيتها من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم. قال عمر: أنت تلقيتها من رسول اللّه. قال: نعم! أنا تلقيتها من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثلاث مرات، كل ذلك يقوله و فى الثالثة و هو غضبان: نعم؛ و اللّه لقد أنزلها اللّه على جبريل عليه السلام، و أنزلها على محمد صلى اللّه عليه و سلم فلم يستأمر فيها الخطاب و لا ابنه. فخرج عمر و هو رافع يديه و هو يقول: اللّه أكبر اللّه أكبر «۱».

۳- و عن ابن عباس رضى اللّه عنه أن أبيا قال لعمر: يا أمير المؤمنين! إنى تلقيت القرآن ممن تلقاه أو ممن يتلقاه من جبريل عليه السلام و هو رطب «۲».

۴- و عن زر بن حبيش قال: قلت لأبى بن كعب: إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين فى مصحفه؟ فقال: أشهد أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أخبرنى أن جبريل عليه السلام قال له: قل (۱) المستدرك على الصحيحين ۳/ ۳۴۵، مرجع سابق. و ينتبه فيها إلى أمور:

* التلقى و التأكيد عليه، و التسليم به عند ثبوته عند أهله و مراجعه، و هذا لا يعنى عدم انتشاره بين الأمة ...

* أن هذه الروايات لا يثبت بها قراءة، إذ كثير منها مروى بالمعنى، و انظر- مثلا- إلى حديث: (لو كان لابن آدم و اديان ...) البخارى

۵/ ۲۳۶۴، مرجع سابق، مسلم ۲/ ۷۲۵، مرجع سابق ... ففيه تباين فى ألفاظ ما قيل أنها آية و لعل رواتها تساهلوا فى نقل القراءة الواردة فيها بدقة لهذه العلة، أى لعدم ثبوت القراءة بها، و لا يعترض على ذلك باستنكار أن يقرأ أبى بما لا نقرأ به الآن؛ لأن هذا يرجع إلى الاكتفاء بقراءة واحدة فى المصر و نحوه كما هو مشاهد الآن، على تفصيل فى مسألة ما تطلق عليه بعض الروايات (آية) أو (قراءة) ... و هذه كلمة عابرة لا مكان هاهنا لتفصيلها.

(۲) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۱۱۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۲

أعوذ برب الفلق فقلتها، فقال: قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱».

۵- و عن ثابت قال: قال لى أنس بن مالك: يا ثابت! خذ عنى؛ فإنك لم تأخذ عن أحد أوثق منى، إنى أخذته عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن جبريل عليه السلام، و أخذه جبريل عليه السلام عن اللّه تعالى «۲».

۶- و عن زر قال: قرأ رجل على عبد اللّه طه مفتوحة، فأخذها عليه عبد اللّه طه مكسورة، فقال له الرجل: إنما يعنى مفتوحة. فقال عبد اللّه: هكذا قرأها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هكذا أنزلها جبريل عليه السلام، و فى لفظ: فقال عبد اللّه: و اللّه لهكذا علمنيها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «۳».

و لذا كان صلى اللّه عليه و سلم يصرح أحينا بواسطته عن ربه فى الوحى مع أنها معلومة ضرورة كما فى مسند الشهاب سمعت جابر بن عبد اللّه يقول: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: قال جبريل عليه السلام: قال اللّه سبحانه و تعالى: (هذا دين أرتضيه لنفسى، و لن يصلحه إلا السخاء و حسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه) «۴». (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۱۲۹، مرجع سابق.

(۲) سنن الترمذى ۵/ ۶۸۲، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن حباب، "و قال الألبانى تعليقا ":ضعيف الإسناد."

(۳) المستدرك على الصحيحين ۲/ ۲۶۸، مرجع سابق، قال الحاكم ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، "قال الذهبى فى التلخيص ":صحيح."

(۴) (القضاعى) أبو عبد اللّه محمد بن سلامة بن جعفر ت ۴۵۴ ه: مسند الشهاب ۲/ ۳۲۹، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى، ط ۲، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۶ م، مؤسسة الرسالة، و نحوه ما فى المعجم الأوسط ۹/ ۱۳۹، مرجع سابق عن أنس بن مالك عن صلى اللّه عليه و سلم عن جبريل عن اللّه سبحانه و تعالى قال: (من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ...)، و أصله فى صحيح مسلم ۱/ ۴۳۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۳

و إنما أراد صلى اللّه عليه و سلم من ذلك أن تصير هذه الحقيقة ضرورة فى حياة الأمة؛ لتغدو فى قلبها، و على ألسنة أبنائها بدهية لا تحتاج إلى نظر أو استدلال، و هو ما يلمس من النصوص السابقة.

المطلب الثانى: من حيث مؤشرات فى طريقة التلقى:

أولا: التعليم المباشر للبدايات و النهايات و مواضع الآيات

اشارة

و مسلك جبريل عليه السلام فى تعليم النبى صلى اللّه عليه و سلم هذه الناحية يأتى على وجهين:

وجه خاص:

بالتنصيص على مكان الآية، و نهاية السورة، كحديث عثمان بن أبى العاص رضى اللّه عنه قال: كنت عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جالسا، إذ شخص ببصره، ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض- قال-: ثم شخص ببصره، فقال: (أتانى جبريل عليه السلام فأمرنى أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ وَ إِيتاءِ ذِى الْقُرْبى وَ يَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ "النحل/ ۹۰) «"۱».

وجه عام:

بأن يضع له علامة لابتداء السورة، أو انتهائها، أو الفصل بين السورتين؛ كما فى حديث ترجمان القرآن ابن عباس «۲» رضى اللّه عنه قال: كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الوحى فإذا قال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، افتتح سورة أخرى «۳». (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۴/ ۲۱۸، مرجع سابق.

(۲) كثرت الأحاديث عن ابن عباس فى كتب علوم القرآن، و قد شهد له النبى صلى اللّه عليه و سلم فى هذا الباب بخصوصه كما ذكر فى ترجمته، و قال ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، و قال: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد، و روى ابن أبى خيثمة بسند فيه جابر الجعفى أن ابن عمر كان يقول: ابن عباس أعلم أمة محمد بما أنزل على محمد، و روى ابن سعد بسند صحيح: أن أبا هريرة قال لما مات زيد بن ثابت: مات اليوم جبر الأمة، و لعل اللّه أن يجعل فى ابن عباس خلفا منه ... تهذيب التهذيب ۷/ ۶۷، مرجع سابق.

(۳) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ۱۲/ ۸۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۴

و عنه رضى اللّه عنه قال: إن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان إذا نزل جبريل عليه السلام فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، علم أنها سورة «۱».

ثانيا: التوسط فى كمية المنزل:

الذى يعلمه جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم و يوضح ذلك الحديث الذى رواه الحاكم: عن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: (فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا، فجعل جبريل عليه السلام ينزله على النبى صلى اللّه عليه و سلم و رتلناه ترتيلا) قال سفيان- أحد رجال إسناد الحديث-: خمس آيات، و نحوها «۲».

و عن أبى العالية قال: قال عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه: (تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإن جبريل عليه السلام نزل به على محمد صلى اللّه عليه و سلم خمس آيات خمس آيات) «۳». و لا يخفى أن هذا وصف لحال الغالب، و إلا فقد ينزل ما هو أكثر من ذلك، و ما هو أقل.

ثالثا: مقارنة التلقين بالأمر بكتابة الوحى القرآنى على سبيل الفورية:

فقد جاء فى فضائل الصحابة: عن فاطمة بنت عبد الرحمن قالت: حدثتنى أمى أنها سألت عائشة، و أرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك

يقرئك السلام، و يسألك عن عثمان بن عفان؛ فان الناس قد شتموه. فقالت: لعن اللّه من لعنه، فو اللّه لقد كان قاعدا عند نبى اللّه صلى اللّه عليه و سلم و إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لمسند ظهره إلى و إن جبريل عليه السلام ليوحى إليه القرآن، أنه ليقول له: (اكتب يا عثيم)، فما كان اللّه عزّ و جل لينزله تلك المنزلة إلا و هو كريم على اللّه و رسوله «۴». (۱) المستدرك على الصحيحين ۲/ ۶۶۸، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه."

(۲) المستدرك على الصحيحين ۲/ ۶۶۷، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه."

(۳) (الخطيب البغدادى) أبو بكر أحمد بن على ۴۶۳ ه: تاريخ بغداد ۳۱/ ۲۸۸- دار الكتب العلمية، بيروت.

(۴) أخرجه (ابن أبى عاصم) أبو بكر عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن مخلد الشيبانى (ت ۲۸۷ ه): كتاب السنة ۲/ ۵۹۲، حققه محمد ناصر الدين الألبانى، ط ۳، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۳ م، المكتب الإسلامى- بيروت، و عبد اللّه ابن أحمد فى فضائل الصحابة ۱/ ۴۹۸.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۵

و كحديث عثمان بن أبى العاص المتقدم آنفا، و هذا مقتض تلقائى لوصف القرآن بالكتاب.

رابعا: التركيز:

من حيث توقيف اللّه عزّ و جل لنبيه صلى اللّه عليه و سلم على الأوقات التى ينزل عليه الوحى فيها، و الأوقات التى يراجع فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم القرآن (قيام الليل، رمضان)، إذ الاهتمام بهذا الموضوع بلغ حد بيان الأوقات التى ينشغل فيها قلب المرء و جوارحه بما لا- يتعلق بالقرآن، حتى تهتبل الأوقات الأخرى المحددة فى مراجعة القرآن كما قال سبحانه و تعالى: إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحاً طَوِيلًا "المزمل/ ۷، "قال ابن زيد ":فراغا طويلا لحوائجك، فافرغ لدينك بالليل «"۱»، و لا يعنى التوقيف هنا نفى ما عدا هذه الأوقات للقراءة أو المراجعة، بل المراد الوقوف على مدى العناية بالقرآن الكريم. (۱) التحرير و التنوير ۲۹/ ۲۶۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۶

المبحث الثانى: الدقة فى النقل العام:

اشارة

و إنما أورد هذا الفصل بعد حديثى المعالجة و المعارضة على سبيل الاستئناف البيانى، للرد على مستكثر على الشريعة أن تتضمن ألفاظها تلك الدقة التى جعلتنا نستخرج منها تلك المعانى، التى قد تخفى على عابر النظر؛ و أنى يستكثر ذلك ...

و الكلام هو كلام اللّه سبحانه و تعالى المتلو المحفوظ بحفظه عزّ و جل له، و المعلّم له هو جبريل عليه السلام، و المتعلّم له هو محمد صلى اللّه عليه و سلم خاتم الرسل؟ فقد تميز نقل جبريل عليه السلام بالدقة فى غير القرآن، فيستصحب هنا بين يدى هذا المبحث سؤال: فكيف إن كان المنقول كلام اللّه المتلو سبحانه و تعالى؟.

و من صور هذه الدقة:

۱- الدقة فى نقل الأحداث الواقعية:

كان جبريل عليه السلام يأتيه بأدق التفاصيل و الأوصاف للأحداث الواقعة الحاضرة و المستقبلية، حتى ما لا يترتب عليه حكم شرعى:

و من ذلك ما جاء عن أنس رضى اللّه عنه قال: بعث النبى صلى اللّه عليه و سلم أقواما من بنى سليم إلى بنى عامر فى سبعين، فلما قدموا، قال لهم خالى: أتقدمكم، فإن أمّنونى حتى أبلغهم عن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و إلا كنتم منى قريبا، فتقدم، فأمّنوه،

فبينما يحدثهم عن النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا أومئوا إلى رجل منهم، فطعنه، فأنفذه، فقال: اللّه أكبر! فزت و رب الكعبة. ثم مالوا على بقية أصحابه، فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل، فأخبر جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم أنهم قد لقوا ربهم فرضى عنهم و أرضاهم ... الحديث «۱».

و عن جابر رضى اللّه عنه: غزونا مع رسول اللّه قوما من جهينة، فقاتلونا قتالا شديدا، فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم، فأخبر جبريل رسول اللّه بذلك ... الحديث «۲». (۱) صحيح البخارى ۱۰۳۱/ ۳، مرجع سابق.

(۲) صحيح مسلم ۱/ ۵۷۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۷

و خرج معاوية رضى اللّه عنه على حلقة فى المسجد، فقال: ما أجلسكم؟، قالوا: جلسنا نذكر اللّه، قال: آللّه ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: و اللّه ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، و ما كان أحد بمنزلتى من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أقل عنه حديثا منى، و إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم خرج على حلقة من أصحابه فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر اللّه، و نحمده على ما هدانا للإسلام، و من به علينا. قال: (آللّه ما أجلسكم إلا ذاك؟) قالوا: و اللّه ما أجلسنا إلا ذاك. قال: (أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم، و لكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن اللّه عز و جل يباهى بكم الملائكة) «۱».

فإذا تأمل القارئ نقل جبريل عليه السلام هاهنا، و شغل ذهنه بكيفية نقله للقرآن- أخبت قلبه لما سبق ذكره من الدقة البالغة فى تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام، و تعليم جبريل عليه السلام إياه ذلك.

۲- الدقة فى نقل أحداث المستقبل:

فقد روت أم سلمة- رضى اللّه تعالى عنها- أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم اضطجع ذات ليلة للنوم، فاستيقظ و هو حائر، ثم اضطجع، فرقد، ثم استيقظ و هو حائر، دون ما رأيت به المرة الأولى، ثم اضطجع فاستيقظ و فى يده تربة حمراء يقلبها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول اللّه؟ قال: (أخبرنى جبريل عليه السلام أن هذا يقتل بأرض العراق) للحسين- فقلت لجبريل: أرنى تربة الأرض التى يقتل بها فهذه تربتها) «۲».

و هل التربة الحمراء أهم من نقل أداء ألفاظ القرآن؟.

غير أن الدقة هى السمة الدائمة لعمل جبريل عليه السلام و تعليمه، حتى اتسعت لتعليم الصلاة عمليا: فعن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أمنى جبريل عليه السلام عند البيت (۱) صحيح مسلم ۴/ ۲۰۷۵، مرجع سابق.

(۲) المستدرك على الصحيحين ۴/ ۴۴۰، مرجع سابق، و قال "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، و وافقه الذهبى ...".

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۸

مرتين، فصلى بى الظهر حين زالت الشمس و كانت قدر الشراك، و صلى بى العصر حين كان ظله مثله، و صلى بى يعنى المغرب حين أفطر الصائم، و صلى بى العشاء حين غاب الشفق، و صلى بى الفجر حين حرم الطعام و الشراب على الصائم، فلما كان الغد صلى بى الظهر حين كان ظله مثله، و صلى بى العصر حين كان ظله مثليه، و صلى بى المغرب حين أفطر الصائم، و صلى بى العشاء إلى ثلث الليل، و صلى بى الفجر فأسفر، ثم التفت إلى فقال: يا محمد! هذا وقت لأنبياء من قبلك و الوقت ما بين هذين الوقتين) «۱».

فكيف تعليمه القرآن؟، و ظاهر أن تعليم الصلاة عمليا يقرب أن تطلق عليه وجها أدائيا، فلأداء القرآن أعلى شأنا من بيان الهيئات التفصيلية للصلاة بأسلوب عملى، فما الذى يستنكره من شذ عن سائر المسلمين و قال: إن الأداء ليس متواترا، أو لم يعلمه جبريل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، على أن أهل المآرب اتخذوا ذلك ذريعة ليبطلوا أصل اللفظ.

و أقل الأحوال أن يكون أداء لفظ القرآن شأنه كشأن الهيئات التفصيلية للصلاة، فيظهر عند ذاك برهان عدم المبالغة فی ذلک عند ما تجد القرآن ذاته يتكلم عن الهيئات التفصيلية لتلقی القرآن و تلقينه و أدائه، و لا يوجد ذلک لتفصيل أمور الصلاة. (۱) سنن أبی داود ۱/ ۱۰۷، مرجع سابق، قال الشيخ الألبانی ":حسن صحيح، "و أصله فی صحيح البخاری ۱/ ۱۹۵ مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۰۹

المبحث الثالث: العلاقة العامة بين جبريل عليه السلام و النبی صلی اللّه عليه و سلم و أثرها فی تعليم ألفاظ القرآن:

اشارة

و هذا المبحث كالاستعراض لمظاهر صحبة جبريل عليه السلام للنبی صلی اللّه عليه و سلم، و بيان العلاقة الحميمة التی تربط المعلّم الملقی عليه السلام بالمتعلّم المتلقی صلی اللّه عليه و سلم، مع أن هذه المعانی قد بثّت ثناياها فيما سبق، فما أورد هنا فهو لزيادة التبيين فی هذه الناحية الخاصة، و ينقسم هذا المبحث إلی ثلاثة مطالب متدرجا من العموم إلی خصوص المتابعة التعليمية:

المطلب الأول: صلة هذا المبحث بموضوع البحث العام.

المطلب الثانی: نماذج من العلاقة العامة.

المطلب الثالث: التعاهد و الاستدراک.

المطلب الأول: صلة هذا المبحث بموضوع البحث العام:

اشارة

إن بحث هذه المسألة يستلزم الاستقلال فی الدراسة عن غيرها، لكنها ذكرت فی هذا المكان مختصرة، لا نافلة قول، بل لتحقيق غايات خادمة لموضوع البحث، و من ذلک:

أ- التنبيه بالأدنی علی الأعلی:

و عليه اعتمد الباقلانی- رحمه اللّه تعالی- فی الرد علی من نسب إلی ابن مسعود رضی اللّه عنه إنكار المعوذتين، فقال ":و لو كان قد أنكر- يعنی عبد اللّه ابن مسعود- السورتين علی ما ادعوا- لكانت الصحابة تناظره علی ذلک، و كان يظهر و ينتشر، فقد تناظروا فی أقل من هذا، أمر يوجب التكفير و التضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه «"۱»». (۱) (الباقلانی) أبو بكر بن الطيب: إعجاز القرآن ص ۳۶۵، قدم له و شرحه و علق عليه: الشيخ محمد شريف سكر، بيروت دار إحياء العلوم، ط ۱، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م. و هذا الدليل من أعظم الأدلة التی تبين فقه المتفقه و دقيق

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۰

و إذا كان التكليف بالأمور العبادية الفرعية مثلا قد بلغ مستوی من الدقة فی التوقيف تعجم كل من يريد التهوين من اللفظ القرآنی، فتحيل ما أعجمه مهملا، فكذلک نقل كلام اللّه عزّ و جل ... و من نماذج ذلک أن النبی صلی اللّه عليه و سلم جاءه جبريل عليه السلام فی أول ما أوحی إليه فأراه الوضوء و الصلاة، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء، فنضح بها فرجه «۱».

و لا يعلّمه هذا المستوی من الدقة فی الأمور العبادية التی اصطلح علی تسميتها بالفرعية، و يفقر أصل أصول الشريعة من المماثلة فی دقة التعامل، بل كان مستوی الدقة فی لفظ القرآن بالغا غاية لا يصدقها عقل بشری، لو لا أنها نقلت ... و إنما قيل: لا يصدقها عقل

بشرى؛ لأنها لا تخطر على باله من حيث هذه الضخامة فى تتبع قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم حرفا حرفا، كنقلهم عدد شعرات النبى صلى اللّه عليه و سلم «۲»، و لنقل حروف القرآن أخطر و أجل.

ب- بيان رقى الصحبة بين المعلّم عليه السلام و المتعلّم صلى اللّه عليه و سلم

التى تؤدى إلى المتابعة المتميزة التى كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يحظى بها من جبريل عليه السلام بأمر اللّه عزّ و جل، و ذى المتابعة تعطى خصوصية للمعلّم عليه السلام و المتعلم صلى اللّه عليه و سلم هنا، لا توجد بين غيرهما، لا جرم أن قول اللّه سبحانه و تعالى ... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا " ...الطور/ ۴۸، "مفسّر لتلك العلاقة التى بلغت ذروتها، حتى يكاد جبريل عليه السلام لا يفارق رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلا فيما نذر أمرا من ربه عزّ و جل، مع المعية العامة و الخاصة للّه سبحانه و تعالى ... و ذا بصره ... و تراه يذكر مبثوثا فى كتب أصول الفقه بأسماء متعددة منها: القياس الأولوى، و العموم المعنوى، و نحو ذلك ... و من أجل هذه الأهمية التى يكتسبها هذا الدليل نبه عليه ابن رشد- رحمه اللّه تعالى- فى مقدمة كتابه الفقهى الفريد: بداية المجتهد، انظر: (ابن رشد) القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد ت ۵۹۵ ه: بداية المجتهد و نهاية المقتصد- المقدمة ۱/ ۵، تحقيق و تعليق: محمد صبحى حسن حلاق، الطبعة الأولى ۱۴۱۵ ه- مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

(۱) (الكسى) أبو محمد عبد بن حميد بن نصر ت ۲۴۹ ه: المنتخب من مسند عبد بن حميد، مراجعة: صبحى البدرى السامرائى- محمود محمد خليل الصعيدى، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، مكتبة السنة- القاهرة، و رواه ابن ماجة ۱/ ۱۵۷، مرجع سابق. و قال الألبانى": صحيح."

(۲) إشارة إلى حديث أنس رضى اللّه عنه عند الترمذى ۴/ ۴۳۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۱

كله يعطيك مؤشرا واضحا على المتابعة التى كانت ألفاظ القرآن تحظى بها، و استحالة تطرق الخلل لأداء اللفظ، بله اللفظ ...

ج- تثبيت ما سبق

من تحليل فى تعليم جبريل عليه السلام لرسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لفظ القرآن، و أن ما ذكر ليس مبالغة استهوتها الزخارف اللفظية، و العاطفة المجردة مما قد يزعم زاعم أن البحث صدر منها.

و ليشرع الحديث عن صحبة النبى صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السلام أشرعته ... و حقّ لحديث كهذا الحديث أن تعروه هزة الذكرى، و حمرة الحياء ... فلتغتفر زلة التقصير فيه بداية ...

حدّث عن القوم، فالألفاظ ساجدة ... خلف المحاريب، و الأوزان تبتهل.

المطلب الثانى: نماذج من العلاقة العامة بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم:

أولا: فى المسائل الشخصية:

اشارة

يظهر جبريل عليه السلام غاديا رائحا فى أمور تتعلق بخصوصيات النبى صلى اللّه عليه و سلم الأسرية، و من ذلك:

۱- زواجه من عائشة- رضى اللّه تعالى عنها-:

و فيها يظهر أن جبريل عليه السلام قد يستخدم وسائل متعددة و ربما غير معهودة لإخبار النبى صلى اللّه عليه و سلم و تعليمه، فعن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- قالت:

قال لى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (رأيتك فى المنام يجىء بك الملك فى سرقة من حرير، فقال لى:

هذه امرأتك، فكشفت عن وجهك الثوب، فإذا هى أنت، فقلت: إن يك هذا من عند اللّه يمضه) «۱»، و التصريح بأن الملك هو جبريل عليه السلام قد وقع عند ابن حبان عنها قالت: (جاء بى جبريل عليه السلام إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى خرقة حرير، فقال: هذه زوجتك فى الدنيا و الآخرة) «۲». (۱) البخارى ۲/ ۹۰۰، مرجع سابق.

(۲) صحيح ابن حبان ۳/ ۳۲۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۲

فإن كان ذا فى أمر غير ذى بال عند مقارنته بأداء القرآن الكريم، فكيف بالقرآن الكريم؟.

۲- مراجعته لحفصة- رضى اللّه تعالى عنها-:

فقد طلق النبى صلى اللّه عليه و سلم حفصة بنت عمر، فدخل عليها خالاها قدامة و عثمان ابنا مظعون فبكت، و قالت: و اللّه ما طلقنى عن شبع. و جاء النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: (قال لى جبريل عليه السلام راجع حفصة فإنها صوامة قوامة و إنها زوجتك فى الجنة) «۱».

۳- زواج ابنته:

فعن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم لقى عثمان بن عفان رضى اللّه عنه و هو مغموم فقال: (ما شأنك يا عثمان؟) قال: بأبى أنت يا رسول اللّه و أمى! هل دخل على أحد من الناس ما دخل على؟ توفيت بنت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم رحمها اللّه، و انقطع الصهر فيما بينى و بينك إلى آخر الأبد. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (أ تقول ذلك يا عثمان و هذا جبريل عليه السلام يأمرنى عن أمر اللّه عز و جل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها و على مثل عدتها فزوجه رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إياها) «۲».

۴- إخباره بأسرار بيته:

كان صلى اللّه عليه و سلم لا يدرك بعض أموره العائلية مما غيبها واقع فى الأرض، كخبر ابنه إبراهيم حتى يأتيه جبريل عليه السلام بالوحى، كما فى المستدرك عن أنس رضى اللّه عنه قال: لما ولد إبراهيم ابن النبى صلى اللّه عليه و سلم أتاه جبريل فقال: (السلام عليك يا أبا إبراهيم) «۳»، فذا فى خبر الأرض، فكيف يكون فى خبر السماء؟ و إنما يكثر البحث من الأمور الدقيقة؛ لاستقلال البعض أن يكون ثمّ اهتمام شرعى بأمور الأداء فى اللفظ القرآنى، فيقرن هذا بهذا ليعلم الأمر. (۱) المستدرك على الصحيحين ۴/ ۱۶، مرجع سابق، و فى صحة الحديث نظر بائن، و قد بين الباحث فى المقدمة أنه قد تذكر بعض الأحاديث الضعيفة استئناسا لا استدلالا

للأحكام.

(۲) المستدرک على الصحيحين ۴/ ۵۴، مرجع سابق.

(۳) المستدرک على الصحيحين ۶۶۰/ ۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۳

ثانيا: فى المسائل البدنية:

مما يعود على الناس بمصالح فى أبدانهم: فقد روى أبو الحكم البجلى و هو عبد الرحمن بن أبى نعم قال: دخلت على أبى هريرة رضى اللّه عنه و هو يحتجم فقال لى:

يا أبا الحكم احتجم- قال- فقلت: ما احتجمت قط. قال: أخبرنى أبو القاسم صلى اللّه عليه و سلم (أن جبريل عليه السلام أخبره أن الحجم أفضل ما تداوى به الناس هذا) «۱».

فكيف يبلغ الظن بمتابعة جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم فى مسائل الوحى عامة، ثم فيه حين يكون قرآنا بصفة خاصة؟.

ثالثا: الوزير:

فقد كان جبريل عليه السلام وزير رسول اللّه الأول من أهل السماء؛ إذ روى الحاكم: عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (وزير اى من أهل السماء جبريل و ميكائيل و من أهل الأرض أبو بكر و عمر) «۲»، و لئن اشترک ميكائيل عليه السلام فى وزارته مع جبريل عليه السلام، فإن جبريل عليه السلام يتميز فى علاقته بالنبى صلى اللّه عليه و سلم بأمور أخرى ... حسبه منها أن يكون المكلّف بإبلاغه و تعليمه وحى السماء، و لئن كان فى الحديث نظر فإن قرائن الحال السابقة و التالية مما ذكر فى البحث شاهدة بصدق معناه، قال ابن الأثير- رحمه اللّه تعالى-:

و فيه (أميرى من الملائكة جبريل عليه السلام) أى صاحب أمرى، و وليّى، و كل من فزعت إلى مشاورته و مؤامرته فهو أميرک «"۳».

و كونه كان فى مقام الوزير، لا- يعنى أنه الوزير المنفذ المتلقى للأوامر، بل كان كثيرا ما يكون المشير الآمر شأن المعلم مع المتعلم، فقد كان ابن عباس رضى اللّه عنه يحدث أن (۱) المستدرک على الصحيحين ۴/ ۲۳۲، مرجع سابق، و قال ":صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه، "و قال الذهبى:

"على شرط البخارى و مسلم."

(۲) سنن الترمذى ۵/ ۶۱۶، مرجع سابق، قال الترمذى ":حسن غريب، "قال الألبانى ":ضعيف، "المستدرک على الصحيحين، قال ":هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. "و قد تمثلت هذه الوزارة فى مظاهر كثيرة: منها:

اشتراكهما فى تغسيل قلبه، و معالجته من مرضه، و السياحة به فى عالم البرزخ ...

(۳) النهاية فى غريب الأثر ۱/ ۶۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۴

اللّه- تبارک و تعالى- أرسل إلى نبيه صلى اللّه عليه و سلم ملكا من الملائكة و معه جبريل، فقال الملک: (إن اللّه يخيرک بين أن تكون عبدا نبيا، و بين أن تكون ملكا، فالتفت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إلى جبريل عليه السلام كالمستشير فأشار جبريل بيده أن تواضع، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (بل أكون عبدا نبيا، قال فما أكل بعد تلک الكلمة طعاما متكئا) «۱».

رابعا: الناصح ابتداء:

فلم يقتصر دور جبريل عليه السلام على المتابعة، بل كان يقوم بنصحه ابتداء: فعن سهل بن سعد رضى اللّه عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: (يا محمد! عش ما شئت فإنك ميت، و أحبب من أحببت فإنك مفارقه، و اعمل ما شئت فإنك مجزى به، ثم قال: يا محمد! شرف المؤمن قيام الليل، و عزه استغناؤه عن الناس) «۲». و هذه نصائح ابتدائية، كما هى متابعة فى أبواب الزهد و الرقائق توضح العلاقة المثالية للمعلم بتلميذه.

خامسا: و تجرى بينهما المناقشة و المباحثة:

عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه رضى اللّه عنه- و كان أبوه من أهل بدر- قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: (ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من أفضل المسلمين- أو كلمة نحوها- قال و كذلك من شهد بدر من الملائكة) «۳».

سادسا: علاقة حب:

اشارة

و جبريل عليه السلام رفيقه الأثير، كما قال فى مرض موته صلى اللّه عليه و سلم: (مع الرفيق الأعلى، مع الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء إلى قوله رفيقا) «۴»، و فى رواية: فقال: (أسأل اللّه الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل و ميكائيل و إسرافيل) «۵» ... فبدأ بجبريل عليه السلام. (۱) السنن الكبرى للنسائى ۴/ ۱۷۱، مرجع سابق.

(۲) المستدرك على الصحيحين ۴/ ۳۶۰، مرجع سابق، و قال ":هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه، "و قال الذهبى: "صحيح."

(۳) صحيح البخارى ۴/ ۱۴۶۷، مرجع سابق.

(۴) مسند أحمد ۶/ ۷۴، مرجع سابق، و أصله فى صحيح البخارى ۳/ ۱۳۴۱، مرجع سابق.

(۵) فى رواية أبى بردة عن أبى موسى عن أبيه عند النسائى فى السنن الكبرى ۵/ ۲۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۵

و علاقة الحب علاقة متبادلة بينهما، فقد روى عبد بن حميد من طريق عكرمة- رحمه اللّه تعالى- قال: (أبطأ جبريل عليه السلام فى النزول أربعين يوما فقال له النبى صلى اللّه عليه و سلم يا جبريل ما نزلت حتى اشتقت إليك قال: أنا كنت أشوق إليك) «۱».

و كان صلى اللّه عليه و سلم ينقبض و يضيق إذا تأخر عليه جبريل عليه السلام حتى اشتد على النبى صلى اللّه عليه و سلم فيما روته عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- و فى يده عصا فألقاها من يده و قال: (ما يخلف اللّه وعده و لا رسله) «۲»، و فى حديث ميمونة عند مسلم نحو حديث عائشة، و زاد فيه ابن حبان: (أنه أصبح واجما) «۳».

و تجرى بينهما المناقشة و الأخذ و الرد دون أن يكون مكان جبريل عليه السلام عائقا عن ذلك رد فعن عمرو بن العاص رضى اللّه عنه: أن النبى صلى اللّه عليه و سلم تلا قوله سبحانه و تعالى فى إبراهيم: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَ مَنْ عَصانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "إبراهيم/ ۳۶: "و قال عيسى عليه السلام إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "المائدة/ ۱۱۸ "فرفع يديه، و قال: (اللهم أمتى أمتى)، و بكى، فقال اللّه عزّ و جل: (اذهب إلى محمد- و ربك أعلم- فسله ما

يبكيك؟) فأتاه جبريل صلى اللّه عليه و سلم فسأله فأخبره- و اللّه بما قال أعلم- فقال اللّه: (يا جبريل اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك فى أمتك و لا نسوؤك) «۴».

و نحو ما فى البخارى عن ابن عباس رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم: (عرضت علىّ الأمم، فأجد النبى يمر معه الأمة، و النبى يمر معه النفر، و النبى يمر معه العشرة، و النبى يمر معه الخمسة، و النبى يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل! هؤلاء أمتى؟ ...) «۵». (۱) المنتخب من مسند عبد بن حميد ۳۴۵، مرجع سابق، و انظر: فتح البارى ۸/ ۴۲۹، مرجع سابق.

(۲) صحيح مسلم ۳/ ۱۶۶۴، مرجع سابق.

(۳) ابن حبان ۱۲/ ۴۶۵، مرجع سابق.

(۴) أخرجه مسلم ۱/ ۱۹۱، مرجع سابق.

(۵) أخرجه البخارى ۵/ ۲۳۹۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۶

و يرقيه صلى اللّه عليه و سلم:

فقد روى مسلم عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- زوج النبى قالت: كان إذا اشتكى رسول اللّه رقاه جبريل، قال: (باسم اللّه يبريك، و من كل داء يشفيك، و من شر حاسد إذا حسد، و من شر كل ذى عين) «۱»، و عنده: عن أبى رضى اللّه عنه أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال: (يا محمد! اشتكيت؟ قال: نعم! قال: باسم اللّه أرقيك ...) «۲».

و يقاتل عنه صلى اللّه عليه و سلم:

فقد روى مسلم فى باب: (قتال جبريل و ميكائيل- عليهما السلام- عن النبى صلى اللّه عليه و سلم يوم أحد) ... عن سعد رضى اللّه عنه: رأيت عن يمين رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و عن شماله أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل و لا بعد، يعنى جبريل و ميكائيل- عليهما السلام- و فى لفظ له: يقاتلان عنه كأشد ما يكون القتال «۳ "» ...و لا غرو! فتقطيع الأيدى لا وقع له عند رؤية يوسف عليه السلام.

و كان يواسيه صلى اللّه عليه و سلم:

فعن أنس رضى اللّه عنه قال: جاء جبريل عليه السلام ذات يوم إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو جالس حزين قد خضب بالدماء، الحديث سيأتى «۴».

كما أن النبى صلى اللّه عليه و سلم ينشغل عمن سواه:

فعن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: كنت مع أبى عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و عنده رجل يناجيه، فكان كالمعرض عن أبى، فخرجنا من عنده، فقال لى أبى: أى بنى! أ لم تر إلى ابن عمك كالمعرض عنى؟ فقلت: يا أبت! إنه كان عنده رجل يناجيه. قال:

فرجعنا إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فقال أبى: يا رسول اللّه! قلت لعبد اللّه كذا و كذا، (۱) أخرجه مسلم ۴/ ۱۷۱۸، مرجع سابق.

(۲) أخرجه مسلم ۴/ ۱۷۱۸، مرجع سابق.

(۳) مسلم ۴/ ۱۸۰۲، و فى الديباج ۵/ ۳۱۷، مرجع سابق: قال النووى ":فيه: أن رؤيـة الملائكة لا تختص بالأنبياء، بل يراهم الصـحابة و الأولياء."

(۴) انظر: الحديث بتمامه ص ۲۱۹.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۷

فأخبرنى أنه كان عندك رجل يناجيك فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم: (و هل رأيته يا عبد اللّه؟) قال: قلت: نعم! قال: (فإن ذاك جبريل و هو الذى شغلنى عنك) «۱».

سابعا: و هو صاحبه فى الدنيا و الآخرة:

اشارة

فعن أبى بكر الصديق رضى اللّه عنه فى حديث الشفاعة، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو يحكى قول عيسى عليه السلام: (... و لكن انطلقوا إلى سيد ولـد آدم فإنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة انطلقوا إلى محمد صـلى اللّه عليه و سـلم فيشـفع لكم إلى ربكم عز و جل، قال:

فينطلق فيأتى جبريل عليه السلام ربه فيقول اللّه عزّ و جل: ائذن له و بشره بالجنة. قال: فينطلق به جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة، و يقول اللّه عزّ و جـل: ارفع رأسك يا محمـد! و قل يسـمع و اشـفع تشـفع قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه عزّ و جل خر ساجـدا قـدر جمعة أخرى، فيقول اللّه عزّ و جل: ارفع رأسك و قل يسـمع و اشـفع تشفع. قال: فيذهب ليقع ساجدا فيأخذ جبريل عليه السلام بضبعيه فيفتح اللّه عز و جل عليه من الدعاء شيئا لم يفتحه على بشر قط) «۲» الحديث.

و يمكن أن يجرى بينه و بين ربه الكلام و النقـاش بواسـطته: فعن أبى سـعيد رضـى اللّه عنه أن رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سـلم قال: (أتانى جبريل فقال: إن ربى و ربك يقول لك: كيف رفعت ذكرك؟ قال: اللّه أعلم قال: إذا ذكرت ذكرت معى) «۳».

و قد يأتيه بوسيلة غير معتادة فى ذلك الوقت للتعليم:

فعن عائشة- رضـى اللّه تعالى عنها- قالت: قال رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم: (أريتك فى المنام مرتين إذا رجل يحملك فى سرقة حرير فيقول هذه امرأتك فأكشفها فإذا هى أنت فأقول إن يكن هذا من عند اللّه يمضه) «۴». (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱/ ۲۹۳، مرجع سابق.

(۲) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۱/ ۴، مرجع سابق.

(۳) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۸/ ۱۷۶، مرجع سابق، صححه ابن حبان، و قال شعيب الأرناءوط ":إسناده ضعيف."

(۴) صـحيح البخارى ۵/ ۱۹۵۳، مرجع سـابق، و فى روايـة للبخارى ۵/ ۱۹۶۹، يجئ بـك الملـك، و فى روايـة لابن حبان- رحمه اللّه تعالى "-:جاء بى جبريل، "و ذلك كله يؤكد ما قرر سابقا من أن جبريل واسطته الوحيدة من الملائكة، و أنه لو كنى عن الموجى إليه بقوله (رجل)، أو (ملك) فقد عنى به جبريل عليه السلام.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۸

و يداعب المعلّم عليه السلام المتعلم صلى اللّه عليه و سلم:

فعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنه قال: نزل جبريل عليه السلام إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم فى أحسن صورة لم ينزل فى مثلها قط ضاحكا مستبشرا فقال:

(السلام عليك يا محمد! قال: و عليك السلام يا جبريل. قال: إن اللّه بعثنى إليك بهدية كنوز العرش أكرمك اللّه بهن قال: و ما تلك الهدية يا جبريل؟ فقال جبريل؟ قل يا من أظهر الجميل ...) «۱» الحديث.

و يقعد عند النبى صلى اللّه عليه و سلم:

فقد روى ابن حبان عن ابن عباس رضى اللّه عنه: بينما جبريل عند النبى صلى اللّه عليه و سلم سمع نقيضا من فوق، فرفع رأسه فقال: (هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم، و قال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب و خواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته) «۲».

- و يتخلف عنه لغرض مناف لمقتضيات الوحى كتخلفه عنه لوجود كلب «۳».

و كان لجبريل عليه السلام مكان مميز عرف باسمه (مقاعد جبريل):

فعن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- أنها لما توفى سعد بن أبى وقاص أرسل أزواج النبى صلى اللّه عليه و سلم أن يمروا بجنازته فى المسجد فيصلين عليه، ففعلوا فوقف به على حجرهن يصلين عليه، ثم أخرج به من باب الجنائز الذى كان إلى المقاعد ... الحديث «۴»، و ورد التصريح بالاسم فى حديث أنس ابن مالك عليه السلام قال: صلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يوما الظهر بالمدينة ثم أتى المقاعد التى كان يأتيه عليها جبريل فقعد عليها صلى اللّه عليه و سلم فجاء بلال فنادى بالعصر «۵»، و عن حارثة ابن النعمان رضى اللّه عنه قال: مررت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جبريل عليه السلام جالس فى المقاعد فسلمت عليه (۱) المستدرك على الصحيحين ۱/ ۷۲۹، مرجع سابق.

(۲) و فى صحيح ابن حبان ۳/ ۵۷، مرجع سابق، و قوله: (أبشر بسورتين): دال على إطلاق السورة على ما دونها.

(۳) انظر: المبحث الثالث من الفصل الثانى.

(۴) صحيح مسلم ۲/ ۶۶۸، مرجع سابق.

(۵) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ۱۴/ ۴۸۱، مرجع سابق، و قال شعيب الأرناءوط ":إسناده صحيح على شرط مسلم."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۱۹

ثم أجزت، فلما رجعت و انصرف النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (هل رأيت الذى كان معى؟). قلت:

نعم قال: (فإنه جبريل و قد ورد عليك السلام) «۱».

و من ذا العرض يفهم سر نعى فاطمة- رضى اللّه تعالى عنها- أباها إلى جبريل عليه السلام دون غيره من الملائكة و سائر الخلق:

فعن أنس رضى اللّه عنه قال: لما ثقل النبى صلى اللّه عليه و سلم جعل يتغشاه، فقالت: فاطمة- رضى اللّه تعالى عنها- و اكرب أبتاه!، فقال لها: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم)، فلما مات، قالت: (يا أبتاه! أجاب ربا دعاه، يا أبتاه! من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه)، فلما دفن قالت فاطمة- رضى اللّه تعالى عنها-: (يا أنس! أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم التراب؟) «۲».

لا! ...- يا ابنت رسول اللّه! لم تطب ... و إنما نعته إلى جبريل عليه السلام لأنه معلّمه و صاحبه، و خليله، و وزيره ... فإليه ينعى ... و أما اللّه- جل ذكره- فقدر موته، و إليه المرجع و المآب.

المطلب الثالث: التعاهد و الاستدراك:

أولا: التعاهد:

اشارة

من حيث ارتباطه بموضوع البحث، فإن نماذجه تنقسم إلى قسمين: عام و خاص:

۱- التعاهد العام، و هو من حيث كون جبريل عليه السلام شيخ الرسول صلى اللّه عليه و سلم و معلمه:

يصل تعاهد جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم حد المواساة و التثبيت له فى شخصه، فكيف فى أصل رسالته؟ فعن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم ذات يوم و هو (۱) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۴۳۳، مرجع سابق، و واضح أنه ما قال: معه جبريل إلا بعد أن أعلمه النبى صلى اللّه عليه و سلم.

(۲) صحيح البخارى ۴/ ۱۶۱۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۰

حزين جالس، قد ضربه بعض أهل مكة، فقال: (فعل بى هؤلاء و فعلوا) قال: تحب أن أريك آية؟ فنظر إلى شجرة من وراء الوادى، فقال: ادع تلك الشجرة. فدعاها. فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه فقال لها: ارجعى. فرجعت حتى عادت إلى مكانها فقال النبى صلى اللّه عليه و سلم حسبى) «۱».

بل يبلغ أن يسمع من الأمور الغيبية مما لا يترتب عليه كبير أمر عند عامة الأمة، عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه قال: سمع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم صوتا هاله، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: (ما هذا الصوت يا جبريل؟ فقال: هذه صخرة هوت من شفير جهنم من سبعين عاما، فهذا حين بلغت قعرها فأحب اللّه أن يسمعك صوتها فما روى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بعد ذلك اليوم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه اللّه) «۲».

فهذا لأمر غيبى ... فكيف ترى الاهتمام كائنا فى أصل أصول الشرع الإسلامى؟

بل فى أصل معناه و هو اللفظ، مع شدة انتشاره، و عظيم احتياج الناس إليه.

و من ذلك: التعاهد من حيث حفظه من الأخطار الغيبية: فعن خالد بن الوليد رضى اللّه عنه أنه شكى إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: إنى أجد فزعا بالليل فقال: (أ لا أعلمك كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام و زعم أن عفريتا من الجن يكيدنى: أعوذ

بکلمات اللّه التامات التی لا یجاوزهن بر، و لا فاجر، من شر ما ینزل من السماء، و ما یعرج فیها، و من شر ما ذرأ فی الأرض، و ما یخرج منها، و من شر فتن اللیل و فتن النهار، و من شر طوارق اللیل و النهار، إلا طارقا یطرق بخیر یا رحمن) «۳». (۱) مسند أبی یعلی ۶/ ۳۵۸، مرجع سابق، و قال المحقق ":إسناده علی شرط مسلم، "و أخرجه ابن ماجة ۲/ ۱۳۳۶، مرجع سابق، و صححه الألبانی.

(۲) المعجم الأوسط ۱/ ۲۴۸، مرجع سابق.

(۳) المعجم الکبیر ۴/ ۱۱۴، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۱

۲- التعاهد الخاص، و هو من حیث استکمال متعلقات القرآن الکریم- لفظا- التتمیمیة:

اشارة

فلئن تمثلت متعلقاته الضروریة و الحاجیة فی إنزاله، و إقرائه علی الهیئة التی أمر اللّه عزّ و جل، و المراجعة الدوریة له خلال فترة الإنزال لتثبیت اللفظ، و تقویم هیئة أدائه، و غیر ذلک ... فقد تمثلت متعلقاته التتمیمیة فی عدة مظاهر، منها:

إعداد مراجع الإقراء:

فی عهد النبی صلی اللّه علیه و سلم و بعده؛ إذ بلغ الحفظ الإلهی للقرآن الکریم أن تعاهد جبریل علیه السلام مراجع الإقراء من الصحابة الکرام، و المراد من متصدریهم فی هذا الباب، و من ذلک:

إعداد أبی بن کعب رضی اللّه عنه:

کما جاء فی البخاری عن أنس بن مالک رضی اللّه عنه قال النبی صلی اللّه علیه و سلم لأبی: (إن اللّه أمرنی أن أقرأ علیک لَمْ یَکُنِ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ قال:

و سمانی؟ قال: (نعم!) فبکی، و فی لفظ له: (أن أقرئک القرآن)، قال: اللّه سمانی لک؟. قال:

(نعم!) قال: و قد ذکرت عند رب العالمین؟ «۱»، و التصریح باسم جبریل علیه السلام عند أحمد عن أبی حبة البدری رضی اللّه عنه قال: لما نزلت لَمْ یَکُنِ قال جبریل علیه السلام: (یا محمد إن ربک یأمرک أن تقرئ هذه السورة أبی بن کعب) فقال النبی صلی اللّه علیه و سلم: (یا أبی إن ربی عز و جل أمرنی.

أن أقرئک هذه السورة) فبکی، و قال: ذکرت ثمة؟ قال: (نعم!) «۲»، و اتخذ هذا الأمر طابع العموم لکل القرآن: فعند أحمد عن أبی بن کعب رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (إن اللّه تبارک و تعالی أمرنی أن أعرض القرآن علیک) قال: و سمانی لک ربی تبارک و تعالی؟ قال:

(نعم!) الحدیث «۳». (۱) أخرجه البخاری ۳/ ۱۳۸۵، مرجع سابق.

(۲) أخرجه أحمد بن حنبل فی مسنده ۳/ ۴۸۹، مرجع سابق.

(۳) أخرجه أحمد ۳/ ۴۹۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۲

و صار هذا الإسناد مشتهرا، فعن عبید بن میمون التبان المقرئ قال: قال لی هارون بن المسیب: بقراءة من تقرأ؟ فقلت: بقراءة نافع. قال: فعلی من قرأ نافع؟ فقلت:

خبرنا نافع أنه قرأ على الأعرج عبد الرحمن بن هرمز، و أن الأعرج قال: قرأت على أبى هريرة، و قال أبو هريرة: قرأت على أبى ابن كعب، و قال أبى رضى اللّه عنه: عرضت على النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن فقال: (أمرنى جبريل أن أعرض عليك القرآن) «۱».

إعداد ابن عباس رضى اللّه عنه:

فعند أبى نعيم عن عبد اللّه بن بريدة رضى اللّه عنه عن ابن عباس رضى اللّه عنه قال: انتهيت إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و عنده جبريل عليه السلام، فقال له جبريل عليه السلام: (إنه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا) «۲».

و هذان النموذجان يدلان دلالة واضحة على خلفية انتخاب النبى صلى اللّه عليه و سلم لعدد من أصحابه ليكونوا مراجع للإقراء.

و من ذلك حديث (خذوا القرآن من أربعة ...) «۳»، و حديث (من أحب أن يقرأ القرآن) «۴». (۱) المعجم الأوسط ۲/ ۸۸، مرجع سابق ... و فيه فوائد:

أولها: عدم إرادة التحديد عند ذكر الإسناد، إذ قد بات من المعلوم أن نافعا قرأ على سبعين من التابعين، على أن قراءته هى قراءة المدنيين، فليس هو مدارها، و لا هو مبتدعها، أو منشؤها، إنما أريد المحافظة على الإسناد، ثم اشتهرت به.

و ثانيها: مرجعية القراءة إلى اللّه عزّ و جل المتكلم بالقرآن المجيد، فليس ثم اجتهاد بشرى، بل و لا غيره فى نقل ألفاظ القراءة.

و ثالثها: التأكيد على الإسناد بين جبريل عليه السلام و النبى صلى اللّه عليه و سلم.

(۲) تهذيب التهذيب ۵/ ۲۴۴، مرجع سابق.

(۳) أخرجه البخارى ۳/ ۱۳۸۵، مرجع سابق، مسلم ۴/ ۱۹۱۳، مرجع سابق.

(۴) السنن الكبرى للنسائى ۵/ ۷۱، مرجع سابق، سنن ابن ماجة ۱/ ۴۹، مرجع سابق، صحيح ابن حبان ۱۵/ ۵۴۳، مرجع سابق، مستدرك الحاكم ۲/ ۲۴۷، مرجع سابق، مسند أحمد ۴/ ۲۷۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۳

ثانيا: متابعة الاستدراك:

اشارة

إذ كان الرسول تحت سمع اللّه عزّ و جل و بصره حافظا له، و معينا و مؤيدا، فأول أشكال الحفظ: حفظه صلى اللّه عليه و سلم من الخطأ فى الفروع بله الأصول، و معلّم رسول اللّه جبريل عليه السلام يتابعه فى صغائر أموره و دقائقها، فكيف جلائلها؟ فاستدراكه عليه بعد الإخبار، كإخباره بالوحى ابتداء، و قد كانت هذه المتابعة- من حيث الناس- خاصة بالنبى صلى اللّه عليه و سلم، و عامة للأمة- و من حيث الأمر الشرعى المتابع عليه- خاصة فى ألفاظ القرآن الكريم، و عامة فى سائر أمور الشرع:

أ- الخاصة من حيث المستدرك عليهم:

اشارة

فمن ذلك: ما أنزله اللّه على نبيه صلى اللّه عليه و سلم استدراكا له على مجانبة الصواب الشرعى فى المسائل الحربية (أسرى بدر نموذجا) «۱»، و المسائل الدعوية (قصة ابن أم مكتوم نموذجا) «۲»، و المسائل السياسية (العفو عن المنافقين فى عام العسرة نموذجا)

«۳»، و مسائل الفقه العملى (الصلاة على المنافق نموذجا) «۴»، و لكن منهج البحث يرمى إلى ما فيه التصريح بوجود جبريل عليه السلام و نزوله بالوحى، فلتذكر نماذج من ذلك:

۱- استدراک جبريل عليه السلام فى الدلالة على ليلة القدر:

فعن أبى سلمة قال: انطلقت إلى أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه فقلت: أ لا تخرج بنا إلى النخل نتحدث؟ فخرج، فقال: قلت: حدثنى ما سمعت من النبى صلى اللّه عليه و سلم فى ليلة القدر قال: اعتكف رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عشر الأول من رمضان و اعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذى تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذى تطلب أمامك قام النبى صلى اللّه عليه و سلم خطيبا (۱) انظر تفصيلها فى صحيح مسلم ۳/ ۱۳۸۳، مرجع سابق.

(۲) انظر تفصيلها فى: سنن الترمذى ۵/ ۴۳۲، مرجع سابق، و قال الترمذى ":حديث غريب، "قال الألبانى ":صحيح الإسناد."

(۳) انظر: سورة التوبة: عند قوله عزّ و جل: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ " ...التوبة/ ۴۳."

(۴) انظر: صحيح البخارى ۱/ ۴۵۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۴

صبيحة عشرين من رمضان فقال: (من كان اعتكف مع النبى صلى اللّه عليه و سلم فليرجع فإنى أريت ليلة القدر، و إنى نسيتها و إنها فى العشر الأواخر فى وتر، و إنى رأيت كأنى أسجد فى طين و ماء)، و كان سقف المسجد جريد النخل، و ما نرى فى السماء شيئا، فجاءت قزعة، فأمطرنا، فصلى بنا النبى صلى اللّه عليه و سلم حتى رأيت أثر الطين و الماء على جبهة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و أرنبته تصديق رؤياه «۱».

۲- استدراک جبريل عليه السلام فى هيئة الأكل:

فقد كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يأكل متكئا، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال: انظروا إلى هذا العبد كيف يأكل متكئا! فجلس رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم «۲»، و عند البخارى: (لا آكل متكئا) «۳».

۳- استدراک جبريل عليه السلام فى الإفتاء:

فعن أبى قتادة رضى اللّه عنه أنه سمعه يحدث عن رسول اللّه: أنه قام فيهم، فذكر لهم أن الجهاد فى سبيل اللّه و الإيمان باللّه أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول اللّه! أ رأيت إن قتلت فى سبيل اللّه تكفّر عنى خطاياى! فقال له رسول اللّه: (نعم! إن قتلت فى سبيل اللّه و أنت صابر محتسب مقبل غير مدبر) ثم قال رسول اللّه:

(كيف قلت؟) قال: أ رأيت إن قتلت فى سبيل اللّه أ تكفر عنى خطاياى؟ فقال رسول اللّه:

(نعم! و أنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لى ذلك) «۴».

۴- استدراک جبريل عليه السلام فى اللباس:

فعن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنه يقول: لبس النبى صلى اللّه عليه و سلم يوما قباء من ديباج أهدى له، ثم أوشك أن نزعه، فأرسل به إلى عمر بن الخطاب فقيل:

له قد أوشك ما نزعته يا رسول اللّه! فقال: (نهانى عنه جبريل) فجاءه عمر يبكى ...

الحديث «۵». (۱) صحيح البخارى ۱/ ۲۸۰، مرجع سابق.

(۲) (الطحاوی) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملک بن سلمة ت ۳۲۱ ه: شرح معانی الآثار ۴/ ۲۷۵، مرجع سابق.

(۳) صحیح البخاری ۵/ ۲۰۶۲، مرجع سابق.

(۴) صحیح مسلم ۳/ ۱۵۰۱، مرجع سابق.

(۵) صحیح مسلم ۳/ ۱۶۴۴، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۵

۵- استدراک جبریل علیه السلام فی الفروع:

و ذلک إن لم تستدرک علیه صلی اللّه علیه و سلم الأمة بعد أن یکون قد أبلغها:

فعن أبی سعید الخدری رضی اللّه عنه قال: بینما رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یصلی بأصحابه إذ خلع نعلیه فوضعهما عن یساره، فلما رأی ذلک القوم ألقوا نعالهم، فلما قضی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم صلاته قال: (ما حملکم علی إلقائکم نعالکم؟) قالوا: رأیناک ألقیت نعلیک فألقینا نعالنا. فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: (إن جبریل علیه السلام أتانی فأخبرنی أن فیها قذرا و قال إذا جاء أحدکم إلی المسجد فلینظر فإن رأی فی نعلیه قذرا أو أذی فلیمسحه و لیصل فیهما) «۱»، و عن خلاد بن السائب الأنصاری رضی اللّه عنه عن أبیه أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: (أتانی جبریل علیه السلام فأمرنی أن آمر أصحابی و من معی أن یرفعوا أصواتهم بالإهلال) أو قال (بالتلبیة) یرید أحدهما «۲».

۶- استدراک جبریل علیه السلام لتکرار العمل الفرعی فکیف القرآن

فعن عائشة- رضی اللّه تعالی عنها- عن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال: (ما زال یوصینی جبریل بالجار حتی ظننت أنه سیورثه) «۳»، و عن أبی أمامة رضی اللّه عنه أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: (ما جاءنی جبریل علیه السلام قط إلا أمرنی بالسواک لقد خشیت أن أحفی مقدم فی) «۴».

۷- استدراک جبریل علیه السلام فی هیئة الوعظ:

أبا هریرة رضی اللّه عنه یقول: مر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی رهط من أصحابه و هم یضحکون، فقال: (لو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلا و لبکیتم کثیرا)، فأتاه جبریل فقال: (إن اللّه یقول لک لم تقنط عبادی؟) قال- فرجع إلیهم، فقال: (سددوا و قاربوا و أبشروا) «۵». (۱) سنن أبی داود ۱/ ۱۷۵، مرجع سابق، قال الشیخ الألبانی ":صحیح."

(۲) سنن أبی داود ۲/ ۱۶۲، مرجع سابق، و أصله فی صحیح البخاری، و قال الألبانی ":صحیح."

(۳) صحیح البخاری ۵/ ۲۲۳۹، مرجع سابق.

(۴) مسند الإمام أحمد بن حنبل ۵/ ۲۶۳، مرجع سابق.

(۵) صحیح ابن حبان بترتیب ابن بلبان ۱/ ۳۱۹، مرجع سابق، قال الشیخ شعیب الأرناءوط ":إسناده صحیح علی شرط مسلم، "و قال ابن حبان- رحمه اللّه تعالی ("-:سددوا) یرید به: کونوا مسددین، و التسدید: لزوم طریقة النبی صلی اللّه علیه و سلم

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۶

ب- العامة من حیث المستدرک علیهم:

و المراد المتابعة و الاستدراك على الأخطاء التى تقع فيها أمته: فعن ثوبان رضى اللّه عنه قال:

اجتمع أربعون رجلا- من الصحابة ينظرون فى القدر و الجبر، فيهم أبو بكر و عمر فنزل الروح الأمين جبريل عليه السلام فقال: (يا محمد! أخرج على أمتك فقد أحدثوا). فخرج عليهم فى ساعة لم يكن يخرج عليهم فيها، فأنكروا ذلك منه، و خرج عليهم ملتمعا لونه متوردة وجنتاه كأنما تفقأ بحب الرمان الحامض، فنهضوا إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم حاسرين أذرعهم ترعد أكفهم و أذرعهم فقالوا: تبنا إلى اللّه و رسوله. فقال: (أولى لكم، إن كدتم لتوجبون، أتانى الروح الأمين فقال أخرج على أمتك يا محمد فقد أحدثت) «۱».

بل يتولى جبريل عليه السلام تصويب المسلمين و تسديدهم أحيانا، نحو ما قالت عائشة:

فسمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يقول لحسان: (إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن اللّه و رسوله) «۲».

ج- الخاصة من حيث الأمر الشرعى:

و هو متابعة ألفاظ القرآن الكريم، فقد تجلى فى المعارضة السنوية، و هو أنموذجه البارز، و تقدم «۳».

د- العامة من حيث الأمر الشرعى:

فكما سلف.

فإن جمع ما ذكر هاهنا إلى ما ذكر فى الاتصال المطلق لجبريل عليه السلام بالنبى صلى اللّه عليه و سلم، و وضع فى المسلمات أن الغاية من ذلك كله تلقى كلام اللّه سبحانه و تعالى، و المحافظة عليه و تبليغه للأمة، علمت أن كلام اللّه عزّ و جل أعلى من أن يتطرق إليه قول البشر، و اجتهاد البشر، و لذا تفرد رب البشر سبحانه و تعالى بالمحافظة عليه، فيثبت فى الذهن بذا كله أن الأداء للفظ القرآنى لا- و اتباع سنته، و قوله (و قاربوا) يريد به لا- تحملوا على الأنفس من التشديد ما لا تطيقون، (و أبشروا)، فإن لكم الجنة إذا لزمتم طريقتى فى التسديد، و قاربتم فى الأعمال."

(۱) المعجم الكبير ۲/ ۹۵، مرجع سابق.

(۲) صحيح مسلم ۴/ ۱۹۳۶، مرجع سابق.

(۳) انظر: المبحث التاسع من الفصل الثالث ص ۱۷۷.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۷

يتطرق إليه اجتهاد بشرى، و إلا فما فائدة هذه المتابعة الدقيقة الهائلة؟، و يحصل اليقين باستحالة تطرق الوهم، أو الضياع، أو التضييع لكلام اللّه العظيم، فأين متابعة كهذه المتابعة؟! فإن جمع إلى هذا ما هو مسلم من المتابعة الربانية و أنه كما قال ربه عنه ... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا " ...الطور/ ۴۸ ... "فلا يكون للخطأ مدخل لأدائه صلى اللّه عليه و سلم لكلام ربه عزّ و جل.

و قد كان جبريل عليه السلام يأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ببعض الهيئات الجانبية التى لا تعلق لها بالقراءة لا وضعا، و لا محلا، و لا أداء، فيحافظ عليها ... فكيف ما له تعلق بها؟، و من ذلك ما اشتهر فى علم المصطلح بالأحاديث المسلسلة بالأفعال المختلفة.

و من بعيد نراك- يا نبى الأمة و سيدها صلى اللّه عليه و سلم- ... نراك هائمين محبين ... ليس الهيام بك و جبريل لشخصيكما فحسب- و إن كان ذلك الهيام هو الشرف الأرفع-، و لا الحب لصحبتكما- و إن كان ذلك الحب هو السنى الأعلى- ... إنما الهيام و الحب- مع ذلك- لاتصال أهل الأرض بخبر السماء ... فيا لوعتاه على انقطاعه- و إن كان الرءوف الرحيم لم يتركنا بعد كما عالة ...

فعن أنس رضى اللّه عنه قال: قال أبو بكر رضى اللّه عنه- بعد وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم- لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يزورها، فلما انتهينا إليها بكت. فقالا لها: ما يبكيك؟! ما عند اللّه خير لرسوله صلى اللّه عليه و سلم.

قالت: ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند اللّه خير لرسوله صلى اللّه عليه و سلم، و لكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء ... فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها «۱».

أرقت فبات ليلى لا- يزول ... و ليل أخى المصيبة فيه طول و أسعدنى البكاء، و ذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل فقد عظمت مصيبته، و جلت ... عشية قيل قد قبض الرسول و تصبح أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل فقدنا الوحى و التنزيل فينا ... يروح به و يغدو جبرئيل (۱) مسلم ۴/ ۱۹۰۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۸

المبحث الرابع: التوقيفية فى غير أداء القرآن:

اشارة

يرمى هذا المبحث إلى ذكر نماذج من التوقيفية الإلهية فى غير أداء القرآن الكريم، مما هو أقل شأنا من أداء اللفظ القرآنى، أو مماثل له فى أقل الأحوال؛ و ذلك تأييدا للتوقيفية فى أداء اللفظ:

و اشتد حرص البحث هاهنا على ما سبق من منهج البحث من أنه لا يورد إلا ما فيه ذكر لجبريل عليه السلام بجامع أن كلا من الأمرين (أداء اللفظ القرآنى، و غيره من أمور الدين) معلمه هو جبريل عليه السلام:

أولا: التوقيفية فى تفسير آى القرآن:

و مع أن حياته كلها قولا، و فعلا، و هيئة تفسير للقرآن، إلا أن ذلك كله بإلهام من اللّه و توفيق، و توقيف إلا فيما ندر مما يتبعه الوحى استدراكا، أو تأييدا «۱» ... و على الرغم من هذا كله؛ فإن تأويله للقرآن لم يكن إلا تعليم من جبريل عليه السلام له فعن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- (أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان لا يفسر شيئا من القرآن برأيه، إلا آيا بعدد علمهن إياه جبريل) «۲».

و روى الطبرى مرسلا، و ابن مردويه موصولا- من حديث جابر رضى اللّه عنه: لما نزلت خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ "الأعراف/ ۱۹۹ "سأل جبريل عليه السلام فقال:

(لا- أعلم حتى أسأله) ثم رجع، فقال: (إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، و تعطى من حرمك، و تعفو عمن ظلمك) «۳». (۱) و قد قال عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنه للرسول صلى اللّه عليه و سلم: أكتب عنك ما سمعت؟، قال: (نعم!)، قال: قلت: فى الغضب و الرضى؟ قال: (نعم! فإنه لا ينبغى لى أن أقول فى ذلك إلا حقا)، انظر: صحيح ابن خزيمة ۴/ ۲۶، مرجع سابق.

(۲) مسند أبى يعلى ۸/ ۲۳، مرجع سابق، و قال محقق الكتاب سليم حسين أسد ":إسناده ضعيف."

(۳) فتح البارى ۸/ ۳۰۶ و ۱۳/ ۲۵۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۲۹

فإن كان ذا فى التفسير، فكيف يكون الأمر فى ما يتوقف عليه التفسير و هو تلقى اللفظ الذى يراد تفسيره؟.

ثانيا: التوقيفية فى الدعاء:

بل تعدی الأمر ذلک إلی التوقیفیة فی طریقة الدعاء، فعن کعب بن عجرة رضی اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حضروا المنبر)، فحضرنا، فلما ارتقی درجة، قال: (آمین)، فلما ارتقی الدرجة الثانیة قال: (آمین)، فلما ارتقی الدرجة الثالثة قال: (آمین)، فلما نزل قلنا: یا رسول اللّه! لقد سمعنا منک الیوم شیئا ما کنا نسمعه، قال: (إن جبریل عرض لی فقال: بعدا لمن أدرک رمضان فلم یغفر له، قل: آمین، قلت: آمین، فلما رقیت الثانیة قال: بعدا لمن ذکرت عنده فلم یصل علیک، قل: آمین، قلت: آمین، فلما رقیت الثالثة قال: بعدا لمن أدرک أبواه الکبر عنده أو أحدهما فلم یدخلاه الجنة، قل: آمین، قلت: آمین) «۱».

ثالثا: التوقیفیة فی المسائل العملیة الفرعیة:

... فعن الحارث بن عبد اللّه رضی اللّه عنه أخبره أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم سئل عن میراث العمة و الخالة فسکت، فنزل علیه جبریل علیه السلام فقال:

(حدثنی جبریل أن لا میراث لهما) «۲».

و عن أبی هریرة رضی اللّه عنه أن النبی صلی اللّه علیه و سلم قال: (جاءنی جبریل فقال: یا محمد! إذا توضأت فانتضح) «۳».

و عن ابن عباس رضی اللّه عنه قال: جاء جبریل إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فذهب به لیریه المناسک، فانفرج له ثبیر «۴» فدخل منی، فأراه الجمار، ثم أراه عرفات، فتتبع الشیطان النبی صلی اللّه علیه و سلم عند الجمرة، فرماه بسبع حصیات حتی ساخ، ثم تبع له فی الجمرة الثانیة، فرماه بسبع حصیات حتی ساخ، ثم تبع له فی جمرة العقبة، فرماه بسبع حصیات حتی ساخ، فذهب) «۵». (۱) المستدرک علی الصحیحین ۴/ ۱۷۰، مرجع سابق، و قال ":هذا حدیث صحیح الإسناد، و لم یخرجاه."

(۲) المستدرک علی الصحیحین ۴/ ۳۸۱، مرجع سابق.

(۳) الجامع الصحیح سنن الترمذی ۱/ ۷۱، مرجع سابق، و قال الترمذی: حدیث غریب، قال الشیخ الألبانی: "ضعیف."

(۴) اسم جبل.

(۵) صحیح ابن خزیمة ۴/ ۳۱۵ مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۰

بل کان لا یحدث شیئا یتصل بالدین من تلقاء نفسه، حتی فیما یمکن دخوله فی النصوص العامة، فعن رافع بن خدیج رضی اللّه عنه قال: کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بأخرة إذا اجتمع إلیه أصحابه، فأراد أن ینهض قال: (سبحانک اللهم و بحمدک، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرک، و أتوب إلیک، عملت سوءا، و ظلمت نفسی، فاغفر لی؛ إنه لا یغفر الذنوب إلا أنت) قال- فقلنا: یا رسول اللّه! إن هذه کلمات أحدثتهن؟ قال: (أجل! "جاءنی جبریل علیه السلام فقال: یا محمد! من کفارات المجلس) «۱»، فإحداثه لهن لیس أمرا من عند نفسه کما ظهر.

و کان صلی اللّه علیه و سلم یأبی الإجابة علی سؤال فرعی حتی یستأمر جبریل علیه السلام فیه، کما سبق، و عن جبیر ابن مطعم رضی اللّه عنه أن رجال أتی النبی صلی اللّه علیه و سلم فقال: یا رسول اللّه! أی البلدان شر؟

فقال: (لا- أدری)، فلما جاءه جبریل علیه السلام قال: (یا جبریل! أی البلدان شر؟ قال: لا أدری حتی أسأل ربی عزّ و جل، فأنطلق جبریل، فمکث ما شاء اللّه، ثم جاء، فقال: یا محمد! إنک سألتنی أی البلدان شر، فقلت: لا أدری، و إنی سألت ربی عزّ و جل: أی البلدان شر، فقال: أسواقها) «۲».

فإن کان یأبی أن یفسر القرآن إلا بوحی و هو فرع اللفظ، فلیکن کذلک فیما هو فرع أقرب للفظ من المعنی، و هو أداء ذلک اللفظ.

و إن کان یأبی إحداث ذکر یناسب الحال، و هو فرع تعقل المعنی فی النصوص العامة، فکیف بفرع ألفاظ هذه النصوص العامة مما لا مجال فیه للعقل، و هو أداؤها؟.

و إن كان لا يحدث شيئا من تلقاء نفسه فى التكليفات الفرعية، فليكن الأمر كذلك فى فروع الألفاظ، و جامع كل أنه فرع. (۱) السنن الكبرى للنسائى ۶/ ۱۱۳، مرجع سابق.

(۲) مسند أبى يعلى ۱۳/ ۴۰۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۱

و هذا عند فقدان نصوص توقيفية الأداء، فكيف و قد اتسعت هذه النصوص حتى شملت الهيئة الشخصية للمتلقى؟ «۱».

و لا يعترض بأن هذا تهويل لما يجانبه التهويل؛ إذ ليس خطب أداء اللفظ كخطب ما قيس عليه، لأنه يجاب بأن أداء اللفظ يحيل المعنى غالبا، إذ إن إدغام النون فى الصاد من (صنوان) لتصير صوان محيل لمعناها من الصنو إلى غيره، و إبدال الهمز فى رئيا لتصير ريا ملبس معناها برى الظمآن، بعد أن كانت صريحة فى الرؤية، و كلها وجوه أدائية كما هو مقرر عند علماء القراءات ...؟ فلا تهويل ثمّ، بل هو وضع للأمور فى نصابها «۲». (۱) انظر: تحليل حديث المعالجة فى المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

(۲) و قد ذكر فى المبحث الثامن من الفصل الثالث ص ۱۶۵ أن أداء اللفظ ينقسم إلى قسمين: أصلى، و فرعى فالأصلى يحيل تغيره المعنى قطعا، و الفرعى قد يحيل المعنى كما فى الأمثلة المذكورة أعلاه، و قد لا يحيل كتعاقب الفتح و الإمالة على الكلمة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۲

المبحث الخامس: الحفظ فى الصدر:

اشارة

للأهمية البالغة التى نالها حفظ القرآن فى الصدر من بين مفردات تلقى النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن على جبريل عليه السلام؛ فقد لزم إفراد هذا الموضوع بمبحث مستقل يسير غوره، و يحلل بعض جوانبه، و لذا انعقد هذا المبحث متألفا من مقدمة و ثلاثة مطالب:

المقدمة: الواجبات التى كانت على النبى صلى اللّه عليه و سلم بالنظر إلى لفظ القرآن.

المطلب الأول: تأصيل لفظة (الحفظ).

المطلب الثانى: متضمّنات الحفظ.

المطلب الثالث: هل كان الحفظ واجبا على النبى صلى اللّه عليه و سلم؟

المقدمة: الواجبات التى كانت على النبى صلى اللّه عليه و سلم بالنظر إلى لفظ القرآن: هى كما يلى بناء على ما سبق:

۱- سماعه صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن من جبريل عليه السلام.

۲- قراءته صلى اللّه عليه و سلم كما قرأه جبريل عليه السلام (لفظا و أداء).

۳- الحفظ للفظ القرآن الكريم.

۴- العرض السنوى (أن يعرض هو صلى اللّه عليه و سلم على جبريل عليه السلام ألفاظ القرآن).

۵- المراجعة (التعاهد).

۶- التبليغ: كما قال سبحانه و تعالى إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ "الشورى/ ۴۸."

۷- الإقراء: و هو أخص مطلقا من التبليغ، و مثاله ما ثبت عن عبد اللّه ابن مسعود رضى اللّه عنه قال: قرأت على رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم سبعين سورة «۱»، و تقدم حديث أبى بن كعب رضى اللّه عنه: (أمرت أن أقرأ عليك) ...، و ذلك تطبيقا لقول اللّه سبحانه

و تعالى (۱) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ۲/ ۲۸۸ ":هو فى الصحيح."

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۳

إِنَّما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَها وَ لَهُ كُلُّ شَىْءٍ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۹۱) وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ "النمل/ ۹۱،" اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ "العنكبوت/ ۴۵، ... "حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ " ...التوبة/ ۶."

و بعض هذه الواجبات قد تقدم تفصيله و ذلك الواجب الأول، و الثانى، و الرابع، و الخامس، و بعضها ليس من مدار البحث تبيينه، و ذلك التبليغ و الإقراء «۱» ...

فليقتصر كلام البحث هنا على الحفظ:

المطلب الأول: تأصيل كلمة (الحفظ)

: إن أول أسس نقل القرآن الكريم هو الرواية القرائية التى تعتمد فى ثبوتها ثم فى قبولها على أصلين: الحفظ فى الصدر (قرآن)، و الحفظ فى السطر (كتاب) ... مع أن الثانى تابع للأول، لا يستقل بذاته بخلاف الأول، و لذا كانت تسمية القرآن بالقرآن أشهر من تسميته بالكتاب.

و هذا الأساس فى نقل القرآن الكريم هو غاية الأسس المنهجية لتعليم جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن، ثم أضحى حفظ القرآن فى الصدر يعد الأساس الأول فى جواز نقل القرآن الكريم و إقرائه، و لذا قال أبو موسى الأشعرى رضى اللّه عنه: (احفظوا عنا؛ كما حفظنا) «۲».

و قد ورد لفظ الحفظ صريحا موصوفا به إيداع القرآن فى الذاكرة فى حديث أبى الدرداء رضى اللّه عنه أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قال: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) «۳». (۱) انظر: هيئة قراءة النبى صلى اللّه عليه و سلم على جبريل عليه السلام من حيث الأمر الشرعى و الواقع التطبيقى المبحث الثامن من الفصل الثالث ص ۱۴۴، ففيها تفصيل لما ذكر إلا الحفظ و التبليغ، فأما الحفظ فمحل ذكره هاهنا، و أما التبليغ فليس داخلا فى نطاق البحث، و أما الإقراء فأشير إليه هناك إشارة؛ إذ ليس مدارا للبحث.

(۲) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم و فضله ۱/ ۲۸۲، و صحح محققه إسناده.

(۳) صحيح مسلم ۱/ ۵۵۵، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۴

و ورد موصوفا به الغاية من عملية تلقى القرآن فى حديث ابن عباس رضى اللّه عنه فى نزول آيات القيامة «۱»، و هو معنى الجمع الوارد فى سورة القيامة؛ إذ تفسيره بالحفظ هو قول جميع المفسرين حقيقة أو حكما، و استخدم المسلمون هذه اللفظة فيما يثبت فى الذاكرة، فعن عمر رضى اللّه عنه قال: (قام فينا النبى صلى اللّه عليه و سلم مقاما، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم، و أهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه، و نسيه من نسيه) «۲».

و قد صار الحفظ يطلق على ذلك، فصار حقيقة عرفية لدى العلماء، و لذا بوب ابن حبان- رحمه اللّه تعالى- فقال ":ذكر استحقاق الإمامة بالازدياد من حفظ القرآن على القوم، و إن كان فيهم من هو أحسب و أشرف منه «"۳»، ثم شاع بعد ذلك حتى صار حقيقة عرفية عند عامة المسلمين، فإن أطلق لفظ (حافظ) أو (حفظ) لم ينصرف لغير حفظ القرآن، و إن أريد به غير القرآن لم يرد على ألسنة الخاصة و العامة إلا مقيدا، فرسخ بذلك مفهوم الحفظ فى الصدر عندهم كمرادف للقراءة من الذاكرة فى خصوص القرآن الكريم، و لذا دعا الرسول صلى اللّه عليه و سلم إلى حضهم على القراءة من المصحف التى أطلق عليها مؤخا مصطلح (القراءة نظرا)، فقال: (من سره أن يحب اللّه و رسوله، فليقرأ فى المصحف) «۴». و لعل إطلاق الحفظ على القرآن المودع فى الذاكرة للربط حفظ اللّه للقرآن

بحفظ العبد له، و أن حفظ العبد له بالمفهوم السالف الذكر مستقى منه.

و لأجل ما يحتويه مصطلح (حفظ) فى هذا الباب من متضمّنات ربما لم يلتفت إليها قوم، و ربما قل من شأنها آخرون؛ فقد وجب أن نخوض غمارها لنعلم سر الاختيار القدرى لها لترتبط بألفاظ القرآن؛ ففيه يتضح لنا دقة نقل ألفاظ القرآن إلينا، و تعليم (۱) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

(۲) رواه البخارى ۳/ ۱۱۶۶، مرجع سابق.

(۳) صحيح ابن حبان ۵/ ۴۹۹، مرجع سابق.

(۴) (أبو نعيم) أحمد بن عبد اللّه الأصبهانى ت ۴۳۰ ه: حلية الأولياء و طبقات الأصفياء ۷/ ۲۰۹، ۱۴۰۵ ه، دار الكتاب العربى- بيروت، و صححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير ۲/ ۲۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۵

جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم و هو الرابط بين استقصاء هذه المسألة و بين غاية البحث، على أن تحليلنا لها إنما هو كائن من حيث متعلّقها البشرى لا من حيث متعلّقها الإلهى، كما سبق فى تأصيلها من حيث اللفظ.

المطلب الثانى: متضمنات الحفظ:

اشارة

يتضمن (الحفظ) من حيث حقيقته اللغوية و الاصطلاحية مجموعة دلالات تنحصر فى التالى:

۱- الاستظهار «۱»:

اشارة

و هى المرحلة الأولى من مراحل الحفظ، و تكون بوعى النص من حيث اللفظ، و استبطانه بإيداعه فى الذاكرة، و ينطوى الاستظهار على أمرين:

أ- التدرج فى الاستظهار:

ففى (مختار الصحاح "):تحفّظ الكتاب: استظهره شيئا بعد شىء «"۲».

ب- استظهاره كما هو:

فلا يعتريه خلل فى محلّه، و لا ترتيبه، و إلا لم يصدق عليه الحفظ له، بل لغيره.

۲- الحراسة «۳»:

و هی المرحلة الثانیة من مراحل الحفظ، و تکون بتثبیته و حمایته من التفلت، و هی تقرب من المراجعة للمحفوظ، إلا أنها تعتبر بینها و بین مرحلة الاستظهار، و الحراسة تقتضی المراقبة، و المراقبة جزء من الحقیقة اللغویة لمادة حفظ، و الحراسة و المراقبة ترتبط أعظم الارتباط بمفهوم الأمانة، و لأن القرآن المحفوظ بالصدر أمانة؛ فإن لفظ (الحفظ) قد اتسع مفهومه لیشمل کلّ أمانة، و لذا بوب الإمام البخاری- رحمه اللّه تعالی-:

"باب حفظ المرأة زوجها فی ذات یده و النفقة «"۴». (۱) مختار الصحاح ص ۱۷۸، مرجع سابق، ففیه: و حفظه أیضا استظهره، و انظر: فتح الباری شرح صحیح البخاری ۸/ ۵۶۷، مرجع سابق.

(۲) مختار الصحاح ص ۱۷۸، مرجع سابق.

(۳) مختار الصحاح ۱۷۸، مرجع سابق ففیه: حفظ الشیء بالکسر حفظا حرسه.

(۴) صحیح البخاری ۵/ ۲۰۵۲، مرجع سابق، و بوّب أیضا: باب حفظ السر.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۶

و ارتبط مفهوم الحفظ بحراسة المحفوظ من أن یعتریه خلل، أو یلج إلیه دخل صغر أو کبر؛ و لذا بوب البخاری- رحمه اللّه تعالی"-: باب حفظ اللسان «"۱»، و أورد أبو داود- رحمه اللّه تعالی- مجموعة أحادیث فی ذلک، و من حیث لفظ القرآن، فإن حفظه بهذا المعنی (الحراسة) یعنی التثبت من دقائق اللفظ، و من ذلک ما رواه عروة بن الزبیر- رحمه اللّه تعالی- فی حدیث قبض العلم: فقالت- عنی عائشة- یا ابن أختی! انطلق إلی عبد اللّه فاستثبت لی منه الذی حدثتنی عنه، فجئته، فسألته، فحدثنی به، کنحو ما حدثنی، فأتیت عائشة، فأخبرتها، فعجبت، فقالت: (و اللّه لقد حفظ عبد اللّه بن عمرو) «۲».

۳- شموله للکلی و التفصیلی من حیث اللفظ:

ففی قوله سبحانه و تعالی وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحافِظِینَ (۱۰) کِراماً کاتِبِینَ (۱۱) یَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ "الانفطار/ ۱۰- ۱۲، "فضمّن یَعْلَمُونَ معنی یکتبون؛ إذ تلک مهمتهم الأساسیة «۳»، و مسلم شمول ذلک للتفصیلی و الإجمالی من الاسم الموصول الدال علی العموم فی قوله ما، و استقرار هذا العموم مقتض أن یشمل هذا الحفظ أصل اللفظ و طریقة أدائه، و ما خرج عن هذا فالمفتاح فی المخرج له، و من ثم فادعاء خروج الأداء عن الحفظ، أو عن تبلیغ القرآن ادعاء یفتقر إلی الدلیل.

المطلب الثالث: هل کان الحفظ واجبا علی صلی اللّه علیه و سلم؟:

اشارة

و یبقی بعد ما تقدم من تحلیل لمدلول الحفظ: أن یجاب عن سؤال فی هذا الباب هو:

هل کان الحفظ لألفاظ القرآن واجبا علی النبی صلی اللّه علیه و سلم؟.

الجواب نعم، کان واجبا علی النبی صلی اللّه علیه و سلم وجوبا مقطوعا به، و الدلیل علی ذلک::

اشارة

(۱) صحیح البخاری ۵/ ۲۳۷۶، مرجع سابق، و من ذلک حدیث سنن أبی داود ۱/ ۱۲۷، مرجع سابق: (فإذا قال ذلک قال الشیطان

حفظ منى سائر اليوم)، و كذلك حديث سنن أبى داود ۳/ ۲۹۸، مرجع سابق: (فقضى أن حفظ الحوائط بالنهار على أهلها، و أن حفظ الماشية بالليل على أهلها، و أن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل).

(۲) صحيح البخارى ۶/ ۲۶۶۵، مرجع سابق.

(۳) لمعنى فى غاية الأهمية هو أنهم يعلمون ما يكتبونه من مثقال الذر من خير أو شر، فليست كتابتهم كتابة عمياء يمكن معها خداعهم.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۷

۱- أول سورة نزلت عليه هى سورة اقرأ باسم ربك «۱»:

فبدايتها اقْرَأْ، فأنى له بالقراءة و قد قال ربه عزّ و جل عنه: ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ "الشورى/ ۵۲، "و ذاك موجب قراءته من حفظه، فقوله سبحانه و تعالى: اقْرَأْ أمر بالقراءة، و القراءة نطق بكلام معين مكتوب، أو محفوظ عن ظهر قلب، و الأمر بالقراءة مستعمل فى حقيقته من الطلب لتحصيل فعل فى الحال أو الاستقبال، فالمطلوب أن يقرأ ما سيقرأ عليه، و فى حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- فى بدء الوحى: (فرجع بها رسول اللّه يرجف فؤاده) «۲» أى فرجع بالآيات التى قرئت عليه ليحفظها لا ليكتبها أى رجع متلبسا بها، أى بوعيها، و هذا يدل أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم تلقى ما أوحى إليه، و قرأه حينئذ، و يزيد ذلك إيضاحا قولها فى الحديث ذاته (فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك) أى: اسمع القول الذى أوحى إليه، و هذا ينبئ بأن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عند ما قيل له بعد الغطة الثالثة اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الآيات الخمس كان قد قرأها ساعتئذ، كما أمره اللّه سبحانه و تعالى، أو حفظها على الأقل، و رجع من غار حراء إلى بيته يقرؤها، و على هذا يكون قول الملك له فى المرات الثلاث اقْرَأْ إعادة للفظ المنزل من اللّه عزّ و جل، إعادة تكرير للاستئناس بالقراءة التى لم يتعلمها من قبل «۳»، و لم يذكر لفعل اقْرَأْ مفعول؛ إما لأنه نزّل منزلة اللازم، و أن المقصود أوجد القراءة، و إما لظهور المقروء من المقام، و تقديره: اقرأ ما سنلقيه إليك من القرآن «۴».

فإن اعترض بأن: القراءة تتحقق القراءة بكلمة و كلمتين، و آية و آيتين، و سورة و سورتين، فأين وجوب قراءته عليه كله، و من ثم فأين وجوب حفظه عليه كله؟. (۱) هذا هو الاسم المشهور عند علماء التفسير، و كذلك على ألسنة الصحابة.

(۲) صحيح البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۳) و هذا المعنى لا ينافى غيره من المعانى التى لا تتضاد.

(۴) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۴۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۸

فالجواب مما سيأتى:

۲- أميته صلى اللّه عليه و سلم:

فهو الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ " ...الأعراف/ ۱۵۷، "و قد قال صلى اللّه عليه و سلم:

(إنا أمة أمية لا نكتب و لا نحسب، الشهر هكذا و هكذا، يعنى مرة تسعة و عشرين، و مرة ثلاثين) «۱» و من كان ذا شأنه فهو يحفظ، فلو لم يؤمر بالقراءة لكانت أميته كافية فى وجوب الحفظ عليه.

و لذا كانوا يعتمدون على حفظهم للسنن النبوية؛ فقد دخل زيد بن ثابت رضى اللّه عنه على معاوية رضى اللّه عنه فسأله عن حديث، فأمر إنسانا يكتبه، فقال له زيد: (إن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أمرنا أن لا نكتب شيئا من حديثه فمحاه) «۲»، فما هم فاعلون فى كلام رب البرية عزّ و جلّ؟.

۳- مقتضى إرساله، و حقيقة وظيفته صلى اللّه عليه و سلم و هو التبليغ

و رأس ما يبلغه صلى اللّه عليه و سلم القرآن، و قد قال ربه سبحانه و تعالى: ... بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ " ...المائدة/ ۶۷ ... "إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ " ...الشورى/ ۴۸، "و لا يكون مبلغا رسالة ربه و هو لم يحط بالقرآن حفظا، أنى، و قد قال ربه عزّ و جل: ... وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ " ...المائدة/ ۶۷ ..."

و قول اللّه سبحانه و تعالى: ... وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ " ...الأنعام/ ۱۹ "قاطع لكل خطيب فى هذه المسألة.

۴- قوله عزّ و جل: ... وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ " ...التوبة/ ۶:"

و بين هذا الدليل و بين الدليل الثانى عموم و خصوص مطلق، فلا يرد عليه التكرار.

۵- قوله سبحانه و تعالى سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶"

، فإنه مقتض إعانة اللّه عزّ و جل له على الحفظ، المستلزم وجوبه عليه، و تزداد قوة الحفظ كلما ازدادت أهمية المحفوظ، (۱) صحيح البخارى ۲/ ۶۷۵، مرجع سابق.

(۲) سنن أبى داود ۳/ ۳۱۸، مرجع سابق، و فى مسألة النهى عن كتابة حديث الرسول صلى اللّه عليه و سلم، انظر: تدريب الراوى ۲/ ۲۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۳۹

و ليس هناك ما هو أكثر أهمية فى حياة المسلم من أهمية القرآن الكريم بله المسلم الأول بله الرسول صلى اللّه عليه و سلم، و قد قال ابن عباس رضى اللّه عنه: (إنما يحفظ الرجل على قدر نيته) «۱»، فكيف لو جمعت هذا إلى ما تكفل اللّه سبحانه و تعالى به من جمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم فأى حافظة تلك التى سترى؟.

۶- قوله تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۷: "و معنى الجملتين إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: إن علينا جمع الوحى، و أن تقرأه، و فوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك، أى نتكفل لك بأن يكون جمعه و قرآنه بلسانك، أى عن ظهر قلبك لا بكتابة تقرؤها، بل أن يكون محفوظا فى الصدور، مبينا لكل سامع، لا- يتوقف على مراجعة، و لا على إحضار مصحف من قرب أو بعد. فالبيان هنا بيان ألفاظه ليس بيان معانيه لأن بيان معانيه ملازم لورود ألفاظه «۲» ...

فبعد إلقاء جبريل عليه السلام القرآن على النبى صلى اللّه عليه و سلم يكون النبى صلى اللّه عليه و سلم قد حفظه فى صدره، و يسهل إدراك أن قوله سبحانه و تعالى فاتّبع قرآنه بمعنى أن تقرأه «۳»، لا يراد منه القراءة من الأوراق، و لا من المصحف بل يعنى القراءة من المحفوظ فى الصدر؛ إذ لم يقرأ النبى كتابا، و ليس بقارئ، و ما كان يدرى ما الكتاب، و كذلك فإن جمعه فى صدره يعنى الحفظ فى الصدر.

و هذه حقیقة من حقائق الاصطلاح الشرعی فی هذا الباب: أن القراءة فی حق الرسول صلی اللّه علیه و سلم تعنی قراءته من محفوظه، کما یظهر مما سبق. (۱) الجامع لآداب الراوی و السامع ۲/ ۳۱۲، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحریر و التنویر ۲۹/ ۳۵۰، مرجع سابق، و انظر: تحلیل آیات القیامة فی المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۶.

(۳) تقدم شرح الآیة فی حدیث المعالجة فی المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۶.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۰

فإن اعترض بأن: ذا کان جائزا أول الأمر قبل التبلیغ، أما استمرار حفظه بعد فلا؟.

فالجواب: إن لم یجب استمرار الحفظ، فکیف یکون التذکیر الذی هو جزء من ماهیة التبلیغ؟ و قد قال اللّه- تعالی ذکره- فی معرض حصر مهمة النبی صلی اللّه علیه و سلم: فَذَکِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَکِّرٌ "الغاشیة/ ۲۱."

و عند النظر فی الشریعة یستبین أن من أهم أسماء القرآن (الذکر)، و الذکر عام للناس کلهم ... وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ " ...النحل/ ۴۴، "و خاص للمؤمنین ... فَذَکِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ یَخافُ وَعِیدِ "ق/ ۴۵، "و ذلک کله مستلزم للتذکیر بما یریده اللّه سبحانه و تعالی المقتضی لاستمراریة الحفظ ... و لذا کان جبریل علیه السلام یدارس النبی صلی اللّه علیه و سلم القرآن کل عام، فإن لم یکن هذا دلیلا علی وجوب الاستمرار لحفظ القرآن فعلی ما ذا یدل هذا؟.

۷- قوله عزّ و جل: وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ "ق/ ۹:"

و الحفظ لا یتم للقرآن خارج النوامیس الإلهیة، و ذلک أمران:

أ- ما یتم بالقدرة الإلهیة المحضة، و هو مشاهد ملموس؛ إذ قد أحاط بالکتاب الکریم من المکر الکبار ما کادت أن تمید منه الجبال، و لا تکفی القدرة الإسلامیة، المتمحض بشریتها لصده، خاصة فی فترات الاستضعاف ... و علی الرغم من ذلک یظل الکتاب الکریم محتفظا بثبات لفظه، و ازدیاد رسوخ نصه.

ب- ما شرفت الأمة بالتکلیف به؛ إذ هی وارثة الکتاب، و قد قال اللّه سبحانه و تعالی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنا مِنْ عِبادِنا" ... فاطر/ ۳۲، "و لئن استحفظ أهل الکتاب السابقین علی ما نزل إلیهم، لذاک کائن أوجب فی حقنا، و قد قال الصاوی- رحمه اللّه تعالی ... "-:سیما، و قد جعل اللّه له خدمة من البشر یحفظونه «"۱»، و قال صاحب (۱) حاشیة الصاوی و بهامشه تفسیر الجلالین ۲/ ۳۱۴، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۱

التحریر و التنویر ":حتی حفظته الأمة عن ظهور قلوبها من حیاة النبی صلی اللّه علیه و سلم «۱»، بید أن هذه الأمة المشرفة قد میزها اللّه سبحانه و تعالی بتولیه حفظ الکتاب بذاته، و واضح عدم المنافاة بین ذلک و إیجاب حفظه علی الأمة، بل وجوب حفظه علی الأمة هو أول أدلة واقعیة الحفظ الإلهی له ...

و قد اتضح وجه الدلالة: من الآیة علی وجوب حفظ النبی صلی اللّه علیه و سلم للقرآن هو: دخوله فی الأمة دخولا أولیا «۲».

۸- قوله تعالی: ... وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً "طه/ ۱۱۴."

وجه الدلالة: حرصه صلی اللّه علیه و سلم علی حفظ القرآن، مع تکلیفه بالرسالة، یستلزم وجوب حفظ القرآن علیه ...

۹- بقاؤه صلى اللّه عليه و سلم أميا «۳»:

و ذا دال على وجوب ملازمة حفظه لكتاب اللّه سبحانه و تعالى، للزوم استظهاره، و استدعائه متى لزم الأمر، لأداء رسالة اللّه عزّ و جل تبليغا أو تذكيرا، حتى لو كان (۱) التحرير و التنوير ۱۴/ ۲۰، مرجع سابق.

(۲) و ذلك بغض النظر عن الخلاف فى القاعدة الأصولية فى دخول النبى صلى اللّه عليه و سلم فى خطاب أمته، و تأتى الإشارة إليها بعد ق ليل.

(۳) و ما ذهب إليه البعض من تعلمه الكتابة بعد نبوته فشذوذ قد نهى أولوا النهى من طلبة العلم عن تتبعه، على أن كثيرا من الشذوذ لا يروى على وجهه، بل ينقل على الهوى العقلى أو العاطفى لناقله. و يوضح ذلك من حيث خصوص موضوعنا ما قاله ابن كثير فى تفسيره ۳/ ۴، مرجع سابق ":و هكذا كان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم دائما، إلى يوم الدين لا يحسن الكتابة، و لا يخط سطرا، و لا حرفا بيده بل كان له كتاب يكتبون بين يده الوحى و الرسائل إلى الأقاليم، و من زعم من متأخرى الفقهاء كالقاضى أبى الوليد الباجى و من تابعه أنه عليه السلام كتب يوم الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد اللّه، فإنما حمله على ذلك رواية فى صحيح البخارى ":ثم أخذ فكتب، "و هذه محمولة على الرواية الأخرى ":ثم أمر فكتب، "و لهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق و المغرب على من قال بقول الباجى، و تبرءوا منه، و أنشدوا فى ذلك أقوالا و خطبوا به فى محافلهم، و إنما أراد الرجل- أعنى الباجى- فيما ظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة، كما قال صلى اللّه عليه و سلم إخبارا عن الدجال (مكتوب بين عينه كافر)، و فى رواية (ك ف ر يقرؤها كل مؤمن)، و ما

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۲

مخدعه أو مرتعه، أو مدخله أو مطلعه، أو مسكنه، أو مربعه ... و لا يعترض على هذا بأن اللّه سبحانه و تعالى قد كفاه ذلك بالكتاب الذى كان يكتبه صحبه من كتبة الوحى؛ إذ محال أن يصطحب الكتاب و الكتّاب فى كل مكان ... يريد فيه التبليغ و الدعوة ... لا لعزتها آنها، بل لخصوصية احتياجه إلى الدعوة و التبليغ ضرورة كونه نبيا ... و من يفترضها هنا، يفترض المحال ...

۱۰- قوله سبحانه و تعالى: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۴۸) بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ

... يعنى أنك لم تكن تقرأ كتابا حتى يقول أحد: هذا القرآن الذى جاء به هو مما كان يتلوه من قبل ثم نفى الكتابة عنه، و المقصود نفى حالتى التعلم (بالقراءة و الكتابة) استقصاء فى تحقيق وصف الأمية، و قوله عزّ و جل بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ "أى بل القرآن آيات فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم «۱». أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت صلى اللّه عليه و سلم حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له، قال اللّه تعالى: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا "العنكبوت/ ۴۸ "أى تقرأ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ لتأكيد النفى وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ تأكيد أيضا، و خرج مخرج الغالب، كقوله تعالى وَ لا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ "الأنعام/ ۳۸، "و قوله تعالى إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ أى لو كنت تحسنها لارتاب بعض الجهلة من الناس، فيقول إنما تعلم هذا من كتب قبله، مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أمى لا يحسن الكتابة وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا "الفرقان/ ۵ "قال اللّه سبحانه و تعالى قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ "الفرقان/ ۶ "الآية، و قال هاهنا: بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ "العنكبوت/ ۴۹ "أى هذا القرآن آيات بينة واضحة فى الدلالة على الحق أمرا و نهيا و خيرا، يحفظه العلماء، يسره اللّه عليهم حفظا و تلاوة و تفسيرا، كما قال عزّ و جل وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ "القمر/ ۱۷، "و قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و

سلم: (ما من نبى إلا و قد أعطى ما آمن على مثله البشر، و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه اللّه إلىّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا ...")و الحديث الأخير رواه البخارى ۶/ ۱۶۰۷، مرجع سابق.

(۱) انظر: التحرير و التنوير ۲۱/ ۱۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۳

و لا يعترض بأنه قد ورد فى تفسير الذين أوتوا العلم: أصحاب النبى صلى اللّه عليه و سلم، لأن أول الذين أوتوا العلم هو النبى صلى اللّه عليه و سلم.

۱۱- حديث عياض بن حمار المجاشعى رضى اللّه عنه

أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم قال ذات يوم فى خطبته: (ألا أن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمنى يومى هذا: كل مال نحلته عبدا حلال، و إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم، و إنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، و حرمت عليهم ما أحللت لهم، و أمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا، و إن اللّه نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم و عجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، و قال: إنما بعثتك لأبتليك و أبتلى بك، و أنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما و يقظانا ...) الحديث «۱».

قال ابن كثير ":أى لو غسل الماء المحل المكتوب فيه، لما احتيج إلى ذلك المحل، لأنه قد جاء فى الحديث الآخر: (لو كان القرآن فى إهاب ما أحرقته النار)، و لأنه محفوظ فى الصدور، ميسر على الألسنة، مهيمن على القلوب، معجز لفظا و معنى، و لهذا جاء فى الكتب المتقدمة فى صفة هذه الأمة أناجيلهم فى صدورهم «"۲».

و قال النووى ":أى محفوظا فى الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على ممر الزمان، (تقرؤه نائما و يقظانا): أى يكون محفوظا لك فى حالتى النوم و اليقظة، و قيل تقرؤه فى يسر و سهولة «"۳».

و هذا نص فى أنه صلى اللّه عليه و سلم يحفظه أمرا و إخبارا عن الواقع.

۱۲- ما كان النبى صلى اللّه عليه و سلم يجهد نفسه فيه عند تلقيه الوحى:

كما تقدم فى روايات حديث المعالجة «۴»، و فيها: (يحرك لسانه) يريد أن يحفظه ... يعجل بقراءته ليحفظه، و لابن أبى حاتم: (يتلقى أوله، و يحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله، قبل أن يفرغ من آخره)، (۱) صحيح مسلم ۴/ ۲۱۷۹، مرجع سابق.

(۲) تفسير ابن كثير ۳/ ۴۸، مرجع سابق.

(۳) شرح صحيح مسلم ۱۷/ ۱۸۹، و نقلها السيوطى فى الديباج ۶/ ۲۲۲، مرجع سابق.

(۴) انظر: المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۴

و فى مسند الحميدى: (يعجل به يريد أن يحفظ)، و الحفظ منصرف هنا للفظ إذ لو كان المراد المعنى لما احتاج لذاك الاجتهاد.

۱۳- و مما يدل على وجوب حفظ النبى صلى اللّه عليه و سلم للقرآن، حفه بالعوامل المساعدة على الحفظ

اشارة

مثل تنجيم القرآن، و ترتيله؛ و هو ما صرح به صاحب التحرير و التنوير حيث قال فى فوائد الترتيل ":و فائدة هذا: أن يرسخ حفظه، و يتلقاه السامعون، فيعلق بحوافظهم، و يتدبر قارئه، و سامعه معانيه، كى لا يسبق لفظ اللسان عمل الفهم «"۱»، و هو تصريح بأن عمل النبى صلى اللّه عليه و سلم ضبط الاثنين: لفظ اللسان، و عمل الفهم.

و من هذه العوامل المساعدة على الحفظ:

التنبيه ابتداء على صعوبة المحفوظ من حيث اشتماله على معان غير متوقعة، و لا معتادة فى تفاصيلها، لئلا يدور بخلد الذى يريد الحفظ و هو (النبى) صلى اللّه عليه و سلم أولا أنها معتادة فاللسان لن يضيعها؛ فيتأهب له، و يقدره حق قدره، كما قال عزّ و جل إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا "المزمل/ ۵، "و الثقل الموصوف به القول ثقل مجازى لا محالة مستعار لصعوبة حفظه؛ لاشتماله على معان ليست من معتاد ما يجول فى مدارك قومه، فيكون حفظ ذلك عسيرا على الرسول صلى اللّه عليه و سلم الأمى، تنوء الطاقة عن تلقيه، فقد مهد لهذه الحقيقة بأوامر هى وسائل لتحقيق مقتضاها: من قيام ليل، و ترتيل قرآن، فقوله سبحانه و تعالى: إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" المزمل/ ۵ "تعليل للأمر- بقيام الليل «۲».

۱۴- الترهيب من نسيان القرآن:

و إن لم يصح فى عقوبة ذلك حديث مرفوع «۳»، فقد دخل فى عموم قوله سبحانه و تعالى: (۱) التحرير و التنوير ۲۹/ ۳۱۷، مرجع سابق.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۲۹/ ۱۶۴، مرجع سابق، و لا ينافى هذا تيسير القرآن للذكر؛ إذ هو كذلك بالنظر إلى أنه الحق الصالح برغم صغر حجمه لكل زمان و مكان هاديا فى كل مجال، و هو كذلك بالنظر إلى من اتبع قواعده فى أسلوب حفظه، و لذا أمر النبى صلى اللّه عليه و سلم بتعاهده فهو أشد تفلتا من الإبل فى عقلها.

(۳) لكن قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ۹/ ۸۶، مرجع سابق ":قد أخرج بن أبى داود من وجه آخر مرسل نحوه و لفظه: (... أعظم من حامل القرآن و تاركه) فى معرض التهديد بأكبر الذنوب- و من طريق أبى العالية موقوفا: (كنا

قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً (۱۲۵) قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى طه/ ۱۲۴- ۱۲۵ «"۱»، و قال ابن حجر فى قول البخارى- رحمه اللّه تعالى "-:باب نسيان القرآن، و هل يقول نسيت آية كذا و كذا ":"كأنه يريد أن النهى عن قول نسيت آية كذا و كذا ليس للزجر عن هذا اللفظ، بل للزجر عن تعاطى أسباب النسيان المقتضية لقول هذا اللفظ «"۲».

و النبى صلى اللّه عليه و سلم أول من يدخل فى الخطاب بذلك على راجح أقوال الأصوليين «۳».

و بعد هذا الاستعراض لبعض أدلة وجوب حفظ النبى صلى اللّه عليه و سلم لألفاظ القرآن الكريم، فإن الكلام على هذه المسألة غمط لها، و التعريف بوجوب الحفظ على النبى صلى اللّه عليه و سلم لألفاظ القرآن تعريف بما هو كالضرورة، بل إنّ هذه المسألة مما تصورها كاف فى بدهية الحكم عليها، و الاستدلال عليها تضييع لها ... إنما أريد الإشارة المجردة؛ ليعلم الذين آمنوا كم أحيط بألفاظ هذا الكتاب الكريم من رعاية. نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن، ثم ينام عنه حتى ينساه) و إسناده جيد، و من طريق ابن سيرين بإسناد صحيح فى الذى ينسى القرآن: (كانوا يكرهونه، و يقولون فيه قولا شديدا)، و لأبى داود عن سعد بن عبادة مرفوعا: (من قرأ القرآن ثم نسيه لقى اللّه و هو أجذم) و فى إسناده أيضا مقال، و قد قال به من الشافعية أبو المكارم الرويانى، و احتج بأن الإعراض عن التلاوة يتسبب عنه نسيان القرآن، و نسيانه يدل على عدم الاعتناء به، و التهاون بأمره ...

(۱) و انظر فی هذا الموضوع: تفسیر ابن کثیر ۴/ ۱۱۸، و القرطبی ۱۶/ ۳۰، مرجعان سابقان، و بین أن المراد "النسیان الکامل "واصلا حد الترک لا النسیان الذی یغلب، و مصنف ابن أبی شیبة ۶/ ۱۲۴، و الترغیب و الترهیب ۲/ ۲۳۲، و فتح الباری ۹/ ۸۰، مرجع سابق، و نیل الأوطار ۲/ ۱۶۰.

(۲) فتح الباری ۹/ ۸۵، مرجع سابق.

(۳) انظر: نثر الورود علی مراقی السعود ۱/ ۱۸۸، مرجع سابق عند قول الناظم فی باب الأمر:

و آمر بلفظة تعمّ هل دخل قصدا، أو عن القصد اعتزل،

و فی ۱/ ۲۶۱ عند قول الناظم فی باب العام:

و ما یعم یشمل الرسولا و قیل لا، و لنذکر التفصیلا

حیث ذکر الشارح فی المسألة ثلاثة أقوال.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۶

الفصل الخامس دمغ الباطل و فیه مبحثان

اشارة

و فیه یذکر الباحث بعض العوامل المقدوح بها فی دقة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن الکریم من جبریل علیه السلام من منظور البحث و زاویته، فبعد ما توافرت عوامل الإیجاب علی تحریر متعلقات موضوع تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام، وجبت الإشارة إلی نفی عوامل السلب عن ذلک التلقی من حیث خصوص هذا الموضوع، فکان هذا الفصل منعقدا لهذه الغایة.

و دحض ما یقدح به فی هذا الموضوع داخل ضمن ما سبق، فبمجرد معرفة طبیعة الوحی القرآنی، و إنزاله، و تعلیمه، و تعلّمه بین النبی صلی اللّه علیه و سلم و جبریل علیه السلام تدحض کل شبهة، و لکن مرضی العقول، و سقمة القلوب قد تعتریهم نفثات الشیاطین، فیورون زند الشبهة، لیوقعوا غیرهم فی البلبلة و الاضطراب التصوری لحقائق القضایا الاعتقادیة، و لیس الأمر مع الصنف الأول مستلزما النقاش لفساد الأصل الذی یتکئون علیه، إلا أن النقاش یکون مع من یتأثر بعقابیل أقوالهم، و خبال زللهم ... و مجموع الشبه الواردة فی باب تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم ألفاظ القرآن من جبریل علیه السلام مردّها إلی جهتین:

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۷

جهة تأثیر العوامل الخارجیة: علی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم من حیث أن جبریل علیه السلام ینتمی إلی العالم الغیبی، فقد یزعم أن الموحی له قد یکون ساحرا، أو جنا، أو یؤثر هذان فی النبی صلی اللّه علیه و سلم حال تلقّیه الوحی، فیحسب الکلمة من جبریل علیه السلام و هی من غیره، فجماع هذه العوامل هو الاتهام بالتخیل لعدم الثقة بکون الملقی بالوحی هو جبریل علیه السلام لاحتمالیة کونه غیره.

وجهة تأثیر العوامل الداخلیة: و یراد بها ما یعتری الإنسان من ضعف، و قصور یؤثران علی استیعابه للفظ القرآن الکریم؛ إذ لم یخرج النبی صلی اللّه علیه و سلم عن طبیعته البشریة و هو یتلقی الوحی القرآنی، و النسیان و القصور البشری أنموذجان لهذا النوع من العوامل، فیتألف هذا الفصل من مبحثین:

المبحث الأول: العوامل الخارجیة.

المبحث الثانی: العوامل الداخلیة.

علی أن شرط البحث فی الکلام عن هذا الموضوع ألا- یتطرق للعوامل الأخری التی قذف بها المشرکون، و لا تعلق لها بالتلقی من جبریل علیه السلام، کالاتهام بکونه صلی اللّه علیه و سلم شاعرا «۱»، أو کذابا، تنزه عما یقول الظالمون، أو اتهام المسلمین بضیاع شیء من القرآن «۲» ...؛ إذ الخوض فی ذلک مخرج للبحث عما هو له ... و لذا فإن حرکة البحث هاهنا ستنحصر فی هذا الشرط دون غیره. (۱) و لأن الشعر لا یعود إلی التخیل الملبس لشخصیة جبریل علیه السلام بغیره، و کذلک لم یتکلم عن الکهانة لأنها ترجع إلی التخیل بسبب الجن أو السحر، فتکلّم عن أصلها.

(۲) انظر فی هذا الباب: نکت الانتصار للباقلانی، مرجع سابق، فقد أنشأه مؤلفه لمثل ذلک.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۸

المبحث الأول: دفع العوامل الخارجیة:

اشارة

یجمع العوامل الخارجیة المقدوح بها فی صحة تلقی اللفظ (التخیل)، و تنقسم إلی خمسة أقسام من حیث درؤها عن صحة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم، و یمکن إرجاعها إلی أمرین: عام و خاص من حیث درؤها عن دقة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم فضلا عن صحة تلقیه، یکونان مطلبی المبحث:

المطلب الأول: دفع تهمة التخیل فی تلقی ألفاظ القرآن بصفة عامة.

المطلب الثانی: دفع تهمة التخیل فی تلقی ألفاظ القرآن من حیث تفصیل العوامل المظنون إحداثها التخیل.

المطلب الأول: دفع تهمة التخیل فی تلقی ألفاظ القرآن بصفة عامة:

اشارة

یرجع هذا الدفع إلی جمیع أرکان تلقی اللفظ القرآنی: من اللفظ فی ذاته، و طرفی الاتصال، و طبیعة الدین الإسلامی، و ینحصر ذلک الدفع فیما یلی:

۱- بالضمان الإلهی بالحفظ لکتابه:

و هذا ضمان عام، إثباتا للقرآن، و نفیا لما عداه عنه، و مستنده قوله سبحانه و تعالی إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹." و تقدم أن الحفظ یقتضی الحراسة و المراقبة «۱»، و هو مدلوله هنا ... و فی هذه الآیة جیء بالجملة الاسمیة مؤکدة بتوکیدین، و نسب فیها الحفظ المحذوف متعلّقه إفادة للعموم إلی ضمیر العظمة، و فی ذلک من الدلالة علی الاعتناء بأمر القرآن ما فیه «۲».

۲- بالضمان الإلهی بعدم تطرق شائبة من الباطل إلیه:

اشارة

و هذا ضمان خاص یدحر عوامل السلب، بعد الضمان العام بالمحافظة الشاملة لإثبات کلام اللّه سبحانه و تعالی فی کتابه، و نفی (۱) انظر: المبحث الخامس من الفصل الرابع ص ۲۳۵.

(۲) انظر: روح المعانی ۱۴/ ۱۲، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۴۹

أن یتطرق إلیه غیره، فکان هذا الضمان تأکیدا ثانیا علی نفی عوامل السلب من أن تتطرق لکتاب اللّه عزّ و جل، کما قال سبحانه و تعالی وَ إِنَّهُ لَکِتابٌ عَزِیزٌ لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِیلٌ مِنْ حَکِیمٍ حَمِیدٍ "فصلت/ ۴۱- ۴۲، "و المراد استمرار النفی، لا نفی الاستمرار «۱».

و إثبات هذا النفی یعتمد علی إحدی مقدمتین:

إما أن یثبت للمدعو صدق الرسول صلی اللّه علیه و سلم فی دعوی الرسالة بغیر بینة القرآن الکریم، لیصدّق- بعد- فی هذا الضمان، و إما أن یثبت للمدعو کون القرآن بلفظه، أو بمعناه، أو بهما معا لیسا من بشر، بل من اللّه عزّ و جل من خلال بضع حدیث من القرآن یتلی، فیصدّق الرسول صلی اللّه علیه و سلم فی بقیة القرآن ...

و قد تحققت کلا المقدمتین «۲».

۳- بمعرفة طبیعة الوحی القرآنی:

إذ حقیقته کلام اللّه عزّ و جل الذی أنزل إلی الأرض لینذر به من حضر، و من بلغ، و هذا یقتضی الدیمومة و البقاء و الهیمنة ... و إذا کانت هذه ماهیته، فیستحیل طروء تغییر فیه من خارج مکان إنزاله، و لذا مورد فی سورة التکویر الربط بین نفی ما وجه إلی الرسول الأکرم صلی اللّه علیه و سلم و بین طبیعة الوحی إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ "التکویر/ ۲۷، "و کذلک فی سورة النجم حیث نفی طعن الطاعنین فی الوحی الذی یتلوه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بقوله سبحانه و تعالی ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی النجم/ ۲- ۳، "ثم بیّن طبیعة الوحی بقوله عزّ و جل إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی النجم/ ۴، "فدعوی التخیل فیه مضاد لطبیعته، و هذا التقریر یکون لمن یسلم بالوحی ابتداء، (۱) انظر: روح المعانی ۱۷/ ۲۷۱، مرجع سابق.

(۲) راجع مثلا: القاضی عیاض بن موسی الیحصبی: الشفا تعریف حقوق المصطفی، دار الکتب العلمیة، بیروت- لبنان، و غیرها من کتب السیرة أو الإعجاز القرآنی البیانی و العلمی و التشریعی ...

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۰

ثم یعتریه إرجاف المرجفین؛ إذ لو استجاب للشبهة لوصل إلی خلف من القول: بأن یسلم بالوحی القرآنی و یعرف طبیعته، ثم ینقضه بقبول المرجفات حوله.

و ما سبق کان حفظا للمنزل، و نفیا لأی دخل من خلال القرآن الملقی، فتصوره کاف فی نفی ما یظنه المتخرص رجما بالغیب، و ثمّ حفظ للنازل به، و المنزل علیه، و نفی لأی قدح فی صحة تلقی اللفظ القرآنی، و دقته من خلال ذلک، و هو ما یأتی:

۴- بتأکید الاتصال الحسی بین جبریل علیه السلام و النبی صلی اللّه علیه و سلم

و هو ما تراه فی قوله سبحانه و تعالی: ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی أَ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری النجم/ ۱۱- ۱۲."

فالکذب یطلق علی التخیل و التلبیس من الحواس، کما یقال: کذبته عینه «۱»، و هم ولجوا له من باب التخیل مجادلة أو جحودا، إذ قراءة فَتُمارُونَهُ «۲» من المراء و هی المجادلة، و قراءة تمرونه من مراه إذ جحده، کأنه قال: بعضکم یجادله، و بعضکم یجحده، کما هو

المعتاد فى توزيع الأدوار المخطط أو التلقائى فى عالم المعاندين.

فالأظهر أن قوله تعالى ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى النجم/ ۱۱، "تدور حول معنيين:

أحدهما: أن هذا رد لتكذيب من المشركين فيما بلغهم من الخبر عن رؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم الملك جبريل عليه السلام، و هو الذى يؤذن به قوله- بعد- أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى و ال فى قوله الْفُؤادُ عوض عن المضاف إليه، أى فؤاده، و عليه فيكون تفريع الاستفهام فى قوله أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى استفهاما إنكاريا لأنهم ما رووه. (۱) التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۹، مرجع سابق.

(۲) قرأ (تمارونه) بإثبات الألف أبو عمرو و ابن كثير و نافع و ابن عامر و أبو جعفر و عاصم من العشرة، و البقية بحذف الألف. انظر: طيبة النشر فى القراءات العشر، مرجع سابق، عند قول الناظم فى سورة النجم: (تمروا تماروا حبر عم نصنا).

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۱

و الآخر: أن يكون ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى تأكيدا لمضمون قوله فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى لرفع احتمال المجاز فى تشبيه العرب، أى هو قرب حسى، و ليس مجرد اتصال روحانى، فيكون الاستفهام فى قوله أَ فَتُمارُونَهُ مستعملا فى الفرض، و التقدير: أ فستكذبونه فيما يرى بعينيه، كما كذبتموه فيما بلغكم عن اللّه سبحانه و تعالى «۱».

و المعنى: رآه بعينه، و عرفه بقلبه، و لم يشك فى أن ما رآه حق «۲»، و يمكن للباحث أن يقول: إن قراءة التشديد كَذَّبَ تفيد يقينه مما رآه، و قراءة التخفيف كَذَبَ تفيد صدقه فيما نقل «۳» ... و فى ذلك تنويه بمدى الدقة، و طمأنينة بحقيقة الواقع المحكى ...

و تعدية الفعل بحرف الاستعلاء لتضمنه معنى الغلبة أى: هبكم غالبتموه على عبادتكم الآلهة، و على الإعراض عن سماع القرآن، و نحو ذلك، أ تغلبونه على ما رأى ببصره «۴»، فهذا المقطع يؤكد تلقى الرسول صلى اللّه عليه و سلم عن جبريل عليه السلام تلقى رؤية، و تمكن و دقة، لا رؤية قلب، و عين فحسب، و خص الفؤاد؛ لأن رؤية الفؤاد لا يتأتى معها تخيل، بخلاف رؤية (۱) انظر: التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: البحر المحيط ۸/ ۱۵۸، مرجع سابق، و قد قيل: إن المرئى هو اللّه عزّ و جل، و يكفيه ضعفا حديث عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- المتقدم لفظه فى المبحث الأول من الفصل الثالث ص ۷۷ و ما قبلها-، و الحديث فى صحيح مسلم ۱/ ۱۵۹، مرجع سابق.

لا جرم أن نقدم خبر عائشة على تأويل ابن عباس؛ فترجيحه ظاهر من حيث أنها سألت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، أما ابن عباس فظاهر كلامه أنه مجرد استنتاج، فتطرق الاحتمال إلى روايات غيرها لا إلى حديثها كما هو ظاهر، و انظر:

البحر ۸/ ۱۵۸، مرجع سابق، تفسير ابن كثير ۴/ ۲۱۰، مرجع سابق، و انظر: المبحث الأول فى الفصل الثالث.

(۳) قرأ بالتثقيل هشام عن ابن عامر، و أبو جعفر من العشرة، و بقية العشرة بالتخفيف ... انظر: (ابن الجزرى) محمد بن محمد بن محمد بن على ت ۸۳۳ ه: طيبة النشر فى القراءات العشر ص ۹۷، مرجع سابق، عند قول الناظم: (كذب الثقيل لى ثنا)

(۴) انظر: حاشية الصاوى ۴/ ۱۷۵، مرجع سابق، التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۹، مرجع سابق، و قيل: إن المراد أمر الإسراء و المعراج، و السياق و سبب السورة يبعدان ذلك، و تقدم نوع إشارة لذلك، انظر: المبحث الأول من الفصل الثالث ص ۷۲.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۲

العين التى قد تخدع خداع نظر «۱»، و قد تقدم مرارا «۲» أن رؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السلام و سماعه له حال إلقاء الوحى يكون متصلا بمركز السمع و البصر فى الفؤاد مباشرة.

۵- برؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السلام فى صورته التى خلقه اللّه عزّ و جل عليها عيانا

اشارة

كما قال سبحانه و تعالى:

وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ "التكوير/ ۲۳، "و قال: وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى النجم/ ۱۳: "أى إن كنتم تجحدون رؤيته صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السلام فى الأرض، فلقد رآه رؤية أعظم من حين يأتى إليه للوحى إذ رآه فى العالم العلوى ... و أكد ذلك بالقسم، فضمير الرفع فى رآه عائد إلى صاحبكم، و ضمير النصب عائد إلى جبريل عليه السلام، و أكد ذلك بقوله ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغى النجم/ ۱۷، "أى: رأى جبريل عليه السلام رؤية لا خطأ فيها، و لا زيادة على وصف، أى لا مبالغة فيها «۳».

و من حكم رؤية النبى صلى اللّه عليه و سلم لجبريل عليه السلام فى هيئته التى خلق عليها: أن يطمئنّ فى ذاته إلى ملائكية جبريل عليه السلام فرآه على هيئة الحقيقية مرتين، و أكد ذلك بالقسم؛ إذ اللام فى قوله وَ لَقَدْ موطّئة للقسم، أى: و باللّه لقد رآه «۴».

فالمرة الأولى: بالأفق المبين

قيل: بعد أمر غار حراء، حين رآه على كرسى بين السماء و الأرض له ستمائة جناح «۵»، و الأفق: الفضاء الذى يبدو للعين من الكرة الهوائية بين طرفى مطلع الشمس و مغربها من حيث يلوح ضوء الفجر و يبدو شفق الغروب، و هو يلوح كأنه قبة زرقاء، و المعنى: رآه بين السماء و الأرض، و قيل فى معنى الأفق غير ذلك «۶» ... و أيا كان فوصفه ب الْمُبِينِ أى الأفق الواضح البين، و المقصود: نعت الأفق الذى (۱) انظر: ظلال القرآن ۶/ ۳۴۰۵، مرجع سابق.

(۲) انظر- مثلا-: المبحث الأول من الفصل الثالث ص ۷۷.

(۳) انظر: التحرير و التنوير ۲۶/ ۱۰۰، مرجع سابق.

(۴) روح المعانى ۳/ ۱۰۶، مرجع سابق.

(۵) انظر: البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۶) انظر: التحرير و التنوير ۲۶/ ۱۰۰، مرجع سابق، و الغير المذكور ليس المراد منه المغايرة الكلية (التباين) بل من حيث الخصوص، أى اختلف فى تحديد مكان جهة الأفق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۳

تراءى فيه جبريل عليه السلام للنبى صلى اللّه عليه و سلم بأنه أفق واضح بين لا تشتبه فيه المرئيات، و لا يتخيل فيه الخيال، و جعلت تلك الصفة علامة على أن المرئى ملك، و ليس بخيال؛ لأن الأخيلة التى يتخيلها المجانين إنما يتخيلونها على الأرض تابعة لهم على ما تعودوه من وقت الصحة «۱»، و قد وصف النبى صلى اللّه عليه و سلم الملك الذى رآه عند نزول سورة المدثر بأنه على كرسى بين السماء و الأرض «۲»، و لهذا تكرر ذكر ظهور الملك بالأفق فى سورة النجم فى قوله سبحانه و تعالى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى (۵) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى (۶) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى إلى أن قال- أَ فَتُمارُونَهُ عَلى ما يَرى وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى ... الْمَأْوى النجم/ ۵- ۱۸."

و المرة الأخرى عند سدرة المنتهى «۳»

، و تكرار الرؤية للتأكيد؛ لئلا يكون للوهم سبيل إلى نفسه و سائر من بلغ من الخلق أجمعين، و قد كانت الأخرى فى مكان لا يشكّ فيه، و لا يزيغ البصر عنده، و لا يطغى.

۶- عصمته صلى اللّه عليه و سلم

من التقول على اللّه سبحانه و تعالى عمدا، أو خطأ، أو سهوا، و كل ذلك محال فى حقه صلى اللّه عليه و سلم، و قد اجتمعت الأمة على عصمته فيما طريقه البلاغ من الأقوال، و أنه معصوم عن الإخبار عن شىء منها بخلاف ما هو به لا قصدا، و لا عمدا، و لا سهوا، و لا غلطا «۴»، و لذا قال الحلبى- رحمه اللّه تعالى- فى سيرته ":علم و تقرر فى النفوس من عصمة الأنبياء من الشيطان، و اختص نبينا صلى اللّه عليه و سلم من بين سائر الأنبياء- عليهم الصلاة و السلام- بالختم «۵» فى المحل المذكور مبالغة فى حفظه من الشيطان، و قطع أطماعه «"۶». (۱) التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: البخارى ۱/ ۳، مرجع سابق.

(۳) راجع: البحر المحيط ۸/ ۴۳۵، مرجع سابق.

(۴) الشفا تعريف حقوق المصطفى ينظر ۲/ ۲۰ و ما بعدها، مرجع سابق.

(۵) يعنى الخاتم الذى كان بين كتفيه صلى اللّه عليه و سلم المعروف بخاتم النبوة.

(۶) (الحلبى) على بن برهان الدين ت ۱۰۴۴ ه: السيرة الحلبية فى سيرة الأمين المأمون ۱/ ۱۶۱، دار المعرفة- بيروت ۱۴۰۰ ه، و قد ألف فى عصمة الأنبياء: الإمام شمس الأئمة الكردرى الحنفى المتوفى سنة ۶۴۲ ه، ببخارى

و لا يعنى ذلك نفى سهوه، أو نسيانه مطلقا، بل يحدث ذلك منه لمكان الاقتداء بما يترتب على سهوه، أو نسيانه، لكنّ المنفى بقاء ذلك بما لا تحكم معه كلمات اللّه سبحانه و تعالى، و ذا شبيه بما كان يصدر منه صلى اللّه عليه و سلم من السهو فى الصلاة، فكذلك سهوه فى قراءة القرآن بعد الإبلاغ، و مكان التفصيل فى ذلك بعد قليل- إن شاء اللّه تعالى- «۱».

۷- تدخل القدرة الإلهية

مباشرة عند حصول تقول من النبى صلى اللّه عليه و سلم سهوا، أو عمدا مع عدم من يستطيع إثبات ذلك التقول، و هذا تنزلا و إلا فهو غير واقع، و لا- متوقع، و دليله قوله سبحانه و تعالى أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلى قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْباطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِماتِهِ " ...الشورى/ ۲۴. "و قد شمل قوله عزّ و جل وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ (۴۶) فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ "الحاقة/ ۴۴- ۴۷، "حالة التقول عمدا، أو سهوا، و هو ما عبر عنه الشيخ إبراهيم الكورانى- رحمه اللّه تعالى- بقوله ":السلطان المنفى عن العباد المخلصين، هو الإغواء أعنى التلبيس المخل بأمر الدين، و هو الذى الإجماع على أن النبى صلى اللّه عليه و سلم معصوم منه."

۸- استحالة تغيير هيئة من هيئات أدائه صلى اللّه عليه و سلم

فضلا عن حرف من حروفه؛ لقوله سبحانه و تعالى وَ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِي "يونس/ ۱۵، "و للأمر الإلهى المقترن بالوعد فى قوله سبحانه و تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۷، "كما تقدم «۲». كتاب ":تأسيس القواعد، "قال حاجى خليفة ":و هو كتاب عصمة الأنبياء "انظر: كشف الظنون لحاجى خليفة ۱/ ۳۳۳، مرجع سابق، و فى ۲/ ۱۱۴۱ ":عصمة الأنبياء "لفخر الدين الرازى، و "عصمة الأنبياء و تحفة الاصفياء "للشيخ أحمد بن الشيخ مصلح الدين الشهير بالمركز و ابن السيف الكرمياني مبوبة على أبواب ثلاثة، و مفصلة على ستين فصلا، كل باب يحتوى عشرة فصول.

(۱) انظر: المبحث الثانى من هذا الفصل ص ۲۷۵.

(۲) انظر: المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۵

۹- بحراسة الرسول صلى اللّه عليه و سلم من أن يأتيه عدو غيبى يناله بسوء فى نفسه أو وحيه:

هذه الحراسة تثبّت قلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و تزيد المؤمنين إيمانا، و تدحر تخرصات المشركين، و ذلك كما قال سبحانه و تعالى: عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً (۲۶) إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (۲۷) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً "الجن/ ۲۶- ۲۸."

فقوله سبحانه و تعالى: فَإِنَّهُ عائد إلى اللّه عزّ و جل، يَسْلُكُ و هو لا محالة عائد إلى اللّه عزّ و جل، كما عاد إليه ضمير فَإِنَّهُ، و الثالث و الرابع ضميرا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ و هما عائدان إلى رَسُولٍ، أى فإن اللّه يسلك، أى يرسل للرسول رَصَداً من بين يدى الرسول و من خلفه، أى ملائكة يحفظون الرسول صلى اللّه عليه و سلم من إلقاء الشياطين إليه ما يخلط عليه ما أطلعه اللّه عزّ و جل عليه من غيوبه، و المراد ب مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ الكناية عن جميع الجهات، و المراد من تلك الكناية السلامة من التغيير و التحريف.

و الرصد: اسم جمع، و نصب على أنه مفعول به للفعل يَسْلُكُ، و يتعلق لِيَعْلَمَ بقوله يَسْلُكُ أى يفعل اللّه سبحانه و تعالى ذلك ليبلغ الغيب إلى الرسول، كما أرسل إليه لا يخالطه شيء مما يلبس عليه الوحى، و يعلم اللّه سبحانه و تعالى أن الرسل أبلغوا ما أوحى إليهم، كما بعثه دون تغيير.

و فهم من قوله أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ أن الغيب المتحدث عنه هو الغيب المتعلق بالشريعة و أصولها من البعث و الجزاء، و رأس ذلك الوحى القرآنى، و قوله عزّ و جل وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً الواو واو الحال فالجملة حالية، أو أن الجملة اعتراضية، لأن مضمونها تذييل لجملة أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ أى أحاط بجميع ما لدى الرسل من تبليغ و غيره، و أحاط بكل شيء مما عدا ذلك، فقوله عزّ و جل وَ أَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ تعميم بعد تخصيص ما قبله بعلمه، و تبليغهم ما أرسل إليهم، و قوله

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۶

وَ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً تعميم أشمل بعد تعميم. و عبّر عن العلم بالإحصاء على طريقة الاستعارة تنبيها بعلم الأشياء بمعرفة الأعداد، و ذلك دال على دقة و شمول العلم الإلهى «۱».

و هذا الحفظ يشمل الرسول الملكى، و الرسول البشرى لعموم مِنْ رَسُولٍ، و الضمير فى لِيَعْلَمَ صالح لمعنى آخر: هو العودة على الرسل، أى ليعلم الرسل، و المراد هنا زيادة اطمئنانهم بأن ما أمروا بتبليغه هو ذاته ما بلّغوه لم يستطع أحد أن يزيد فيه أو ينقص للحراسة الغيبية من العالم الغيبى المعادى، كما يصلح الضمير لمعنى ثالث هو العودة على المشركين، و التقدير: ليعلم أهل الشرك أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم ... «۲».

۱۰- (و هو كلية لما قبله) بتفصيل صفات الرسول

الذى يحمله، و الرسول الذى يبلّغه و التأكيد عليها: إذ يلزم عنها لذاتها نفى تسرب الخلل و هما، أو تخيلا نقصا أو زيادة، و قد تقدمت مؤهلات المعلم التى يلزم عنها لذاتها نفى كل ريب، و دحر كل وسواس «۳»، كما تقدمت التهيئة الخاصة بالرسول صلى اللّه عليه و سلم «۴».

۱۱- (و هو كلية لما قبله أيضا) إكمال الدين

فقد قال عزّ و جل الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ "المائدة/ ۳، "و هو كاف فى منع الزيادة أو النقصان فى اللفظ، و من ثم فلا مجال لزيادة آية أو نقصانها فى القرآن إلا ما جاء من قائل هذه الآية، أى من اللّه سبحانه و تعالى مما نزل بعد تلك الآية، و التعبير بالإكمال للدين دون لإتمام فيه مزيد مزية لأنه يعنى الإكمال المطلق، أما التمام فهو التمام الإضافى النسبى. (۱) انظر: التحرير و التنوير ۲۹/ ۱۵۴، مرجع سابق.

(۲) انظر: تفسير ابن كثير ۴/ ۳۶۷، مرجع سابق.

(۳) انظر: الفصل الأول من هذه الدراسة ص ۱۴.

(۴) انظر: المبحث الأول من الفصل الثانى من هذه الدراسة ص ۵۰.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۷

۱۲- إجمال لنفى جميع العوامل:

بأن يقال: الخلل المقدوح به فى تلقى اللفظ القرآنى:

إما أن يكون تخيلا دائما، أو طارئا، فالأول و هو التخيل الدائم باطل برؤية المشركين و شهادتهم؛ إذ لم ير المشركون له ندا فى عقله أ فيتهمونه بعد إذ بلغ أشده، و بلغ أربعين سنة؟ «۱».

و الثانى و هو التخيل الطارئ: إما أن يكون غير متعمد، و إما إن يكون متعمدا، فالأول و هو الطارئ غير المتعمد فليس إلا الجنون، أو الضلال فى التفكير، فأما الجنون فهو ما قالوه مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ "الدخان/ ۱۴، "نفاه اللّه سبحانه و تعالى عنه فى سورة التكوير، و يأتى ذكره بأكثر من هذا بعد قليل «۲»، و أما الضلال فى التفكير فنفاه عنه فى سورة النجم؛ إذ قال:

ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ، و بينهما تقارب؛ لأن المجنون لا يهتدى إلى وسائل الصواب، و هو معنى ضَلَّ، و الثانى و هو الطارئ المتعمد: فإما أن يكون الشعر؛ كما قالوا أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ "الطور/ ۳۰، "و إما أن يكون السحر؛ كما قالوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ "المدثر/ ۲۴، "و إما أن يكون الكذب؛ كما قالوا إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ "ص/ ۷، "و كلها زعمه المشركون المبطلون فى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فنفاها اللّه سبحانه و تعالى صراحة على وجه الخصوص فى غير ما موضع كما قال عزّ و جل إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (۴۰) وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ (۴۱) وَ لا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ "الحاقة/ ۴۰- ۴۲، "و على (۱) و فى ذلك قال النضر بن الحارث- و هو من ألد المشركين عداوة للنبى صلى اللّه عليه و سلم "-:يا معشر قريش! قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاما حدثا: أرضاكم فيكم، و أصدقكم حديثا، و أعظمكم أمانة ... حتى إذا رأيتم فى صدغيه الشيب، و جاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر! لا و اللّه ما هو بساحر، و قلتم كاهن! لا و اللّه ما هو بكاهن! و قلتم شاعر! لا و اللّه ما هو بكاهن، و قلتم مجنون! لا و اللّه ما بمجنون ... يا معشر قريش! فانظروا فى شأنكم، فإنه قد نزل بكم أمر عظيم. "انظر: أنساب الأشراف للبلاذرى ۱/ ۱۳۹.

(۲) انظر ص ۲۶۰ من هذه الدراسة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۸

وجه العموم بإرجاعها إلى أصلها؛ إذ السحر و الكذب ضلال و غواية فنفاه فى سورة النجم، و الشعر المتعارف بينهم غواية كما قال عزّ و جل وَ الشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغاوُونَ "الشعراء/ ۲۲۴ "أى يحبذون أقوالهم لأنها غواية «۱» ... فقد نفى عموما و خصوصا، و شرد بهم آراءهم، و قذف الشياطين فى عقولهم.

ثم دحض أساس المتعمد بأنواعه بالتزكية له و لما ينطق به، فقال: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى النجم/ ۳؛ "فإن المراد استمرار نفى النطق لا نفى استمرار النطق «۲»، و هنا نأخذ صراحة التوقيف فى القراءة؛ فقد قال قتادة- رحمه اللّه تعالى- فى معناها ":أى ما ينطق بالقراءة عن

هواه «"۳».

و الهوی میل النفس إلی ما تحبه أو تحب أن تفعله دون أن تقتضیه العقل السلیم ...

و نفی النطق عن هوی یقتضی نفی جنس ما ینطق به عن الاتصاف بالصدور عن هوی سواء کان القرآن أو غیره، و لکن القرآن هو المقصود لأنه سبب هذا الرد علیهم «۴».

المطلب الثانی: دفع تهمة التخیل فی تلقی ألفاظ القرآن من حیث تفصیل العوامل المتهمة بإحداث التخیل: و هی أربعة عوامل:

أولا: دفع تهمة التخیل بسبب الضلالیة التفکیریة:

اشارة

إذ ربما قال قائل: إن اعتکافه و تحنثه صلی اللّه علیه و سلم، ثم اعتزاله لعوائد قریش قد أوصله إلی خطوط ضالة فی التفکیر، و إن قصد الخیر ورام الحسن، فیبدأ بکلام حسن لینتهی بعده إلی (۱) انظر: التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۳، مرجع سابق.

(۲) انظر: تفسیر أبی السعود ۵/ ۲۱۸، مرجع سابق.

(۳) انظر: الشوکانی ۵/ ۱۳۰، مرجع سابق.

(۴) التحریر و التنویر ۲۶/ ۹۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۵۹

ما لا یرتضی، أو ربما سولت له عزلته طرقا غویا یحسّن ابتداءه بما یقول من بدیع الکلم، ثم یستبین عوج سیره بعوج قصده ... لذا کان القسم فی سورة النجم کالاستئناف البیانی بعد أن ذکر فی سورة الطور اتهامهم إیاه بما تصوره کاف فی إبطاله، فکأن بعض القلوب قد مالت إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم ثم اعتراها التفکیر المسطّر قبل قلیل، فکان الجواب علی وسوستها:

۱- ما ضَلَّ صاحِبُکُمْ وَ ما غَوی

فالضلالة عدم الاهتداء إلی الطریق الموصل إلی المقصود، و هو مجاز فی سلوک ما ینافی الحق، و الغوایة: فساد الرأی و تعلقه بالباطل «۱»، و فی تفسیر الجلالین ":الغوی جهل عن اعتقاد فاسد «"۲».

۲- ببیان طبیعة الوحی:

کما فی سورة التکویر و سورة النجم، ففی سورة التکویر بیّن طبیعة الوحی ببیان غایته، فقال: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِکْرٌ لِلْعالَمِینَ "التکویر/ ۲۷، "و فی سورة النجم بین طبیعته من حیث أن الذکر الحق مطلقا الذی لا شائبة ضلال فیه، و لا غوایة تعتریه لا یکون إلا عن وحی إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی النجم/ ۴، "و هو استئناف بیانی لجملة وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی النجم/ ۳؛ "کأنه قیل بعد نفی الضلال، و الغوایة، و نفی النطق عن الهوی: فما هو الإثبات؟ ما ذا هو کائن إن لم یکن مفتری، أو سحرا، أو اختلاقا، أو أساطیر الأولین ...؟ فقال: إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی فالضمیر فی هُوَ عائد إلی المنطوق به المأخوذ من فعل ینطق کما فی قوله عزّ و جل اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوی أی العدل المأخوذ من فعل اعْدِلُوا «۳»، و وضح الشوکانی- رحمه اللّه تعالی- ذلک بقوله:

"يُوحى صفة ل- وَحْيٌ تفيد الاستمرار التجددى، و تفيد نفى المجاز، أى هو وحى حقيقة لا مجرد التسمية «"۴». (۱) انظر: التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۲، مرجع سابق.

(۲) تفسير الجلالين، و بهامشه حاشية الصاوى ۴/ ۱۷۵، مرجع سابق، و قال الشنقيطى ۷/ ۷۰۱ ":الضلال يقع من الجهل بالحق، و الغى هو العدول عن الحق مع معرفته، أى ما جهل من الحق، و ما عدل عنه، بل هو عالم متبع له."

(۳) كما فى التحرير و التنوير ۲۶/ ۹۴، مرجع سابق.

(۴) انظر: الشوكانى ۵/ ۱۳۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۰

و قد حدث نوع تكرار هاهنا لما سبق فى رقم (۳) من المطلب الأول، فإنما ارتكب ذلك للأهمية ... على أن المكرر هو فحوى الفكرة، لا تفصيلها.

ثانيا: دفع تهمة التخيل بتأثير الجنون:

شهادة الخصم للرسول صلى اللّه عليه و سلم كافية لدحض هذه التهمة: حيث قال عزّ و جل نافيا لهذه التهمة وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ" التكوير/ ۲۲: "ففى التعرض لعنوان الصحبة مضافة إلى ضميرهم تكذيب لهم بألطف وجه؛ إذ هو إيماء إلى أنه صلى اللّه عليه و سلم نشأ بين أظهرهم من ابتداء أمره إلى الآن، فأنتم أعرف به، و بأنه صلى اللّه عليه و سلم أتم الخلق عقلا، و أرجحهم قيلا، و أكملهم وصفا، و أصفاهم ذهنا، فلا يسند إليه الجنون إلا من ركّب من الحمق و الجنون، و بهذا أبطل قولهم إبطالا مؤكدا و مؤيدا، فتأكيده بالقسم و زيادة الباء بعد النفى، و تأييده بما أومأ اللّه سبحانه و تعالى إليه، و وصفه بأنّ الذى بلّغه صاحبهم صلى اللّه عليه و سلم، و الصاحب حقيقته ذو الصحبة، و هى الملازمة فى أحوال التجمع و الانفراد للمؤانسة، و الموافقة، و منه قيل للزوج: صاحبة، و للمسافر مع غيره: صاحب ... و قد يتوسعون فى إطلاقه على المخالط فى أحوال كثيرة، و لو فى الشر «۱»، و لما سبق عدل عن اسم العلم إلى وصفه صلى اللّه عليه و سلم ب صاحِبُكُمْ، و قد تقرر هذا أيضا فى مقام إثبات طبيعة القرآن المجيد، و أنه منزل من عند اللّه عزّ و جل فى سورة النجم، حيث قال تعالى عنه ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى النجم/ ۲."

ثم نفى أن تكون وسوسة ذاتية لأن الخلل إما من الرسول الذى حمله، أو الذى تلقاه، أو من أمر خارجى قذفه غيرهما بينهما، و هو الشيطان لا- غير، أو من تخيلات ذاتية طرأت على التلقى من البشر، فنفى كل ذلك، و فى قوله وَ ما صاحِبُكُمْ ... و المعنى: ليس (۱) انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۰۵، و نحوه عند أبى السعود ۵/ ۴۸۹، و الشوكانى ۵/ ۴۸۱، و التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۷، مراجع سابقة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۱

القرآن من وساوس المجانين، فسلامة مبلّغه من الجنون تقتضى سلامة قوله عن أن يكون وسوسة «۱».

و دفعت هذه التهمة ببيان طبيعة الوحى؛ كما قال سبحانه و تعالى عنهم مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ "الدخان/ ۱۴، "فأجاب عزّ و جل فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ "الطور/ ۳۴، "فالمجانين يمكن تقليد كلامهم حتى على الصبيان.

ثالثا: دفع تهمة التخيل بتأثير الجن:

و أصل هذه الشبهة فى عقول أصحابها: عائد إلى أمرين:

۱- أن الجن عالم غيبى كالملائكة

فيحتمل عندهم أن يكون ملك الوحى من الجن لا من الملائكة لاستواء الاحتمالين؛ إذ هما غيب بالنسبة للبشر، و لذا أورد ابن الأثير- رحمه اللّه تعالى- رواية لحديث بدء الوحى، قالت فيها خديجة- رضى اللّه عنها: (أخاف أن يكون عرض له: أى عرض له الجنّ، أو أصابه منهم مسّ) «۲».

۲- تشبيه حالة الوحى الشديدة بحالة الكهان

قال ابن خلدون- رحمه اللّه تعالى-:

"و لأجل هذه الغاية فى تنزّل الوحى كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون، و يقولون له رئى أو تابع من الجن، و إنما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الأحوال، و من يضلل فما له من هاد «"۳»، و لذا فبعد وصف القرآن الكريم للرسول الملقى، و الرسول الملقى عليه القرآن بصفاتهما اللائقة التى تزيل وطأة الشبهة المستحكمة لكل ذى عقل- نفى طروء تدخل خارجى يضيّع على الملك عليه السلام تأدية أمانته، و على الرسول صلى اللّه عليه و سلم تبليغ وحى ربه، و لا يكون ذلك فى الإنس لأنهم أضعف من أن يحصل منهم التدخل؛ إذ حوكموا إلى قوانينهم (۱) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۱۵۷، مرجع سابق.

(۲) النهاية فى غريب الحديث ۳/ ۲۱۱، و لم يعثر الباحث على مخرج الحديث بهذا اللفظ بعد لأى.

(۳) مقدمة ابن خلدون ص ۹۲، مرجع سابق.

و مواضعاتهم فعجزوا، و ذاك إذعان للقرآن الكريم «۱»، فالتدخل الخارجى لا يكون إلا من الجن.

و دفع هذا العامل يكون بما سبق، بالإضافة إلى الآتى:

۱- التأكيد على صدق الرؤية و الاتصال الحسى بين النبى صلى اللّه عليه و سلم و معلمه الملائكى جبريل عليه السلام:

و قد تمثل هذا التأكيد فى عدة مظاهر تثبيتا لقلب النبى صلى اللّه عليه و سلم، و درءا لتكذيب المكذبين، و وسوسة المتخرصين، و هذه المظاهر تجمل فى الآتى:

أ- ببيان مكانة جبريل عليه السلام عند اللّه سبحانه و تعالى، و استعداده الفطرى و الفعلى لأداء رسالة الوحى، و قد مضى تفصيل ذلك «۲».

ب- النفى المؤكد المتكرر لأن يكون الوحى القرآنى كلام شيطان، ذلك بأن تدخل العالم الغيبى المقابل للملائكة- و هو الشياطين- آت من كونهم عالما غيبيا، و لأنهم كذلك فطريق علمهم مصدر العلم الغيبى لا ريب- و هو النقل- حيث قال سبحانه و تعالى: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ "التكوير/ ۲۵، "و قال فى الشعراء: وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ (۲۱۰) وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ "الشعراء/ ۲۱۰- ۲۱۱."

و كما فى قوله عزّ و جل: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ " ...الحج/ ۵۲- ۵۴، "و لتؤخذ هذه الآيات فى سورة الحج نموذجا لبيان عناصر هذا النفى، المزيل للشبهة المثبت لفؤاد المبلغ، و من ثمّ لفؤاد أتباعه و طالبى الحق من بعده، و ذلك بعد إكمال بقية بنود الدفع لهذه الشبهة حتى لا تنفصم عرى الأفكار المتسلسلة.

۲- بقوله تعالى: وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ (۲۱۰) وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ (۲۱۱) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ "الشعراء/ ۲۱۰- ۲۱۱:"

و فيها منعهم منعا (۱) و لما نسبوا شبهتهم إلى وضع البشر، أتوا بما أضحك عليهم الصبيان وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ

لِسانُ الَّذِی یُلْحِدُونَ إِلَیْهِ أَعْجَمِیٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ "النحل/ ۱۰۳."

(۲) انظر: الفصل الأول ص ۱۴، فهو معقود لذلك.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۳

جازما من قربان الإلقاء فى القرآن، و نحو قوله عزّ و جل: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شَیْطانٍ رَجِیمٍ "التكوير/ ۲۵ "أى: إنما هو ملك لا مثل الذى يتراءى للكهان «۱».

۳- قوله صلى اللّه عليه و سلم: (من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل فى صورتى) «۲»،

و ليس منع الشيطان أن يأتى بصورة النبى صلى اللّه عليه و سلم إلا لمكان خصوصية كونه مصدر نقل الوحى من بين البشر، فمصدر نقل الوحى السماوى أولى بالمنع، و لذا قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى-:

"و إذا لم يتمثل مناما؛ فلأن لا يتمثل يقظة من باب أولى، و علله الشراح بلزوم اشتباه الحق بالباطل «"۳».

۴- ما قاله القاضى عياض- رحمه اللّه تعالى-:

لا يصح أن يتصور الشيطان بصورة الملك و يلبس عليه، و اعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبى صلى اللّه عليه و سلم من الشيطان و كفايته منه «" ...۴»، و قيده الشيخ إبراهيم الكورانى- رحمه اللّه تعالى-: بأن لا يلبس عليه تلبيسا قادحا «۵»، و لم يقع استقراء، و قال ابن العربى ":تصور الشيطان فى صورة الملك ملبسا على النبى صلى اللّه عليه و سلم كتصوره فى صورة النبى ملبسا على الخلق «"۶»، و قيده الكورانى بما قيد به كلام القاضى عياض، و لا يظهر لتقييد الكورانى وجه نظر؛ إذ من البدهى إن كان الشيطان لا يستطيع التصور بصورة النبى صلى اللّه عليه و سلم ألا يستطيع التصور بصورة من هو أعلى منه من حيث (۱) انظر: البحر المحيط ۸/ ۴۳۰، مرجع سابق.

(۲) صحيح البخارى ۱/ ۵۲، مرجع سابق.

(۳) روح المعانى ۱۷ / ۲۷۴، مرجع سابق، و هو بحث طويل الذيل محله أصول الفقه، و منه قرر العلماء أن الإلهام ليس مصدرا للأحكام عند غير النبى صلى اللّه عليه و سلم، راجع نهاية السول ۴/ ۴۵۷، مرجع سابق، قسم الأدلة المختلف فيها، و كذلك: نثر الورود ۲/ ۲۲۵، مرجع سابق.

(۴) الشفا ۲/ ۱۱۷، مرجع سابق.

(۵) روح المعانى ۱۷/ ۲۶۵، مرجع سابق، و أراد أن غير القادح مثله كالنسيان الطارئ كما سيأتى تقريره- إن شاء اللّه- فى المبحث الثانى من هذا الفصل ص ۲۷۵.

(۶) (ابن العربى) أبو بكر محمد بن عبد اللّه: أحكام القرآن ۳/ ۱۲۹۹، تحقيق: على محمد البحاوى- دار الجيل- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۴

مكان تلقى الوحى لا من حيث الأفضلية «۱»، و لذا لا يتصور أن يأتى الشيطان بصورة ملك؛ إذ لا تعرف حقيقة صورة الملك، فضلا عن رب العزة جلّ جلاله «۲».

فإن اعترض بأنه: قد عرف النبى صلى اللّه عليه و سلم الهيئة الحقيقية لجبريل عليه السلام، فلا يمتنع مجىء الشيطان بها، فالجواب: يمتنع مجيئه من باب القياس الأولوى على النبى صلى اللّه عليه و سلم كما سبق.

۵- و مما يدفع به توهم الإلقاء الشيطانى فى لفظ القرآن الكريم: فردانية الملك الموكل بالوحى، و هو جبريل عليه السلام

اشارة

فليس ثم ملك آخر يأتى إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم إلا عبره. و قد تقدم هذا «۳».

و من أعظم مقتضياته المنهجية:

أمن أن يأتى الشيطان متقمصا شخصية الملك، و يزعم أنه ملك ... فيصدق لعدم اطلاع النبى صلى اللّه عليه و سلم على كامل العالمين الغيبين الآخرين، و لذا فالصحيح الذى لا لبس فيه أنه لم يقترن به ملك آخر غير جبريل عليه السلام كما مضى «۴». (۱) فلا يرد على الكلام هنا بحث مسألة تفضيل الملائكة و البشر، و انظرها فى: شرح العقيدة الطحاوية ص ۳۰۱، مرجع سابق.

(۲) و يكثر فى أحاديث القصّاص المتأخرين عن القرون الفاضلة ذكر لرؤية اللّه جلّ جلاله ... و ليس القصّاص مصدرا من مصادر المعرفة فى هذا الباب، و انظر كلام الكورانى بإسهاب فى: روح المعانى ۱۷/ ۲۶۹، مرجع سابق.

(۳) راجع: المبحث الرابع من الفصل الأول ص ۴۰.

(۴) و تذكر بعض الأخبار أنه قد قرن به ملك آخر غير جبريل عليه السلام، ففى الطبقات الكبرى ۱۹۰/ ۱، مرجع سابق، عن عامر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أنزلت عليه النبوة، و هو ابن أربعين سنة، و كان معه إسرافيل ثلاث سنين، ثم عزل عنه إسرافيل، و قرن به جبريل عشر سنين بمكة، و عشر سنين مهاجره بالمدينة، فقبض رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و هو ابن ثلاث و ستين سنة. قال محمد بن سعد- رحمه اللّه تعالى "-:فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر- يعنى الواقدى-، فقال: ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن إسرافيل قرن بالنبى صلى اللّه عليه و سلم و إن علماءهم، و أهل السيرة منهم يقولون: لم يقرن به غير جبريل عليه السلام من حين أنزل عليه الوحى إلى أن قبض صلى اللّه عليه و سلم."

و يكفى فى الدلالة على بطلانها: قصة عبد اللّه بن سلام رضى اللّه عنه حين سأل اليهود رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم عن صاحبه من الملائكة، فأخبره أنه جبريل عليه السلام، و لو كان ثم متسع لذكر غيره لذكره لنفرة يهود من جبريل عليه السلام، و لا يعنى هذا أن تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۵

فإن اعترض بما أورده ابن الأثير- رحمه اللّه تعالى- فى النهاية؛ إذ قال "-:و فيه- أى فى الحديث- (يأتينى أنحاء من الملائكة) أى ضروب منهم، واحدهم نحو يعنى أن الملائكة كانوا يزورونه سوى جبريل عليه السلام «"۱»، فهذا يدل على تعدد الملائكة الذين يأتون النبى صلى اللّه عليه و سلم.

فالجواب: هذا الحديث رواه ابن خزيمة من حديث أبى سعيد رضى اللّه عنه و فيه ... "-:وقعنا فى تلك البقلة الثوم، فأكلنا أكلا شديدا- قال- و ناس جياع، ثم قمنا إلى المسجد، فوجد رسول اللّه الريح، فقال: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنا فى مسجدنا) فقال الناس:

حرمت حرمت. فبلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: (يا أيها الناس إنه ليس لى تحريم ما أحل اللّه، و لكنها شجرة أكره ريحها، و إنه يأتينى أنحاء من الملائكة فأكره أن يشموا ريحها) «۲»، فالشأن أولا فى صحته، و قد سكت عليه ابن حجر فى التلخيص الحبير مع أن أورده عرضا لا غرضا، و ثانيا: لا مراء فى أنه كان يأتيه غير جبريل عليه السلام لكن مدار النزاع فى أنه كان يأتيه من يأتيه من الملائكة دون واسطة جبريل عليه السلام فمن زعم ذلك فليبرز الدليل، فإنه قاطع للتأويل، و تقدم ما يشير لتعريف جبريل عليه السلام النبى صلى اللّه عليه و سلم بالملائكة الذين يأتونه «۳»، كقوله (فنزل منه ملك لم ينزل ...)، و قوله (و أنا جبريل، و هذا ميكائيل) «۴» ... و سرّ هذا الامتناع عن مجىء الملائكة دون تعريف جبريل عليه السلام بهم: أن الملائكة عالم غيبى كذلك الشياطين، و قد جعل اللّه عزّ و جل لكل قدرة على التصور و التشكل، و ما قامت الدلائل على ملائكية غير جبريل عليه السلام عند رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم إذ استقر فى قلبه العلم اليقينى على ملكيته بعد أن لم يكن كذلك أول لقاء، فصار وسيطه إلى العالم الغيبى حتى

لا- يختلط عليه الملك بالشيطان. لا زائر له من الملائكة سوى جبريل عليه السلام، بل تأتيه الملائكة لكن وسيطه فى التعرف عليهم جبريل عليه السلام كما تقدم فى الفصل الأول من هذه الدراسة ص ۴۳، و نفى الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- فى روح المعانى ۱۹/ ۲۶۳، مرجع سابق صدق اقتران إسرافيل عليه السلام فى روح المعانى، فقال ":و ذلك لم يثبت أصلا."

(۱) النهاية فى غريب الأثر ۵/ ۳۰، مرجع سابق.

(۲) رواه ابن خزيمة ۲/ ۳۴۵، مرجع سابق.

(۳) راجع: الفصل الأول من هذه الدراسة خصوصا ص ۴۳.

(۴) صحيح البخارى ۱/ ۴۶۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۶

فرع: تحليل آيات سورة الحج:

اشارة

و هى قوله جل جلاله وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آياتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۵۲) لِيَجْعَلَ ما يُلْقِي الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ (۵۳) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ "الحج/ ۵۲- ۵۴."

تتجلى العناصر التى تؤخذ من هذه الآيات ردا لشبهة قذف الجن بما يلى:

أ- سننية هذه الشبهة فى الأمم:

فهى سنة ماضية من سنن اللّه عزّ و جل فيمن خلا- و من تلا، و ذلك أنه لم يسلم نبى من الأنبياء، و لا رسول من الرسل من محاولة قذف الشيطان فى سعيه الحثيث لأسلمة الأمة لرب العالمين، فهى شنشنة الأمم الظالمة، و عادة فعل الشيطان، و ذا معنى قوله عزّ و جل وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، فقوله نَبِيٍّ، رَسُولٍ نكرة فى سياق النفى فأفادت العموم، ثم أكّد عمومها ثانيا بحرف الجر الزائد، ف (من) مزيدة لاستغراق الجنس، فصارت نصا مؤكّدا للعموم، ثم أكّد ذلك ثالثا من حيث شمول ذلك لأصناف المكلفين من اللّه جلّ جلاله بإصلاح أمور قومهم سواء كانوا أنبياء أو رسل «۱»، ثم أكّد ذلك رابعا من القصر المستفاد من النفى و الاستثناء، فهو قصر موصوف على صفة، و هو قصر إضافى، أى دون أن نرسل أحدا منهم فى حال الخلو من إلقاء الشيطان و مكره «۲»، و الآية مسوقة لتسلية النبى صلى اللّه عليه و سلم بأن السعى فى إبطال الآيات أمر معهود، و أنه لسعى مردود «۳».

(۱) اختلف فى الفرق بين النبى و الرسول على أقوال: من أظهرها أن الرسول من جاء بشريعة جديدة ناسخة، و النبى من جاء مجددا للشريعة السابقة. راجع: التحرير و التنوير ۱۷/ ۲۹۶، روح المعانى ۱۷/ ۲۵۶، تفسير أبى السعود ۴/ ۳۵ فتح القدير ۳/ ۵۷۷ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ۳/ ۳۶۵، مراجع سابقة.

(۲) التحرير و التنوير ۱۷/ ۲۹۹، مرجع سابق.

(۳) انظر: التحرير و التنوير ۱۷/ ۲۹۹، مرجع سابق، و روح المعانى ۱۷/ ۲۵۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۷

و يرى المتأمل فى الآية أن هذا التتابع للمؤكدات من أعظم وسائل ترسيخ اليقين بكلام رب العالمين؛ إذ يقع فى فؤاد المتحمس

استلزام أن تنقطع أفئدة المعاندين عن إظهار العناد على الأقل فى كلام اللّه سبحانه و تعالى، إما لضرورة غيرة اللّه سبحانه و تعالى على كلامه، أو لضئلة مكرهم بالغا ما بلغ إزاء جبروت اللّه عزّ و جل ... فتتالت المؤكدات إمعانا فى ترسيخ سنن اللّه جلّ جلاله الخاصة بهذه الدار التى لا تزن عند اللّه سبحانه و تعالى جناح بعوضة «۱».

ب- الوصف الدقيق لهيئة إفساد الشيطان عقول القوم و قلوبهم عند ما يريد الأنبياء إصلاحهم:

إذ إن إصلاح الناس أمر عزيز عسير المنال فسماه اللّه عزّ و جل أمنية «۲»، ثم إن الأنبياء عند ممارسته يضادهم الشيطان فى سعيه الحثيث لإعدام الخير، أو الحيلولة بينه و بين الناس يلقى وسوسة فى نفوس الناس تفسد محاولة الإصلاح، و رشح استعارة الإلقاء- و يكون للأمر المحسوس- للأمر غير المشاهد شدّة فعله، و قوة تأثيره حتى كأنه أمر محسوس، و تقدير الآية: أدخل الشيطان فى نفوس الأقوام ضلالات تفسد ما قاله الأنبياء من الإرشاد، و معنى إلقاء الشيطان فى أمنية النبى و الرسول: إلقاء ما يضادها، كمن يمكر فيلقى السم فى الدسم، فإلقاء الشيطان بوسوسته: أن يأمر الناس بالتكذيب و العصيان، و يلقى فى قلوب أئمة الكفر مطاعن يبثونها فى قومهم، و يروج الشبهات بإلقاء الشكوك التى تصرف نظر العقل عن تذكر البرهان، و ذلك هو الصبر على الآلهة المذكور فى قوله جلّ جلاله وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ "ص/ ۶، "و قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:إذا قرأ شيئا من الآيات ألقى الشيطان الشبه و التخيلات فيما يقرؤه النبى صلى اللّه عليه و سلم على أوليائه ليجادلوه بالباطل، و يردوا ما جاء به كما قال سبحانه و تعالى ... وَ إِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ "...الأنعام/ ۱۲۱، "وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ..

"الأنعام/ ۱۱۲ «"۳»». (۱) إشارة إلى الحديث المشهور، أخرجه: البخارى ۴/ ۱۷۵۹، مرجع سابق، و مسلم ۴/ ۲۱۴۷، مرجع سابق.

(۲) عند الآلوسى ۱۷/ ۲۵۷ ":التمنى نهاية التقدير، "قال ":و الأمنية الصورة الحاصلة فى النفس من التمنى."

(۳) روح المعانى ۱۷/ ۲۵۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۸

ج- الإلقاء الشيطانى معنوى و ليس لفظيا:

و ذلك ببث الشبهات، و تضخيم الوساوس، و ينفى الإلقاء اللفظى لضعف مقدرة الجن فى حالتهم الغيبية عن إظهار ألفاظ يسمعها البشر فى الحالات المعتادة «۱»، لا إذا تمثلوا فى هيئة إنسية، فإن فعلوا فالإلقاء اللفظى عليهم أعز و أعسر من حيث خضوعهم لقوانين الطبيعة البشرية، و ها هم أشد الناس عنادا لرسول اللّه جلّ جلاله لم يستطيعوا فعل ذلك مع حرصهم كل الحرص.

و إذ قد تقرر أن الإلقاء معنوى، فلا مكان له فى القدرة على الخلط فى ألفاظ القرآن، و يرشح هذا بقوله جلّ جلاله وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ "الحاقة/ ۴۴- ۴۵."

د- الوسائل الوقائية و الاجتثاثية لإلقاء الشيطان المعنوى فى عقول الناس:

۱- المعية العلمية الإلهية الحاكمة:

إذ ليست الساحة للشيطان ليصول فيها كما يشاء، بل وجوده فيها طارئ نسبى إذا ما قورن بعلم اللّه عزّ و جل، ثم إن الأمر كله للّه جلّ جلاله فهو بحكمته و تدبيره سبحانه و تعالى مكّن الشيطان من إلقاء تلك الشبهة، ثم فى حكمته فى أسلوب إزالة آثاره، و من هنا يظهر سر التذييل بقوله عزّ و جل وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "الحج/ ۵۲، "كما أن إظهار اسم الجلالة فى مقام الإضمار دال على التأكيد على إرادة ذلك، و وصفه جلّ جلاله بوصف (فعيل) مبالغة فى العلم بكل ما من شأنه أن يعلم، و من جملته ما صدر عن العباد من قول و

فعل، عمدا أو خطأ «۲».

۲- إزالة آثار الشبهة الشيطانية بالقدرة الإلهية المباشرة:

و ذلك إذا تعلق الأمر بكتاب اللّه عزّ و جل، فاللّه جلّ جلاله بهديه، و بيانه ينسخ ما يلقى الشيطان، أى يزيل الشبهات التى يلقيها الشيطان ببيان اللّه سبحانه و تعالى الواضح، و يزيد آيات دعوة رسله بيانا، و ذلك هو إحكام (۱) أما فى غير الحالات المعتادة فقد يستطيع الشيطان إسماع الإنسان، انظر: رفاعى سرور: عند ما ترعى الذئاب الغنم ص ۱۱۴، ط ۶۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.

(۲) تفسير أبى السعود ۴/ ۳۴، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۶۹

آياته، أى تحقيقها و تثبيت مدلولها و توضيحها بما لا شبهة بعده إلا لمن رين على قلبه «۱»، قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:فيبطل ما يلقيه من تلك الشبه، و يذهب به بتوفيق النبى صلى اللّه عليه و سلم لرده، أو بإنزال ما يرده «"۲».

۳- إحكام اللّه جلّ جلاله آياته:

فيزيد عزّ و جل آيات دعوة رسله بيانا، و إحكام الآيات أهم من نسخ ما يلقى الشيطان؛ إذ بالإحكام يتضح الهدى، و يزداد ما يلقيه الشيطان نسخا، و صيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى.

۴- بيان حكمة اللّه جلّ جلاله من تمكين الشيطان من ترويج شبهاته

حتى يبقى المؤمنون على ثقة بمعية اللّه سبحانه و تعالى، و ذلك ما بينه فى قوله جلّ جلاله لِيَجْعَلَ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقاقٍ بَعِيدٍ؛ مما يزيد إيمان المؤمنين، و إخبات المخبتين.

۵- تكفل اللّه جلّ جلاله بالهداية الدائمة للمؤمنين، و بعصمة نبيهم من الخطأ فى الأمر المعنوى الحال فضلا عن الأمر اللفظى الدائم التلاوة

و عصمة مجموع الأمة عن الخطأ ... يبعد التمكّن من قذف أى تخيل يحاوله الشيطان فى ما يتلوه النبى صلى اللّه عليه و سلم من الوحى؛ و من هنا كان التذييل بقوله جلّ جلاله ... وَ إِنَّ اللَّهَ لَهادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ، و لا يقدح فى ذلك بقاء الشبهة تفعل فعلها فى نفوس الذين فى قلوبهم مرض و القاسية قلوبهم؛ إذ لا يزال ترددهم باقيا إلى أن تأتيهم الساعة بغتة، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم، و لا يخل شكهم هذا بالوثوق بالقرآن عند الذين آمنوا و الذين أوتوا العلم. (۱) انظر: التحرير و التنوير ۱۷/ ۲۹۹، مرجع سابق، و راجع لتفصيل خارطة عمل الشيطان: عند ما ترعى الذئاب الغنم ص ۲۳، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى ۱۷/ ۲۵۷، مرجع سابق.

فائدة: و استبعاد كثير من العلماء وقوع الشبهة اللفظية فى القرآن الكريم دال على مدى أهمية الألفاظ فى مقابل المعانى فى القرآن الكريم، و ذلك لأن التحريف إن وقع فى اللفظ فقد وقع فى أصل المعنى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۰

[الاشارة الى تخافت قصة الغرانيق

و بهذا التأويل يظهر مقدار جلالة السلك البديع الذى انتظمت فيه هذه الآيات «۱»، و وهى ما أولع به بعض المفسرين الذين يميلون

إلى الإكثار من الغرائب من إيراد قصة الغرانيق ... مع أنّ ضعفها واضح سندا و متنا «۲»، فلا يشتغل البحث بإيرادها، مكتفيا بالإحالة على موارد ذلك فى الهامش «۳»، و ليس فى هذا اتهام للمفسرين الذين أوردوا هذه القصة؛ لأنه ليس كلهم أورد هذه القصة، و وقوع بعضهم فى الغلط (۱) و هو التفسير الذى رجحه بل فسر به هذه الآيات عدد من المفسرين منهم: الطاهر بن عاشور ۱۷/ ۲۹۹، مرجع سابق، و الآلوسى ۱۷/ ۲۵۷، مرجع سابق، و أبو حيان ۶/ ۳۸۲، مرجع سابق، و نحوه أبو السعود ۴/ ۳۴، مرجع سابق.

(۲) على أنه يقال تنزلا: لو صحت هذه القصة فإنه يسرى عليها ما ذكر هاهنا من وسائل الاجتثاث للأمر المعنوى، إذ سريانه على الأمر اللفظى أولوى، كما يكون الجواب عنها بما ذكر قبل و بعد، و بما أجاب به عنها من قالوا بصحتها.

(۳) انظر: التحرير و التنوير ۱۷/ ۳۰۶، مرجع سابق، و ردها البيهقى و قال ":هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، "و رده القاضى عياض فى الشفا ۲/ ۱۱۷، مرجع سابق، و قال ":و إنما أولع به و بمثله المفسرون و المؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح و سقيم، "و قال الآلوسى ۱۷/ ۲۶۳، مرجع سابق ":و فى كتاب (الأتقياء) لأبى منصور الماتريدى: أن قوله (تلك الغرانيق العلى) من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء و أرقاء الدين، ليرتابوا فى صحة الدين، و حضرة الرسالة بريئة من هذه الرواية، "و ذكر الآلوسى أوجه ردها، بعد أن فسرها بما يشبه التفسير الذى ارتضاه الباحث، و أورد هذه القصة: ابن حجر فى فتح البارى ۸/ ۴۴۱، مرجع سابق كالمؤيد لثبوت أصلها؟! و قال ":و كلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف، و إما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا، ... "ورد على عياض و ابن العربى إبطالهما لأصل القصة، و قال فى نقدهما لها": و جميع ذلك لا يتمشى على القواعد، فإن الطرق إذا كثرت و تباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا، و قد ذكرت أن لها ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، و هى مراسل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، و كذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض ... ثم تأول من ظاهرها- بعد أن سلم بأن لها أصلا- ما يستحيل كقولهم فيها: ألقى الشيطان على لسانه ...

و هذا فيه غرابة من حيث عدم تطبيق موازين المتن بعد تطبيق موازين السند، و القصة أوردها ساكتا بل مقررا السيوطى- الذى يجعل ابن حجر مثله الأعلى- فى شرح سنن ابن ماجة، و ابن الأثير فى النهاية ۳/ ۳۶۴، و ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ص ۱۷۹، مرجعان سابقان، قال الآلوسى- رحمه اللّه تعالى "-:و ذهب إلى صحة القصة أيضا خاتمة المتأخرين الشيخ إبراهيم الكورانى ثم المدنى، "ثم قال تعقيبا على كلام الكورانى ":لكن إثبات صحة الخبر أشد من خرط القتاد ... و تأويل جميع الظواهر الكثيرة لقول شرذمة قليلة بصحة الخبر المنافى لها مع قول جم غفير بعد الفحص التام بعدم صحته مما لا يميل إليه القلب السليم و لا يرتضيه ذو الطبع المستقيم ...- ثم قال-: و توسط جمع فى أمر هذه القصة فلم يثبتوها كما أثبتها الكورانى، و لم ينفوها بالكلية، و إليه أميل "و قال ابن كثير ۳/ ۲۰۴، مرجع سابق ":و لم أرها مسندة بوجه صحيح. "و قال الشوكانى فى فتح القدير ۳/ ۵۷۷، مرجع سابق ":و لم يصح شىء من هذا، و لا ثبت بوجه من

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۱

يوجبه النظر الشرعى و العقلى، و ولع البعض فى فترة بالغرائب أمر متقرر لدارسى علم تأريخ العلوم، و محاولة العدو الدسّ فى عقائد المسلمين فضلا عن تراثهم فى المجالات الأخر، قد بدأ فى فجر الإسلام، على أنه لم يستطع أن يمس لفظ القرآن، و لذا حاول الإكثار من وضع الآثار، و الأخبار التى يتلقفها فاضل و غيره، ثم تتناقل فى حدود الغفلة الأصلية أو الطارئة عن موازين نقل الأخبار الصارمة «۱».

رابعا: دفع التخيل بشبهة السحر:

هذه مجموعة أسس بين يدى هذه المسألة:

۱- لم ترتفع صبغة البشرية عن النبى صلى اللّه عليه و سلم بعد نبوته

بل ظلت هى الأصل فيه، و لكنه كان يرتفع عن الصبغة البشرية فى أوقات محدودة بتهيئة خاصة من اللّه سبحانه و تعالى له فيما يتميز فيه عن البشر و هو الوحى، و هذا معلوم من الدين بالضرورة، و من أدلة ذلك قوله عزّ و جل قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ "الكهف/ ۱۱۰،" ثم بين الجزئية التى تميز بها يُوحى إِلَيَّ أَنَّما إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ و كقوله صلى اللّه عليه و سلم (فمن رغب عن سنتى فليس منى) «۲» فى معرض بوجه صحيح. "و قال الشوكانى فى فتح القدير ۳/ ۵۷۷، مرجع سابق ":و لم يصح شىء من هذا، و لا ثبت بوجه من الوجوه، و مع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب اللّه سبحانه، قال تعالى وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ "الحاقة/ ۴۴- ۴۶، "و قوله وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى (۳) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى النجم/ ۳- ۴، "و قوله وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا "الإسراء/ ۷۴، "فنفى المقربة للركون فضلا عن الركون، و قال إمام الأئمة ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع الزنادقة، "و قال أبو حيان ۶/ ۳۸۲، مرجع سابق ناقدا إيراد المفسرين لها ":و قد ذكر المفسرون فى كتبهم ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوبا إلى المعصوم صلوات اللّه عليه ... و هى قصة سئل عنها محمد بن إسحاق جامع السيرة فقال: هذا من وضع الزنادقة، و صنف فى ذلك كتابا، "و قد ألف الشيخ الألبانى كتابا فى هذا الباب هو ":نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق."

(۱) و أنى يستغرب ذلك و قد درجت مجموعة غير قليلة من أفاضل المفسرين على إيراد خبر فضائل القرآن الشهير المنسوب إلى أبى ابن كعب رفعه، مثل: الكشاف للزمخشرى، و كتفسير البيضاوى، و الخازن.

(۲) صحيح البخارى ۵/ ۱۹۴۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۲

الإنكار على من عد طبعه مختلفا عن طباع البشر. و لو لا هذه الحقيقة لما كان محطا للاقتداء صلى اللّه عليه و سلم.

۲- و إذا كانت هذه مسلّمة دينية

؛ فإن النبى صلى اللّه عليه و سلم يعتريه ما يعترى البشر من المرض و النصب و الوصب و الهم و الحزن، بما لا يقدح فى نبوته، و لا يمس ما أمر به أن يبلغه، و هذا داخل فى عموم قوله جلّ جلاله: وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ "المائدة/ ۶۷."

۳- ليس مقام البحث مقاما صالحا لمناقشة مسألة سحر النبى صلى اللّه عليه و سلم من حيث الإثبات و النفى

و قصارى القول فى هذا المقام أن تدحض شبهة تأثير السحر فى الوحى القرآنى على قول من يثبت أن النبى صلى اللّه عليه و سلم قد سحر «۱».

۴- من أثبت ذلك يتفق مع النفاة فى عصمت النبى صلى اللّه عليه و سلم

و هو يلقى الوحى الإلهى قرآنا كان أو غيره من تطرق تأثير السحر عليه، و استدلوا بما رواه البخارى: عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- قالت: سحر النبى صلى اللّه عليه و سلم حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء و ما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا و دعا، ثم قال: (أشعرت أن اللّه أفتانى فيما فيه شفائى، أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى، و الآخر عند رجلى فقال أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال:

و من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: فى ما ذا؟ قال: فى مشط، و مشاطة، و جفّ طلعة ذكر. قال:

فأين هو؟ قال: فى بئر ذروان). فخرج إليها النبى صلى اللّه عليه و سلم ثم رجع، فقال لعائشة حين رجع: (نخلها كأنه رءوس الشياطين،

فقلت: استخرجته؟ فقال: لا، أما أنا فقد شفانى اللّه، و خشيت أن يثير ذلك على الناس شرا ثم دفنت البئر) «۲».

و ذكر الإسماعيلى مدة ذلك فروى: أنه أقام أربعين ليلة، و عند أحمد: ستة أشهر، و يمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه و الأربعين يوما من استحكامه «۳». (۱) انظر فى هذا الباب: تأويل مختلف الحديث ص ۱۸۲، مرجع سابق.

(۲) صحيح البخارى ۳/ ۱۱۹۲، مرجع سابق، و انظر: تفسير ابن كثير ۴/ ۵۷۵، مرجع سابق.

(۳) فتح البارى ۱۰/ ۲۲۳، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۳

۵- السحر الذى وقع عليه صلى اللّه عليه و سلم تسلط على جسده فقط

اشارة

كما كانت الحمى تتسلط عليه، و السم الذى سمته به يهود ... و تسلّط السحر على جسده ظهر فى عدة مظاهر، منها:

أ- كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء و لا يفعله:

كما فى هذه الرواية، و صرّح بمدلول ذلك فى رواية أخرى للبخارى، و لفظها: (حتى كان يرى أنه يأتى النساء و لا يأتيهن)، و فى لفظ: (أنه يأتى أهله و لا يأتيهم) «۱»، قال المازرى ":و هذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان فى المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه فى اليقظة."

و معنى (يرى)، قال الداودى: (يرى) بضم أوله: أى يظن، و قال ابن التين:

ضبطت يرى بفتح أوله، و هو من الرأى لا من الرؤية، فيرجع إلى معنى الظن «۲».

ب- التسلط على بصره:

ففى مرسل يحيى بن يعمر عند عبد الرزاق: سحر النبى صلى اللّه عليه و سلم:

(حتى أنكر بصره)، و عنده فى مرسل سعيد بن المسيب: (حتى كاد ينكر بصره) «۳»، قال عياض- رحمه اللّه تعالى "-:فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده، و ظواهر جوارحه لا على تمييزه و معتقده «"۴».

ج- نوع مرض جسدى:

فإن صون النبى صلى اللّه عليه و سلم من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده فقد جاء فى الصحيح: (أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه اللّه جلّ جلاله منه)، فكذلك السحر لم ينله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول و يبطل اللّه سبحانه و تعالى كيد الشياطين، و استدل ابن القصار على أن الذى أصابه كان من جنس المرض بقوله فى آخر الحديث: (أما أنا فقد شفانى اللّه)، و فى الاستدلال بذلك نظر لكن يؤيد المدعى أن فى رواية عمرة عن عائشة عند البيهقى فى الدلائل: (فكان (۱) صحيح البخارى ۵/ ۲۱۷۵، مرجع سابق.

(۲) انظر ما سبق فى: فتح البارى ۱۰/ ۲۲۷، مرجع سابق.

(۳) انظر فى تخريج الآثار السابقة: فتح البارى ۱۰/ ۲۲۶، مرجع سابق.

(۴) الشفا ۲/ ۱۴۷، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۴

یدور، و لا یدری ما وجعه)، و فی حدیث ابن عباس رضی اللّه عنه عند ابن سعد: مرض النبی صلی اللّه علیه و سلم و أخذ عن النساء و الطعام و الشراب، فهبط علیه ملکان ... لحدیث، قال المازری ":أنکر بعض المبتدعة هذا الحدیث، و زعموا أنه یحط منصب النبوة و یشکک فیها، قالوا: و کل ما أدی إلی ذلک فهو باطل، و زعموا أن تجویز هذا یعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع؛ إذ یحتمل علی هذا أن یخیل إلیه أنه یری جبریل علیه السلام و لیس هو ثم، و أنه یوحی إلیه بشیء، و لم یوح إلیه بشیء، قال المازری: و هذا کله مردود؛ لأن الدلیل قد قام علی صدق النبی صلی اللّه علیه و سلم فیما یبلغه عن اللّه عزّ و جل، و علی عصمته فی التبلیغ، و المعجزات شاهدات بتصدیقه، فتجویز ما قام الدلیل علی خلافه باطل، و أما ما یتعلق ببعض أمور الدنیا التی لم یبعث لأجلها، و لا کانت الرسالة من أجلها فهو فی ذلک عرضة لما یعترض البشر کالأمراض، فغیر بعید أن یخیل إلیه فی أمر من أمور الدنیا ما لا حقیقة له مع عصمته عن مثل ذلک فی أمور الدین «"۱».

و قال ابن قتیبة ":و أما قول اللّه سبحانه و تعالی لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ "فصلت/ ۴۲ "فإنه جلّ جلاله لم یرد بالباطل أن المصاحف لا یصیبها ما یصیب سائر الأعلاق و العروض، و إنما أراد أن الشیطان لا یستطیع أن یدخل فیه ما لیس منه قبل الوحی و بعده «۲».

هذا کلام اللّه الحق ... و ذا رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم المبلغ لکلامه ... و ذا حفظ اللّه- تعالی ذکره- لکلامه ... و روح القدس جبریل علیه السلام هو الواسطة؟ فأین- فی الدنیا- کهذا، و ذا، و ذا ...؟

و قال اللّه: قد أرسلت عبدا ... یقول الحق لیس به خفاء و قال اللّه: قد یسرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء و جبریل رسول اللّه فینا ... و روح القدس لیس له کفاء (۱) فتح الباری ۱۰/ ۲۲۷، مرجع سابق.

(۲) تأویل مختلف الحدیث ۳۱۰، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۵

المبحث الثانی: دفع العوامل الداخلیة (الذاتیة):

اشارة

عالج القرآن الکریم العوامل الإنسانیة الذاتیة التی تؤدی إلی تغییر اللفظ کإجراء ضروری للحفاظ علی نصه سالما من یمسه التغییر فی أدائه فضلا عن جوهر لفظه ...،

و کانت معالجة الکتاب الکریم لهذه المشکلة مبکّرة، تناسب تبکیرها مع حدوث التلقی الأول للقرآن الکریم فی الأرض من جبریل إلی النبی صلی اللّه علیه و سلم و یأخذ المبحث نموذجین ینتمیان لهذه العوامل، للنظر فی کیفیة معالجة القرآن الکریم لهما فی تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم من جبریل ألفاظ القرآن الکریم، و یشکل النموذجان مطلبی هذا المبحث، و هما:

المطلب الأول: معالجة مشکلة النسیان.

المطلب الثانی: معالجة مشکلة التهمة بقصور العاطفة البشریة و التفکیر البشری.

المطلب الأول: معالجة مشکلة النسیان:

اشارة

النسیان: ضد الذکر و الحفظ «۱»، و هو عدم خطور المعلوم السابق فی حافظة الإنسان برهة، أو زمانا طویلا «۲»، و قال الزرکشی- رحمه اللّه تعالی "-:قیل السهو: الذهول عن المعلوم، و ظاهر کلام اللغویین ترادفه مع النسیان «"۳»، و قال ابن قتیبة- رحمه اللّه تعالی-

:

"النسيان ضد الحفظ، كقوله تعالى: ... فَإِنِّی نَسِیتُ الْحُوتَ " ...الكهف/ ۶۳، "و قال:

... لا تُؤاخِذْنِی بِما نَسِیتُ " ...الكهف/ ۷۳، "و النسيان الترك، كما قال جلّ جلاله: وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلی آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ " ...طه/ ۱۱۵ "أی فترك، و قوله فَذُوقُوا بِما نَسِیتُمْ لِقاءَ یَوْمِکُمْ هذا " ...الجاثیة/ ۳۴ "أی بما تركتم الإيمان بلقاء هذا اليوم ... إِنَّا نَسِیناکُمْ ... أی تركناكم، و قوله ... وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَیْنَکُمْ " ...البقرة/ ۲۳۷ "أی و لا تتركوا ذلك «۴». (۱) انظر: لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق.

(۲) التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۰، مرجع سابق.

(۳) البحر المحيط ۱/ ۸۰، مرجع سابق.

(۴) تأويل مشكل القرآن ص ۳۹۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۶

فقد جعل ابن قتيبة النسيان فی حقيقته اللغوية نوعين بعد الشيوع:

ضد الحفظ، و هو المعنى الأصلی، و الترك «۱» الذی يجعل المتروك كالمنسی، فهو ترك كلی فقد صار فی حقيقته نسيانا بعلاقة الغياب، إلا أن الغياب فی النسيان مؤقت، و الغياب فی الترك كلی من حيث التذكر للمنسی لا من حيث الوجود فی الحافظة، و عند إضافة مفهوم كلام اللغويين إلی ذلك نجد أن النسيان لا يكون إلا فی شیء معلوم.

و يكمن دفع هذا العامل فی لفظ القرآن، و أدائه عن تلقی الرسول صلی اللّه عليه و سلم فيما تلقاه من جبريل عليه السلام فی البنود التالية:

۱- قد اتضح من خلال ما سبق أن معالجة هذه المشكلة ظهر من أول نزول القرآن الكريم

كما مر ذلك عند تحليل حديث المعالجة و غيره، فقد كانت المعالجة لقضية النسيان فی المرحلة المكية ... و لبدهية هذه الحقيقة استدل علی أن سورة الأعلی مكية بورود ما يدل علی معالجة مشكلة النسيان فيها، و هو قوله جلّ جلاله سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی الأعلی/ ۶؛ "إذ إن ما اشتملت عليه من المعانی يشهد لكونها مكية "،و حسبك بقوله تعالی سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی «۲»، فقد صارت الآيات المعالجة لهذه المشكلة مقياسا لمعرفة المكی و المدنی.

۲- من أبرز الآيات التی عالجت هذه المشكلة آيات سورة الأعلی

و كتقرير للحقيقة السابقة فسورة الأعلی ثامنة بحسب ترتيب النزول عند جابر بن زيد، و روی عن ابن عباس و عكرمة و الحسن- رضی اللّه تعالی عنهم- أنها سابعة «۳».

۳- لأن مشكلة النسيان مشكلة فطرية تتعلق بخلق الإنسان فقد ربط القرآن الكريم

بينها و بين القوانين التی وضعها خالق الإنسان فی الكون، ثم فی الإنسان، و من هنا ندرك (۱) و انظر فتح البارى ۹/ ۸۰، مرجع سابق.

(۲) التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۷۲، مرجع سابق.

(۳) انظر: الإتقان ص ۲۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۷

سرا من أسرار الاستهلال فى سورة الأعلى بجذب النظر إلى الآيات الكونية، و خلق اللّه سبحانه و تعالى لها، ثم تحكمه بها، فمتى ما شاء اطردت تلك القوانين، و متى ما شاء منعها من الاطراد، و عطلها عن السريان؛ فإذا أراد الإنسان التخلص من مشكلة النسيان، فليسبح باسم ربه الأعلى الذى بيده مقاليد أمر الخلق، و أسبابه، و قوانينه، و الذى تعالى عن أن يحكمه شىء، أو يعجزه أمر؛ إذ يغدو القضاء على مشكلة النسيان آية فى ذاته تخالف قوانينها، القوانين المألوفة عند البشر، و إن كانت تسير وفق قوانين أخرى فى ذاتها «۱»؛ و إذ هى كذلك آية فلا بد لتحقيقها من إذن اللّه جلّ جلاله الذى يشمل أمره الابتدائى و إذنه المستمر وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ " ...غافر/ ۷۸، "و الافتتاح بأمر النبى صلى اللّه عليه و سلم بأن يسبح اسم ربه بالقول، يؤذن بأنه سيلقى إليه عقبه بشارة و خيرا له، و ذلك قوله عزّ و جل سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الآيات، ففيه براعة استهلال «۲»، و فيه قال القرطبى ":و هذه بشرى من اللّه تعالى، بشره بأن أعطاه آية بينة، و هى أن يقرأ عليه جبريل عليه السلام ما يقرأ عليه من الوحى، و هو أمى لا يقرأ، و لا يكتب، فيحفظه و لا ينساه «"۳ "»،و هى بشرى لأمته من ورائه، تطمئنّ بها إلى أصل هذه العقيدة؛ فهى من اللّه عزّ و جل، و اللّه كافلها و حافظها فى قلب نبيها «"۴»».

و فى هذا تأكيد على المصدرية الإلهية.

۴- و لإزالة أى آثار تشكيكية نابعة من احتمال نسيان الرسول صلى اللّه عليه و سلم لشىء من الوحى

اشارة

فقد قطّعت أنواط هذه المشكّكات بتقعيدين: عام و خاص: (۱) قرر الإمام الشاطبى فى الموافقات أن الخوارق ليست خارجة عن جملة قوانين الكون، و إن كانت خارجة عن مألوف القوانين المعروفة لنا، انظر الموافقات ۱/ ۳۷۴، مرجع سابق عند كلامه على الأحكام الوضعية.

(۲) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۷۲، مرجع سابق.

(۳) تفسير القرطبى ۲۰/ ۱۸، مرجع سابق، و نحوه فى الكشاف ۴/ ۲۰۴، مرجع سابق.

(۴) ظلال القرآن ۶/ ۳۸۹۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۸

فأما العام فهو: عصمة الشرع الإسلامى المطهر من غوائل النقص، و التغيير، و النسيان

، من حيث كونه شرعا إلهيا خاتما تكفل منزله بالحفاظ عليه، ثم من حيث كونه شرعا ميسرا، و من أهم أوجه تيسيره: تيسير المحافظة عليه، و لذا قال جلّ جلاله:

وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى الأعلى/ ۸، "فاشتمل الكلام على تيسيرين:

تيسير ما كلّف به النبى صلى اللّه عليه و سلم أى جعله يسيرا مع وفائه بالمقصود، فمما ذكره القرطبى فى تأويلها قوله ":أى نهون عليك الوحى، حتى تحفظه و تعمل به «"۱»».

و تيسير النبى صلى اللّه عليه و سلم للقيام بما كلّف به، حيث قال الآلوسى ":نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى فى كل باب من أبواب الدين، علما، و تعليما، و اهتداء، و هداية، فيندرج فيه تيسير تلقى طريقى الوحى «"۲» ...

فقوله سبحانه و تعالى: وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى الأعلى/ ۸:"

مستعار للتهيئة، و التسخير، أى نهيئك للأمر اليسير فى أمر الدين، و عواقبه من تيسير حفظ القرآن لك، و تيسير الشريعة ...

أو يكون المعنى: و نيسر لك اليسرى على القلب، و فى وصفها باليسرى إيماء إلى أنها يسرى من حيث ذاتها، فلم يبق إلا حفظه من الموانع التى يشق معها تلقى اليسرى ...

۵- و أما التقعيد الخاص

فهو الوسيلة التى تقضى قضاء مبرما على مشكلة نسيان الرسول صلى اللّه عليه و سلم للقرآن الكريم بعد أن يلقيه على جبريل عليه السلام قبل أن يبلغه، إذ تكفل اللّه سبحانه و تعالى بتعطيل قانون النسيان فى ذات الرسول صلى اللّه عليه و سلم فى هذه المرحلة، و فى المعجم الكبير للطبرانى ما يزيد حديث ابن عباس رضى اللّه عنه فى المعالجة إيضاحا فى هذا الموضوع، فقد قال ابن عباس رضى اللّه عنه:

(كان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا أتاه جبريل عليه السلام بالوحى لم يفرغ حتى يزمل «۳» من الوحى، حتى يتكلم (۱) تفسير القرطبى ۲۰/ ۱۸، مرجع سابق.

(۲) روح المعانى ۳۰/ ۱۹۲، و انظر الكشاف ۴/ ۲۰۴، مرجع سابق.

(۳) زمل يزمل زمالا: عدا و أسرع معتمدا على أحد شقيه رافعا جنبه الآخر، انظر: لسان العرب ۶/ ۸۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۷۹

النبى صلى اللّه عليه و سلم بأوله مخافة أن يغشى عليه)، فقال له جبريل: لم تفعل ذلك؟ قال: مخافة أن أنسى فأنزل اللّه عزّ و جل سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى ، و لذا قرر الشوكانى أن ":السهو و النسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز «"۱»، و قد سبق تعميم هذه الجزئية فى عصمته صلى اللّه عليه و سلم «۲».

و فى قوله عزّ و جل سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الفاعل ضمير مستتر تقديره نحن يعود على اللّه عزّ و جل، و فى ذلك فوائد:

أولها: التكفل بإقرائه صلى اللّه عليه و سلم، و ذلك ضمان بأن يصل إلى النبى صلى اللّه عليه و سلم كما أراد اللّه جلّ جلاله أن يصل لا كما تتحمله قوى البشر، فإيثار وصف الْأَعْلَى فى هذه السورة لأنها تضمنت التنويه بالقرآن و التثبيت على تلقيه.

و ثانيها: دفع فطرة النسيان الخلقى فى الرسول صلى اللّه عليه و سلم فى فترة إلقاء القرآن عليه إلى أن يبلغه، فهذا موقع البيان الصريح بوعده بأنه سيعصمه من نسيان ما يقرئه، فيبلغه كما أوحى إليه و يحفظه من التفلت عليه «۳».

و ثالثها: أن التكفل بالأمرين تكفل إلهى مباشر ليس لجبريل عليه السلام فيه شىء إلا قراءة القرآن عليه لحكمة عظيمة هى تثبيت مبدأ التلقين فى نقل القرآن الكريم، و قد مضت الإشارة إليها «۴»، أما إقراؤه بمعنى جمع القرآن فى صدره، و دفع النسيان عنه فى الفترة المذكورة فأمر إلهى محض، و دليله ما سبق «۵»، و الضمير فى قوله جلّ جلاله سَنُقْرِئُكَ، و ما ذكر فى تحليل آيات سورة القيامة «۶»، و مبدأ استشعار المصدرية الإلهية. (۱) فتح القدير ۳/ ۵۷۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: المبحث الأول من هذا الفصل ص ۲۵۳.

(۳) انظر: التحرير ۳۰/ ۲۷۹، مرجع سابق.

(۴) انظر: المبحث السابع من الفصل الثالث ص ۱۳۵ و ما بعدها.

(۵) انظر: حديث المعالجة فى المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۳.

(۶) انظر: المبحث السادس من الفصل الثالث ص ۱۱۶.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۰

فقد تعين أن قوله جلّ جلاله سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى الأعلى/ ۶ "وعد من اللّه عزّ و جل بعونه على حفظ جميع ما يوحى إليه «۱»، و افتتاح سورة الأعلى بقوله الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (۲) وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدى الأعلى/ ۲- ۳ "مؤذن بتقرير الحقيقة السابقة من حيث كمال التقرير "؛لأن لهذين الوصفين مناسبة بما اشتملت عليه السورة، فإن الذى يسوى خلق النبى صلى اللّه عليه و سلم تسوية تلائم ما خلقه لأجله من تحمّل أعباء الرسالة، لا يفوته أن يهيئه لحفظ ما يوحيه إليه، و تيسيره عليه، و إعطائه شريعة مناسبة لذلك التيسير «"۲»، و قال الإمام الآلوسى:

"سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى بيان لهدايته تعالى شأنه الخاصة برسوله، إثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته سبحانه، و هى هدايته لتلقى الوحى و حفظ القرآن «"۳» ... أى سنقرئك فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ و الإتقان، مع أنك أمى لم تكن تدرى ما الكتاب، و ما القراءة، ليكون ذلك لك آية مع ما فى تضاعيف ما تقرأه من الآيات البينات «"۴».

۶- إذا كانت آيات سورة القيامة

قد أرست أساس جمع القرآن فى صدر النبى صلى اللّه عليه و سلم بأن يلقيه عليه جبريل عليه السلام و حددت له قواعد التلقين؛ فإن هذه الآيات ترسى أساس بقاء ذلك الملقى إلى حين أدائه تبليغا للناس، و إنما ابتدئ بقوله سَنُقْرِئُكَ تمهيدا للمقصود الذى هو فَلا تَنْسى و إدماجا، للإعلام بأن القرآن فى تزايد مستمر، فإذا كان قد خاف من نسيان بعض ما أوحى إليه على حين قلته؛ فإنه سيتتابع و يتكاثر فلا يخشى نسيانه، فقد تكفل له عدم نسيانه مع تزايده ... و السين علامة استقبال مدخولها ...

فهى دالة على أن الإقراء يستمر، و يتجدد ... و قوله ... فَلا تَنْسى خبر مراد به الوعد و التكفل له بذلك «۵». (۱) انظر: التحرير ۳۰/ ۲۷۹، مرجع سابق.

(۲) التحرير ۳۰/ ۲۷۹، مرجع سابق.

(۳) و قريب من هذا قرر الإمام الشوكانى فى فتح القدير ۴/ ۵۲۲، مرجع سابق، و الصاوى فى حاشيته ۴/ ۴۱۱، مرجع سابق، و تفسير أبى السعود ۵/ ۵۱۷، مرجع سابق.

(۴) روح المعانى ۳۰/ ۱۸۸، مرجع سابق، و لعله نقل هذه العبارات من أبى السعود ۵/ ۵۱۸، مرجع سابق.

(۵) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۰، مرجع سابق، و انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۸۸، مرجع سابق، فقد ذكر قولا غريبا فى معنى سَنُقْرِئُكَ هو تعلم النبى القراءة دون كتابة، ثم رده ... و قيل: إن قوله تعالى فَلا تَنْسى نهى، أو خبر أريد به النهى و هو قول ضعيف مردود، انظر: القرطبى ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق، و روح المعانى ۳۰/ ۱۸۸ مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۱

على أنه يلمح من خلال الوعد بذلك الأمر بما تضمنه الوعد، و لعل هذا هو مراد من فسر الآية بالنهى، إذ الوعد لا ينفى الأمر بفعل الأسباب التى تؤدى إلى عدم النسيان بل هو مقتض له.

۷- و حتى لا يخرج الرسول صلى اللّه عليه و سلم عن صفاته البشرية بهذه الكفالة الإلهية

اشارة

فقد أخذت هذه الكفالة الإلهية قدرها الضرورى، و ذلك من وقت سماع النبى صلى اللّه عليه و سلم القرآن من جبريل عليه السلام إلى الانتهاء من تبليغه، و حفظه بوسائل الحفظ من قراءة، و كتابة بحيث لا يمكن نسيانه من مجموع الأمة لكفالة اللّه عزّ و جل لها

بالعصمة عن الخطأ، فإذا ما تم ذلك فإن النبى صلى اللّه عليه و سلم يعود إلى حالته الطبيعية البشرية فيعتريه النسيان، و هذا هو معنى الاستثناء فى قوله سبحانه و تعالى: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... أى أن بعض القرآن ينساه النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا شاء اللّه أن ينساه، و يدخل فى هذا: نوعان يرجعان إلى الحقيقة اللغوية لمادة "نسى»:

أولهما: النسخ فى العمل:

و سماه الآلوسى: (نفى نسيان المضمون)، فقال ":أى سنقرئك القرآن فلا تغفل عنه، فتخالفه فى أعمالك «"۱»، و قال القرطبى ":و قيل: النسيان بمعنى الترك، أى يعصمك من أن تترك العمل به، لا ما شاء اللّه أن تتركه لنسخه إياه، فهذا نسخ فى العمل «"۲»، و قال به الجنيد، و أقره ابن كيسان النحوى «۳»، و يجعل هذا المفهوم للنسيان فى حيز الثبات ما قرره أحمد بن يحيى ثعلب فى قول اللّه عزّ و جل ... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ " ...التوبة/ ۶۳ ":"لا ينسى اللّه عز و جل، إنما معناه تركوا اللّه فتركهم، فلما كان النسيان ضربا من الترك وضعه موضعه، و قوله تعالى ... فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى طه/ ۱۲۶ ("۱) تفسير روح المعانى ۳۰/ ۱۸۸، مرجع سابق، و انظر: تفسير الطبرى ۳۰/ ۱۵۴، مرجع سابق، فإنه أورد أسماء القائلين بالنسخ العملى.

(۲) تفسير القرطبى ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق.

(۳) لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۲

أى تركتها فكذلك تترك فى النار «"۱»، و مثله قوله تعالى ... نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ...، و قوله- تعالى ذكره- ... وَ لا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ "...البقرة/ ۲۳۷."

و يرشّح هذا المفهوم فى معنى النسيان المستثنى مطابقته، لقوله- تعالى ذكره-: ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها" البقرة/ ۱۰۶، "قال ابن منظور ":نُنْسِها أى نأمركم بتركها، يقال أنسيته أى أمرت بتركه، و نسيته تركته، ثم نقل عن الفراء نحوا من التقرير السابق «"۲».

و ثانيهما: ما يعرض نسيانه للنبى صلى اللّه عليه و سلم نسيانا مؤقتا:

كشأن عارض الحوافظ البشرية، ثم يقيض اللّه عزّ و جل له ما يذكره به، ففى صحيح البخارى عن عائشة- رضى اللّه تعالى عنها- قالت: سمع النبى صلى اللّه عليه و سلم رجلا يقرأ من الليل بالمسجد فقال: (يرحم اللّه فلانا! لقد أذكرنى كذا و كذا آية أسقطتهن، أو كنت أنسيتها من سورة كذا و كذا) «۳»، و فيه أيضا: أن رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فسأله أبى بن كعب: أ نسخت؟ فقال: (نسيتها) «۴».

فدخل فى هذا قول من قال ":الاستثناء بمعنى القلة «"۵»، و تظهر بذلك مناسبة قوله عزّ و جل إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى الأعلى/ ۷" تذييلا للجملة السابقة فى أن ما يقرؤه النبى صلى اللّه عليه و سلم من القرآن هو من قبيل الجهر فاللّه جلّ جلاله يعلمه، و ما ينساه فيسقطه هو من قبيل (۱) لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق.

(۲) لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق، و ذهب إلى أن معنى الآية يشير إلى النسخ قتادة و الحسن و غيرهما، انظر روح المعانى ۳۰/ ۱۸۸، مرجع سابق، و حكاه صاحب الكشاف قولا ۴/ ۲۰۴، مرجع سابق، و ارتضاه فى تفسير الجلالين و أيده الصاوى فى حاشيته عليهما ۴/ ۴۱۱، مرجع سابق، و كذا فى البحر المحيط ۷/ ۴۵۸، مرجع سابق، و انظر تفصيل تلك الأقوال فى: فتح القدير ۴/ ۵۲۳،

مرجع سابق.

(۳) رواه البخارى ۵/ ۲۳۴۵، مرجع سابق.

(۴) رواه البخارى ۵/ ۲۳۴۶، مرجع سابق.

(۵) راجع: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۱، مرجع سابق، و روح المعانى ۳۰/ ۱۹۰، مرجع سابق، و انظر: ابن كثير ۴/ ۴۲۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۳

الخفى، فيعلم اللّه عزّ و جل أنه اختفى فى حافظته حين القراءة، فلم يبرز إلى النطق به «۱»، و قال القرطبى "الجهر ما حفظته من القرآن فى صدرك، و ما يخفى هو ما نسخ من صدرك «"۲»».

و عدم جواز نسيانه على مجموع الأمة، هو ما عبر عنه القرطبى بعدم النسيان الكلى فى قوله "و قيل إلا ما شاء اللّه أن ينسى، ثم يذكر بعد ذلك، فإذا قد نسى، و لكنه يتذكر و لا ينسى نسيانا كليا «"۳»»، و قال عنه الآلوسى "ثم إنه صلى اللّه عليه و سلم لا يقر على نسيانه القليل أيضا، بل يذكره اللّه تعالى أو ييسّر من يذكّره، ثم إن المراد من نفى نسيان شىء من القرآن: نفى النسيان التام المستمر مما لا يقر عليه صلى اللّه عليه و سلم «۴»، و قرر الإمام النووى ذلك فقال:

"قوله صلى اللّه عليه و سلم (كنت أنسيتها) دليل على جواز النسيان عليه صلى اللّه عليه و سلم فيما قد بلّغه إلى الأمة، و قال القاضى عياض "جمهور المحققين: جواز النسيان عليه ابتداء، فيما ليس طريقه البلاغ، و اختلفوا فيما طريقه البلاغ و التعليم، و لكن من جوّز قال: لا يقر عليه، بل لا بد أن يتذكره، أو يذكره «"۵»»

و قال الإسماعيلى "النسيان من النبى صلى اللّه عليه و سلم لشىء من القرآن يكون على قسمين:

أحدهما: نسيانه الذى يتذكره عن قرب

و ذلك قائم بالطباع البشرية، و عليه يدل قوله صلى اللّه عليه و سلم فى حديث ابن مسعود رضى اللّه عنه فى السهو: (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون) «۶»، (۱) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۲، مرجع سابق.

(۲) تفسير القرطبى ۲۰/ ۲۱، و أشار الزمخشرى إلى نحو من ذلك ۴/ ۲۰۴، مرجع سابق.

(۳) تفسير القرطبى ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق، و بهذا التقرير يجمع بين الأقوال المختلفة فى معنى قوله جلّ جلاله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... حال كون هذه الجملة القرآنية تتسع لكل تلك التأويل، و تحتملها من حيث الأصيل الشرعى و اللغوى، و بذا لا يكون مبرر لاستظهار الإمام الطاهر بن عاشور- رحمه اللّه تعالى- لكون معنى الاستثناء ينصرف إلى النسخ فى التلاوة، انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۰، مرجع سابق. و ثمّ قولان ضعيفان ذكرهما القرطبى فى آخر تأويل هذه الجملة ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق.

(۴) روح المعانى ۲۰/ ۱۹۰، مرجع سابق.

(۵) شرح صحيح مسلم ۶/ ۳۲۳، مرجع سابق.

(۶) البخارى ۲/ ۹۰۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۴

و الثانى: أن يرفعه اللّه عن قلبه «۱» ...

فأما القسم الأول فعارض سريع الزوال لظاهر قوله جلّ جلاله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ "الحجر/ ۹، «"۲»، و قال ابن حجر": و فى الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبى صلى اللّه عليه و سلم فيما ليس طريقه البلاغ مطلقا، و كذا فيما طريقه البلاغ، لكن بشرطين: أحدهما أنه بعد ما يقع منه تبليغه، و الآخر أنه لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكره ... إما بنفسه، و إما بغيره، فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلا، و زعم بعض الأصوليين و بعض الصوفية أنه لا يقع منه نسيان أصلا، و إنما يقع منه صورته ليسنّ- أى ليشرّع لمن بعده من المسلمين ما يصنعون إن وقع لهم النسيان- قال عياض: لم يقل به من الأصوليين أحد إلا أبو المظفر الأسفراييني، و هو قول ضعيف «"۳».

فقد تضافرت «۴» عبارات العلماء على جواز النسيان غير الكلى على النبى صلى اللّه عليه و سلم، و إنما أكثر من إيرادها للأهمية.

و بهذا التقرير يجمع بين الأقوال المختلفة فى معنى قوله جلّ جلاله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ حال كون هذه الجملة القرآنية تتسع لكل تلك التآويل، و تحتملها من حيث الأصيل الشرعى، و اللغوى، و بذا لا يكون مبرر لصاحب التحرير و التنوير- رحمه اللّه تعالى- لكون معنى الاستثناء ينصرف إلى النسخ فى التلاوة «۵». (۱) يعنى كنسخ العمل المذكور.

(۲) فتح البارى ۹/ ۸۶، مرجع سابق، و الذى قرأ بضم أوله من غير همزة هم الكوفيون و ابن عامر و نافع من السبعة، و قرأ أبو عمرو و ابن كثير بفتح أوله بهمزة ننسأها انظر: متن الشاطبية فى القراءات السبع، مرجع سابق عند قول الناظم فى فرش سورة البقرة: (و ننسخ به ضم و كسر كفى ... و ننسها مثله من غير همز ذكت إلى).

(۳) فتح البارى ۹/ ۸۶، مرجع سابق

(۴) فائدة: تضافر و تظافر و تظاهر بمعنى واحد هو التعاون و الاجتماع. انظر: لسان العرب ۸/ ۷۱، مرجع سابق.

(۵) انظر: التحرير و التنوير ۳۰/ ۲۸۰، مرجع سابق. و ثم قولان ضعيفان ذكرهما القرطبى فى آخر تأويل هذه الجملة ۲۰/ ۱۹، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۵

و على هذا التقرير يحمل قول الفراء- رحمه اللّه تعالى- فى وجه الاستثناء "إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ " ...الأعلى/ ۷ "و هو لم يشأ أن تنسى شيئا، كقوله جلّ جلاله: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ " ...هود/ ۱۰۷، "و لا يشاء «۱»، و يقال فى الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت، و إلا أن أشاء أن أمنعك، و النية على أن لا يمنعه شيئا، فعلى هذا مجارى الأيمان، يستثنى فيها، و نية الحالف التمام «"۲»، إذ لا وجه لنفى النسيان مطلقا «۳»، و قد ثبت من طريق صحيح، إلا على سبيل نفى النسيان الكلى كما سبق تقريره، و كما يحمل عليه قوله صلى اللّه عليه و سلم فى حديث بدء الوحى الذى رواه الحارث فى مسنده: (فما نسيت شيئا بعد) «۴».

و من أعظم فوائد الاستثناء و مقتضياته المنهجية فى تعليم القرآن الكريم

ما قرره الآلوسى من ":أن اللّه- تعالت قدرته- يعلم عباده بضعفهم و قدرته، حتى يعلم النبى صلى اللّه عليه و سلم أن عدم النسيان من فضله تعالى، و إحسانه لا من قوته، أى حتى يتقوى على ذلك جدا، أو ليعرف غيره ذلك «"۵».

و هو تأكيد على المصدرية الإلهية، و مقتضياتها. (۱) أظهر منه قوله تعالى: وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِى أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنا وَكِيلًا "الإسراء/ ۸۶، "و لم يشأ- سبحانه- ذلك، و صرّح بذلك من أئمة اللغة أبو إسحاق، ثم ذكر فى توجيه الآية قريبا مما قرّر هاهنا فقال:

"و يجوز أن يكون (إلا ما شاء اللّه) مما يلحق بالبشرية، ثم يتذكر بعد، ليس أنه على طريق السلب للنبى صلى اللّه عليه و سلم شيئا أوتيه من الحكمة. "انظر: لسان العرب ۱۴/ ۱۳۲، مرجع سابق، و انظر فى ورود كلام مستثنى منه و لا يقتضى التحقق: شرح العقيدة

الطحاوية ص ۴۲۵، مرجع سابق.

(۲) (الفراء) أبى زكريا يحيى بن زياد ت ۲۰۷ ه: معانى القرآن ۳/ ۲۵۶ دار السرور- تحقيق: أحمد يوسف نجاتى، محمد على النجار، و قريب منه قول من قال ":الاستثناء بمعنى القلة، و أريد بها النفى مجازا، و قيل الكلام عليه من باب:

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم " ...انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۹۰، مرجع سابق.

(۳) حتى أن الإمام أبا حيان- رحمه اللّه تعالى- فى البحر المحيط ۸/ ۴۵۸، مرجع سابق، نعى على من زعم أن الاستثناء غير مراد، و قال: يجعل الاستثناء كلا استثناء، و هذا لا ينبغى أن يكون فى كتاب اللّه، و لا فى كلام فصيح، "و هو كلام فصيح، و لكن يسّاقط تثريبه، ثم تثريب الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- عليه بما جمع به بين تلك الأقوال فى التقرير أعلاه.

(۴) مسند الحارث ۲/ ۸۶۷، مرجع سابق.

(۵) انظر: روح المعانى ۳۰/ ۱۹۱، مرجع سابق، و انظر: البحر المحيط ۸/ ۴۳۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۶

المطلب الثانى: معالجة مشكلة التهمة بقصور العاطفة البشرية، و التفكير البشرى:

اشارة

أما العاطفة البشرية التى يحتمل اتهام الرسول صلى اللّه عليه و سلم بها فيمكن أخذ التهمة بالخوف من عدم قبول الكفار لبعض القرآن نموذجا؛ إذ قد يتهم بأن ذلك دفعه إلى كتم بعض القرآن، و هو ربما الذى دفع بعض القصّاص المتأخرين ليدبجوا مهازيل من الأحاديث بأن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يود ألا ينزل ما ينفر الكفار منه.

فيؤخذ هذا النموذج فى نفى هذه التهمة:

حيث يقول اللّه سبحانه و تعالى وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ "التكوير/ ۲۴، "و قد ورد فى هذه الآية تأويلان بحسب القراءتين الواردتين فيها «۱»، و كل قراءة تتضمن معنى ثانيا بحسب النظر إلى حرف الاستعلاء (على)، فصارت هذه الكلمة نافية لأربعة معان، ترجع إلى الشبهة المذكورة فى المطلب بأعظم الأساليب إعجازا:

فالقراءة الأولى بِضَنِينٍ أى ببخيل ... بل هو مبلّغ الوحى كله، و بظنين بمتهم، فنفى اللّه جلّ جلاله عنه النقص، و اعتوار الشك فى الأمانة، تأكيدا لقوله أَمِينٍ إن كان المراد «۲» جبريل عليه السلام، و إن كان المراد النبى صلى اللّه عليه و سلم فكذلك، لا يبخل بالوحى، و لا يقصر فى التبليغ و التعليم.

أما الصفة الثانية المنفية فى قراءة الضاد فهى الحرص، و تلوح من بين ثنايا التعبير عن عدم التقصير بقوله بِضَنِينٍ أى ببخيل ... مع أنه أمكن أن يقول بمقصر؛ إذ إن (۱) قرأ ابن كثير و أبو عمرو و الكسائى و رويس عن يعقوب بالظاء، و قرأ الباقون بالضاد. انظر: طيبة النشر، مرجع سابق، عند قول الناظم: (بظنين الظار غد حبر غنا ...).

(۲) انظر: تفسير القرطبى ۱۹/ ۲۴۲، مرجع سابق، فقد ذكر أن أهل التأويل اختلفوا فى صاحب هذه الآية وَ ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ جبريل عليه السلام، أو محمد صلى اللّه عليه و سلم.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۷

البخيل إنما يبخل بما عنده نظير ما يزعمه مصلحة له إلى وقت الحاجة، فلو كان النبى صلى اللّه عليه و سلم لا يصرّح لهم بجميع الوحى بقصد المصلحة، فيتأول تأخير بعض الوحى لعدم حلول وقته كالبخيل، و مما يمكن التمثيل به: ما فيه تبكيت لهم، أو توبيخ له مما قد

یشینه فی قلوبهم (کما فی سورة عبس) ...، فقد یقال: للمعرفة بأن المصلحة الدعویة تقتضی کتم هذه الآیات خوف الفتنة- کما یطرأ علی تفکیر بعض الدعاة- فسیکتمها لذلک بفعل عاطفته البشریة ...، و لکن اللّه جلّ جلاله نفی عنه هذه العاطفة القاصرة ... فلا یبخل بالوحی لأجل المصلحة الظاهرة، فکیف لو عدمت؟. سواء کان هذا تتابعا فی وصف جبریل علیه السلام أو کان وصفا للرسول الجلیل صلی اللّه علیه و سلم ... و یؤید ما قرّر هاهنا: أن فعل البخل لا یتعدی بعلی إلا علی تضمینه معنی الحرص و نحوه «۱»، و لذا قال ابن زید فی هذه الآیة ":الغیب القرآن الذی لم یضمن به علی أحد من الناس ... أداه و بلغه، بعث اللّه به الروح الأمین جبریل علیه السلام إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فأدی جبریل علیه السلام ما استودعه اللّه عزّ و جل إلی محمد صلی اللّه علیه و سلم و أدی محمد صلی اللّه علیه و سلم ما استودعه اللّه سبحانه و تعالی و جبریل علیه السلام إلی العباد لیس أحد منهم ضنّ، و لا کتم، و لا تخرص" «۲».

و القراءة الثانیة: بظنین بالظاء المشالة معناها: ما هو علی الغیب بمتهم، تأکیدا لقوله أَمِینٍ، و التهمة مطلقة، و نفیها مطلق، فتشمل ما قیل فی معنی الظنة به:

تقصیرا، أو ضعف قوة علی التبلیغ «۳»، فکل ذلک منتف عنه.

و الصفة الثانیة المنفیة بقراءة الظاء هی التجرؤ: حیث یظهر تضمین بظنین "بالظاء المشالة "معنی المتجرئ عند عدم الرضا بالقرآن المنزل، بقرینة قیام عَلَی مقام (۱) و هو ما قال به الآلوسی- رحمه اللّه تعالی-، انظر: روح المعانی ۳۰/ ۱۰۷، مرجع سابق، و مثله قرر صاحب التحریر و التنویر ۳۰/ ۱۶۲، مرجع سابق، فی إحدی المعانی التی وجه بها الآیة.

(۲) فیما خرجه ابن جریر فی تفسیره عنه ۳۰/ ۸۲، مرجع سابق.

(۳) انظر: روح المعانی ۳۰/ ۱۰۶، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۸

فی، و المعنی: لیس بمتهم فی أمر الغیب- و هو الوحی- و لا متجرئ علیه، فیقول من عند نفسه شیئا فیدعی أنه الوحی، بل ما بلغه هو الغیب لا ریب فیه، و لذا فعکسه یتعدی بعلی کقولک: ائتمنه علی کذا.

و علی ما ذکر فی تأویل القراءتین لا یظهر مسوّغ لترجیح الآلوسی هذه القراءة الأخیرة علی الأولی بأنها أنسب بالمقام لاتهام الکفرة له صلی اللّه علیه و سلم «۱»؛ إذ قد ظهر ما فی القراءة الأولی من حکم بالغة بادی الرأی ... و ربما یظهر للمتأمل- بعد- أیضا فی هذه، و فی غیرها- ما لا تنقضی معه عجائب القرآن- علی أن الطبری رجح القراءة الأخری بالضاد «۲».

کما یظهر فی هذه الآیة: نفی تسرب شک فی ذات الملک من حیث التهمة أو من حیث الخلل "النقص "علی قراءة بظنین، أو تسرب شک فی ذات النبی صلی اللّه علیه و سلم من الحیثیة ذاتها، و هو الأقرب أن یکون المراد، لأن الملک معروف بطاعته لربه بلا دخل و لا خلل فطرة قد فطر علیها، و هذا معلوم حتی عند کفرة العرب، و کذلک من حیث سیاق السورة.

و سبحان اللّه بحمده، سبحان اللّه العظیم، و الحمد للّه رب العالمین. (۱) روح المعانی ۳۰/ ۱۰۶، مرجع سابق.

(۲) انظر: تفسیر الطبری ۳۰/ ۸۳، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۸۹

ملحق مناقشة علمیة لتعریف القرآن الکریم:

اشارة

یرمی هذا الملحق إلی بیان ماهیة القرآن من حیث أصله اللغوی، و بیان حدوده فی الوضع الشرعی، من حیث لفظه؛ إذ إن القرآن هو

موضوع تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم من جبریل علیه السلام، و لذا یتألف هذا الملحق من مبحثین:

المبحث الأول: القرآن فی الوضع اللغوی، و مقتضیاته.

المبحث الثانی: القرآن فی الوضع الاصطلاحی، و مقتضیاته.

المبحث الأول: القرآن فی الوضع اللغوی، و مقتضیاته:

اشارة

یهدف هذا المبحث إلی استخراج معطیات و ذاتیات الحقیقة اللغویة لمادة (قرأ) فی أصل الوضع اللغوی، و مقتضیات ذلک، و لذا فهو ینقسم إلی مطلبین:

المطلب الأول: أقوال العلماء فی الوضع اللغوی للقرآن.

المطلب الثانی: مقتضیات مادة (القرآن) لغة.

المطلب الأول: أقوال العلماء فی الوضع اللغوی للقرآن:

اشارة

اختلف فی أصل هذه اللفظة علی قولین عامین:

قول جعله علما شخصیا غیر مشتق، و قول جعله مشتقا، ثم اختلف القائلون باشتقاقه علی أقوال خمسة فی أصل ذلک الاشتقاق، و تفصیل ذلک مبسوط فیما یلی «۱»: (۱) و سیلمس القارئ نوع تطویل فی هذا الملحق، و عذر الباحث أن ذلک مما استلزمه سبیل التحقیق العلمی فی هذه المسألة لربط ذلک بمحور البحث، و هو لفظ القرآن الکریم و کیفیة تلقی النبی صلی اللّه علیه و سلم له.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۰

۱- فقیل: هو اسم غیر مشتق خاص بکلام اللّه سبحانه و تعالی

اشارة

فهو غیر مهموز، و الراء محرکة بالفتح، و به قرأ ابن کثیر «۱»، و هذا مروی عن الشافعی- رحمه اللّه تعالی- «۲»، قال الشافعی:

"و قرأت علی إسماعیل بن قسطنطین، و کان یقول: القرآن اسم، و لیس بمهموز، و لم یؤخذ من قرأت، و لو أخذ من قرأت کان کلما قرئ قرآنا «۳»، و لکنه اسم للقرآن مثل التوراة و الإنجیل "و یهمز قرأت و لا یهمز القرآن، و اختار هذا القول الإمام السیوطی- رحمه اللّه تعالی- فی الإتقان «۴» ...؛ فالقرآن علی هذا قد وضع علما مرتجلا «۵»، علی هذا الکتاب الکریم کما أن التوراة علم علی الکتاب الذی أنزل علی موسی علیه السلام، و الإنجیل علم علی الذی أنزل علی عیسی علیه السلام.

- و ذهب الجمهور إلی أنه مشتق، ثم اختلفوا فی أصل اشتقاقه:

۲- فرجع الأشعری- رحمه اللّه تعالی- أنه مشتق من قرنت الشیء بالشیء:

إذا ضممت أحدهما للآخر، و سمى القرآن بذلك لأنه تضم حروفه و كلماته بعضها إلى بعض، كما تضم أحكامه فى العلم و العمل فلا تجزأ «۶». (۱) و حمزة وقفا.

(۲) (الحاكم) أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه ابن البيع النيسابورى (۳۲۱ ه، ت ۴۰۵ ه): المستدرك على الصحيحين ۲/ ۲۵۰، مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۰ م، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة لم تذكر. و فيه عن: محمد بن إدريس الشافعى حدثنا إسماعيل بن عبد اللّه بن قسطنطين قال: قرأت على شبل، و أخبر شبل أنه قرأ على عبد اللّه بن كثير، و أخبر عبد اللّه أنه قرأ على مجاهد، و أخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس رضى اللّه عنه و أخبر ابن عباس رضى اللّه عنه أنه قرأ على أبى بن كعب، و قال ابن عباس رضى اللّه عنه: قرأ أبى على النبى صلى اللّه عليه و سلم.

(۳) ليست هذه النتيجة مستلزمة للمقدمة ... إذ يصح أن يؤخذ من قرأت، و لا يسمى كل ما قرئ قرآنا من حيث تخصيص الشرع، أو العرف للعام، و إن بقى اسمه عاما.

(۴) الإتقان فى علوم القرآن ۱/ ۵۱، مرجع سابق. و انظر: لسان العرب ۱۱/ ۷۸، مرجع سابق.

(۵) العلم المرتجل: ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية فى غيرها كسعاد و أدد. انظر: (ابن عقيل) بهاء الدين عبد اللّه ابن عقيل العقيلى (۶۹۸ ه، ۷۶۹ ه): شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ۱/ ۱۰۰، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد فى حاشيته عليه المسماة: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لم تذكر الطبعة و لا الدار.

(۶) الإتقان فى علوم القرآن ۱/ ۵۱، مرجع سابق، و انظر: (أبو البقاء) أيوب بن موسى الحسينى الكوفى الكليات ۷۲۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، قابله على نسخة خطية، و أعده للطبع، و وضع فهارسه: د. عدنان درويش- محمد

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۱

و هذا هو القول الاشتقاقى الأول «۱»، و يومئ له حديث ابن مسعود رضى اللّه عنه: (إنا قد سمعنا القراءة، و إنى لأحفظ القرناء التى كان يقرأ بهن النبى صلى اللّه عليه و سلم ثمانى عشرة سورة من المفصل، و سورتين من آل حم) «۲» ... و قد ينازع فى هذا الاستدلال.

۳- و قيل: أنه مشتق من القرينة

و أنه اسم جمع لها، و القرينة العلامة، قالوا: لأن آياته يصدّق بعضها بعضا، فهى قرائن على الصدق «۳»، و نسبه السيوطى للفراء- رحمه اللّه تعالى «۴».

و هذا هو القول الاشتقاقى الثانى:

و على كل الأقوال المتقدمة فإن [قرآن وزنه فعال، و نونه أصلية.

و على القولين الاشتقاقيين السابقين: فإن أصلهما واحد هو القرن «۵»؛ إذ القرينة ترجع إليه، و منه: صدق فلان بقرينة كذا أى بضميمة كذا، و المراد ما اقترن بصحة صدقه، و هذا هو المطلوب الأول «۶».

- و قيل بل هو مشتق من قرأ ... ثم اختلف القائلون بذلك فى أصل المدلول اللغوى لكلمة قرأ ... المصرى- مؤسسة الرسالة- بيروت ط ۱، تفسير التحرير و التنوير ۱/ ۷۱، مرجع سابق. ثم انظر إلى ذم القرآن لمن يجزئه فى قوله تعالى الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ" كالحجر/ ۹۱. "راجع فيها: فتح القدير ۳/ ۱۸۰، (الشوكانى) محمد بن على ابن محمد الشوكانى ۱۲۵۰ ه: فتح القدير الجامع بين الرواية و الدراية من التفسير ط ۱، ۱۴۱۵- ۱۹۹۵ م، اعتنى به، و راجع أصوله: يوسف الغوش- دار المعرفة بيروت.

(۱) و يظهر من صنيع البخارى- رحمه اللّه تعالى- فى الصحيح تأييده، إذ أورد فى معنى القرآن ":سمى القرآن لجماعة السور، و

سمیت السورة لأنها مقطوعة من الأخری، فلما قرن بعضها إلی بعض سمی قرآنا: انظر: صحیح البخاری ۴/ ۱۷۷۰، مرجع سابق.

(۲) صحیح البخاری ۴/ ۱۹۲۴، مرجع سابق.

(۳) تفسیر التحریر و التنویر ۱/ ۷۱، مرجع سابق.

(۴) الإتقان ۱/ ۵۱، مرجع سابق.

(۵) و منه اقترن قرانا و مقارنة. انظر لسان العرب ۱۱/ ۱۳۴، مرجع سابق.

(۶) فی اصطلاح الباحث.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۲

۴- فقال قوم منهم الزجاج- رحمه اللّه تعالی "-:تدور کلمة (قرأ) علی معنی الجمع و الضم.

اشارة

و منه قرأت الماء علی الحوض أی جمعته «۱» ... قال ابن منظور- رحمه اللّه تعالی "-:قرأه یقرؤه و یقرؤه، الأخیرة عن الزجاج قرءا و قراءة، و قرآنا، الأولی عن اللحیانی فهو مقروء."

قال أبو إسحاق النحوی- رحمه اللّه تعالی "-:یسمی کلام اللّه سبحانه و تعالی الذی أنزله علی نبیه صلی اللّه علیه و سلم کتابا و قرآنا و فرقانا، و معنی القرآن معنی الجمع، و سمی قرآنا؛ لأنه یجمع السور فیضمها «"۲»، و إلی نحو ذلک مال ابن فارس- رحمه اللّه تعالی-، و قال أبو عبیدة ":لأنه جمع السور بعضها إلی بعض «"۳»، و قال الراغب ":لأنه جمع ثمرات الکتب السالفة المنزلة، و قیل لأنه جمع أنواع العلوم کلها «"۴».

و هذا هو القول الاشتقاقی الثالث

و علی هذا فالقرآن مصدر بمعنی اسم الفاعل، أی الجامع «۵».

و قد غلط الزجاج القول السابق: باشتقاق القرآن من قرن، و قال ":هو سهو «"۶»، مع أن التأمل قاض بأن الخلاف لفظی بین هذا القول، و القول الذی جعل اشتقاق القرآن من القرن من حیث أن حاصل کل منهما الضم و الجمع: فضم حرف إلی حرف، و ضم (۱) الإتقان ۱/ ۵۱، مرجع سابق.

(۲) لسان العرب ۱۱/ ۷۸، مرجع سابق، و انظر: (ابن فارس) أبو الحسین أحمد بن فارس بن زکریا الرازی: معجم المقاییس فی اللغة ۲/ ۷۸، بتحقیق و ضبط عبد السلام هارون، ط ۱، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الجیل.

(۳) (أبو عبیدة) معمر بن المثنی التیمی: مجاز القرآن ۳، ط ۱، الخانجی الکتبی بمصر ۱۹۵۴ م. حققه د. محمد فؤاد سزکین.

(۴) (الراغب) أبو القاسم الحسین بن محمد الأصفهانی ت ۵۰۲ ه: المفردات فی غریب القرآن ۳۹۸، تحقیق محمد سید کیلانی، دار المعرفة- بیروت.

(۵) (الشنقیطی) محمد الأمین بن محمد المختار الشنقیطی: نثر الورود علی مراقی السعود ۱/ ۸۸- تحقیق و إکمال تلمیذه الدکتور: محمد ولد سیدی ولد حبیب الشنقیطی- الناشر: محمد محمود محمد الخضر القاضی- دار المنارة جدة ط ۱، ۱۴۱۵- ۱۹۹۵ م.

(۶) الکلیات ۱/ ۷۲۱، مرجع سابق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۳

کلمـة إلی کلمـة، و ضم سورة إلی سورة ... یصـدق علیه أن یجعل المصدر (قرن) مکان المصدر (ضم)، فإذا المعنی واحد، و هذا هو المطلوب الثانی:

فقد تحصل من المطلوب الأول و الثانی: أن القرآن مأخوذ من القرن أو الجمع، و هما آئلان إلی معنی واحد.

۵- و قال قوم: قرأ بمعنی تلا، و القرآن مصدر بمعنی اسم المفعول (المقروء أو المتلو)

زیـدت فیه الألف و النون، کما زیـدتا فی الغفران و الرجحان «۱». و إلی هـذا المعنی مال رأی الإمام عبد الرحمن الثعالبی- رحمه اللّه تعالی-، و قدمه علی المعنی الأول، قال ":و منه قول حسان رضی اللّه عنه:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به یقطع اللیل قرآنا و تسبیحا

أی قراءة «"۲».

و قد أید هذا المعنی إمام المفسرین الطبری- رحمه اللّه تعالی-، فقال ":و الواجب أن یکون تأویله علی قول ابن عباس رضی اللّه عنه: التلاوة و القراءة «۳»، و کذا رجح هذا المعنی صاحب کتاب "النبأ العظیم «"۴».

و یؤیده أن أول ما بدئ به الرسول من الوحی القرآنی اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ ...

الآیـة، و قد قال تعالی وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ " ...الإسـراء/ ۱۰۶، "فهمزة (قرآن) همزة أصـلیة «۵». (۱) نثر الورود ۱/ ۸۸، مرجع سابق، و انظر الکلیات ص ۷۲۰، مرجع سابق.

(۲) (الثعالبی) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائری: الجواهر الحسان فی تفسیر القرآن ۱/ ۳۲، دار القلم، بیروت.

(۳) (الطبری) أبو جعفر محمد بن جریر الطبری (ت ۳۱۰): تفسیر الطبری المسمی جامع البیان فی تأویل القرآن ۱/ ۴۱، ط ۳ ۱۳۸۸ ه- ۱۹۶۸ م، شرکة مکتبة و مطبعة مصطفی البابی الحلبی و أولاده بمصر.

(۴) د. محمـد عبـد اللّه دراز: النبأ العظیم ص ۵، اعتنی به و خرج أحادیثه: عبـد الحمیـد الـدخاخنی ط ۱ ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م، دار طیبة الریاض.

(۵) المراد بالأصـلیة هنا أنها لیست ساقطـة سـقوطا کاملا من الکلمـة، لا المراد الصـرفی، إذ یصـدق علی کونه مأخوذا من قراءة لا من القرن، و غایة البحث منصبة علی جمع أصل التفکیر فی أصل الکلمة علی القولین.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۴

و هذا هو القول الاشتقاقی الرابع.

و قد جمع بعض العلماء المعاصـرین «۱» بین المعنیین السـابقین (القرن، أو الضم و هو مـا ذکر فی حاصـل المطلوب الأـول و الثانی، و التلاوة و القراءة) فی معنی واحد: هو الجمع ذاته، فیکون أصل کلمة (قرأ) هو الجمع، ثم صار اسـتعمال مصدر (القرآن)- بعد- مشتهرا فی التلاوة، و هی ضم الألفاظ بعضها إلی بعض فی النطق، کما أن استعمال الکتاب فی خصوص الرسم، و هو ضم الألفاظ بعضها إلی بعض فی الخـط، و مادتـا (کتب) و (قرأ) تـدوران علی معنی الجمع و الضم مطلقـا، و بلمـح هـذا الأصل الأول یکون کل من اللفظتین ملاحظا فیه وصف الجمع، إما علی معنی اسم الفاعل فیکون معناه (الجامع)، أو اسم المفعول فیکون معناه (المجموع)، و هذا اللقلب لا یعنی فقـط أن هـذا المسـمی جـامع للسور و الآیـات، أو أنه مجموع تلـک السور و الآیـات من حیث هی نصوص مؤلفـة فی صـفحات القلوب، أو من حیث هی نقوش مصـفوفة فی المصـحف و الألواح، أو من حیث هی أصوات مرتلة منظومة علی الألسـنة، بل یعنی شیئا أدق من ذلک کله، و هو أن هـذا الکلام قد جمع فنون المعانی و الحقائق، و أنه قد حشدت فیه کتائب الحکم و الأحکام، کما قال عزّ و جل: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ "النحل/ ۸۹."

و أكد أبو بكر الأنبارى- رحمه اللّه تعالى- ذلك بقوله سبحانه و تعالى فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۸، "إذ قال فى معناه ":إذا ألفنا منه شيئا، فضممناه إليك، فخذ به، و اعمل به، و ضمه إليك «"۲»؛ إذ إن التأليف هو جمع كائن هاهنا بالألفاظ و هو التلاوة، و بالنقوش و هو الكتابة «۳»، و هذا هو المطلوب الثالث. (۱) هو الدكتور محمد عبد اللّه دراز ذاته فى كتابه النبأ العظيم ص ۶، مرجع سابق.

(۲) (الأنبارى) أبو بكر محمد بن القاسم: الزاهر فى معانى كلمات الناس ۱/ ۷۱، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، اعتنى به: عز الدين البدوى النجار- ط ۱ ن ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، مؤسسة الرسالة- بيروت.

(۳) هذا استطراد- لا يذم- فى معنى كتب بجانب قرأ ليتضح معنى الكتاب إلى جانب القرآن من حيث دلالة قرأ على الجمع القرائى، و دلالة كتب على الجمع الخطى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۵

و استلزام الجمع التلاوة فى مادة (قرأ) كاستلزام الجمع الكتابة فى مادة (كتب)، و بذا اجتمع على سلك واحد المعنى الذى ارتضاه الطبرى للقراءة و هو التلاوة، و المعنى الآخر الذى نسبه إلى قتادة، و هو التأليف فلا يكون- بعد- لقوله- رحمه اللّه تعالى "-:و لكلا القولين، أعنى قول ابن عباس رضى اللّه عنه و قول قتادة اللذين حكيناهما وجه صحيح فى كلام العرب، غير أن أولى قوليهما بتأويل قول اللّه تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۷- ۱۸، "قول ابن عباس رضى اللّه عنه «۱»- مكان فى قوانين الترجيح؛ لأن أقل أحوال الترجيح أن يكون فرع التغاير؛ إذا كان الترجيح ترجيحا أولويا و لا تغاير هنا.

فقد التقت المعانى الأربعة (القرآن، القرينة، الضم، التلاوة) فى الجمع، لكنه قرن، و ضم، و جمع خاص بالحروف القرآنية و هو معنى التلاوة، فالمعانى الأولى باعتبار المعنى العام، و التلاوة باعتبار المعنى الخاص. و هذا واضح من المطلوبات الثلاثة.

و قد تحصل مما سبق أن القرآن يعنى فى ذاته الجمع، و قد أريد به جمع مخصوص هو جمع الحروف فى النطق، و هو الذى اصطلح على تسميته بالتلاوة، و هى حالة خاصة من القراءة ترتبط غالبا بالقرآن الكريم، و لهذه النتيجة أهميتها البالغة كما سيأتى- إن شاء اللّه تعالى- فى المطلب الثانى من هذا المبحث.

۶- و قال قطرب- رحمه اللّه تعالى "-:إنما سمى القرآن قرآنا لأن القارئ يظهره

و يبينه، و يلقيه من فيه أخذا من قول العرب: ما قرأت الناقة سلى قط، أى: ما رمت بولد «۲»، قال حميد ابن ثور:

أراها غلاماها الخلى فتشذرت مراحا، و لم تقرأ جنينا و لا دما

«۳» و هذا هو القول الاشتقاقى الخامس (القرآن: البيان، و الإظهار). (۱) تفسير الطبرى ۱/ ۴۲، مرجع سابق.

(۲) (التبريزى) الإمام الخطيب أبى زكريا يحيى بن على التبريزى (ت ۵۰۲): شرح القصائد العشر ص ۳۸۰- علق عليه: السيد أحمد الخضر- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة. و انظر: الإتقان فى علوم القرآن ۱/ ۵۱، مرجع سابق.

(۳) الزاهر فى معانى كلمات الناس ۱/ ۷۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۶

المطلب الثانى: مقتضيات مادة (القرآن) لغة:

اشارة

بالعودة المتأملة إلى المقررات اللغوية فى المطلب السابق يمكن استخراج ذاتيات و معطيات مادة (قرأ)، فما كان اختيار قدرى لها

لتقترن بكلام رب العالمين علما عليه إلا لدلالات تضمنتها مادتها:

فأما أولا: فإن قاعدة التفكير فى الأصل اللغوى لكلمة (قرآن) هى:

أ- من حيث القولان العامان: أن لفظ (قرآن) هو مصدر (وصف مهموز) «۱»، من (قرأ) على ما ذهب إليه الجمهور، و لكنه نقل و جعل علما شخصيا على الكتاب الكريم، و من باب الاشتراك اللفظى فإنه يطلق على بعضه، أو على جميعه، و كونه صار علما شخصيا هو عين ما ذهب إليه الشافعى و محققو الأصوليين «۲».

و بذا لا يتعارض القولان العامان الواردان فى الأصل اللغوى للفظ (قرآن) من حيث أصل فكرتهما، بعد سلوك هذه السبيل التوفيقية فى الجمع بينهما.

فالقرآن على وزن فعلان، وزنة فعلان وردت فى المصادر مثل غفران، و شكران، و بهتان، كما وردت زيادة النون فى أسماء الأعلام، مثل عثمان و عدنان، و حسان. و اسم (قرآن) صالح للاعتبارين؛ إذ هو مشتق من معنى الضم و الجمع سواء كان أصل الاشتقاق قراءة، أو قرنا؛ لذا اتفق أكثر القراءة على قراءة لفظ (قرآن) مهموزا أنى وقع فى التنزيل، و لم يخالفهم إلا ابن كثير، و حمزة وقفا، حيث قرءاه بفتح الراء بعدها ألف و إسقاط الهمز على تخيف المهموز، و هى لغة حجازية، و الأصل توافق القراءات فى مدلول اللفظ المختلفة قراءته «۳»، و يؤكد هذا المعنى أن الإمام أبا عمرو المقرئ قد قرأ على ابن (۱) المراد شبيه بالوصف، لا- أنه وصف حقيقى و ذلك بمشابهة المصدر للوصف فى عمل الفعل و نحوه.

(۲) روح المعانى ۱/ ۶۲، مرجع سابق، النبأ العظيم ص ۷، مرجع سابق.

(۳) التحرير و التنوير ۱/ ۷۱، مرجع سابق. و إنما مال الشافعى إلى أنه علم خاص بالقرآن غير مشتق لأن سنده فى القراءات يتصل بابن كثير- رحمه اللّه- انظر: الكليات ص ۷۲۰، مرجع سابق، و لسان العرب ۱۱/ ۷۸، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۷

كثير، فهو من جملة شيوخ أبى عمرو فى القراءات، لكن اختياره المنقول إلى يومنا هو قراءة لفظ (القرءان) بالهمز «۱» ... و معلوم مكانه من النحو و اللغة، كما هى فى الإقراء، فلو لم يستقر عنده اتحاد المعنيين مهموزا، أو مخففا لكان أجدر أن ينقل الوجه الذى ارتضاه شيخه.

فقد تقرر أن لفظة (قرآن) مصدر مشتق من (قرأ، أو قرن) صار علما شخصيا على ذلك الكتاب الكريم «۲»، و هما القولان العامان.

كما تقرر على القول الاشتقاقى الأول، و الثانى، و الثالث، و الرابع أن القرآن مأخوذ فى أصل معناه من الجمع و الضم «۳» (و هو القرن)، لكنه جمع مخصوص لجملة (۱) خلافا لما نقله فى لسان العرب ۱۱/ ۷۸، مرجع سابق من أنه لا- يهمز ... انظر: (الشاطبى) أبو القاسم أو أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعينى الشاطبى ت ۵۹۰ ه: حرز الأمانى و وجه التهانى (متن الشاطبية)، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، المكتبة الثقافية- بيروت، عند قول الناظم فى فرش سورة البقرة: (و نقل (قرآن) و القرآن دواؤنا)، و انظر: (ابن الجزرى) محمد بن محمد بن محمد بن على ت ۸۳۳ ه: طيبة النشر فى القراءات العشر ص ۹۷، عند قول الناظم فى باب نقل الهمز: (كيف جاء القرآن دف)، ضبطه و صححه و راجعه: محمد تميم الزعبى، توزيع مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة.

(۲) هاهنا إشكالان: أولهما: متعلق بصحة التعبير فى هذه الجملة؛ إذ لا يقال مصدر مشتق على مذهب البصريين السائد، مع اتفاقهم على أن المصدر جامد، و هو أصل المشتقات. قال الحريرى فى ملحة الإعراب:

و المصدر الأصل و أى أصل و منه يصح اشتقاق الفعل

إلا أن يراد بالاشتقاق هنا معنى أعم من الاشتقاق الاصطلاحى، و هو رد لفظة إلى لفظة ...

و ثانيهما: إن قررنا أن القرآن علم فكيف يجتمع ال و العلمية فى كلمة .. و يجاب عليه بأنه لا إشكال فقد قال ابن مالك:

و بعض الأعلام عليه دخلا للمح ما قد كان عنه نقلا

كالفضل و الحرث و النعمان فذكر ذا و حذفه سيان

انظر: نثر الورود ۱/ ۸۸- ۸۹، مرجع سابق.

(۳) و صرح ابن الأثير فى النهايـة بـذلك فقال ":قـد تكرر فى الحديث ذكر القراءة، و الاقتراء، و القارئ، و القرآن، و الأصل فى هذه اللفظـة الجمع، و كل شـىء جمعته فقـد قرأته، " ...انظر: (ابن الأثير) المبارك بن محمـد بن محمـد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزرى: النهاية فى غريب الأثر ۳/ ۳۵۸ مراجعة طاهر أحمد الزاوى+ محمود محمد الطباخى، ۱۳۹۹ ه- ۱۹۷۹ م، دار الفكر- بيروت.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۸

أصوات خارجـة من مخارجهـا، تصير بضـمها و جمعهـا لبعضـها قرآنـا، و يسـمى النطق بها تلاوة، فهى نوع خاص من القراءة، صارت مقترنة بالقرآن، و هذه الأحرف تخرج مظهرة، مبيّنة، محددة كما حددها الشارع «۱»، و هو القول الاشتقاقى الخامس.

و بهـذا يكون أصل التفكير فى الأصل اللغوى لكلمة (قرآن) قد اتحد، و إن اختلفت عبارات المعبرين عنه، و هو معنى الجمع و الضم، و لكن بعضـهم عبر عن ذلك بما يؤول إليه جمع الحروف، و قرنها ببعضـها عنـد نطق القارئ بها فى خصوص القرآن فسـماه تلاوة، و بعضهم نظر إلى أن حروف القرآن لا تكون كذلك حال التلفظ بها إلا أن تخرج محددة مبيّنة مظهرة، فجعل الاشتقاق آتيا من ذلك.

و لمعرفة الأصل التفكيرى فى اشتقاق هذه الكلمة أهمية بالغة، كان ما سبق أول ملامحها.

و أما ثانيا: فإن كون الخطاب الشرعى واردا بأصل الوضع العربى

فتفهم مفرداته من خلال مقتضـيات الدلالـة فى اللغة العربية «۲» ... يسوغ لنا- إن لم يحتم علينا- أن ننظر فى مقتضـيات الدلالـة اللغوية لمادة (قرأ)، و نعتمد تلك الدلالات كحقائق ما لم يخصصها- تعديلا أو إلغاء- قرين شرعى.

فمن ذلك: أن كون (قرآن) قد صارت علما شخصيا يحتم قراءة ألفاظها، وفق خصوصيتها، و لا تصح فيها كل قراءة يطلق عليها قراءة.

و أما ثالثا: فإن كلمة (قرآن) تدل فى أصل معناها على الجمع

كما سـبق، و هذا يقتضى أن تكون الحروف مجموعة فى كلمتها حال النطق، فلا يجوز نطق كل حرف فى الكلمة مستقلا عن قرينه فى الكلمة ذاتها، كما لا بد من قدر من اجتماع الكلمات أثناء (۱) هذا هو أصل فكرة التوقيف.

(۲) انظر: الموافقات فى أصول الشريعة ۲/ ۸۹، مرجع سابق، عند الكلام على مقاصد الشريعة فى وضع الشريعة للإفهام.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۲۹۹

التلاوة، و يحـدّد هـذا القـدر التلقين الشـرعى الـذى هو أساس الأداء القرائى، و يبنى على هـذا أن قراءة القرآن حرفا حرفا- على معنى الحرف الهجائى- أى لكل حرف على حدة باطلة، و كذا القراءة لكل كلمة على حدة باطلة- من حيث هى قراءة للقرآن- إلا أن تصح لصارف خارجى «۱»؛ إذ لا يسمى ذلك قرآنا لمنافاته المقتضى اللغوى لمادة (قرآن).

و صرح بما يشبه هذه النكتة الإمام التفتازانى- رحمه اللّه تعالى- فقال ":يدخل فى الحد- يعنى تعريف القرآن- الحرف، أو الكلمة، و لا يسمى قرآنا فى عرف الشيوع «"۲»، ذلك بأنه لم يجمع إلى غيره.

و من جهة أخرى فإن لفظة الجمع، و معنى (الجامع) و (المجموع) على ما تقرر سابقا يقتضى بطلان قراءة الآيات أو الكلمات معكوسة حروفها إذ لم تنزل- من حيث هى قرآن- إلا بهـذه الهيئـة المعينـة من الجمع فجمعها على غير ذلك مبطل لكونها قرآنا، و جاز تقـديم بعض السور على بعض لأنها قد أنزلت كذلك مقدما بعضـها على بعض، ثم تلقيت عن الرسول صـلى اللّه عليه و سـلم مع جواز تقديم

بعضها على بعض نقلا، بخلاف الآيات أو الكلمات.

و أما رابعا: فإن قراءة القرآن غير كائنة فى حقيقتها قراءة للقرآن

إلا- إذا اقترنت باللفظ ... و ذا يستلزم الصوت، فكان لا- بدّ من الصوت فى قراءة القرآن سواء كان خفيا (۱) كأن تكون الكلمة آية بأكملها مُدْهامَّتانِ "الرحمن/ ۶۴، "و المراد بالكلمة هاهنا: الكلمة العرفية، و هى ما التصقت حروفه، لا المعنى النحوى ...

(۲) (التفتازانى) سعد الدين مسعود بن عمر الشافعى- ت ۷۹۲ ه: التلويح على التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه- ضبطه، و خرج آياته، و أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۶ م، دار الكتب العلمية، بيروت، و تزيد الثقة بصحة هذا المستنتج بتصريح العلماء بنظيره فى الناحية المعنوية، حيث قالوا: لم يسم قرآنا إلا لجمعه ثمرات الكتب السالفة، و قال ابن الأثير: لأنه جمع القصص، و الأمر، و النهى، و الآيات، و السور بعضها، إلى بعض ...

فإن كان هذا فى الناحية المعنوية، فليكن كذلك من حيث اللفظ.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۰

أو جهريا. و أخذ هذا المستنتج مما أورده ابن منظور فى لسان العرب، حيث قال ":معنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا أى ألقيته" «۱».

و أما خامسا: فالقراءة الحقيقية للقرآن من حيث هى قراءة للقرآن

هى التى يكون الصوت فيها مجهورا مسموعا، و لا يرد على هذا الأصل ورود القراءة السرية فى الشرع؛ ذلك أنه لا إشكال فى تسميتها قراءة، لكن لا يطلق عليها هذا الإطلاق إلا و هى مقيدة به، أما مطلق القراءة دون قيد فتصرف إلى القراءة المجهور بها، و يدل على هذا الأصل حديث ابن عباس رضى اللّه عنه قال: قرأ النبى صلى اللّه عليه و سلم فيما أمر، و سكت فيما أمر ... وَ ما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا "مريم/ ۶۴ "لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ " ...الأحزاب/ ۲۱، "و أوله: (سمع قوما يتقارءون) «۲»، معناه: أنه كان لا يجهر فيها، أو لا يسمع نفسه قراءته، و قال ابن منظور ":كأنه رأى قوما يقرءون فيسمعون نفوسهم و من قرب منهم «"۳».

فأشعر الكلام بمنطوقه أن المخافتة فى قراءة القرآن ليست هى الأصل، بل تكون مقيدة بالمخافتة عند طلبها لتكون كذلك ... و يبقى هذا الاستنتاج بحاجة إلى غربلة و قوة بحث ليكون كسابقيه «۴»، من حيث قوة الثبوت «۵». (۱) لسان العرب ۲۲/ ۷۸، مرجع سابق، و فى ۱۱/ ۸۰ منه ":قال أبو إسحاق النحوى: و قرأت القرآن لفظت به مجموعا."

(۲) صحيح البخارى ۱/ ۲۶۸، مرجع سابق، و الذى عند ابن منظور لفظه: (كان لا يقرأ فى الظهر و العصر).

(۳) لسان العرب ۱۱/ ۷۹، مرجع سابق، و هو ما قرره ابن الأثير فى معناها، انظر النهاية ۳/ ۱۲۳، مرجع سابق.

(۴) لعل فى قوله سبحانه و تعالى وَ لا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَ لا تُخافِتْ بِها "الإسراء/ ۱۱۰ "إشارة إلى هذه المسألة. و غير خاف أن الجهر المتحدث عنه هو المعتدل لا المزعج المستقبح، ثم هو فى كل حال بحسبه. انظر: روح المعانى ۱۵/ ۲۷۸، مرجع سابق.

(۵) و تقدم فى الفصل الرابع ص ۲۳۲ أن أول أسس حفظ القرآن حفظه فى الصدر، و قد تقرر أن القراءة المجهورة هى المناسبة للفظ و الفهم، فى حين تقتصر القراءة الخفية على قدر من الفهم فحسب غالبا. انظر: مقال (ظاهرة النسيان) مجلة البيان، العدد ۱۰۵، جمادى الأولى ۱۴۱۷ ه.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۱

و أما سادسا: فمن المقتضيات اللغوية الهامة لمادة قرأ من حيث هى متعلقة بألفاظ القرآن الكريم:

حتمية البيان ليعتد بالخارج من الفم قرآنا، فلا يكفى اللفظ (مجرد التصويت) حتى يقترن بالبيان فى القراءة، و هذا يستفاد لغة من القول الاشتقاقى الخامس، و نقلا من قول ابن عباس رضى اللّه عنه فى قوله جلّ جلاله فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۸ ":"فإذا بيناه لك بالقراءة فاعمل بما بيناه لك «"۱».

و هذا تقعيد حسن للتجويد من حيث أنه مخارج و صفات ذاتية، أى من حيث إعطاء الحرف حقه، كما أنه رافد لاقتضاء لفظة (القرآن) ذاتيا لأداء محدد من قبل الشارع، و قد تظاهرت عبارات أهل العلم على دلالة لفظ (القرآن) على هذا المعنى، فأورد ابن القيم- رحمه اللّه تعالى- ذلك فى الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن «۲»، و قال فى زاد المعاد ":و أما المهموز- عنى مادة قرأ- فإنه من الظهور و الخروج على وجه التوقيت و التحديد، و منه قراءة القرآن؛ لأن قارئه يظهره و يخرجه مقدارا محدودا لا يزيد و لا ينقص، و يدل عليه قوله سبحانه و تعالى إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ "القيامة/ ۱۷، "ففرق بين الجمع و القرآن، و لو كان واحدا لكان تكريرا محضا، ثم استدل بقول ابن عباس رضى اللّه عنه السابق «۳»، و هو الذى (۱) انظر حديث المعالجة فى المبحث السادس من الفصل الثالث، و انظر: لسان العرب ۱/ ۷۹، مرجع سابق.

(۲) انظر: (ابن القيم) شمس الدين أبى عبد اللّه محمد بن أبى بكر: الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن ۳۳۳، ۱۹۸۷ م، دار مكتبة الهلال، بيروت. لكنه خص الإظهار و البيان لشىء معنوى هاهنا حيث قال ":البيان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج إليها فى أمر الدين و الدنيا و جمع بينهما " ...فليكن ذلك اللفظ حيث خصه بالمعنى دون مخصص ...

(۳) (ابن القيم) شمس الدين أبى عبد اللّه محمد بن أبى بكر: زاد المعاد فى هدى خير المعاد ۵/ ۶۳۵، حقق نصوصه و خرج أحاديثه، و علق عليه، شعيب الأرناءوط، و عبد القادر الأرناءوط، ط ۸، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

و يلاحظ أنه عتب على أبى عبيدة- قال "-:لزعمه أن القرآن مشتق من الجمع، "و لا عتب على أبى عبيدة و لا ملامة؛ إذ إن تفريق ابن القيم بين (قرى) المعتل و (قرأ) المهموز فيه نظر؛ فإن ابن فارس قد قال بعد كلامه عن المعتل ":فإذا همز هذا الباب فهو و الأول سواء. "انظر: معجم المقاييس ۲/ ۷۸، مرجع سابق، و لا شك فى تقديم كلام ابن فارس- رحمه اللّه تعالى- من حيث هو فارس هذا الميدان فى هذا الشأن.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۲

ختم عليه الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- بطابع التصديق، فقال ":فمعنى القرآن: المقروء المتلو، أو المظهر المبرز «"۱»، و قرره فى (نثر الورود) بنحو هذه العبارة «۲».

و أما سابعا: فإن القراءة تستلزم حبس النفس، و رياضة الفك

قال أبو عمرو ابن العلاء- رحمه اللّه تعالى "-:دفع فلان جاريته تقرّئها: أى تمسكها حتى يتحقق الاستبراء «"۳».

و قبل الانتقال إلى التعريف الاصطلاحى للقرآن الكريم، فإن الناظر فيما سبق يتضح له سبب الاختيار القدرى و الشرعى للفظة (قرآن) لتقترن بكلام اللّه عزّ و جل، إذ كان بسبب تضمنها لمقتضيات ذاتية تجعل لفظها و هيئة أداء هذا اللفظ توقيفية، و هو ما قام جبريل عليه السلام بتعليمه للنبى صلى اللّه عليه و سلم بأمر من اللّه سبحانه و تعالى، لا فرق فى ذلك بين أصل اللفظ، و لا هيئة أدائه، و قد رأيت أن أول أدلة ذلك هو المقتضيات اللغوية للفظة (قرآن). (۱) روح المعانى ۱/ ۸۸، مرجع سابق.

(۲) انظر نثر الورود: ۱/ ۸۹، مرجع سابق.

(۳) لسان العرب ۱۱/ ۸۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۳

المبحث الثانى ":القرآن "فى الوضع الاصطلاحى، و مقتضياته:

اشارة

يرمى هـذا المبحث إلى بيـان المراد بـالقرآن من حيث الوضع الاصـطلاحى، و مقتضـيات ذلك من حيث ألفاظه تحديـدا و تبيينا لهيئة القراءة ... و فيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بواعث تعريف القرآن اصطلاحا.

المطلب الثانى: أقوال العلماء فى الوضع الاصطلاحى لكلمة (قرآن).

المطلب الثالث: إشارات عامة حول علاقة التعريف الاصطلاحى بألفاظ القرآن الكريم.

المطلب الأول: بواعث تعريف القرآن اصطلاحا:

تناول العلماء تعريف القرآن لا بسبب الجهل به، أو عدم وضوحه للناس، بل لأمور:

أولها: ضبط ما تعبد به تلاوة.

ثانيها: ضبط ما تجوز به الصلاة و أقله، و ما لا تجزئ قراءته فيها.

ثالثها: ضبط الأدلة الشرعية الكلية، و التفصيلية التى يستدل بها على مواضعها من علوم الشرع، و جزئيات الحياة العلمية، و العملية.

رابعها: تحديد القطعى ثبوتا و دلالة، و غيره من الوحى المنزل ليبنى عليه تفصيلات الاجتهاد العلمى، و طرائق التعادل و الترجيح.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۴

خامسـها: بيـان الحـدود التى أذن للعقل البشـرى التصـرف فيها من لفظـة بحسب ما أنزل وجوبا أو جوازا، إلزاما أو اختيارا «۱» فى مادة اللفظ القرآنى و هيئته الصوتية.

سادسها: بيان ما يكفّر به جاحده من لفظه، و ما لا يكفر بجحده.

سابعها: تحديد المعجز من لفظه و معناه، و غيره؛ إذ هو المعجزة التى لم تزل حجة قائمة على العباد إلى قيام الساعة «۲».

و لشـهرة القرآن الكريم، و وضوح حـدوده اللفظيـة الظاهرة لعامـة الناس؛ فقـد رأى البعض أنه من غير المسـتساغ اللهث وراء الحـدود المنطقية لتبيان الماهية، أو المميزات الشخصية فى القرآن للجمهور، و لذا يكفى للتعريف بالقرآن آنئذ أن يقال: هذا المصحف، أو أن يقـال: القرآن الكريم هو القرآن الكريم ... حـذو كـل الواضـحات التى يزيـدها التعريف خفاء، و الحـد المنطقى إلباسا، و لـذا أعرض البعض عن تعريفه أو حدّه «۳»، و حدّه البعض بما لا حاصل تحته للمتخصـص فضـلا عن الجمهور إلا زيادة التأكيد على المعنى الذى يتبادر إلى ذهن المسـلم فور سماعه لفظ (قرآن) «۴»، لكنه يسـتدرك على هذا الرأى: بأن هذه الدراسة ترتبط ارتباطا لا يخفى بمسألة تعريف القرآن الكريم من حيث معالجتها المتخصـصة لقضايا مصادره اللفظية، و هيئات أدائها عند هذه المصادر، و من ثم (۱) وجوبا: كأداء لفظ السور فى هيكله الصوتى الأصـلى، و جوازا كالاختيار بين الإتيان بالبسملة أو عدمها، إلزاما كالتزام مد تقوم به ذات الحرف فى المـد الأصـلى، و إلاـ أخـل بطبيعـة الحرف، و اختيارا كاختيار أحـد القراءات لأداء لفظ القرآن أو أحـد الأوجه من ثلاثـة العارض للسكون مثلا.

(۲) أشار إلى بعض هذا صاحب التفسير المنير ۱/ ۱۴، لكن بغير هذا البيان، انظر: د. و هبة الزحيلى: التفسير المنير، ط ۱، دار الفكر.

(۳) انظر الدراسات القرآنية المتكاثرة حول القرآن الكريم التى لم تعر الحد المنطقى للقرآن الكريم بالا ... و فى مقدمتها:

تفسير الطبرى ۱/ ۴۰، مرجع سابق؛ إذ اكتفى بتأويل اسم القرآن من حيث اللغة.

(۴) كما عرفه أبو زهرة فى كتاب أصول الفقه ص ۳۰- و الأصل فى هذا الكتاب و نحوه أنه كتاب متخصص- بقوله:

"هذا الكتاب الذى نزل على النبى صلى اللّه عليه و سلم. تأليف: محمد أبو زهرة: أصول الفقه، دار الفكر العربى.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۵

وجب أن يسير البحث فى سبيل التعريف بالحدود المنطقية دون إيغال ... حتى يتحقق المراد، و تنجلى الأهداف المستقرأة من ذكر علماء علوم القرآن و أصول الفقه للتعريف المنطقى للقرآن الكريم «۱» المحدد لماهيته، و لذا فإن الطبيعة العلمية للبحوث بصفة عامة، و المنهجية لهذا البحث بصفة خاصة تفرض أن تذكر أقوال العلماء السابقين فى المسألة مناط البحث، ثم تحلّل و تنقّح، ثم تحقق.

المطلب الثانى: أقوال العلماء فى الوضع الاصطلاحى لكلمة (قرآن):

اشارة

و يتضمن هذا المطلب بعض الإشارات التفصيلية لعلاقة التعريف الاصطلاحى بألفاظ القرآن الكريم، و ذلك فيما يلى:

عرف الإمام الغزالى- رحمه اللّه تعالى- القرآن الكريم بقوله: ما نقل إلينا بين دفتى المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلا متواترا «۲».

شرح التعريف:

ما: اسم موصول بمعنى الذى.

النقل: هو تحويل الشىء من موضع إلى موضع «۳»، و هو مطلق فيشمل النقل بالشفاه، و النقل بالكتابة، و إليه يشير تسمية القرآن باسم القرآن، و باسم الكتاب، (۱) سبق الإشارة إليها آنفا.

(۲) (الغزالى) حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى: المستصفى من علم الأصول ۱/ ۱۰۱، دار الفكر- بيروت.

و هذا الحد هو الحد ذاته الذى أورده صدر الشريعة فى التنقيح ۱/ ۴۶، بيد أنه لم يذكر قيد (على الأحرف السبعة المشهورة)، و هذا الأخير هو عين التعريف الذى أورده (ابن قدامة) موفق الدين أبى محمد عبد اللّه بن أحمد بن قدامة المقدسى الدمشقى (ت ۶۲۰ ه): روضة الناظر و جنة المناظر، مكتبة المعارف- الرياض. و هو قريب من تعريف التفتازانى الآتى، و هو التعريف الرابع عند (الشوكانى) محمد بن على بن محمد (ت ۱۲۵۵ ه): إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص ۲۶- دار المعرفة- بيروت.

(۳) لسان العرب ۱۴/ ۲۴۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۶

و لكن النقل بالشفاه هو المراد الأول من النقل هنا، و قد يعبر عنه بالسند القرائى، و على هذا فالمشافهة هى سبيل إقراء القرآن، و فى تحليل آيات سورة القيامة- كما تقدم- يتضح أن هذا المعنى هو السبيل الوحيد الذى قرأ به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على جبريل عليه السّلام.

الدفتان: الدّف و الدفة: الجنب من كل شىء بالفتح لا غير، و الجمع دفوف، و دفتا الرحل و السرج و المصحف: جانباه و ضمامتاه «۱»، و يقال: بات يتقلب على دفيه، و على دفتيه، و هما جانباه، و منه: رماك اللّه بذات الدف: أى ذات الجنب «۲».

المصحف: هو الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين، كأنما أصحف أى جعل جامعا للصحف المكتوبة بين الدفتين. قال أبو عبيدة": تميم تكسر الميم، و قيس تضمها، و لم يذكر من يفتحها «"۳».

و الصحف: جمع صحيفة و هى: التى يكتب فيها، و تجمع على صحائف و صحف أيضا. و تخالف الورقة فى أنها وجه؛ و لذا قيل فيها

هى ما أقبل عليه منه، و جعل الزمخشرى- رحمه اللّه تعالى- من المجاز قولهم: صن صحيفة وجهك «۴».

و الفرق بين المصحف و الكتاب:

استلزام المصحف للدفتين، بخلاف الكتاب فهو حقيقة لغوية صادقة على كل ما يكتب فيه صفحة كان أو أكثر؛ و لذا قال أبو عمرو ابن العلاء "قال بعض العرب- و ذكر إنسانا-: فلان لعوب، جاءته كتابى فاحتقرها؟ فقلت:

أ تقول جاءته؟ قال: نعم! أ ليس بصحيفة «"۵». (۱) و الضمامة: ما تضم به شيئا إلى شيء. انظر: لسان العرب ۸/ ۸۸، مرجع سابق.

(۲) لسان العرب ۴/ ۳۷۴، مرجع سابق، و جعل الزمخشرى- رحمه اللّه تعالى- (دفتى المصحف) من المجاز، مع أن الدف الجنب من كل شيء مصحفا، أو غيره، فهو فيه حقيقة لغوية، لا مجاز مستعمل، انظر: (الزمخشرى) جار اللّه أبى القاسم محمود بن عمر: أساس البلاغة ص ۱۹۰، دار الفكر بيروت ۱۴۱۵- ۱۹۹۴ م.

(۳) لسان العرب ۷/ ۲۹۱، مرجع سابق.

(۴) أساس علم البلاغة ص ۳۴۹، مرجع سابق.

(۵) لسان العرب ۷/ ۲۹۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۷

فقد استبان أن لفظة (المصحف) عربية صريحة «۱».

على الأحرف السبعة المشهورة: عن الأحرف المذكورة فى حديث (أقرأنى جبريل على حرف فلم أزل أستزيده حتى أقرأنى مع سبعة أحرف).

متواترا: التواتر هو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب «۲». و خرج به ما نقل بطريق الآحاد كقراءة ابن مسعود رضى اللّه عنه (و الذكر و الأنثى)، أو بطريق الشهرة العرفية كقراءة ابن مسعود رضى اللّه عنه (فاقطعوا أيمانهما) و قد خرجتا بما سبق من قيد، لكن استلزام مساواة المعرّف للمعرّف أوجب إيراده.

فإذا اعترض على ذلك بأن علماء الأصول خاصة قد اعتدوا بتعريف الكتاب لا القرآن، فهل من فرق؟.

فيجاب: لا فرق، إنما هو تقليد درجوا عليه، فبعضهم يعرّف الكتاب تعريفا لفظيا بالقرآن، ثم يعرّف القرآن بعد؛ من باب تعريف الشيء بما هو أشهر منه «۳»، و بعضهم يجعل تعريف الكتاب هو القرآن و ما بعده؛ لأن القرآن علم أشهر من الكتاب.

و بناء على ذلك: فهل يجوز إطلاق لفظ القرآن أو الكتاب علما على غير الكتاب الكريم؟.

أما مطلقا فلا يجوز ... و لذا يظهر نوع حصر أظهره القصر «۱» فى قوله عزّ و جل ذلِكَ الْكِتابُ "البقرة/ ۲؛ "إذ تعريف الطرفين مفيد للقصر، لكأنه قال: ذلك الكتاب الكامل (۱) إنما أورد هذا ليكون بيانا أوليا دالا- على ضعف الروايات الواردة فى استيراد لفظة (مصحف) من الحبشة، و قد اتكأ بعض الكتاب عليها مصاحبا أسلوبه العلمى المزعوم بتجاهل مريب لضعف هذه الروايات، ثم ألزم الصحابة باستيراد هذه اللفظة من الحبشة. و سترد لفظة المصحف على لسان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و يعنى بها القرآن.

(۲) (الجرجانى) على بن محمد بن على: التعريفات ص ۹۴، حققه، و قدم له، و وضع فهارسه: إبراهيم الأبيارى- دار الكتاب العربى- بيروت ط ۱، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، تدريب الراوى ۲/ ۴۳، مرجع سابق.

(۳) انظر مثلا: شرح التلويح ۱/ ۴۶، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۸

الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الأفراد فى حيازة كمالات الجنس «۲».

- أما إطلاق لفظة (الكتاب) مقيدة بقيد لفظى أو حالى «۳» فجائز ... و قول ابن منظور ":إذا أطلق الكتاب فالمراد به التوراة لقوله تعالى ... نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ كِتابَ اللَّهِ وَراءَ ظُهُورِهِمْ " ...البقرة/ ۱۰۱ «"۴» يصرف إلى إرادة نطق لفظة (كتاب) مقيدة بقيد حالى، هو كلام المسلمين عن غير المسلمين ... أو نحو ذلك من القيد الحالى.

فالكتاب من حيث الأصل صادق على كل ما كتب فيه، ثم صار علما شخصيا حال الإطلاق على القرآن الكريم، و لذا قال أبو البقاء": و الكتاب قد غلب فى العرف العام على جمع من الكلمات المنفردة بالتدوين «"۵»، فإيقاع اللبس مانع من إطلاق الكتاب على غير القرآن إلا بقرينة مذكورة أو مقدرة. فإن كان هذا فى الكتاب، فهو فى القرآن أولى بالتفصيل ذاته.

إيرادات على التعريف:

فإن اعترض على التعريف السابق بأنه: يلزمه الدور «۶»، لأنه عرّف القرآن بما نقل فى المصحف، فإذا سئل عن المصحف قالوا هو القرآن، فتوقف المعرّف على المعرّف، و هو الدور ذاته «۱». (۱) فى تعريف (القصر) فى علم المعانى و طرقه، انظر مثلا: العلامة أحمد الدمنهورى: حلية اللب المصون ۱۰۴، مكتبة اليمن الكبرى- صنعاء، الطبعة لم تذكر.

(۲) روح المعانى ۱/ ۱۷۴، مرجع سابق، و ما بعدها.

(۳) كنحاة يذكرون الكتاب، عنوا به "كتاب سيبويه."

(۴) لسان العرب ۱۲/ ۲۳، مرجع سابق.

(۵) الكليات ص ۶۱۰، مرجع سابق.

(۶) الدور هو: توقف الشىء على ما يتوقف عليه، و هو نوعان: مصرح، و مضمر، و الفرق بين الدور، و بين تعريف الشىء بنفسه هو: أنه فى الدور يلزم تقدمه عليها بمرتين إن كان صريحا، و فى تعريف الشىء بنفسه يلزم تقدمه على نفسه بمرتبة واحدة. انظر: التعريفات ص ۱۴۰، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۰۹

و الجواب «۱»: لا دور ... ذلك لأن المصحف معلوم عرفا، فلا يحتاج إلى تعريف.

و قال التفتازانى- رحمه اللّه تعالى "-:معرفة المصحف إنما تتوقف على القرآن، بمعنى المجموع المشخص، و هو معلوم معهود بين الناس يحفظونه و يتدارسونه، فلا يشتبه عليهم فلا دو «"۲»، و يمكن القول بأن اللام فى (المصاحف) للجنس، و لا يضر تعميمه لغير القرآن، لأن القيد الأخير يخرجه للعهد، و المعهود مصاحف القراء «۳».

و قال ابن قدامة ":و قيدناه بالمصاحف لأن الصحابة- رضى اللّه عنهم- بالغوا فى نقله، و تجريده عما سواه، حتى كرهوا التعاشير و النقط لكيلا يختلط بغيره، فنعلم أن المكتوب فى المصاحف هو القرآن، و ما خرج منه فليس منه؛ إذ يستحيل فى العرف و العادة مع توفر الدواعى على حفظ القرآن أن يهمل بعضه، فلا ينقل، أو يخلط ما ليس منه «"۴».

فإن اعترض بالقول: لم اقتصر على ذكر النقل فى المصاحف تواترا دون غير ذلك من الخصائص؟.

فالجواب: لأن ذلك لحصول الاحتراز به عن جميع ما عدا القرآن؛ إذ سائر الكتب السماوية و غيرها، و الأحاديث الإلهية و النبوية «۵» لم ينقل منها شىء بين دفتى المصاحف؛ لأنها اسم لهذا المعهود عند الناس حتى الصبيان «۶». (۱) أورد هذا الاعتراض الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- فى روح المعانى ۱/ ۱۹- ۲۰، مرجع سابق، إرشاد الفحول ص ۲۶ مرجع سابق، (المحبوبى) عبد اللّه بن مسعود المحبوبى البخارى الحنفى: التوضيح لمتن التنقيح فى أصول الفقه، ۱/ ۴۶، ضبطه و خرج آياته و أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، ط ۱، ۱۴۱۶- ۱۹۹۶ م، دار الكتب العلمية- بيروت، (المهدى) أحمد بن يحيى بن المرتضى (۷۶۴ ه- ت ۸۴۰ ه): منهاج الوصول إلى معيار

العقول فی علم الأصول ط ۱ ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، دار الحکمة الیمانیة- صنعاء، (الطبری الزیدی) علی بن صلاح بن علی بن محمد: شفاء غلیل السائل عما تحمله الکافل ط ۱، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، مکتبة الیمن الکبری- صنعاء.

(۲) شرح التلویح ۱/ ۴۶ مرجع سابق.

(۳) (ملاجیون) أحمد بن أبی سعید بن عبید اللّه الحنفی الصدیقی المیهوی (ت ۱۱۳۰ ه): نور الأنوار و بهامشه کشف الأسرار ۱/ ۱۸، ط ۱ ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

(۴) روضة الناظر ۱/ ۴۳، مرجع سابق.

(۵) و منسوخ التلاوة علی قول من یثبه.

(۶) (الأسنوی) جمال الدین عبد الرحیم بن الحسن الشافعی: نهایة السول فی شرح منهاج الأصول ۲/ ۳- للقاضی ناصر الدین عبد اللّه بن عمر البیضاوی، عالم الکتب.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۰

فإن سئل عن هذا التعریف: هل هو حد أم رسم؟.

فالجواب: قد کاد منظرو المناطقة أن یجمعوا علی أن تعریف القرآن لا یکون إلا رسما، و یتعذر حده؛ لأنه علم شخص فیمکن تشخیصه ببیان سماته المیزة لا ببیان ذاتیاته «۱». و لذا لا سبیل إلی حده علی طریقة الحدود المنطقیة إلا بالإشارة إلیه، أو باستحضاره معهودا فی الذهن، فیقال القرآن: هو هذا، أو یقال: القرآن هو بسم اللّه الرحمن الرحیم الحمد للّه ... إلی أن یصل إلی الجنة و الناس، فما یعرفه العلماء به إنما هو رسم «۲» لا حد.

و قد جری علی التعریف السابق ثلة من العلماء، و علیه دارت عباراتهم، و ثم تعاریف أخر ارتضاها ثلة أخری من العلماء، و لکن أشهر تعریف یغایر التعریف السابق فی صیغته هو

تعریف الإمام الطبری الزیدی فی شرح الکافل؛ إذ قال: هو الکلام المنزل علی نبینا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم للإعجاز بسورة منه «۳».

اشارة

(۱) سبب کونه علما شخصیا أحد أمرین: إما لأن جبریل علیه السّلام نزل به مشخصا، و إما لأنه عبارة عن هذه الکلمات المرکبة ترکیبا خاصا، سواء قرأه جبریل علیه السّلام أو زید أو عمرو، و المرکب ترکیبا خاصا کالعلم الشاخص. انظر شرح التلویح ۱/ ۴۶، مرجع سابق.

(۲) الرسم: هو الذی لم یشتمل التعریف فیه علی شیء من الذاتیات، أو اشتمل علی شیء و لکن لم یکن به فصل الشیء المعرّف، و تمییزه عن غیره، و إنما اشتمل علی عرضیات بها کان تعریف الشیء و تمییزه عن کل ما سواه، و ینقسم إلی: رسم تام: و هو ما کان تعریفا للشیء بذکر جنسه القریب مع خاصته اللازمة الشاملة، و رسم ناقص: و هو ما کان تعریفا للشیء بذکر خاصته اللازمة الشاملة وحدها.

تعریف الحد: هو الذی یشتمل علی الذاتیات، و یکون شرح المفرد التصوری بها، و ینقسم إلی: حد تام: و هو ما کان تعریفا للشیء بذکر تمام ذاتیاته، أی بذکر جنسه و فصله القریبین، و حد ناقص: و هو ما کان تعریفا للشیء بذکر البعض الذی بفصله عن غیره من ذاتیاته، و سمی الحد حدا لأن الحد فی اللغة المنع، و الحد المنطقی یمنع من دخول غیره فیه. انظر: ضوابط المعرفة ص ۱۴۳، مرجع سابق، و انظر: جمال الدین الحسن بن الحسین بن القاسم بن محمد: شرح التهذیب فی علم المنطق ص ۴۰ مع الحاشیة، ط ۱، ۱۴۰۵

ه- ۱۹۸۵ م، مركز الدراسات و البحوث- صنعاء.

(۳) انظر شفاء غليل السائل ۱/ ۳۰، مرجع سابق، و على هذا التعريف دارت عبارات جماعة من العلماء فهو التعريف الذى أورده الإمام المهدى فى معيار العقول و شرحه ص ۲۳۹، مرجع سابق، و هو الذى أورده الإمام الزركشى فى البحر إلا أنه قال ":بآية منه، "و لم يذكر لفظ (نبينا)، و زاد المتعبد بتلاوته، و هو الذى أورده الحسين بن أمير المؤمنين المنصور

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۱

شرح التعريف:

الكلام: جنس دخل فيه سائر الكلام.

المنزل: فصل أول، خرج به الكلام غير المنزل فى السماء كالباقى فى اللوح المحفوظ، أو كلام الملائكة، أو فى الأرض ككلام الناس، أو الأحاديث النبوية على القول بأن لفظها لم ينزل، و كذا خرج الكلام النفسى عند القائلين به.

و يجوز فى هذه اللفظة (المنزل) التخفيف أى المنزل دفعة واحدة؛ لأن القرآن نزل دفعة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا أولا، و يجوز أن يقرأ مشددا على أن نزوله فى الواقع قطعا قطعا، فى أزمنة مختلفة مدة النبوة «۱».

و قد يعترض بأن: الألفاظ لا تنزل؟.

فالجواب: لا تقبل الألفاظ حقيقة النزول حسا، و لكن المراد المجاز الصورى «۲»؛ لأنه نزل بها روح القدس بالحق من ربك.

على نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم: خرج ما نزل على غيره الأنبياء و التوراة و الإنجيل.

للإعجاز بسورة منه: خرج ما نزل عليه لا للإعجاز، كالأحاديث النبوية و القدسية، و قال البعض: بآية منه بدل بسورة منه لأن مقتضى قوله تعالى فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ " ...الطور/ ۳۴ "حاكم بأن التحدى واقع بأقل من السورة «۳»، لكن الخطاب هاهنا محمول على العرف، فالتنوين فى قوله سبحانه و تعالى بِحَدِيثٍ إما عوض عن كلمة، أو جملة أى باللّه القاسم بن محمد فى هداية العقول إلى غاية السئول فى علم الأصول ۱/ ۴۳۲، إلا أنه قال ":بسورة من جنسه، "و هو الذى أورده صاحب مراقى السعود فى منظومته، إلا أنه قال: لفظ منزل على محمد ... لأجل الإعجاز و للتعبد، انظر:

نثر الورود ۱/ ۹۰، مرجع سابق، و هو تعريف (الأسنوى) جمال الدين عبد الرحيم ابن الحسين الأسنوى (۷۰۴ ه- ۷۷۲ ه): زوائد الأصول ص ۲۰۲، ط ۱ ۱۴۱۳- ۱۹۹۳ م، دراسة و تحقيق: محمد سنان سيف الجلالى، مكتبة الجيل الجديد- صنعاء.

(۱) نور الأنوار ۱/ ۱۸، مرجع سابق.

(۲) (الزركشى) بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد اللّه الشافعى: البحر المحيط ۱/ ۴۴۰، قام بتحريره عبد القادر عبد اللّه العانى، راجعه: د. عمر سليمان الأشقر- ط ۲، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، دار الصفوة.

(۳) هكذا جاء فى: الحسين بن أمير المؤمنين المنصور باللّه القاسم بن محمد، حواشى هداية العقول إلى غاية السئول فى علم الأصول ۱/ ۴۳۱- لم تذكر بقية المعلومات.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۲

بحديث يصح أن يسمى حديثا، أو حديث معهود بينكم تسميته حديثا؛ إذ لا إعجاز بالكلمتين يقينيا مع صحة إطلاق لفظة حديث عليه، فتحصل أن مقتضى الآية ما يصح تسميته حديثا كانت آية أو أكثر صدق عليها ذا اللفظ. كما أوردوا هذا القيد "سورة "لدفع إيهام أن الإعجاز بكل القرآن فقط «۱».

فإن اعترض بأن: الإعجاز ليس من خصائص المعرف لأنه علامة على صدق الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم لا على كون هذا الكلام من

عند اللّه عزّ و جل؛ إذ يتصور الإعجاز بما ليس بكتاب اللّه جلّ جلاله «۲».

فالجواب: ظاهر أنه لا يكون علامة على صدق الرسول إلا لكونه من عند اللّه سبحانه و تعالى؛ إذ هذه خاصة الإعجاز فيه، و بيان هذا أن يقال: قد ادعى الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم أن علامة صدق كون هذا الكلام من عند اللّه جلّ جلاله، و برهانه عجز العالمين عن معارضته، فصحت الدعوى، و لم يكن القرآن علامة على صدقه إلا لكونه من عند اللّه عزّ و جلّ، فالإعجاز دال على خاصة هى أهم خصائص القرآن، و كون الإعجاز قد يحصل من غير القرآن غير قادح فى كون الإعجاز صفة ذاتية للقرآن، إذ الاشتراك العام لا ينفى الخصوصية الذاتية، و من أجل ذلك جيء بالجنس، ثم الفصل فى التعريفات.

فإن اعترض: بأن التعريف إنما يكون بالأجلى لا بالأخفى «۱»، و يخفى على العامة معرفة كونه معجزا، فتطرح هذه الصفة من التعريف «۲». (۱) السورة ":كلام مترجم من أوله و آخره توقيفا مسمى باسم خاص يتضمن آيات قرآنا كان أو غيره "فخرجت آية الكرسى بقوله يتضمن آيات، و يندفع ما قيل بأن السورة موقوفة على معرفة القرآن فيدور؛ إذ السورة عامة، و قد ذكر فى الكشاف أن فى الإنجيل سورة الأمثال، انظر: شفاء الغليل ۱/ ۳۰، مرجع سابق، كذا قال و هو ناقل عن شرح غاية السؤل ۱/ ۴۳۳، لكن آية الكرسى قد اختلف فى عدها إذ من علماء العدد من عدها آيتين، و هو العدد المكى، فتخرج على كلامه بشرط إرادة الجمع الحقيقى فى قوله" آيات ... "و يمكن اختصار ذلك بأن الحديث المراد السورة العرفية، فلا دور.

(۲) هذا إيراد الغزالى على التعريف فى المستصفى ۱/ ۱۰۱، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۳

فالجواب «۱»: بل الإعجاز من أوضح خصائص القرآن التى يجب ألا يعرى تعريف القرآن عنها؛ ذلك لأن كون القرآن معجزا إما لازم بين بالمعنى الأعم؛ إذ من تعقل القرآن علم لزوم الإعجاز له قطعا «۲»، أو لازم بين المعنى الأخص؛ إذ من تعقل حقيقة الإعجاز علم لزوم الإعجاز للقرآن قطعا «۳»، فهذا أقل أحواله، و تمام هذا القول أن يقال: يوضح ذلك أن التحدى لعموم الثقلين لا استثناء فيه فقد صار عاما لا خاصا، فيكون من لوازمه التى يعرفه بها من بعد و من قرب.

ربط ما سبق بموضوع البحث:

و إنما كانت هذه الإطالة فى مناقشة ذاتية وصف الإعجاز للقرآن، ليعلم منه أن النقل بالمشافهة فى أداء لفظ القرآن أحق بتثبيت كونه ذاتيا للقرآن، إذ هو متفق عليه بين العلماء، بل يذكر فى أول التعريف، و لأن هذه بدهية عند العلماء، بل عند عامة المسلمين، فإن المراد هو تثبيت مقتضياتها من دخول النقل فى أصل اللفظ، و هيئة أدائه ... و هو ما يتجلى أكثر بدراسة كيفية تعليم جبريل عليه السّلام للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم ألفاظ القرآن، و تلقى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم لها.

فهذان هما التعريفان المشتهران عند العلماء ... «۴»، و يمكن الاستدراك على ما سبق من كلام بالآتى:

(۱) انظر شرح التهذيب ص ۴۳، و قد أصر على هذا الإيراد الآلوسى- رحمه اللّه تعالى- فى روح المعانى ۱/ ۳۰.

(۲) انظر: شرح الغاية ۱/ ۴۳۳، مرجع سابق، شفاء الغليل ۱/ ۳۰، مرجع سابق.

(۳) انظر: هداية العقول ۱/ ۴۳۳، مرجع سابق، شرح الكافل ۱/ ۳۰، مرجع سابق.

(۴) و ثم تعريفات أخر تجمل فيما يلى:

فمنها تعريف الإمام التفتازانى فى التوضيح شرح التلويح ۱/ ۴۰، مرجع سابق: الكتاب هو القرآن المنزل على الرسول، المكتوب فى المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا بلا شبهة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۴

۱- لا بد فى التعريف من مساواة المعرّف للمعرّف، و لا مساواة هنا؛ إذ ثم خصائص للقرآن بارزة لم تذكر فيه، فقد أغفل البعض بيان الغاية من إنزال القرآن بشكل صريح، مع أنه قد جاء صريحا فى قوله تعالى: عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ "الشعراء/ ۱۹۴؛ "إذ قدم بيان الغاية من إنزال القرآن على اللسان الذى نزل به، و هو دال على الاعتناء به، و قد يقال قد أشير إلى ذلك ضمنا فى قولهم للإعجاز، أو أن هذه غاية و هم يتكلمون عن الأعراض الذاتية فى التعريف، و ذا الأخير مستبعد إذ يرد عليه إيراد غير الأعراض الذاتية كما هو واضح، كما يرد عليه عدم التسليم بأن الإنذار ليس عرضا ذاتيا ... و الأمر ضائق عن الاسترسال فى ذا المجال.

و كما أغفل البعض الغاية التى يحملها القرآن فى ذاته، و هى جعل الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم من المنذرين، فقد أغفل البعض وسيلتها، و هى التدبر و كلاهما صفتان ذاتيتان للقرآن «۱».

۲- لم يستبن من التعريف كيفية قراءة هيئات اللفظ القرآنى؛ إذ لا يلمح من التعريف إلا مادة اللفظ لا هيئته، و غير خاف الفرق بينهما؛ إذ المادة «۲» هى جوهر اللفظ المحسوس، و قوله "الكتاب "هو القرآن، تعريف للكتاب بالمرادف الأشهر و هو المسمى التعريف اللفظى، فما بعده تعريف للقرآن لأن المجموع تعريف الكتاب، و هذا على جعل القرآن علما و إلا- فإن كان بمعنى المقرون، أو المقروء فهو جنس و ما بعده فصل بلا تكلف. انظر: شرح الأنوار ۱/ ۱۷، مرجع سابق.

و ذكر الشوكانى جملة تعريفات، تقدم بعضها، و منها ":أنه اللفظ العربى المنزل للتدبر و التذكر المتواتر، "و عرفه بعضهم ":بأنه كلام اللّه العربى فى اللوح المحفوظ للإنزال، "ثم ذكر تعريفه المختار، فقال: و الأولى أن يقال: هو كلام اللّه المنزل على محمد المتلو المتواتر. "انظر: إرشاد الفحول ص ۲۶، مرجع سابق، و ذكر بأن تعريفه المختار لا- ترد عليه الاعتراضات المنطقية التى وردت على سابقيه. و هو محط نظر فإن إيراد الدور عليه بين؛ إذ يقال ما هو المتلو فيرد: القرآن، فاستلزم الدور فالنصف أن يجاب على هذا الدور كما أجيب على السابق، و عرفه الطاهر بن عاشور فى التحرير و التنوير ۱۶/ ۳۱۴، مرجع سابق: القرآن صار علما الغلبة على الوحى المنزل على محمد صلّى اللّه عليه و سلّم بألفاظ معنية، متعبدا بتلاوتها، يعجز الإتيان بمثل سورة منها.

(۱) و لم ترد إلا فيما أورده الشوكانى من تعريف.

(۲) و لينطق بتخفيف الهمز مثالا- موضحا: فقوله عزّ و جل السَّماءُ نطقها المعتاد من مخارج الحروف هى المادة، أما الهمز ففيه لحمزة وقفا خمسة أوجه: ثلاثة أوجه الإبدال، و التسهيل بالروم مع المد و القصر ... فهل هى متواترة بالنقل أم جائزة القراءة من حيث إحالة القرآن ما لم يرد فى نطقه نص إلى العربية، فيعمل فيه بقواعدها.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۵

و الهيئة هى حليته الخارجية الذاتية و العرضية، و بتعبير آخر: لم يظهر من التعريف تحديد مدى الاجتهاد السائغ فى أداء اللفظ المتواتر «۱». إلا أن يقال: إن تقييد الغزالى- رحمه اللّه تعالى- بقوله "على الأحرف السبعة المشهورة "يشير إلى ذلك. لكن السمة البارزة فى التعريف- عند العمل بعمومه و ظاهر لفظه- أنه جعل القرآن الكريم مقيد اللفظ فى مادته و هيئته بالنقل، و هو ما يعطى الفكرة العامة عن النقل، كما أنه يمنع عنه تسرب الاجتهاد البشرى، و للأهمية البالغة لهذا الوصف الذاتى فى القرآن فقد ابتدأ التعريف بذكره.

المطلب الثالث: إشارات عامة حول علاقة التعريف الاصطلاحى بألفاظ القرآن الكريم:

و بعد هذه الجولة فى أقوال العلماء الواردة فى تعريف القرآن، تذكر جملة إشارات يختم بها هذا الملحق مما يتعلق بموضوع البحث:

أولا: تعقد فى هذا الملحق مسألة أصولية علمية بحتة لا يراد منها إلا وضع الأسس العلمية التى تحدد معايير التعامل مع كتاب اللّه عزّ و جل فى نقل ألفاظه، و تحديد ما يطلق عليه كلام اللّه من غيره، و من ثم لزم بيان ماهية ألفاظه فى مادتها و هيئتها بدقة تضطر الباحث إلى نبذ الإمام التقريبى الجماهيرى بعيدا، متى ما كان عائقا عن الدقة المتوخاة «۲» للمتخصصين.

ثانيا: أرادت هذه الدراسة- بعد التسليم بتواتر (يقينية) نقل كتاب اللّه دينا و واقعا- أن تكون مقدمة للوصول إلى تحقيق هذا الهدف- تحديد كيفية نقل كتاب اللّه عزّ و جل- من حيث مادته "اللفظ، "و من حيث صورة هذه المادة "خط اللفظ، "و من (۱) فاللفظ متواتر قطعا بموجب هذا القول، و بقيت الهيئة "الأداء "محل نظر ... و هذا الإيراد تمهيد لإقرار مدى أهمية إضافة قيد العربية فى التعريف.

(۲) قيل هذا إشارة إلى التقعيد البديع الذى وضعه الإمام أبو إسحاق الشاطبى فى موافقاته حول طرائق وضع التعاريف ۱/ ۵۶، المقدمة السادسة.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۶

حيث هيئة المادة الصوتية "صوت اللفظ، "و هذه هى الصفات الأصلية للفظ، و من حيث الهيئة الصوتية الداخلية للحرف، و هذه هى صفاته العارضة مفردة أو مركبة، و الأخيران يشكلان ما يعرف بالأداء، و من ثم تحديد ماهيته بشكل دقيق، و هذا يحتم على الدراسة بذل جهد مضن مصحوب باليقين باللّه سبحانه و تعالى، متمسك بأهداب الحذر العلمى و العملى فى نقاش جزئيات المسائل المتعلقة بالتعريف، و بعبارة أخرى أكثر إيضاحا و تحديدا: هل القرآن الكريم هو المقروء بقراءة واحدة أو رواية واحدة، أو هو مجموع القراءات و الروايات؟ فهذا الجهد المبذول فى هذه الرسالة هو مقدمة للجواب على ذلك السؤال الكبير، من حيث أن أول مقامات الجواب: معرفة كيف علم جبريل عليه السلام الذى نقل القرآن من السماء النبى صلى اللّه عليه و سلم ألفاظ القرآن، لينقله النبى صلى اللّه عليه و سلم إلى كل الثقلين.

ثالثا: إن الهيئة العامة لنقل القرآن و هى المشافهة، وصف ذاتى لمدلول القرآن أو لازم له، فلا يتصور إقراء القرآن بغير هذه الهيئة، فالخط تابع للمشافهة، و الإجازة العامة تابعة لها أيضا، و من ثم فالاعتماد على خط المصحف لمعرفة قراءة هيئة ألفاظ القرآن باطل إن لم يقترن بالمشافهة. و لعل من أسرار بقاء المصحف على خط مطور تطويرا داخليا فرعيا لا أساسيا لخطه الأول، و لكنه مخالف نوع مخالفة ظاهرة للإملاء الحديث الإصرار على جعل النقل مشافهة هو أساس إقراء القرآن أو تعلمه «۱»، و تأكيدا لهذه المسألة فقد صرح العلماء أن السند القرائى الذى يقتضى النقل مشافهة- شرط فى أن يسمى ما يقرؤه القارئ قرآنا، و هو ما عبّر عنه الإمام الشوكانى- رحمه اللّه تعالى- بقوله ":المتلو «"۲»؛ إذ ينصرف هذا اللفظ انصرافا أوليا إلى تلاوة الشيخ على تلميذه أو التلميذ على شيخه.

رابعا: لا نستطيع الآن- كنتيجة لما سبق- وضع التعريف العلمى الدقيق للقرآن الكريم من حيث مادة لفظه، و صورتها، و هيئتها الصوتية، و لا يعترض على هذا البيان بأنه كلام من يريد ركوب صعب دونه قوله سبحانه و تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۱) انظر: د. فضل حسن عباس: إتقان البرهان فى علوم القرآن ۱/ ۴۸۱، ط ۱- ۱۹۹۷ م، دار الفرقان.

(۲) انظر تعريفه المذكور قبل قليل.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۷

"الحجر/ ۹؛ "إذ القرآن أشهر من أن يعرف، و التعريف له تنكير بل ظلم، و اتهام، و طمس بالفم لشعاع الشمس الساطع، و تنطع، قد أتت محذّرات النهى عنه؛ لأن الباحث إنما عنى صياغة تعريف يحدّد معالم الاتصال بين القرآن الكريم و قراءته باعتبارها وجهه الناطق، و لفظة المسموع، و خطه المكتوب، و صفاته الممثلة لذاته، و أعراضه الناتجة عن صفاته، و قد سبق بين يدى القارئ ذكر لأشهر تعاريف العلماء للقرآن الكريم، و فيها إشارة إلى كيفية صورته اللفظية نطقا و خطا بعبارات مختلفة (مثل: النقل، المتواتر و هو يستلزم النقل، المتلقى، المكتوب فى الصحف)، و زاد الإمام الغزالى- رحمه اللّه تعالى- ذلك تحديدا، فذكر اشتراطه النقل على الأحرف السبعة المشهورة، و فيه أنه تعريف للأجلى بالأخفى؛ إذ القراءات أشهر من الأحرف السبعة، و أوضح و أكثر ذكرا لو ذكرها حتى انغرس فى ذهن العامة أنها هى القراءات السبعة المشهورة، و فى قول القائل "الأحرف السبعة "فى علوم القرآن نوع إبهام ما زال محارة العلماء إلى يومنا «۱»، و من ثم فغير سائغ أن تكون الأحرف السبعة فى قائمة مشخصات القرآن الكريم؛ إذ إن التعبير بقول القائل (بقراءاته المنقولة بين المسلمين تواترا) أوضح.

و لا- يعترض على ما حدث فى هذا الملحق من إطالة غير معتادة «۲» فى بحث مثال هذه المسائل، إذ الخوض فى تعريف القرآن الكريم من المنظار القرآنى أو الأصولى ليس ترفا (۱) و المحارة ليست فى مراد الحديث بل فى تحديده، أما مراده العام فأوضح من أن يوضح، و لكن تحديد مفهوم العدد فى حديث الأحرف السبعة هو المحارة لا تحديد مدلوله العام، و هذا أشبه بمسألة الصفات فى علم العقيدة (الإيمان)، إذ مفهومها واضح و إن كان تحديد كيفيتها غير ممكن، و معلوم أن التشبه لا يقتضى تساوى طرفيه فى وجه الشبه، و على هذا التفصيل يحمل مراد السيوطى فى تصريحه بأن الحديث مشكل فى ألفيته فى مصطلح الحديث ص ۳۲، و ابن سعدان النحوى كما ذكره عنه أبو شامة، انظر: (أبو شامة) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ابن إبراهيم المقدسى:

المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، حققه: طيار التى قولا ج ۱۳۹۵- ۱۹۷۵ م، دار صادر، بيروت.

و بناء على ذلك يمكن القول بقبول التعريف بالأحرف السبعة على إرادة المراد منها بغض النظر عن تحديدها، إذ تدخل القراءات فيها دخولا أوليا.

(۲) و قد تكرر الاعتذار لاحتياج الأمر لذلك.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۸

ثقافيا مستهلكا للوقت غايته إبراز العضلة الكلامية، و القدرة التنظيرية، بل هو ذو خطر لا يقبل مرورا حذو عابر السبيل؛ إذ به تحدد معلم شخصية أصل الإسلام الأعظم من حيث توقيف نقله، و تواتر تلقيه، و أسس ذلك توقيفا أو اجتهادا، و يستدعى ذلك كله مكانته التى جعلته أعظم مركز تدار حوله البحوث، و تتجدد فى سبيل التبصير بحقائقه الدراسات.

خامسا: اشتراط التواتر يستلزم جملة أمور على ما هو معلوم فى كتب علوم القرآن «۱»، و منها:

أ- النقل بالمشافهة: و لذا ينقطع التواتر الحديثى بمجرد تدوين كتاب الحديث غالبا؛ إذ يعتمد بعد ذلك على ثبوت الكتاب لمؤلفه، بخلاف أداء القرآن فباق تواتره أمة عن أمة لا يغنى وجود المصحف عنه، كما هو معمول به عند جميع المسلمين.

ب- اليقين فى النقل: حيث تجمع الأمة خلفا عن سلف، و لا- مجال للانفراد فى ذلك، مما يجعل كل ما يثبت بهذا الطريق متيقنا مجزوما به.

و هذا يقتضى من حيث موضوع البحث أن يثبت أن اللّه تعالى قد حفّ نبيّه صلى اللّه عليه و سلم بسمات جعلت تلقيه ألفاظ القرآن الكريم من جبريل عليه السلام و تعلمه عليه قائما مقام جهد الأمة بأسرها، كما تجلى ذلك فى الفصول السابقة.

(و إلى اللّه- تعالى ذكره- جزيل الضراعة و المنة بقبول ما منه لوجهه، و العفو عما تخلله من تزين و تصنع لغيره) «۲».

و صلى اللّه تعالى و سلم على نبينا محمد، و على آله و صحبه أجمعين.

و الحمد للّه رب العالمين. (۱) انظر- مثلا-: الشيخ طاهر الجزائرى الدمشقى (۱۲۶۸ ه- ۱۳۲۸ ه): التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان ص ۱۰۲، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب.

(۲) من خاتمة كتاب الشفا للقاضى عياض ۲/ ۳۱۲، مرجع سابق.

تلقى النبى ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۱۹

فهرس المصادر

اشارة

أبرز المراجع و المصادر الواردة فى هذا البحث بعد القرآن الكريم، هى:

۱- (أبو حيان) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى (۶۵۴- ۷۵۴ ه): البحر المحيط، ط ۲ ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۰

م، دار إحیاء التراث العربی- بیروت.

۲- (أبو البرکات) کمال الدین عبد الرحمن بن محمد الأنباری (۵۱۳ ه ۵۷۷ ه): نزهة الألباء فی طبقات الأدباء، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم، ۱۹۶۷ م، دار نهضة مصر- القاهرة.

۳- (أبو البقاء) أیوب بن موسی الحسینی الکفوی الکلیات، ۱۴۱۲ ه ۱۹۹۲ م، قابله علی نسخة خطیة، و أعده للطبع، و وضع فهارسه: د. عدنان درویش- محمد المصری- مؤسسة الرسالة- بیروت ط ۱.

۴- (أبو بکر) محمد بن القاسم بن بشار الأنباری (۲۷۱ ه- ۳۲۸ ه): کتاب.

إیضاح الوقف و الابتداء فی کتاب اللّه عزّ و جل، تحقیق محی الدین عبد الرحمن رمضان، ۱۹۷۱ م، مجمع اللغة العربیة- دمشق.

۵- (أبو داود) سلیمان بن الأشعث السجستانی الأزدی (۲۰۲ ه- ۲۷۵ ه):

سنن أبی داود، مراجعة: محمد محیی الدین عبد الحمید.

۶- (أبو شامة) شهاب الدین عبد الرحمن بن إسماعیل الدمشقی المقدسی: إبراز المعانی من حرز الأمانی، دار صادر- بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۰

۷- (أبو شامة) شهاب الدین عبد الرحمن بن إسماعیل بن إبراهیم المقدسی: المرشد الوجیز إلی علوم تتعلق بالکتاب العزیز- حققه: طیار آلتی قولاج ۱۳۹۵ ه ۱۹۷۵ م، دار صادر، بیروت.

۸- (أبو عبیدة) معمر بن المثنی التیمی: مجاز القرآن، ط ۱، الخانجی الکتبی بمصر ۱۹۵۴ م- حققه د. محمد فؤاد سرکین.

۹- (أبو العرب) محمد بن أحمد بن تمیم: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصی، القاهرة ۱۳۱۰ ه.

۱۰- (أبو الفتح) بن جنی: المحتسب فی تبیین وجوه شواذ القراءات و الإیضاح عنها تحقیق: علی النجدی ناصف و آخرون، المجلس الأعلی للشئون الإسلامیة، ۱۴۱۵ ه- ۱۹۹۴ م، لجنة إحیاء کتب السنة- القاهرة.

۱۱- (أبو نعیم) أحمد بن عبد اللّه الأصبهانی (ت ۴۳۰ ه): حلیة الأولیاء و طبقات الأصفیاء، ۱۴۰۵ ه، دار الکتاب العربی- بیروت.

۱۲- أحمد بن شرف الدین، من علماء الیمن (لم تعرف ترجمته، لکن الکتاب متداول عند الأقدمین من علماء الیمن): حقائق علم العربیة، نسخة خطیة لدی الباحث.

۱۳- (ابن هشام) عبد اللّه بن یوسف الأنصاری النحوی (ت ۷۶۱ ه): مغنی اللبیب عن کتب الأعاریب، تحقیق محمد محی الدین عبد الحمید، المکتبة العصریة، صیدا- بیروت، طبعة بدون ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م.

۱۴- (ابن أبی داود): أبو بکر عبد اللّه بن سلیمان بن الأشعث السجستانی (ت ۳۱۶ ه): کتاب المصاحف، ط ۱، ۱۹۳۶ م، صححه آرثر جفری، المطبعة الرحمانیة بمصر.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۱

۱۵- (ابن أبی العز) صدر الدین محمد بن علاء الدین علی بن محمد الحنفی ت ۷۹۲ ه: شرح العقیدة الطحاویة، ط ۹، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، خرج أحادیثها محمد ناصر الدین الألبانی، المکتب الإسلامی- بیروت.

۱۶- (ابن أبی عاصم) أبو بکر أحمد بن عمرو بن الضحاک الشیبانی (۲۰۶- ت ۲۸۷ ه): الآحاد و المثانی، مراجعة: د. باسم فیصل أحمد الجوابرة، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الرایة الریاض.

۱۷- (ابن أبی عاصم) أبو بکر عمرو بن أبی عاصم الضحاک بن مخلد الشیبانی (ت ۲۸۷ ه): کتاب السنة، حققه: محمد ناصر الدین الألبانی، ط ۳، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۳ م، المکتب الإسلامی- بیروت.

۱۸- (ابن الأثیر) المبارک بن محمد بن محمد بن عبد الکریم بن الأثیر الجزری: النهایة فی غریب الأثر، مراجعة طاهر أحمد الزاوی+ محمود محمد الطباخی، ۱۳۹۹ ه ۱۹۷۹ م، دار الفکر- بیروت.

۱۹- (ابن الأثیر) عز الدین علی بن محمد الجزری، أبو الحسن (۵۵۵ ه ۶۳۰ ه): أسد الغابة فی معرفة الصحابة ۲/ ۴۳۵، دار الفکر.

۲۰- (ابن الجزری) شمس الدین أبو الخیر محمد بن محمد بن محمد: منجد المقرئین و مرشد الطالبین- دار زاهد المقدسی، تفضل بقراءته بعد طبعه: الشیخ محمد حبیب اللّه الشنقیطی، و الشیخ أحمد محمد شاکر.

۲۱- (ابن الجزری) شمس الدین أبو الخیر محمد بن محمد بن محمد بن علی ت ۸۳۳ ه: التمهید فی علم التجوید، تحقیق غانم فدوری الحمد- ط ۳، ۱۴۰۹ ه- ۱۹۸۹ م مؤسسة الرسالة- بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۲

۲۲- (ابن الجزری) محمد بن محمد بن محمد بن علی ت ۸۳۳ ه: طیبة النشر فی القراءات العشر، ضبطه و صححه و راجعه: محمد تمیم الزعبی، توزیع مکتبة دار الهدی، المدینة المنورة.

۲۳- (ابن الجزری) أبو الخیر محمد بن محمد بن محمد: غایة النهایة فی طبقات القراءة، بعنایة ج. برجستراسر، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۲۴- (ابن العربی) أبو بکر محمد بن عبد اللّه: أحکام القرآن، تحقیق: علی محمد البجاوی- دار الجیل- بیروت.

۲۵- (ابن القیم) أبو عبد اللّه شمس الدین محمد بن أبی بکر بن أیوب الزرعی (۶۹۱ ه- ۷۵۱ ه): تهذیب مدارج السالکین، ط ۵، ۱۴۱۴- ۱۹۹۴ م، و هذبه: عبد المنعم صالح العلی العزی- مؤسسة الرسالة، بیروت.

۲۶- (ابن القیم) شمس الدین أبی عبد اللّه محمد بن أبی بکر: زاد المعاد فی هدی خیر المعاد، حقق نصوصه و خرج أحادیثه، و علق علیه: شعیب الأرناءوط، و عبد القادر الأرناءوط، ط ۸، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، مؤسسة الرسالة، بیروت.

۲۷- (ابن القیم) شمس الدین أبی عبد اللّه محمد بن أبی بکر: الفوائد المشوق إلی علوم القرآن، ۱۹۸۷ م، دار مکتبة الهلال، بیروت.

۲۸- (ابن القیم) شمس الدین محمد بن أبی بکر بن أیوب الزّرعی الدمشقی: الروح، عالم الکتب- بیروت.

۲۹- (ابن المبارک) أبو عبد اللّه عبد اللّه بن المبارک بن واضح المروزی (۱۱۸- ۱۸۱ ه): کتاب الزهد، تحقیق: حبیب الرحمن الأعظمی، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۳۰- (ابن تیمیة) أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة ت ۷۲۸ ه، شیخ الإسلام: مجموع فتاوی شیخ الإسلام أحمد ابن تیمیة، جمع و ترتیب: عبد الرحمن

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۳

ابن قاسم العاصمی النجدی الحنبلی، ۱۴۲۱- ۱۹۹۱ م، دار عالم الکتب الریاض.

۳۱- (ابن جنی) أبو الفتح عثمان (ت ۳۹۲ ه): سر صناعة الإعراب، تحقیق مصطفی السقا، ۱۹۵۴ م، مکتبة و مطبعة مصطفی البابی الحلبی.

۳۲- (ابن حجر) أبو الفضل شهاب الدین أحمد بن علی ابن حجر العسقلانی، تهذیب التهذیب، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م- دار الفکر- بیروت.

۳۳- (ابن حجر) أحمد بن علی حجر العسقلانی: هدی الساری مقدمة فتح الباری، و الفتح، حقق أصولها: عبد العزیز بن باز رقم کتبها و أبوابها و أحادیثها محمد فؤاد عبد الباقی ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۸۹ م، دار الکتب العلمیة- بیروت، لبنان.

الطبعة الأولی ۱۴۱۰ ه- ۱۹۸۹ م.

۳۴- (ابن حجر) شهاب الدین أحمد بن حجر العسقلانی ت ۸۵۲ ه: الدرر الکامنة فی أعیان المائة الثامنة. حققه و قدم له: محمد سید جاد الحق، دار الکتب الحدیثة.

۳۵- (ابن حجر): المطالب العالیة بزوائد المسانید الثمانیة، تحقیق المحدث الشیخ حبیب الرحمن الأعظمی.

۳۶- (ابن خزیمة) إمام الأئمة أبو بکر محمد بن إسحاق بن خزیمة السلمی (۲۲۳- ۳۱۱ ه): صحیح ابن خزیمة، مراجعة: د. محمد مصطفی الأعظمی (۱۳۹۰ ه- ۱۹۷۰ م)، المکتب الإسلامی- بیروت، عدد الأجزاء ۴.

۳۷- (ابن خلکان) أبو العباس شمس الدین أحمد بن محمد بن أبی بکر بن خلکان ۶۰۸ ه- ۶۸۱ ه: وفیات الأعیان و أنباء أبناء الزمان، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۴

۳۸- (ابن راهویه) إسحاق بن إبراهیم بن مخلد بن راهویه الحنظلی (۱۶۱، ت ۲۳۸ ه): مسند إسحاق بن راهویه، مراجعة: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشی ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۱ م، مکتبة الإیمان، المدینة المنورة.

۳۹- (ابن سعد) محمد بن سعد بن منیع البصری الزهری (۱۶۸ ه- ت ۲۳۰ ه):

الطبقات الکبری، دار صادر بیروت، عدد الأجزاء ۸.

۴۰- ابن عطیة: المحرر الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز، تحقیق و تعلیق: عبد اللّه ابن إبراهیم الأنصاری، السید عبد العال السید إبراهیم، ط ۱، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۵ م.

۴۱- (ابن عقیل) بهاء الدین عبد اللّه بن عقیل العقیلی (۶۹۸ ه- ۷۶۹ ه): شرح ابن عقیل علی ألفیة ابن مالک، تحقیق: محمد محیی الدین عبد الحمید فی حاشیته علیه المسماة: منحة الجلیل بتحقیق شرح ابن عقیل، لم تذکر الطبعة و لا الدار.

۴۲- (ابن فارس) أبو الحسین أحمد بن فارس بن زکریا الرازی: معجم المقاییس فی اللغة، بتحقیق و ضبط عبد السلام هارون، ط ۱، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الجیل.

۴۳- (ابن فارس): الصاحبی فی فقه اللغة و سنن العرب فی کلامها، ۱۹۱۰ م، المکتبة السلفیة- القاهرة.

۴۴- (ابن القاصح) أبو البقاء علی بن عثمان بن محمد (ت ۸۰۱ ه): تلخیص الفوائد و تقریب المتباعد فی شرح عقیلة أتراب القصائد، مراجعة الشیخ عبد الفتاح القاضی، ط ۱، ۱۹۴۹ م، مطبعة مصطفی البابی الحلبی بمصر.

۴۵- (ابن قتیبة) أبو محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتیبة الدینوری ت ۲۷۳ ه: فی کتابه (تأویل مشکل القرآن)، شرحه و نشره السید: أحمد صقر، الطبعة لم تذکر، المکتبة العلمیة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۵

۴۶- (ابن قتیبة) عبد اللّه بن مسلم بن قتیبة الدینوری ت ۲۷۶ ه: تأویل مختلف الحدیث، مراجعة: محمد زهری النجار، ۱۹۷۲ م- ۱۳۹۳ ه، دار الجیل- بیروت.

۴۷- (ابن قدامة) موفق الدین أبی محمد عبد اللّه بن أحمد بن قدامة المقدسی الدمشقی (ت ۶۲۰ ه): روضة الناظر و جنة المناظر، مکتبة المعارف- الریاض.

۴۸- (ابن کثیر) أبو الفداء عماد الدین إسماعیل بن کثیر القرشی الدمشقی (ت ۷۷۴):

تفسیر القرآن العظیم، تقدیم: محمد عبد الرحمن المرعشلی، إعداد: مکتب تحقیق دار إحیاء التراث العربی، أعد فهارسها: ریاض عبد اللّه عبد الهادی ط ۱، ۱۴۱۷- ۱۹۹۷ م، دار إحیاء التراث العربی- بیروت.

۴۹- (ابن ماجة) أبو عبد اللّه محمد بن یزید القزوینی (۲۰۷- ۲۷۵ ه): سنن ابن ماجة، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقی، دار الفکر- بیروت، عدد الأجزاء ۲.

۵۰- (ابن منظور) محمد بن مکرم بن علی، الإمام العلامة، (ت ۷۱۱ ه): لسان العرب، اعتنی بتصحیحها: أمین محمد عبد الوهاب، و محمد الصادق العبیدی، ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۵ م، دار إحیاء التراث العربی و مؤسسة التاریخ العربی- بیروت.

۵۱- العلامة أحمد الدمنهوری: حلیة اللب المصون، مکتبة الیمن الکبری- صنعاء، الطبعة لم تذکر.

۵۲- (الأزهری) أبو منصور محمد بن أحمد (۲۸۲ ه- ۳۷۰ ه): تهذیب اللغة، ۱۹۶۴ م- القاهرة.

۵۳- (الأسنوی) جمال الدین عبد الرحیم ابن الحسین الأسنوی (۷۰۴ ه- ۷۷۲ ه): زوائد الأصول، ط ۱ ۱۴۱۳- ۱۹۹۳ م، دراسة و تحقیق: محمد سنان سیف الجلالی، مکتبة الجیل الجدید- صنعاء.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۶

۵۴- (الأسنوی) جمال الدین عبد الرحیم بن الحسن الشافعی: نهایة السول فی شرح منهاج الأصول- للقاضی ناصر الدین عبد اللّه بن عمر البیضاوی، عالم الکتب.

۵۵- (الأصبهانی) إسماعیل بن محمد بن الفضل التیمی (ت ۴۵۷ ه- ۵۳۵ ه):

دلائل النبوة، تحقیق: محمد محمد الحداد، ۱۴۰۹ ه، دار طیبة- الریاض.

۵۶- (الألبانی) محمد ناصر الدین: صحیح الجامع الصغیر و زیادته، أشرف علی طبعه:

زهیر الشاویش، ط ۳ ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، المکتب الإسلامی- بیروت.

۵۷- (الآلوسی) محمود شکری البغدادی، ۱۲۷۵ ه: روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم و السبع المثانی- دار الفکر- بیروت، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م- قرأه و صححه: محمد حسین العرب.

۵۸- (الأنباری) أبو بکر محمد بن القاسم: الزاهر فی معانی کلمات الناس، تحقیق: د.

حاتم صالح الضامن، اعتنی به: عز الدین البدوی النجار- ط ۱ ن ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، مؤسسة الرسالة- بیروت.

۵۹- (الأهدل) محمد بن أحمد بن عبد الباری: الکواکب الدریة، شرح: الشیخ محمد بن أحمد الرعینی الشهیر بالحطاب، ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م- مؤسسة الکتب الثقافیة، بیروت.

۶۰- (الباقلانی) محمد بن الطیب ت ۴۰۳ ه: نکت الانتصار لنقل القرآن، تحقیق د.

محمد زغلول سلام، الناشر: منشأة المعارف بالإسکندریة.

۶۱- (الباقلانی) أبو بکر بن الطیب: إعجاز القرآن، قدم له و شرحه و علق علیه: الشیخ محمد شریف سکر، بیروت دار إحیاء العلوم، الطبعة الأولی ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۷

۶۲- (البخاری) أبو عبد اللّه محمد بن إبراهیم بن إسماعیل الجعفی (۱۹۴، ۲۵۶ ه):

خلق أفعال العباد، مراجعة: د. عبد الرحمن عمیرة، دار المعارف السعودیة- الریاض ۱۳۹۸ ه- ۱۹۷۸ م.

۶۳- (البخاری) أبو عبد اللّه محمد بن إسماعیل بن المغیرة الجعفی، (۱۹۴ ه- ت ۲۵۶ ه): صحیح البخاری، مراجعة د. مصطفی دیب البغا، ۱۴۰۷ ه- ۱۹۸۷ م، دار ابن کثیر، الیمامة، بیروت.

۶۴- (البقاعی) برهان الدین أبو الحسن إبراهیم بن عمر (ت ۸۸۵ ه): نظم الدرر فی تناسب الآیات و السور، ۱۴۱۳ ه، ۱۹۹۲ م، ط ۳، المکتبة التجاریة، مکة المکرمة.

۶۵- (البیهقی) أبو بکر أحمد بن الحسین بن علی بن موسی (۳۸۴ ه- ت ۴۵۸ ه):

سنن البیهقی الکبری، مراجعة: محمد عبد القادر عطا، ۱۹۹۴ م- ۱۴۱۴ ه، مکتبة دار الباز- مکة المکرمة.

۶۶- بلا شیر: القرآن: نزوله، تدوینه، ترجمته، و تأثیره، نقله إلی العربیة: رضا سعادة، ط ۱، ۱۹۷۴ م، دار الکتاب اللبنانی- بیروت.

۶۷- (التبریزی) الإمام الخطیب أبی زکریا یحیی بن علی التبریزی (ت ۵۰۲): شرح القصائد العشر، علق علیه: السید أحمد الخضر، مکتبة الثقافة الدینیة- القاهرة.

۶۸- (الترمذی) أبو عیسی محمد بن عیسی السلمی (۲۰۹ ه- ۲۷۹ ه): الجامع الصحیح سنن الترمذی، مراجعة: أحمد محمد شاکر و

آخرون، دار إحیاء التراث العربی- بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۸

۶۹- (التفتازانی) سعد الدین مسعود بن عمر الشافعی- ت ۷۹۲ ه: التلویح علی التوضیح لمتن التنقیح فی أصول الفقه- ضبطه، و خرج آیاته، و أحادیثه: الشیخ زکریا عمیرات ط ۱، ۱۴۱۶ ه- ۱۹۹۶ م، دار الکتب العلمیة، بیروت.

۷۰- (الثعالبی) عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائری: الجواهر الحسان فی تفسیر القرآن، دار القلم، بیروت.

۷۱- (الجرجانی) الإمام عبد القادر بن عبد الرحمن الجرجانی: دلائل الإعجاز فی علم المعانی، صحح أصله الأستاذ محمد عبده، و الأستاذ محمد محمود الترکزی، وقف علی تصحیح طبعه: السید محمد رشید رضا- ۱۴۰۲ ه- ۱۹۸۲ م، دار المعرفة- بیروت.

۷۲- (الجرجانی) علی بن محمد بن علی: التعریفات، حققه، و قدم له، و وضع فهارسه:

إبراهیم الأبیاری، ط ۱، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، دار الکتاب العربی- بیروت.

۷۳- (جولد تسهیر): مذاهب التفسیر الإسلامی، ترجمة عبد الحلیم النجار، ۱۹۵۶ م، مکتبة الخانجی- مصر.

۷۴- (الجلالین) جلال الدین المحلی، و جلال الدین السیوطی: تفسیر الجلالین، و بهامشه حاشیة الصاوی، دار الفکر بیروت ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۳ م، قدم له و أشرف علی تصحیحه: صدقی محمد جمیل.

۷۵- جمال الدین الحسن بن الحسین بن القاسم بن محمد: شرح التهذیب فی علم المنطق مع الحاشیة، ط ۱، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، مرکز الدراسات و البحوث- صنعاء.

۷۶- (حاجی خلیفة) مصطفی بن عبد اللّه القسطنطینی الرومی الحنفی (۱۰۱۷ ه- ت ۱۰۶۷ ه-): کشف الظنون عن أسامی الکتب و الفنون، ۱۹۹۲ م- ۱۴۱۳ ه-، دار الکتب العلمیة- بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۲۹

۷۷- (الحاکم) أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن البیع النیسابوری (۳۲۱ ه-، ت ۴۰۵ ه-): المستدرک علی الصحیحین، مراجعة: مصطفی عبد القادر عطا، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۰ م، دار الکتب العلمیة- بیروت، الطبعة لم تذکر.

۷۸- الحسین بن أمیر المؤمنین المنصور باللّه القاسم بن محمد: حواشی هدایة العقول إلی غایة السئول فی علم الأصول.

۷۹- حسن ضیاء الدین عتر: المعجزة الخالدة، ط ۲، ۱۴۰۹ ه- ۱۹۸۹ م، مکتبة الطالب الجامعی- مکة.

۸۰- (الحلبی) علی بن برهان الدین ت ۱۰۴۴ ه-: السیرة الحلبیة فی سیرة الأمین المأمون، دار المعرفة- بیروت ۱۴۰۰ ه-.

۸۱- (الحمیدی) أبو بکر عبد اللّه بن الزبیر (ت ۲۱۹ ه-): مسند الحمیدی، مراجعة:

حبیب الرحمن الأعظمی، ۱۳۸۱ ه-، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۸۲- (دکتور) عبد الصبور شاهین: تاریخ القرآن، دار القلم ۱۹۶۶ م.

۸۳- (دکتور) عبد الهادی الفضلی: القراءات القرآنیة، ط ۲، دار القلم- بیروت.

۸۴- (دکتور) فضل حسن عباس: إتقان البرهان فی علوم القرآن، ط ۱، ۱۹۹۷ م، دار الفرقان.

۸۵- (دکتور) محمد عبد اللّه دراز: النبأ العظیم، اعتنی به و خرج أحادیثه: عبد الحمید الدخاخینی، ط ۱، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م، دار طیبة- الریاض.

۸۶- (دکتور) مصطفی دیب البغا: التحفة الرضیة فی فقه السادة المالکیة ۴۰، شرح و أدلة و تکملة متن العشماویة، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، دار ابن کثیر، دمشق- بیروت.

۸۷- (دکتور) و هبة الزحیلی: التفسیر المنیر، ط ۱، دار الفکر.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۰

۸۸- (دکتور) إبراهیم أنیس: الأصوات اللغویة، ط ۴، ۱۹۷۱ م، مکتبة الأنجلو المصریة- القاهرة.

۸۹- (دکتور) عبده الراجحی: اللهجات العربیة فی القراءات القرآنیة، ۱۹۶۹ م، دار المعارف بمصر.

۹۰- (دکتور) صبحی الصالح: مباحث فی علوم القرآن، ط ۳، ۱۹۶۴ م، دار العلم للملایین- بیروت.

۹۱- (دکتور) عبد الفتاح إسماعیل شلبی: الإمالة فی القراءات و اللهجات العربیة ط ۱، مکتبة نهضة مصر، القاهرة ۱۹۵۷ م.

۹۲- (الخطیب البغدادی) أبو بکر أحمد بن علی- میلاده ۳۹۳، وفاته ۴۶۳ ه-:

تاریخ بغداد، دار الکتب العلمیة، بیروت.

۹۳- (الدار قطنی) أبو الحسن علی بن عمر بن أحمد: ذکر أسماء التابعین و من بعدهم ممن صحت روایتهم عن الثقات عند البخاری و مسلم، دراسة و تحقیق: بوران الضناوی، و کمال یوسف الحوت، ط ۱، ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۵ م، مؤسسة الکتب الثقافیة.

۹۴- (الدارمی) أبو محمد عبد اللّه بن عبد الرحمن (۱۸۱ ه- ۲۵۵ ه-): سنن الدارمی، تحقیق: أحمد فواز زمرلی، خالد السبع العلمی، ۱۴۰۷ ه-، دار الکتاب العربی- بیروت.

۹۵- (الدانی) أبو عمر و عثمان بن سعید ت ۴۴۴ ه-: الأحرف السبعة، تحقیق د.

عبد المهیمن الطحان ۱۴۰۸ ه-، مکتبة المنارة، مکة المکرمة.

۹۶- (الدانی): التیسیر فی القراءات السبع، صححه أوتوبرتزل.

۹۷- (الدانی): المحکم فی نقط المصاحف، تحقیق د. عزة حسن، ۱۹۶۰ م، مدیریة إحیاء التراث القدیم، وزارة الثقافة و الإرشاد- دمشق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۱

۹۸- (الدانی) المقنع فی معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقیق محمد أحمد دهمان، ۱۹۴۰ م، مکتبة الدراسات الإسلامیة- دمشق.

۹۹- (الدمیاطی) الشیخ أحمد بن محمد الشهیر بالبنا (ت ۱۱۱۷ ه-): إتحاف فضلاء البشر فی القراءات الأربع عشر، صححه علی محمد الضّباع، ۱۳۵۹ ه- مطبعة عبد الحمید أحمد حنفی بمصر.

۱۰۰- (الذهبی) الإمام شمس الدین أبی عبد اللّه محمد بن أحمد بن عثمان: طبقات القراء للذهبی، تحقیق: د. أحمد خان ۱۴۱۸ ه- ۱۹۹۷ م، دار الفیصل.

۱۰۱- (الذهبی) شمس الدین محمد بن أحمد بن عثمان (ت ۷۴۸ ه-): سیر أعلام النبلاء، إشراف الشیخ شعیب الأرناءوط، ط ۲، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م، مؤسسة الرسالة.

۱۰۲- (الرازی) محمد بن أبی بکر بن عبد القادر ت ۷۲۱ ه-: مختار الصحاح، مراجعة: محمود خاطر، مکتبة لبنان بیروت ۱۴۱۵ ه- ۱۹۸۵ م.

۱۰۳- (الراغب) أبو القاسم الحسین بن محمد الأصفهانی ت ۵۰۲ ه-: المفردات فی غریب القرآن، تحقیق محمد سید کیلانی، دار المعرفة- بیروت.

۱۰۴- رفاعی سرور: عند ما ترعی الذئاب الغنم، ط ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲، مکتبة الحرمین للعلوم النافعة.

۱۰۵- (الزرقانی) الشیخ محمد عبد العظیم: مناهل العرفان فی علوم القرآن، ط ۳، ۱۹۴۳ ه، دار إحیاء الکتب العربیة.

۱۰۶- (الزرکشی) بدر الدین محمد بن بهادر بن عبد اللّه الشافعی: البحر المحیط ۱/ ۴۴۰، قام بتحریره عبد القادر عبد اللّه العانی، راجعه: د. عمر سلیمان الأشقر- ط ۲، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، دار الصفوة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۲

۱۰۷- (الزرکشی): البرهان فی علوم القرآن، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم، ط ۱، ۱۹۵۷ م، دار إحیاء الکتب العربیة- القاهرة.

۱۰۸- (الزرکلی) خیر الدین الزرکلی: الأعلام، الطبعة العاشرة ۱۹۹۲ م.

۱۰۹- (الزمخشری) أبو القاسم جار اللّه محمود بن عمر الخوارزمی (۴۶۷- ت ۵۳۸ ه-): الکشاف، دار المعرفة، بیروت.

۱۱۰- (الزمخشری): الفائق فی غریب الحدیث، تحقیق: محمد أبو الفضل إبراهیم، علی محمد البجاوی، ط ۲، توزیع دار الباز.

۱۱۱- (الزمخشری): أساس البلاغة، ۱۹۲۲ م، دار الکتب المصریة- القاهرة.

۱۱۲- (الساعاتی) أحمد عبد الرحمن البنا: الفتح الربانی لترتیب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشیبانی، مصر ۱۳۷۴ ه-.

۱۱۳- (السندی) أبو الحسن نور الدین بن عبد الهادی (۱۱۳۸ ه-)، حاشیة السندی علی النسائی، مراجعة: عبد الفتاح أبو غدة ۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، مکتبة المطبوعات الإسلامیة- حلب.

۱۱۴- (السیوطی) أبو الفضل جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر، (۸۴۹ ه- ت ۹۱۱ ه-): تنویر الحوالک شرح موطأ مالک، ۱۳۸۹- ۱۹۶۹ م، المکتبة التجاریة الکبری- مصر.

۱۱۵- (السیوطی) أبو الفضل جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر (۸۴۹- ۹۱۱ ه): الدیباج علی صحیح مسلم، مراجعة: أبو إسحاق الحوینی الأثری- دار ابن عفان- الخبر- السعودیة، عدد الأجزاء ۵.

۱۱۶- (السیوطی) جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر الشافعی، ت ۹۱۱ ه: الإتقان فی علوم القرآن، المکتبة الثقافیة، بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۳

۱۱۷- (السیوطی) جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر ت ۹۱۱ ه-: المزهر فی علوم اللغة و أنواعها، الطبعة لم تذکر، المکتبة العصریة، صیدا- بیروت.

۱۱۸- (السیوطی) جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر ت ۹۱۱ ه-: تدریب الراوی فی تقریب النووی، ط ۴، حققه و راجع أصوله: عبد الوهاب عبد اللطیف الأستاذ المساعد بکلیة أصول الدین- جامعة الأزهر، دار نشر الکتب الإسلامیة.

۱۱۹- (السیوطی) جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر ت ۹۱۱ ه-: طبقات الحفاظ، ط ۱، ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۱۲۰- (السیوطی): لباب النقول فی أسباب النزول، ط ۶، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، دار إحیاء العلوم العربیة- بیروت.

۱۲۱- (الشاطبی) أبو إسحاق إبراهیم بن موسی اللخمی الغرناطی المالکی ت ۷۹۰ ه: الموافقات فی أصول الشریعة، المقدمة الثالثة، توزیع عباس أحمد الباز، الطبعة لم تذکر.

۱۲۲- (الشاطبی) أبو القاسم أو أبو محمد القاسم بن فیرة بن خلف بن أحمد الرعینی الشاطبی ت ۵۹۰ ه-: حرز الأمانی و وجه التهانی (متن الشاطبیة)، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، المکتبة الثقافیة- بیروت.

۱۲۳- (الشنقیطی) محمد الأمین بن محمد المختار الشنقیطی: نثر الورود علی مراقی السعود- تحقیق و إکمال تلمیذه الدکتور: محمد ولد سیدی ولد حبیب الشنقیطی- الناشر: محمد محمود محمد الخضر القاضی- دار المنارة جدة ط ۱، ۱۴۱۵- ۱۹۹۵ م.

۱۲۴- (الشنقیطی) محمد الأمین بن محمد المختار الجکنی: أضواء البیان فی إیضاح القرآن بالقرآن، عالم الکتب- بیروت.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۴

۱۲۵- (الشوکانی) محمد بن علی بن محمد الشوکانی ۱۲۵۰ ه-: فتح القدیر الجامع بین الروایة و الدرایة من التفسیر ط ۱، ۱۴۱۵- ۱۹۹۵ م، اعتنی به، و راجع أصوله: یوسف الغوش- دار المعرفة بیروت.

۱۲۶- (الشوکانی) محمد بن علی بن محمد (ت ۱۲۵۵ ه-): إرشاد الفحول إلی تحقیق الحق من علم الأصول، دار المعرفة- بیروت.

۱۲۷- (الشوکانی) محمد بن علی ت ۱۲۵۰ ه-: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة- بیروت.

۱۲۸- (الطاهر بن عاشور): التحریر و التنویر، بدون ذکر للدار و لا للطبعة.

۱۲۹- طاهر الجزائری الدمشقی (۱۲۶۸ ه- ۱۳۲۸ ه-): التبیان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن علی طریق الإتقان، اعتنی به عبد الفتاح أبو غدة، مکتب المطبوعات الإسلامیة- حلب.

۱۳۰- (الطبرانی) أبو القاسم سلیمان بن أحمد بن أیوب، مسند الدنیا، میلاده ۲۶۰ ه، ت ۳۶۰ ه-: مسند الشامیین، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۴ م، مؤسسة الرسالة، بیروت، مراجعة: حمدی بن عبد المجید السلفی.

۱۳۱- (الطبرانی) أبو القاسم مسند الدنیا سلیمان بن أحمد بن أیوب: المعجم الکبیر، مراجعة: حمدی عبد الحمید السلفی، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۳ م، مکتبة العلوم و الحکم، الموصل.

۱۳۲- (الطبرانی) مسند الدنیا أبو القاسم سلیمان بن أحمد بن أیوب (۲۶۰ ه- ت ۳۶۰): المعجم الأوسط، مراجعة: محمود الطحان، ۱۴۰۵- ۱۹۸۵، مکتبة المعارف- الریاض.

۱۳۳- (الطبری) محمد بن جریر الطبری: جامع البیان فی تأویل القرآن، ط ۳، ۱۳۸۸ ه- ۱۹۶۸ م، شرکة مکتبة و مطبعة مصطفی البابی الحلبی و أولاده بمصر.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۵

۱۳۴- (الطبری الزیدی) علی بن صلاح بن علی بن محمد: شفاء غلیل السائل عما تحمله الکافل، ط ۱، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، مکتبة الیمن الکبری- صنعاء.

۱۳۵- (الطحاوی) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة ۲۲۹ ه- ۳۲۱ ه-: شرح معانی الآثار، مراجعة محمد زهری النجار، ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۱۳۶- عبد الرحمن بن خلدون ت ۸۰۸ ه-: مقدمة ابن خلدون، ضبط المتن و وضع الحواشی و الفهارس: خلیل شحادة، مراجعة: د. سهیل زکار، ط ۱۴۱۷ ه-، ۱۹۹۶ م- دار الفکر- بیروت.

۱۳۷- عبد الوهاب حمودة: القراءات و اللهجات، ط ۱، ۱۹۴۸ م، مکتبة النهضة المصریة- القاهرة.

۱۳۸- عبد المعطی محمد ریاض طلیمات: الحلقات القرآنیة، دراسة منهجیة شاملة، ط ۱، ۱۴۱۷ ه- ۱۹۹۷ م، إصدار برنامج تحفیظ القرآن الکریم- جدة.

۱۳۹- عیاض بن موسی الیحصبی: الشفا تعریف حقوق المصطفی، دار الکتب العلمیة، بیروت- لبنان.

۱۴۰- عیاض بن موسی الیحصبی السبتی، أبو الفضل: ترتیب المدارک، و تقریب المسلک لمعرفة أعلام مذهب مالک، تحقیق د. أحمد بکر محمود، الطبعة لم تذکر، دار مکتبة الحیاة، بیروت.

۱۴۱- عبد الفتاح القاضی: بشیر الیسر شرح ناظمة الزهر فی علم الفواصل للإمام الشاطبی، ۱۳۹۷ ه- ۱۹۷۷ م، مطبوعات الأزهر- مصر.

۱۴۲- عبد الفتاح القاضی ت ۱۰۳ ه: الوافی فی شرح الشاطبیة فی القراءات السبع، ط ۵- ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۴ م، مکتبة السوادی- جدة، مکتبة الدار- المدینة المنورة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۶

۱۴۳- (العزی) عبد المنعم صالح العلی: أقباس من مناقب أبی هریرة، ط ۳، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۱ م، دار المنطلق- الإمارات العربیة المتحدة.

۱۴۴- (العسکری) أبو هلال الحسن بن عبد اللّه بن سهل بن سعید ت بعد ۳۹۵ ه:

الفروق فی اللغة.

۱۴۵- غانم قدوری الحمد: رسم المصحف دراسة لغویة تاریخیة- ط ۱، ۱۴۰۲ ه- ۱۹۸۲ م.

۱۴۶- (الغزالی) أبو حامد محمد ت ۵۰۵ ه: المستصفی من علم الأصول، دار الفکر- بیروت.

۱۴۷ (الفراء) أبی زکریا یحیی بن زیاد ت ۲۰۷ ه: معانی القرآن، دار السرور- تحقیق: أحمد یوسف نجاتی، محمد علی النجار.

۱۴۸- (الفارسی) أبو علی الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ۳۷۷ ه): الحجة فی علل القراءات السبع، تحقیق علی النجدی ناصف، ود. عبد الحلیم النجار، ود.

عبد الفتاح شلبی، دار الکتاب العربی، ۱۹۶۵ م، المجلد الأول.

۱۴۹- (القرطبی) أبو عبد اللّه محمد بن أحمد الأنصاری القرطبی: الجامع لأحکام القرآن، ۱۴۰۵ ه- ۱۹۸۵ م، دار إحیاء التراث العربی- بیروت.

۱۵۰- (القضاعی) أبو عبد اللّه محمد بن سلامة بن جعفر ت ۴۵۴ ه: مسند الشهاب، تحقیق حمدی عبد المجید السلفی، ط ۲، ۱۴۰۷ ه- ۲۹۸۶ م، مؤسسة الرسالة.

۱۵۱- (الکسی) أبو محمد عبد بن حمید بن نصر (ت ۲۴۹ ه): المنتخب من مسند عبد بن حمید، مراجعة: صبحی البدری السامرائی- محمود محمد خلیل الصعیدی، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، مکتبة السنة- القاهرة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۷

۱۵۲- (الکیا الهراسی) عماد الدین بن محمد الطبری (ت ۵۰۴ ه): أحکام القرآن، ط ۱، ۱۴۰۳ ه- ۱۹۸۳ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۱۵۳- لبیب السعید: الجمع الصوتی الأول للقرآن الکریم، دار الکتاب العربی- القاهرة.

۱۵۴- الإمام مالک بن أنس: موطأ الإمام مالک، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقی- دار إحیاء التراث العربی، مصر.

۱۵۵- (المبارکفوری) أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحیم: تحفة الأحوذی شرح سنن الترمذی، ط ۱، ۱۴۱۰ ه- ۱۹۹۰ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۱۵۶- (المحبوبی) عبد اللّه بن مسعود المحبوبی البخاری الحنفی: التوضیح لمتن التنقیح فی أصول الفقه، ضبطه و خرج آیاته و أحادیثه: الشیخ زکریا عمیرات، ط ۱، ۱۴۱۶- ۱۹۹۶ م، دار الکتب العلمیة- بیروت.

۱۵۷- محمد محمد عبد اللطیف (یلقب نفسه بابن الخطیب): الفرقان، الطبعة لم تذکر- دار الکتب العلمیة- بیروت.

۱۵۹- محمد الصادق عرجون عمید کلیة أصول الدین، جامعة الأزهر: بحث علمی لنقد مزاعم حول قراءات القرآن فی رسالة: (أصوات المد فی القرآن الکریم) بکلیة الآداب- جامعة الإسکندریة، اتحاد الطلاب بکلیة أصول الدین، اللجنة الاجتماعیة ۱۳۸۶ ه- ۱۹۶۶ م.

۱۵۹- محمد أبو زهرة: أصول الفقه، دار الفکر العربی.

۱۶۰- محمد علیان المزروقی الشافعی: حاشیته علی الکشاف، دار المعرفة- بیروت.

۱۶۱- محمد بخیت المطیعی (ت ۱۳۵۴ ه): الکلمات الحسان فی الحروف السبعة و جمع القرآن، ط ۱، ۱۳۲۳ ه، المطبعة الخیریة- القاهرة.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۸

۱۶۲- (المزی) أبو الحجاج جمال الدین یوسف بن الزکی عبد الرحمن (۶۵۴ ه- ۷۴۲ ه): تهذیب الکمال، مراجعة: بشار عواد معروف، ۱۴۰۰ ه- ۱۹۸۰ م، مؤسسة الرسالة- بیروت.

۱۶۳- (مسلم): أبو الحسین بن الحجاج النیسابوری: صحیح مسلم، (۲۰۶ ه- ت ۲۶۱ ه) مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقی، دار إحیاء التراث العربی بیروت ۱۳۷۴ ه- ۱۹۵۴ م.

۱۶۴- (ملاجیون) أحمد بن أبی سعید بن عبید اللّه الحنفی الصدیقی المیهوی (ت ۱۱۳۰ ه): نور الأنوار و بهامشه کشف الأسرار، ط ۱

۱۴۰۶ ه- ۱۹۸۶ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۶۵- (المقدسی) أبو عبد اللّه محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلی (۵۶۷ ه- ۶۳۴ ه): الأحاديث المختارة، تحقيق: عبد الملك بن عبد اللّه دهيش، ۱۴۱۰ ه، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

۱۶۶- (المهدی) أحمد بن يحيى بن المرتضى (۷۶۴ ه- ت ۸۴۰ ه): منهاج الوصول إلى معيار العقول فی علم الأصول، ط ۱، ۱۴۱۲ ه- ۱۹۹۲ م، دار الحكمة اليمانية- صنعاء.

۱۶۷- (المهدی) أحمد بن يحيى المرتضى ت ۸۴۰ ه: البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، و بهامشه: جواهر الأخبار و الآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للعلامة محمد بن يحيى بن بهران الصعدی ت ۹۵۷ ه، أشرف عليها: عبد اللّه محمد الصديق، و عبد الحفيظ سعد عطية، دار الكتاب الإسلامی- القاهرة.

۱۶۸- (الموصلی) أبو يعلى أحمد بن علی بن المثنى التميمی (۲۱۰- ت ۳۰۷ ه):

مسند أبی يعلى، مراجعة: حسين سليم أسد، ۱۴۰۴ ه- ۱۹۸۴ م، دار المأمون للتراث- دمشق.

تلقی النبی ص ألفاظ القرآن، ص: ۳۳۹

۱۶۹- (الميدانی) عبد الرحمن حسن حبنكة: ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة، ط ۴، ۱۴۱۴ ه- ۱۹۹۳ م، دار القلم- بيروت.

۱۷۰- (النسائی) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (۲۱۵- ۳۰۳): السنن الكبرى مراجعة: د. عبد الغفار سليمان البنداری- سيد كسروی حسن، ۱۴۱۱ ه- ۱۹۹۱ م، دار الكتب العلمية- بيروت.

۱۷۱- (الهيثمی) الحافظ نور الدين: بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للحارث بن أبی أسامة، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكری، ۱۴۱۳ ه- ۱۹۹۲ م، مركز خدمة السنة و السيرة النبوية- المدينة المنورة.

۱۷۲- (الوزير) محمد بن إبراهيم الوزير ت ۸۴۰ ه: ترجيح أساليب القرآن على أساطير اليونان، و ما بعدها ط ۱، دار الكتب الثقافية- بيروت.

۱۷۳- (الواحدی) أبو الحسن علی بن أحمد النيسابوری (ت ۴۶۸ ه)، تعليق و تخريج:

د. مصطفى ديب البغا، ط ۱، ۱۴۰۸ ه- ۱۹۸۸ م، دار ابن كثير- دمشق.

۱۷۴- (اليمانی) عبد الباقی بن عبد المجيد: إشارة التعيين فی تراجم النحاة و اللغويين، تحقيق د. عبد المجيد دياب، ط ۱، ۱۹۸۶ م، الدار لم تذكر.

المجلات

: ۱۷۵- مجلة: جريدة الدستور ۸/ ۱۰/ ۱۹۹۷ م.

۱۷۶- مجلة: مجلة جامعة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية، العدد الأول، ذو القعدة ۱۴۱۵ ه: د. يوسف الخليفة أبو بكر: البحث التربوی و اللغوی فی مجال تعليم القرآن الكريم.

۱۷۷- مجلة: مجلة البيان، العدد ۱۰۵، جمادی الأولى ۱۴۱۷ ه.

۱۷۸- مجلة: مجلة العربی، نوفمبر ۱۹۹۸ م.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بُنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹